# أحوال اليمن العلمية
# في عهد بني أمية•

د. عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع*

يعد العهد الأموي بالنسبة لمنظومة التاريخ الإسلامي - في عمومه - عهداً متفرداً بين العهود الإسلامية التالية.. لا لشيء إلا لكونه وقع بعد عهد الخلافة الراشدة، فهو يستقي من نبعها، ويشم أريج ذلك العهد الذي وقف على قدميه بلا رسول وإنما على الكتاب الذي صار مستقراً بين يديه يتمثل نصوصه، ويرتشف من تعاليمه فأثبت ذلك الجيل أنه حقاً جيل فريد. فجاء عهد بني أمية ليقتفي أثر ذلك الجيل، ويخرج أحسن ما عنده ليتمثل روح المنهج الذي سار عليه الجيل الذي سبقه، وكان العامل المشترك في كلا العهدين هو وجود العديد من الصحابة الذين تلقوا علومهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.. جيل الصحابة هذا هو الذي تولى الإعداد والتربية والتعليم للجيل الذي يليه.. جيل التابعين.. وهذه ميزة أخرى تميز بها عهد بني أمية.. إنها احتضان جيل التابعين وإعدادهم، ورعايتهم. هذا الجيل الذي دخل ضمن من أشاد به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأجيال والقرون "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[1].

فهو من خيرية القرون..لا لجنسه، وخصائصه البشرية من لون ومال وجاه وحسب ونسب، وإنما لأنه الجيل الذي تغذى على منهاج النبوة، وتربى عليه غضاً طرياً لم يدخله أي لبس من تلبسات البشر. ولأنه كان الوعاء الواقعي العملي والعلمي الذي حمل علم جيل الصحابة الذي تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم فصار التابعون هؤلاء يشكلون حلقة مهمة جد خطيرة في حلقات التاريخ الإسلامي. وأي إسقاط لها يعد إسقاطاً لركن هام من أركان الحركة العلمية والتاريخية للتاريخ الإسلامي.

ولم تكتف أهمية العهد الأموي في احتوانه لقبيل من جيل الصحابة.. ولجيل التابعين كله وإنما ضم في طياته طلائع جيل تابعي التابعين الذي أشرفوا على مرحلة مفصلية من مراحل الحركة العلمية الإسلامية.

فقد تكفل هذا الجيل - جيل التابعين - بجمع تراث معلميهم من جميع العلوم فقعدوها وبوبوها وقدموها لمن بعدهم جاهزة، تؤتي أكلها كل حين.

---

• ألقي هذا البحث في الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الجزيرة العربية في العصر الأموي) التي أقيمت في جامعة الملك سعود بالرياض . الأحد - الثلاثاء 7—9 من ذي القعدة 1420 هـ /13 - 15 من فبراير 2000م

* أستاذ التاريخ الإسلامي رئيس قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة صنعاء

وبما أننا نقصر حديثنا عن أهمية العهد الأموي العلمية ولا نبحث عن أهميته ودوره في المجالات الحربية الجهادية، ولا في المجالات الإدارية، ولا في المجالات الحضارية الأخرى فإننا نضيف معلومة أغفلها كثير من الباحثين، وهي أن تدوين العلوم كان أساسه في العصر الأموي وليس في العصر العباسي كما كان سائداً عند كثير من الباحثين[1].

ولقد تلقى اليمن الإسلام حتى صار ولاية من ولايات الدولة الإسلامية، مؤثرة في منظومة التاريخ الإسلامي.. تلقى اليمن الإسلام الذي لا يقوم إلا بالعلم (فاعلم أنه لا إله إلا الله) [سورة محمد 19] ومعروف أن أول آية تلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم تصدرها كلمة (اقرأ) وتخللتها كلمة (القلم) وكل منهما أداة التعلم.. وفي الآية نفسها ذكرت كلمة (العلم) ثلاث مرات.. مما يؤكد أن العلم صار معلما بارزاً في الإسلام.

وفي الوقت الذي كان اليمن قبل تلقيه الإسلام لم يحظ – مثله مثل بقية الجزيرة العربية – بحركة علمية، بل على العكس من ذلك فلم نجد ذكراً لأي نوع من أنواع العلوم إلا ما كان مشهوراً في أوساط العرب من علم الكهان، أو ما يتداوله الأحبار اليهود بينهم، أو ما يتدارسه الرهبان في كنائسهم[2].

أما المعارف العلمية كالطب فهي مخصوصة بشخصيات يتيمة[3]، وإن كان اليمن يأتيه من يتعلم الطب[4] إلا أنه لم يصل إلى درجة الشهرة. فهذا الوضع يجعلنا نصف اليمن من الناحية العلمية في الوقت الذي تحول فيه إلى الإسلام أنه خامل الذكر مهملاً ليس فيه حركة علمية بالمعنى المفهوم للحركة العلمية.

أما بعد الإسلام وفي الفترة الواقعة بين اكتمال تحوله إلى الإسلام في العام العاشر الهجري وبداية العصر الأموي فإنها فترة إعداد وتربية.

فقد خرج اليمانيون ليؤدوا واجبهم في الجهاد في ميادين الفتوح الإسلامية، وتعد هذه المشاركة في الفتوح جزءاً من الإعداد والتربية والتعليم مصداقاً للآية القرآنية التي تمثلت – من ضمن من تمثلت – في أهل اليمن الذين شاركوا في الفتوح ثم عادوا إلى قومهم يعلمونهم ويفقهونهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) [سورة التوبة 122]، ومفهوم الآية واضح من أن القوم يقتسمون قسمين: قسم يقعد، وقسم يجاهد، فالمجاهد يتعلم ويتفقه ثم يعود ليفقه ويعلم القاعد ما تعمله[5].

وقد خرج المعلمون الأول من اليمن ليشاركوا في الفتوح أمثال : أبي موسى الأشعري الذي قال عنه عمر: "أما إنه كيس"[6]، ووصفه علي بن أبي طالب بقوله: "صبغ في العلم صبغة"[7]، وهو الذي صار فقيه أهل البصرة وأقراهم[8]، ومعاذ بن جبل أعرف الأمة بالحلال والحرام كما وصفه رسول الله[9] صلى الله عليه وسلم، عاد تلامذتهم من أهل اليمن ليكونوا نواة علمية تكونت حولها مدرسة علمية كان لها شأن عظيم في العهد الأموي.

ويلاحظ القارئ أننا أشرنا إلى أن التلاميذ – أو بعضهم – عادوا إلى اليمن بعد المشاركة في الفتوحات الإسلامية والسبب في ذلك أن كثيراً من التابعين من أهل اليمن عاشوا خارجها بعد الفتوحات سواء في العراق أو في الشام أو في مصر حتى وصلوا الأندلس فكانوا نجوما ساطعة في هذه الأقطار لأنهم حينما خرجوا من اليمن كان يحدوهم الأمل في شرف الجهاد في الثغور الإسلامية ولهذا سكنوا البلاد المفتوحة واستوطنوها، كان معظم انشغالهم بالغزوات والجهاد والعبادات ولم يرغبوا في الظهور والبروز العلمي[10].

وإلى جوار أولئك المعلمين الأول الذي شاركوا في الفتوحات بقي في اليمن معلمون أخر كان لهم دور في إيجاد نواة علمية أخرى أمثال : فيروز الديلمي، والمهاجر بن أبي أمية، ويعلى بن أمية[11].. وغيرهم ولقد حصر ابن سعد[12] ثمانية وعشرين من أهل اليمن من عُدَّ من الصحابة – رغم دخول الشك في بعضهم – كانوا موجودين في اليمن.. هؤلاء جميعاً كونوا النواة الأولى لمدرسة اليمن العلمية..

ولم يأت العصر الأموي إلا واليمن يتربع على كرسي من العلم يرحل إليه طلاب العلم ليتلقوا عن علمائه العلوم والمعارف.

ومن خلال تتبع المواقع والمواضع التي كان ينـزلها العلماء نستطيع أن نعدها مراكز علمية نشأت داخل اليمن لأنها صارت مهوى أفئدة العلماء وطلاب العلم، يرحل إليها العلماء ويخرجون منها.

وسنذكر أشهر هذه المراكز لورود اسمها في المصادر:

أولاً: مدينة الجند[13] التي كانت مقراً لطاووس بن كيسان (ت 106هـ/724م)[14] صاحب المكانة العالية عند المسلمين عامة، ولا ننسى أن مدينة الجند كانت عاصمة ولاية اليمن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت المنـزل الدائم لمعاذ بن جبل، ومنها كان ينطلق للدعوة في ربوع اليمن، وصارت فيما بعد مركزاً علمياً ينسب إليه العديد من العلماء في العصور التالية.

ثانياً: مدينة ذمار[15]، وكان فيها أحد مشاهير العلم،وهو وهب بن منبه (ت 110هـ/728م)، وكان معاصراً لطاووس بن كيسان وتوفي في عهد هشام بن عبد الملك أيضاً[16]، وتعد مدينة ذمار في العصر الأموي مدينة علم لأن شيوخ وهب بن منبه واتباعه يدلون دلالة كافية على أهمية ذمار العلمية.

ثالثاً: أما أبرز المراكز فهو مدينة صنعاء حاضرة ولاية اليمن وعاصمتها التي ترتفع عن سطح البحر 7800 قدم، تحيط بها الجبال العالية من جهتيها الشرقية (نقم)، والغربية (عيبان)[17]. فكان هذا المركز هو أول من يستقبل التلاميذ والعلماء الراحلين إلى اليمن لأنها كانت مقراً لمجموعة من التابعين من أهل اليمن[18].

وقد رحل إليها معمر بن راشد البصري (ت 150هـ/767م أو 153هـ/770م) واستقر فيها، وإن كان – أحياناً – يذهب إلى البصرة لزيارة أمه هناك[19]، إلا أنه كان يعود إلى صنعاء إلى أن توفي فيها، ورغم أن وفاته كانت في العهد العباسي إلا أن هجرته إلى صنعاء تدل على أهمية صنعاء العلمية وذكرها العلمي المتميز في أوساط علماء الأمصار الكبيرة كالكوفة والبصرة.

وقد تولاها من التابعين الضحاك بن فيروز الديلمي (لم يعرف تاريخ وفاته) الذي تولاها في عهد معاوية بن أبي سفيان وفي عهد عبد الله بن الزبير[20].

رابعاً: مدينة عدن.. تلك المدينة الساحلية الشهيرة المطلة على مضيق باب المندب (البوابة الجنوبية) للبحر الأحمر، هذه المدينة كانت مقراً للحكم بن إبان العدني (ت 154م هـ/770م) الذي كان يلقي دروسه في مسجد أبيه المعروف بمسجد إبان المشهور في عدن[21]، ورغم وفاة الحكم بن إبان المتأخرة عن عهد بني أميه إلا أن الفرق الزمني ليس كبيراً فهو معاصر لهذا العصر لأنه توفي عن أربع وثمانين سنة. فقد عاش في العهد الأموي أكثر من ستين سنة من عمره.

خامساً: مدن حضر موت مثل شبام وتريم وإن لم تذكرهما المصادر بوصفهما مراكز علمية إلا أن كونهما كانتا منطلقاً حيوياً لفكر الخوارج من أيام عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان يعطينا مؤشراً عملياً عن وجود تفاعلات علمية في هذه المنطقة فقد خرجوا في سنة 72هـ/691م وفي سنة 107م في عهد هشام بن عبد الملك وفي سنة 130هـ/747م في عهد مروان بن محمد[22].

سادساً: الهجر العلمية.. هناك مصطلح علمي خاص بأهل اليمن وهو: (الهجرة) ويطلق على القرية التي يهاجر إليها العلماء الراغبون عن سكنى المدن. فتصير بإقامة العالم فيها مكانا ومركزاً لنشر العلم[23]، وإن كان هذا المصطلح لم يظهر في نص إلا في القرن الثالث الهجري[24] إلا أنه من المحتمل أنه كانت له جذور قديمة.. ولعلها ترجع إلى الأصل الحميري للكلمة (هجرن) والتي معناها المدينة، فقد كان وهب بن منبه مثلاً يتعلم في قرية بيت حنبص في ضواحي صنعاء.

وأحب أن ألفت النظر إلى أن المراكز العلمية هذه صارت تعنى بكثير مما يهم الدارسين حيث أصبحت توجد فيها أسواق الوراقة[25] مما يعطينا دلالة قوية على انتشار الكتب في أوساطهم.

تلك هي أهم المراكز العلمية في اليمن في العصر الأموي.. وإن كنا لا نستطيع الجزم بأن ما وصلنا من

المعلومات كانت كافية عن هذه المراكز، أو عن مراكز علمية أخرى، لأن عوامل الزمن نخرت في مصادرنا العلمية والتاريخية، ولم نعد نجد معلومات كافية، مع يقيننا أن هناك معلومات كثيرة لم تصلنا، ومع هذا فهذه المعلومات – رغم قلتها – تعطينا دلالات واسعة عن أهمية المراكز العلمية في اليمن.

وقد ينشأ سؤال هام وهو: هل للقيادة الإدارية والسياسية في اليمن أو قيادة الدولة دور في إنشاء هذه المراكز العلمية ؟

لا يمكننا أن نجزم بأن القيادة الإدارية لليمن كان لها دور في إنشاء هذه المراكز تمويناً أو إشرافاً، ولكن من حقنا أن نؤكد على أن استقرار العالم في أي مدينة أو قرية يحولها من الخمول إلى الذكر والأهمية، ولعل تشجيع الأمراء للعلماء بالإغداق عليهم بالعطاء وتوليتهم مناصب في الدولة يعد علاماً مساعداً لازدهار المراكز العلمية.

* * *

إن وجود العالم هو السبب في وجود المركز، وهو نفسه الذي يؤدي إلى وجود نتاج علمي، وهو الذي يتخذ المناهج العلمية المعتبرة.. فالعلماء الذين وجدوا في هذا العصر – عصر بني أمية – كانوا هم المؤسسين للحركة العلمية بكل أبعادها.. والعلماء الذين وجدوا في اليمن في عصر بني أمية هم الذين أعطوا لليمن هذه الأهمية.. ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر كوكبة من العلماء ليس على سبيل الترجمة لهم و إنما لنبين مكانتهم العلمية التي هي نفسها أعطت مكانة لليمن.

أولاً : الولاة :

ومن هؤلاء.. عتبة بن أبي سفيان (ت 44هـ/644م) الذي عرف بأنه من أشهر الخطباء كما قال الأصمعي[26]، وقد تولى إمارة اليمن في عهد أخيه معاوية[27].

ومنهم : الضحاك بن فيروز الديلمي المذكور آنفاً، والذي كان من تابعي أهل اليمن، وهو آخر من ولي اليمن لمعاوية وقد تولاها مرتين لعبد الله بن الزبير، ولا يعرف له تاريخ وفاة[28].

ومنهم: حنش بن عبد الله الصنعاني (ت 100هـ/718م) ولي اليمن لابن الزبير، ثم رحل من اليمن إلى الأقطار الإسلامية في طلب وإلقاء العلم، فوصل مصر ثم اتجه غرباً إلى الأندلس فاتحاً لها ضمن الفاتحين، وصار من علمائها،وأسس جامع مدينة سرقسطة، وتوفي هناك، وقيل توفي بمصر[29].

ومنهم : عروة بن محمد بن عطية السعدي (توفي بعد 120هـ/737م) تولى اليمن في عهد عمر بن عبد العزيز،وهو من التابعين المقبولين عند رجال الحديث[30].

وهكذا نجد الولاة الذين بلغوا حوالي الثلاثين والياً في اليمن لم يكونوا مجرد رجال إدارة، وإنما كان كل واحد منهم يتميز بجانب من العلم والمعرفة، وهذا بلا شك يجعله حلقة وصل علمية يوصل ما يعلمه إلى من حوله فيؤثر على شريحة لا أظنها قليلة.. حتى أولئك الولاة الجبابرة الذين كانت ذكراهم في اليمن سيئة كانوا يمثلون شريحة متعلمة لها مجالسها العلمية والأدبية والثقافية، ومن ثم لها تأثيرها في أوساطهم، حتى أن أولاد بعضهم صاروا من أهل العلم[31].

والجدول المرفق يبين مجموعة الولاة الذين تولوا ولاية اليمن في عهد خلفاء بني أمية، وكلهم قادة تربوا تربية خاصة، وتعلموا تعليماً متميزاً، ومن ثم لهم دورهم العلمي في المناطق التي حكموها، بل لا حظنا بعض الولاة الذين ينقصهم جانب من العلم كان لا يتوانى ولا يترفع عن أن يقعد للعلم أمام علماء اليمن يتلقى منهم ما ينقصه من علم مثل محمد بن يوسف الثقفي[32].

ثانياً: العلماء المتفرغون للعلم :

لا نستطيع أن نحصي من نالوا حظا من التعليم، ولا حتى من صاروا روادا في العلم في مثل هذه الفترة التي ندرسها، لا لشيء إلا لأن المصادر التي دونت لهذه الفترة لم تعد موجودة.. وما وجد في بطون الكتب المتوفرة بين أيدينا اليوم لا تعد معياراً صحيحاً لمدى ما كان في اليمن

من العلماء لأنها دونت في وقت متأخر، ولم تضم كل مادون من قبلها.. لأن بعض رجال العلم أنفسهم كانوا يتولون إعدام ما كتبوه تحت أي مبرر مثل ما فعل طاووس بن كيسان الذي "كان إذا اجتمعت عنده الرسائل أمر بها فأحرقت"[33] فماذا كان في هذه الرسائل.. لا نعلم عنها شيئاً، وربما ما فعله طاووس فعله غيره، هذا إلى جانب ما فعلته نوازل الدهر بالإنتاج العلمي للعلماء المسلمين.

ولو عدنا إلى ما قام به المؤرخون من إحصاء لعلماء أهل اليمن في العصر الأموي لوجدنا الإحصاءات المذكورة لا تعبر عن حقيقة ما كان موجوداً. فابن حبان البستي[34] (المتوفى سنة 354هـ/965م) جمع خمسين عالماً من التابعين وتابعيهم من أهل اليمن، بينما ذكر الشيرازي[35] (ت 436 هـ/1044م) خمسة فقط من فقهاء اليمن، أما ابن سمرة الجعدي[36] (توفي بعد 586هـ/1189م)، فقد عد ثلاثين فقيها، ورغم أن الجندي[37](ت 732هـ/1331م) كان متأخراً إلا أنه لم يورد في كتابه أكثر من ستة عشر عالماً.

وهكذا فإن هذا الإحصاء لا يعد دقيقاً.. ولعل سبب عدم الدقة يرجع لما قلت إلى افتقاد الأصول الأولى، وإلى رغبة المؤلفين في الاختصار، وإلى تقدير كل مؤلف بأنه لا يضم في كتابه إلا من يرى أنه يستحق الذكر أو من يخدم توجهه في الكتابة.

ونذكر من هؤلاء اثنين فقط ويرجع ذلك إلى السبب نفسه الذي اعتمده بعض المؤرخين الأقدمين وهو أن هذا البحث لا يعنى بالحصر والترجمة لكل عالم، وإنما يمثل تمثيلاً لما يريد إثباته.. والعلمان الانموذجان هما طاووس بن كيسان ووهب بن منبه، فهما انموذجان يدلان على ما قبلهما وعلى ما بعدهما لأنهما يقفان في وسط العصر الأموي ويعبران اشد التعبير عن الحالة العلمية في اليمن في هذا العصر فهما ثمرة جهود علمية سابقة ورصيد مزود للحركة العلمية القادمة بعدهما.

1. طاووس بن كيسان (ت 100هـ/718م) من أبناء الفرس، سكن الجند..وهو مولى بحير بن ريسان الوالي على اليمن في عهد يزيد بن معاوية[38] وهذا يؤكد ما قلناه من أن الولاة في هذا العصر كانوا منابع علمية استقى منها من حولهم. وقد تولى قضاء صنعاء والجند[39]. وكلف على الصدقة أي جمع الزكاة في عهد الوالي محمد بن يوسف الثقفي[40]. فكان إمام وقته وفقيه مصره في عصره[41]، وقد سئل ابن عباس عنه فقال: "ذلك عالم اليمن"[42]. وكان واثقاً في نفسه إلى حد أنه كان يعلم تلاميذه بأنه لا يصح لهم أن يسألوا أحدا بعد أن يحدثهم الحديث ويثبته لهم[43].

روى طاووس عن العديد من كبار الصحابة، وروى عنه خلق كثير.ولهذا وردت أحاديثه في كتب السنن الصحيحة. وتوفي في مكة المكرمة قبل يوم التروية، وتولى الصلاة عليه الخليفة هشام بن عبد الملك[44].

2. وهب بن منبه الأبناوي الذماري. وقيل الصنعاني (ت 110هـ/728م) التابعي الثقة[45] الذي كان من سعة إطلاعه لم يترك كتاباً من كتب اليهود والنصارى والديانات الأخرى إلا قرأه[46]، ولمكانته تولى القضاء على صنعاء[47]، وكان كثيراً ما يرتاد مكة ويلتقي بالفقهاء هناك ويتناظرون فيما بينهم عن العلوم والمعارف المتداولة في عصرهم[48]، وكان مهتماً بقصص الأمم السابقة[49] (التاريخ)، ولم يكن وهب وحيد أسرته في العلم فأبوه منبه من تلامذة معاذ بن جبل[50] مما يدل على أن وهبا كان نتاج المدرسة الأولى التي تربت على يد الصحابة وله أخوة ثلاثة كلهم علماء.وتميز وهب بالفصاحة والبلاغة والموعظة النافذة والخطابة،بصيراً بالكتب قارئاً لجميعها..، مطلعا على كتب لابن عباس (لم يعد لها وجود اليوم) وقرأ كتبا لعبد الله بن سلام وكعب الأحبار[51] (ولا خبر لها ولا أثر اليوم). وإلى جانب تلك العلوم التي برع فيها برع في القراءات فكان إماما بصنعاء في قراءة القرآن، وممن يؤخذ عنهم علم القراءة.

وصارت له مكانة خاصة عند والي اليمن محمد بن يوسف فعينه (قاصا للجماعة) أي واعظاً للناس في المسجد الجامع[52].

وفي عهد سليمان بن عبد الملك عين وهب بن منبه قاضياً بصنعاء[53] وهو الذي كان يؤم الناس في الصلاة في شهر رمضان ويصلي بهم صلاة التراويح[54].

هذان أنموذجان أكثر الرواة من ذكر أخبارهما في الكتب المتأخرة بينما هناك العديد من أمثالهما لم يذكروا كما ذكر هذان العالمان (طاووس، ووهب) لا لقلة أهمية الآخرين ولكن كما يبدو لي لأن لهذين تلاميذا نقلوا عنهما ما عندهما من علم بينما الآخرون – حسب ظننا – لم يجدوا من ينقل عنهما العلم فنحن نرى مثلاً : أسرة وهب.. فإخوانه ثلاثة. وكل منهم من العلماء المعروفين بل قيل إن وهبا روى عن أخيه همام مما يدل على فضله.

والذي يهمنا في هذا الجانب أن العلماء في هذه الفترة الأولى لم يكونوا –كما حصل في العصر العباسي– عزوفين عن المشاركة في الإدارة والحكم بل نجدهم يتولون مناصب إدارية كولاية الصدقات حيث ولي طاووس على ذلك[55] وولاية القضاء[56] ويحضرون مجالس الأمراء[57].

وتولى وهب بن منبه مهمة (القصص) أو وعظ الناس[58].

ولم تكن علاقتهم منـــزوية بعيدة عن الناس بل يعيشون معهم ويخالطونهم.. ويوم أن جاءت الخوارج من حضرموت تصدى لها وهب بن منبه بعد أن تخلت الإمارة عن التصدي لهم[59]. وبالتأكيد كان معه من المتعلمين ومن تلاميذه عدد لا نستطيع تحديده ولكن لا بد أن يكون معه العدد المقبول.

ولأن هؤلاء العلماء كانت لهم مكانة خاصة عند الأمة فقد ينظر إليهم على أنهم الأمل الذي ينظر إليه الناس عندما تدلهم الأحوال.. ولذلك يروى أن وهباً "كان إذا قدم مكة على ابن الزبير أجلسه معه على سريره"[60] وذلك لمكانته وشهرته.

أما علاقة العلماء بتلاميذهم فلا توجد معلومات كافية ولكن الإشارات تعطي الكثير من الدلالات فالرجل الذي جاء يشاور وهباً في زواج ابنته[61] دليل على مدى الصلة العميقة المنفتحة بينه وبين تلاميذه.

وكان يمر طاووس مع تلاميذه في الطرقات فيدخل معهم سوق الوراقين.. وكان يجلس معهم المجالس العلمية ويعلمهم كيف يتعلمون من غيرهم، فقد سمع لابنه عبد الله وهو يحكي ماسمعه من أحد القراء يعرف بأبي خليفة القارئ الذي قرأ على علي بن أبي طالب رضى الله عنه القرآن فعلمه أن يسأل عما استشكل عليه[62].

وكان حرصهم على إدخال البهجة إلى من حولهم منهجا أصيلاً عندهم.

فقد كان طاووس إذا جاء يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى لا يدع جارية له سوداء ولا غيرها إلا أمرهن بخضاب أيديهن وأرجلهن ويقول: إنه يوم عيد[63].

أما مصادرهم المالية فهي تختلف من واحد إلى آخر فمنهم من كان يعمل في التجارة، ومنهم من كان معه أرض يعيش من خراجها،ومنهم من كان يتقاضى راتباً من الدولة نظير عمله فيها رغم تحرج بعضهم من ذلك، ورغم أننا لا نجد في مصادرنا معلومات تدلنا على الموارد المالية للعلماء بشكل واضح إلا أن ما يأتي بين السطور يدلنا على ما وراءها فمثلاً نصح أيوب السختياني معمر بن راشد عند عزمه الرحلة إلى اليمن فقال له: "إن كنت راحلا فإلى عبد الله بن طاووس أو فالزم تجارتك"[64] فالتجارة هي الحرفة الشهيرة التي كان يمتهنها كثير من العلماء.

ولنأخذ مثالاً على ذلك طاووساً فقد كان حريصاً على ألا يأخذ من الآخرين ويحب أن يكتفي بما عنده عما في أيدي الناس، وفي الوقت ذاته كان يدعو الله أن يحرمه كثرة المال والولد حتى لا يفتن بهما وأن يرزقه الإيمان والعمل[65]. ومع هذا كان يطيل السفر بين مكة واليمن للحج من شهر إلى شهرين[66] حرصاً على مزيد من الأجر ولا يفكر في الإنفاق.

وقد وصل به الحد إلى أنه مر عليه الناس بسارق قد قبضوا عليه فافتداه بدينار وأطلقه[67] ولعله وجد أن السارق كان في حاجة إلى هذا المال.. وحرص على إطلاقه قبل أن يصل إلى السلطان لأنه إذا وصل إلى السلطان فلابد من إقامة العقوبة عليه.

* * *

أما العلوم والمعارف التي كان المسلمون يتعاطونها. ويعملون على التزود منها.. فلا نكون مبالغين إذا قلنا: إنه لابد أن المسلمين كانوا يمارسون ويتلقون كل العلوم والمعارف السائدة في ذلك الوقت.وإن كانت العلوم التي أشار إليها العلماء هي العلوم الإسلامية.. كعلوم الحديث وعلوم القرآن والقراءات.

ولابد أن تكون علوم اللغة التي بدأت تُؤَصَّل وتُقَعَّد في آخر عهد الخلافة الراشدة كعلم النحو، وجمع المادة اللغوية من مصادرها بين القبائل العربية.

ومن المحتمل أن العلوم الأخرى كالطب والفلك والعلوم الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا لا بد أن يكون لها مكان بين ثقافة ذلك العصر سواء تلقوها عن مسلمين أو غير مسلمين لأنه ثبت أن وهب بن منبه كان يتعلم الإنجيل على يد نصراني، وهو مازال صبياً.

فإذا كان التحرج منتفيا في تعلم كتب أديان الأمم من غير المسلمين فلابد أن يكون الإقبال لتعلم العلوم والمعارف المشتهرة في ذلك العصر غير عازفين عنها.

ومن المعروف أن المدرسة اليمنية في علم التاريخ كان يرأسها وهب بن منبه ولا نظنه كان وحيد عصره بل كان معه آخرون ممن يهتم بالتاريخ ويكون شريحة متعلمة.

ولعل الإكثار من هذه العلوم تختلف من شخص إلى آخر ولدينا مثالان واضحان. فوهب بن منبه كان يروي ويقرأ بلا حدود بينما كان منهج طاووس المتثبت يؤكد على تلاميذه – بعد التثبت – ألا يسألوا أحداً عن الحديث الذي أثبته[68] وفي الوقت ذاته كان حريصا على نص الحديث في توثيقه وتحرير نصه إلى حد أنه كان يعده حرفاً حرفا[69].

* * *

ولم تصلنا معلومات كافية عن المنهج المتبع في النظام التعليمي إلا أنه من المؤكد أن الأساس الذي كان يبدأ به الطالب للتعلم هو القرآن الكريم تطبيقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[70] وكان إلى جوار هذا يتعلمون الخط والشعر ومبادئ من الأحكام الفقهية[71].

أما أدواتهم التعليمية فلا شك أنها (القلم) و (الدواة) و(سكين خاص لبري الأقلام)[72] ثم الأداة التي يكتبون عليها سواء أكانت من الورق والجلود أم أي شيء يتوفر لهم في الكتابة عليه. وقد وجدت أسواق للوراقة من المحتمل أنها كانت توفر هذه الأدوات.

أما مدة التعلم فهي مستمرة وغير منقطعة إلا أن الطريقة كانت الإقامة مع الأستاذ للتعلم منه مدة تختلف طولا وقصراً على رغبة الطالب.. فقد يمكث معه سنة أو شهرا[73] أو ثلاث عشرة سنة[74].

وكان الصبي يتلقى تعليمه في عمر الست سنوات كما حصل مع وهب بن منبه فقد كان صبياً حينما كان يتلقى الإنجيل عن نصراني[75].

وهكذا نخلص إلى:

- أن اليمن قبل أن يتحول للإسلام لم يكن ذا أهمية علمية ولما صار دينهم الجديد – الإسلام – يدعوهم ويحثهم على العلم والتعلم ويقول لهم لا دين بلا علم وتعلم اقبلوا على التزود بالعلوم التي توسع مداركهم لمعرفة دينهم متخذين من الصحابة وكبار التابعين مصادر للتلقي فاختلطوا بهم وعاشوا معهم في ميادين الفتوحات الإسلامية وتلقوا منهم علومهم ومعارفهم فكانوا تلامذة نجباء.

- وعاد إلى اليمن من رغب منهم في العودة واتخذوا من ولاية اليمن مقراً ومركزاً يلقون فيه علومهم ويتلقون منه المزيد من العلوم.

- وكانت الرحلة لطلب العلم – وخاصة إلى مكة والمدينة – وسيلة فعالة للالتقاء بعلماء الأمة وفقهائها وأمرائها في موسم الحج من كل عام وبذلك كانت تشكل عقول العلماء والتلاميذ، وتتلاقح الأفكار والآراء، فتكون مدارس علمية مشهورة.

- وصارت هذه اللقاءات العلمية في مكة والمدينة ميداناً لنشر ما يدور في اليمن من حركة علمية، فأقبل عليها العلماء وطلاب العلم من خارجها يقصدونها في





رحلات علمية إما طلباً للعلم والعودة إلى بلدانهم وإما لاتخاذها مقراً دائماً يتحركون منه ويعودون إليه كما هي حال معمر بن راشد.

• ومما زاد من أهمية اليمن العلمية أن موقعه البعيد عن مركز الخلافة جعله مكاناً آمناً لأصحاب المذاهب المناوئة للدولة كالخوارج حيث ظهر في اليمن في عصر بني أمية أكثر من زعيم خارجي وبالتأكيد أن لهذا الفكر رجاله ومنافحين عنه.

• ولقد برزت مجموعة من المراكز العلمية في اليمن أهمها: مدينة الجند، ومدينة ذمار، ومدينة صنعاء، ومدينة عدن، ومدن حضرموت، والهجر العلمية (القرى) التي اتخذها العلماء مقرات هجرتهم إليها. وكانت العوامل المؤثرة في وجود هذه المراكز تنحصر حول وجود علماء مؤثرين لهم جاذبية، بالإضافة إلى وجود قيادة تعطيهم متنفسا صالحاً ليقوموا بدورهم العلمي.

• ورغم أن المصادر التي أرخت للعلماء فيما يعرف بالسير والطبقات لم تذكر تفصيلات عن حياتهم إلا أن ما ذكر في هذه المصادر رغم قلته واختصاره يدل على وجود حركة علمية موار، فقد وجد فيهم علماء لهم ذكر في الأمة الإسلامية كلها كطاووس ووهب اللذين كانت لهما مشاركات فعالة على مستوى الأمة الإسلامية وتولوا إدارات في الدولة، وجلسوا للتعليم والوعظ، وشاركوا في التصدي لما يهدد الآمة من خطر الفرقة... وتميزت علاقاتهم بمن حولهم بالمحافظة والمشاركة، وكما كان عطاؤهم العلمي متميزاً كان عطاؤهم المادي أيضاً متميزاً في مجالات عدة سواء في عطائهم لتلاميذهم أو للناس من حولهم مع ترفعهم عن الأخذ من الآخرين.

• وحيثما وجد العلماء وجدت العلوم.. وكانت أشهر العلوم في هذا العصر هي علوم القرآن الكريم والحديث واللغة والشعر والتاريخ والجغرافيا مع عدم إغفال العلوم الأخرى وإن لم يؤرخ لها لا طبية الأشياء تدل على حصول مثل هذا الأمر ومما يؤكد هذا أن مصادر التعلم كانت متاحة على أوسع نطاق بحيث يمكن للمسلم أن يتعلم على يد اليهودي أو النصراني دون تحرج ما دام المسلم محتفظاً بعزته وعلوه، وما دام في علوم عامة لا علاقة لها بدين الإسلام.

• وكانت مدة التعليم غير محدودة بزمن لأن التعليم من المهد إلى اللحد ومن ثم فلا تجد غرابة حينما تشاهد أناساً كباراً في السن يتعلمون على أيدي من هم أصغر سناً منهم،أو تجد أميراً يجلس للعلم على يد عالم أقل سلطة منه، فالكل يبحث عن مصدر للتعلم، وكانت البداية من سن الخامسة حيث يعكف الصبيان على تعلم القرآن الكريم والخط ومبادئ أحكام الفقه، بل كان يتعلم ثقافة عصره من مصادرها المتاحة في ذلك الوقت كما عرفنا أن وهباً تعلم على يد نصراني وهو مازال صبياً، وقد يتطلب التعلم أن يقيم الطالب مع أستاذه الأيام أو السنين حتى يجيد ما تعلم ثم ينتقل إلى غيره من العلوم وهكذا.

• وبالتأكيد كانت لهم أدواتهم التعليمية المتاحة في ذلك الوقت ومنها (القلم) و (الدواة) و (سكين لبري الأقلام) ومادة يكتبون عليها سواء كانت من ورق – وهو نادر – أو جلود ولحى شجر وغيرها ووجود أسواق للوراقة يؤكد ذلك. ورغم هذه الصورة المصغرة عن الأحوال العلمية في اليمن في العصر الأموي إلا أنها مازالت قاصرة، ويدعو الباحث إلى مزيد من البحث عن مصادر جديدة وبعثها من قبور الخزائن الخاصة والعامة فإذا ما وجدت فقد تكون الصورة أكثر اتساعاً وأعمق دقة.

## ملحق بولاة اليمن في عهد الدولة الأموية

| المصادر | الرازي<br>ت 460 هـ | ابن سمرة<br>ت بعد 586 هـ | الجندي<br>ت 732 هـ | ابن عبد المجيد<br>ت 743 هـ | الخزرجي<br>ت 812 هـ | ابن الديبع<br>ت 943 هـ | يحيى بن الحسين<br>ت 1100هـ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الخلفاء | الـــــــــــــــــولاة | | | | | | |
| معاوية<br>(ت60هـ) | | - عثمان بن عفان الثقفي<br>- عتبة (صنعاء والجند) قاضي : صنعاء عبد الرحمن بن حنبل<br>- النعمان بن بشير سنة | - عثمان<br>- عتبة (صنعاء والجند) سنتين<br>- فيروز (صنعاء) قيس الكاتب (الجند) استخلفها عتبة<br>- النعمان بن بشير بعد موت عتبة (سنة)<br>- بشير بن سعيد الأعرج<br>- سعيد بن داذوية 9 شهور<br>- الضحاك | - عثمان<br>- عتبة (صنعاء والجند) سنتين<br>- فيروز (صنعاء) قيس الكاتب (الجند) استخلفها عتبة<br>- النعمان بن بشير بعد موت عتبة (سنة)<br>- بشير بن سعيد الأعرج<br>- سعيد بن داذوية 9 شهور<br>- الضحاك | - عثمان<br>- عتبة (صنعاء والجند) سنتين وقيل 3<br>- فيروز استخلفه عتبة 8 سنين<br>- النعمان بعد وفاة عتبة سنة<br>- بشير بن سعد (نقلا عن الجندي)<br>- سعيد بن داذوية الفارسي 9 شهور (مات)<br>- الضحاك | - عثمان بن عفان الثقفي<br>- عتبة بن أبي سفيان<br>- فيروز الديلمي<br>- النعمان بن بشر<br>- بشير بن سعد الأعرج<br>- الضحاك | - عثمان<br>- عتبة (صنعاء والجند) سنتين<br>- فيروز استخلفه عتبة 8 سنين<br>- النعمان بعد موت عتبة استعمله معاوية<br>- بشير بن سعد سبعة شهور<br>- الضحاك |
| يزيد بن معاوية<br>(ت 64هـ) | | | - بحير بن ريسان | - بحير بن ريسان | - بحير بن ريسان على المخلافين (بالتثنان) | - بحير بن ريسان الحميري | - بحير بن ريسان (بالتثنان) |

| المصادر / الخلفاء | الرازي ت 460 هـ | ابن سمرة ت بعد 586 هـ | الجندي ت 732 هـ | ابن عبد المجيد ت 743 هـ | الخزرجي ت 812 هـ | ابن الديبع ت 943 هـ | يحيى بن الحسين ت 1100هـ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الولاة | | | | | | |
| عبد الله بن الزبير (ت73هـ) | | – الضحاك سنة | – الضحاك سنة | – الضحاك سنة | – الضحاك سنة | – الضحاك بن فيروز | – الضحاك سنة |
| | | – عبد الله | – عبد الله | – عبد الله | – عبد الله | – عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد | – عبد الله بن عبد الرحمن أياما |
| | | – عبد الله سنة و8 شهور | – عبد الله سنة و 8 شهور | – عبد الله سنة و 8 شهور | – عبد الله سنة و 8 شهور | – عبد الله بن عبد المطلب بن أبي وداعة السهمي | – عبد الله سنة و 8 شهور |
| | | – خالد بن الزبير سنتين | – خالد بن الزبير | – خالد بن الزبي | – عبيدة بن الزبير خمسة اشهر | – عبيدة بن الزبير | – حسن بن عبد الله الفقيه |
| | | – مغيث | – مغيث بن ذي التوجم الأزراعي | – مغيث بن ذي التوجم الأزراعي (خمسة أشهر) | – حسن (هكذا) | – حنش بن عبد الله | – قيس |
| | | – حنش | – حنش | – حنش | – قيس | – قيس بن يزيد السعدي | |
| | | – أبو النجود | – قيس (سبعة شهور) | – قيس (سبعة شهور) | | | |
| | | – الضحاك (ثانية) | – أبو النجود (خمسة شهور) | – أبو النجود (خمسة شهور) | | | |
| | | – خلاد بن السائب وعلى الجند / بحير بن رصان | – الضحاك مرة ثانية ستة شهور | – الضحاك مرة ثانية ستة شهور | | | |
| | | | – خلاد بن السائب الأنصاري | – خلاد بن السائب الأنصاري | | | |
| | | | – أبو النجود (مرة أخرى) | – أبو النجود (مرة أخرى) | | | |

| المصادر<br>الخلفاء | الرازي<br>ت 460 هـ | ابن سمرة<br>ت بعد 586 هـ | الجندي<br>ت 732 هـ | ابن عبد المجيد<br>ت 743 هـ | الخزرجي<br>ت 812 هـ | ابن الديبع<br>ت 943 هـ | يحيى بن الحسين<br>ت 1100هـ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الـــــــولاة | | | | | | |
| عبد الملك بن مروان<br>(ت86 هـ) | | | تابعة وتولاها<br>الحجاج<br><br>محمد أخوه<br>(صنعاء)<br>والقد (الجند)<br><br>الحكم<br>(حضرموت) | تابعة لمكة وتولاها<br>الحجاج<br><br>محمد أخوه<br>(صنعاء)<br>والقد (الجند)<br><br>الحكم<br>(حضرموت) | الحجاج<br><br>محمد أخوه<br>(صنعاء)<br>والقد بن مسلمة<br>(الجند)<br><br>الحكم<br>(حضرموت)<br>(كلهم أقاموا سنة)<br>ثم عزله واقد وجمع<br>المخلافين لأخيه<br>محمد<br>استناب الحجاج<br>بعد موت محمد<br>أيوب بن يحيى<br>الثقفي | تابعة لمكة وتولاها<br>الحجاج فعين<br><br>محمد أخو على<br>(صنعاء)<br>ووالقد بن مسلمة<br>الثقفي على الجند<br><br>والحكم بن أيوب<br>الثقفي على<br>حضرموت<br><br>- أيوب بن يحيى<br>الثقفي بعد موت<br>محمد | تابعة لمكة<br>وللحجاج<br><br>محمد بن يوسف<br>(صنعاء)<br>والقد بن مسلمة<br>(الجند) ثم عزله<br>وجمع المخلافين<br><br>- أيوب بن يحيى<br>الثقفي |
| الوليد بن عبد الملك<br>(ت96هـ) | أيوب الثقفي<br>(85) (87)<br>5سنوات | محمد بن يوسف | لم يذكر شيئاً | لم يذكر شيئاً | - أيوب | - أيوب بن يحيى<br>الثقفي | - أيوب |
| سليمان بن عبد الملك<br>(ت99هـ) | | | - عروة | - عروة | - عروة | - عروة بن محمد<br>السعدي | - عروة بن محمد<br>السعدي |
| عمر بن عبد العزيز<br>(ت 101هـ) | | | - عروة | - عروة | - عروة | - عروة بن محمد<br>السعدي (القاضي<br>- : وهب) | - عروة<br>(القاضي : وهب) |
| يزيد بن عبد الملك<br>(ت 105هـ) | | | - مسعود | - مسعود | - مسعود | استمر عروة فترة<br>ثم عزل مسعود بن<br>عوف الكني | - مسعود بن<br>عوف |

| المصادر | الرازي<br>ت 460 هـ | ابن سمرة<br>ت بعد 586 هـ | الجندي<br>ت 732 هـ | ابن عبد المجيد<br>ت 743 هـ | الخزرجي<br>ت 812 هـ | ابن الديبع<br>ت 943 هـ | يحيى بن الحسين<br>ت 1100هـ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الخلفاء | الولاة | | | | | | |
| هشام بن عبد الملك (ت 125 هـ) | - يوسف بن عمر الثقفي (88) على صنعاء | - يوسف 13 سنة<br>-الصلت 5 سنين<br>- مروان بن كد بن يوسف الثقفي | - مسعود(سنة)<br>- يوسف على المخاليف الثلاثة ( 13سنة)<br>(فاطمة على صنعاء القطريف بن الضحاك بن فيروز)<br>- الصلت (خمس سنين) | - مسعود(سنة)<br>- يوسف على المخاليف الثلاثة (13سنة)<br>(فاطمة على صنعاء القطريف بن الضحاك بن فيروز)<br>- الصلت (خمس سنين) | - مسعود (سنة)<br>- يوسف على اليمن كله (13 سنة)<br>(فاطمة القطريف)<br>- الصلت نيابة عن أبيه (خمس سنين) | - مسعود بن عوف (سنة)<br>- يوسف بن عمر الثقفي (13 سنة)<br>- الصلت بن يوسف(خمس سنين) | - مسعود<br>- يوسف بن عمر الثقفي (13 سنة) قاضي على صنعاء : (القطريف)<br>- الصلت نيابة عن أبيه |
| الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ت 126هـ) | | | - مروان | - مروان | - مروان | - مروان بن محمد بن يوسف الثقفي | - مروان بن محمد بن يوسف |
| يزيد بن الوليد بن عبد الملك (ت 126هـ) | | | - الضحاك (قاضي يحيى بن شرحبيل) | - الضحاك (قاضي يحيى بن شرحبيل) | - الضحاك بن واصل السكسكي (قاضي يحيى) | - الضحاك بن وائل السكسكي | - الضحاك بن واصل |
| مروان بن محمد (ت 132 هـ) | | | - عروة (هكذا) ولم يذكر غيره | - عروة (هكذا) ولم يذكر غيره | القاسم بن عمر<br>عبد الملك<br>الوليد | القاسم بن عمر الثقفي<br>عبد الملك بن محمد بن عطية (ت 13هـ)<br>الوليد بن عروة بن محمد السعدي (إلى أن قتل مروان بن محمد) | القاسم بن عمر الثقفي<br>عبد الملك<br>الوليد |

الهوامش

1. انظر: أمين مدني . التاريخ العربي ومصادره (الجزء الثاني من العرب في أحقاب التاريخ) . ص 203-213- وشاكر مصطفى . التاريخ العربي والمؤرخون . ج 1 . ص 74- 83 .
2. ابن حبيب . المحبر ص 319.
3. مسلم . صحيح 156/6- 158- ابن حجر . الإصابة 210/2 مثال صماد بن لعلبة الأزدي .
4. ابن جلجل . طبقات الأطباء ص 54.
5. انظر : ابن كثير . تفسير القرآن العظيم 2/ 400، 401- سيد قطب . في ظلال القرآن 1734/3، 1735 .طبعة الشروق .
6. ابن سمرة الجعدي . طبقات فقهاء اليمن 45.
7. ابن عبد البر. الاستيعاب . 373/2 (لهامش الإصابة ) .
8. ابن حجر .الإصابة . 360/2 .
9. المصدر نفسه 427/3 ، والحديث رواه الترمذي .
10. ابن حبان البستي . مشاهير علماء الأمصار 201
11. كان من أصحابه أي تلامذته : سعد الأعرج أحد القضاة المشهورين باليمن ( ابن سعد . الطبقات . 535/5).
12. الطبقات الكبرى 523/5-535.
13. الجند: مدينة سابقاً وقرية حالياً . تقع في الشرق الشمالي من مدينة تعز، تبعد عنها بـــ 22 كيلو متراً (المقحفي. معجم البلدان 146) .
14. ابن سعد . الطبقات 537/5 - 542- وطاووس بن كيسان : هو أبو عبد الرحمن مولى بحير بن ريسان الحميري الذي تولى إمارة اليمن في عهد الخليفة يزيد بن معاوية ، وصار طاووس نفسه أميراً على الصدقة في عهد محمد بن يوسف الثقفي ، ومع هذا كان يكره التقرب إلى الوالي محمد بن يوسف (انظر: ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن 56).
15. ذمار: مدينة تقع جنوبي صنعاء بمسافة 99 كيلومتراً (المقحفي. معجم البلدان . 259) .
16. ابن سعد. الطبقات 543/5 -ابن سمرة الجعدي. طبقات فقهاء اليمن. 57 .
17. المقحفي . معجم البلدان . 396 ، 397 .
18. انظر : ابن سعد . الطبقات 544/5، 545.
19. المصدر نفسه 546/5.
20. بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 99/2 ، 100 - ابن حجر. تهذيب التهذيب 394/4 - ابن سمرة الجعدي . طبقات فقهاء اليمن 51 .
21. ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن 66 -بامخرمة. تاريخ ثغر عدن 64/2.
22. انظر الخزرجي العسجد المسبوك 22/21 - ابن عبد المجيد بهجة الزمن 26 - الخزرجي اليمن في عهد الولاة 70 - يحيى بن الحسين غاية الأماني 107/1 ، 119 .
23. إسماعيل الأكوع . هجر العلم ومعاقله 4/1
24. الهمداني . الإكليل 301/2- الرازي . تاريخ مدينة صنعاء 408- ابن سمرة الجعدي . طبقات فقهاء اليمن 64
25. ابن سعد . الطبقات 540/5 . مر طاووس على بائع مصاحف فسأله عن بيعها . ومن المرجح أن خوارها كما تباع في سوق الوراقة
26. ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة 122/1 ت - 124
27. ابن حجر . الإصابة 550/3
28. ابن حجر . التهذيب 394/4 - بامخرمة . تاريخ ثغر عدن 99/2
29. ابن حجر . تهذيب 50/3، 51
30. ابن حجر . التقريب 380
31. منهم صفوان بن يعلى بن أمية الذي كان من رواة الصحيح (ابن حجر . التهذيب 379/4)
32. أمر الحجاج الثقفي أخاه محمداً - أمير اليمن - أن يقرأ القرآن على أفضل من يقرأ عليه في اليمن فقرأ على وهب بن منبه ( الرازي تاريخ مدينة صنعاء 378).
33. ابن سعد . الطبقات 539/5
34. مشاهير علماء الأمصار 198- 201- ، 204- 206.
35. طبقات الفقهاء 65، 66.
36. طبقات فقهاء اليمن 56- 66
37. السلوك 93/1 - 128.
38. ابن حجر . تهذيب 8/5.
39. ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن56
40. ابن سعد. الطبقات 541/5" فكان يقول للرجل: تزكى رحمك الله مما أعطاك الله. فإن أعطانا أخذناه وإن تولى لم نقل تعال" .
41. الجندي . السلوك 94/1.
42. المصدر نفسه .
43. ابن سعد .الطبقات 539/5
44. المصدر نفسه 542/5
45. المصدر نفسه 147/11.
46. ابن سعد. الطبقات 543/5 -ابن سمرة الجعدي. طبقات فقهاء اليمن56.
47. ابن حجر .تهذيب 147/11.

48. المصدر نفسه 11 /148 .
49. ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن 57 .
50. الرازي . تاريخ مدينة صنعاء 367 ، 368 .
51. المصدر نفسه 374 .
52. المصدر نفسه 376 .
53. الرازي . تاريخ مدينة صنعاء 376 ،377.
54. المصدر نفسه 377 .
55. ابن سعد . الطبقات 541/5 .
56. ابن سمرة .طبقات فقهاء اليمن 57.
57. ابن سعد . الطبقات 541/5.
58. الرازي . تاريخ مدينة صنعاء 376 .
59. الذهبي. سير 553/4 – 555 – الخزرجي. العسجد 22 – يحي بن الحسين. غاية الأماني 107/1
60. الرازي . تاريخ مدينة صنعاء 367 .
61. المصدر نفسه 392.
62. الرازي . تاريخ مدينة صنعاء 404.
63. ابن سعد . الطبقات 540/5.
64. الجندي . السلوك 117/1
65. الذهبي . سير 42/5 – ابن سعد . الطبقات 540/5 .
66. ابن سعد . الطبقات 542/5
67. المصدر نفسه 5/ 540.
68. ابن سعد . الطبقات 539/5.
69. المصدر نفسه541/5 .
70. رواه البخاري والترمذي وأحمد وأبو داود وابن ماجه (أنظر: العجلوني. كشف الخفاء 392/1).
71. مجهول. تاريخ اليمن (ق 106/ب، 113/أ) ومسلم اللحجي. تاريخ مسلم (ق 118 ) – يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى 81.
72. مجهول. تاريخ اليمن (ق 113/م ) .
73. يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية 18 –مسلم اللحجي. تاريخ مسلم (ق 12، 13) .
74. الرازي . تاريخ مدينة صنعاء 383 . صحب وهب بن منبه عبد الله بن عباس ثلاث عشرة سنة
75. الرازي . تاريخ مدينة صنعاء 385.

# حركة الشعر الصوفي في اليمن

## عبد الهادي السودي أنموذجاً

د. محمد أحمد النهاري*

يكاد يجمع كثير من مؤرخي الأدب والنقاد على أن تراث اليمن الفكري بعامة والأدبي بخاصة لم يلق عناية كافية لأسباب كثيرة موضوعية وذاتية.

وإذا كان الأمر كذلك فإن أدب الصوفية في اليمن شعراً ونثراً يعد ضمن هذا التراث الفني هو الآخر لم يلق اهتماماً مناسباً من قبل المؤرخين والنقاد عدا إشارات منثورة هنا وهناك لا تكاد تقدم صورة واضحة عن إسهامات القطر اليمني في ميدان المعرفة العربية والإسلامية كما هو الشأن في أقطار أخرى أفرد لفكرها ومعارفها الموسوعات والمجزوءات في القديم والحديث والمعاصر، ولربما أسهمت الصراعات التي استمرت طويلاً داخل المجتمع اليمني في عزل هذا المجتمع عن بقية الأقطار العربية والإسلامية إذ ظل هذا المجتمع مشغولاً بنفسه مما أعاق التواصل مع الآخر من ناحية وجعل الاهتمام بحركة المعرفة تأتي في درجة تالية من ناحية أخرى.

وإذا كان الحديث هنا عن حركة الأدب الصوفي والشعر على وجه خاص فإن عوامل كثيرة كانت وراء غياب الدرس النقدي، ليس لهذا النوع من الأدب وحسب وإنما لغيره من الأنواع الأدبية الأخرى فبالإضافة إلى عامل العزلة هناك عامل يتمثل في أن اليمن – بحكم موقعه الجغرافي – لم يكن مركزاً فاعلاً لنشاط التيارات والانفعال بالأحداث كما كان الحال بالنسبة لمصر والشام والعراق، كما أن اليمن ولفترة طويلة استمر يشهد كثيراً من الصراعات الداخلية والحروب المتواصلة والتي خلقت نوعاً من القلق والترقب مما جعل الاهتمام بالفكر والمعرفة غالباً يتصدر اهتمامات ثانوية.

أما فيما يتعلق بالأدب الصوفي على وجه الخصوص فإن عدم الاهتمام به على ساحة الإبداع والدرس النقدي إنما يعود فيما أقدر إلى أن الصوفية لم تكن في حقيقة الأمر أيديولوجية أو مذهباً من المذاهب الإسلامية المعروفة، كالمذهب المعتزلي الذي لقي حفاوة كبرى مما يجعل اليمن من أوائل الأمصار التي اشتهرت فيه نبوغاً وإبداعاً، لذلك فقد كان سبباً في جعل الأدب الصوفي في معزل عن الدرس والإضافة والإثراء.

---

*الأستاذ المشارك بكلية الآداب – جامعة صنعاء

حول المصطلح:

وإنه لمن المفيد اتساقاً مع منهجية البحث أن نقوم بتحديد ماهية المصطلح الصوفي، ولسنا نريد أن نتتبع التعريفات الكثيرة للتصوف وإن كان من الضروري أن نتوصل بداية لمصطلحه بإيجاز. فلقد قيل إن التصوف (مأخوذ من كون الناس الغالب عليهم هو لبس الصوف لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين المتنسكين)[1]، وقيل أنهم (سموا بذلك نسبة إلى الصفة وهي (المقعد) وكان لقباً أعطي لبعض فقراء المسلمين في عهد الرسول والخلفاء الراشدين. ممن لم تكن لهم بيوت يأوون إليها فكانوا يأوون إلى مقعد مغطى خارج المسجد الذي أمر الرسول ببنائه في المدينة)[2] (ومنها أن اسم الصوفي مشتق من الصفاء وأن الصوفي هو الذي صافى فصوفي. لهذا سمي الصوفي)[3].

ومهما يكن من كثرة هذه التعريفات أو التأصيلات فإن التصوف قد انصرف إلى سلوك الزهد الذي سارت عليه فئة من المؤمنين اطراحاً للدنيا ورغبة فيما أعده الله لعباده الأبرار المتقين في الجنة. كما أصبح اتجاهاً له قواعده الخاصة وشكلياته الواضحة.

ولا بأس أن يقف بعد هذا التأصيل على بعض تعريفات جامعة للتصوف فالتصوف كما يقول الإمام القشيري في الرسالة (الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق)[4] أو هو كما يذهب لذلك أبو الحسن الشاذلي: (تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية)[5] أو هو (استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد).

ولذلك فإن الصوفي لابد أن يتصف بأربعة أوصاف:

أ) التخلق بأخلاق الله عز وجل.
ب) والمجاورة لأوامر الله.
ج) وترك الانتصار للنفس حياءً من الله.
د) وملازمة البساط بصدق التقاء مع الله.

بعبارة ثانية إن التصوف وقد ذهبنا إلى أنه لم يكن عقيدة أو مذهباً إلا أنه اتجاه سلوكي يتأسس على بنية ذات قواعد إسلامية خالصة وسيلته مجاهدة النفس واطراح الأغيار للوصول إلى برد الرضا والحكمة الإلهية فيكون الصوفي الحقيقي هو الرجل الذي وصل إلى الحكمة الإلهية أنه (العارف بالله) إذ أن الله لا نعرف إلا به.

وتلك الدرجة العظمى (الكلية) فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة، من كل ما سبق يمكننا أن نستنتج (أن الصوفية ليست شيئاً أضيف إلى الدين الإسلامي، إنها ليست شيئاً أتى من الخارج فألصق بالإسلام، وإنما هي بالعكس تكون جزءاً جوهرياً من الدين)[6].

هدف الدراسة:

لسنا نريد أن نذهب فنتحدث عن الصوفية بشكل تاريخي ونفلسف طرقها وتعدد ينابيعها فمكان ذلك غير هذا البحث، بل إن فيما سطره الكاتبون والباحثون مسلمين ومستشرقين فيه الكفاية.

وإنما يهمنا أن نرى وبشكل موجز يتناسب مع مساحة البحث هنا هذا الاتجاه في اليمن من خلال أحد أعلامه المرموقين وهو الشيخ عبد الهادي السودي وفي شعره على وجه التحديد.

وبداية لابد من الإشارة إلى أن الاتجاه الصوفي في اليمن بدأ اتجاهاً ساذجاً في العصور الإسلامية المبكرة يصدر أصحابه عما أثر عن السلف الأول من سلوك يتلخص أولاً وأخيراً في الزهد عن الدنيا والانصراف عن ملذاتها وشهواتها، بل إن هذا السلف الصالح المتمثل من النبي صلوات الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يعانون من الجوع والمسغبة، وكان بإمكانهم أن يعيشوا حياة مترفة وادعة لولا الحرص على ما أعده الله للأخيار الزاهدين بل إن بعض السلف الصالح فهم من الآية الكريمة (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)[7] أنها موجهة لأولئك النفر من الناس الذين فهموا الحياة الدنيا على أنها دار متعة وشهوة ولذة بالطيبات.

لقد عرف غير قليل من اليمنيين التصوف من منطلقه الأول هذا وهو منطلق الزهد والانصراف عن الحياة الفانية إلى الحياة الباقية (ومن هؤلاء جماعة من الصحابة كأبي موسى الأشعري الذي ولد بوادي زبيد.. ويقال إنه صام حتى أصبح كأنه خلال فقيل له لو أجممت نفسك فقال هيهات إنما يسبق من الخيل المضمرة.. ومن زهاد اليمن في عصر الصحابة الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الذي ولد باليمن ونشأ يتيماً فرحل إلى المدينة ولقي النبي صلى الله عليه وسلم.. ويأتي بعد الصحابة جماعة من الأحبار مثل عمرو بن ميمون الأودي.. طاووس بن كيسان.. وهب بن منبه.. ويذكر صاحب تاريخ صنعاء جماعة من زهاد اليمن خلال القرنين الثاني والثالث منهم محمد بن بسطام الصنعاني..)[8].

وهكذا ظل التصوف متمثلاً بنشأة الزهد وسلوكه وهي سيرته الأولى حتى القرن السابع الذي بدأ فيه التصوف ينحو منحىً معرفياً آخر يقوم على مرتكزات واختلافات فلسفية ممثلاً في أشهر أعلامه كالشيخ أحمد بن علوان رحمه الله ذي التصانيف الكثيرة ومن بينها ديوان الشعر يظهر فيه تأثره بصبغة التصوف المشرقية ونعني بها صبغة الحلاج الأسلوبية مما جعل شعره في أحايين كثيرة لا يكاد يفهم لكثرة ما ورد في لغته من رموز (وقد لفت هذا نظر المؤرخين فظنوها لغات أجنبية)[9]، ولا يصل القرن العاشر حتى كان اليمن قد عرف هذا الاتجاه الصوفي بشكل واضح على يد أعلام كبار منهم الشيخ عبد الهادي السودي الذي نقوم بدراسة شعره في هذه الصحف.

التأثر والتأثير:

سبق وأن لاحظنا أن التصوف بدأ بنشاط ساذج تمثل في الزهد واطراح الدنيا والحرص على الآخرة، ولكنه أصبح فيما بعد يعتمد على أسس فكرية إسلامية بالمقام الأول وليس من شك أن هذا الاتجاه قد شهد بعض ما ينفع من فلسفات أخرى أجنبية، على اعتبار أنه لا مفاصلة في العلوم السلوكية الإنسانية بوجه عام. بعبارة أخرى أن هؤلاء المتصوفة من اليمنيين قد تأثروا بحركة الصوفية التي ازدهرت في عصور سابقة في المشرق وخاصة في بغداد ومصر، ونستطيع أن نشير إلى أن بعض الطرق الصوفية قد اشتهرت في اليمن وتبعها جماعات من أبنائه ومنها:

الطريقة القادرية، منسوبة إلى عبد القادر الجيلاني ت 561هـ والطريقة الشاذلية، منسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي المصري ت 656هـ والطريقة المغربية، منسوبة إلى شعيب بن الحسن الشهير بأبي مدين ت 594هـ. والطريقة الرفاعية، منسوبة إلى أحمد بن علي الرفاعي ت 578هـ، والطريقة السهروردية، منسوبة إلى عمر بن محمد السهروردي ت 632هـ[10].

ولذا فإن من المناسب أن نرصد التأثر المباشر بالتالي:

1. الوفادات الخارجية إلى اليمن من أهل التصوف الذي يظهر أنهم قدموا لنشر طرقهم. ولعل أهم الوفادات.. هي وفادة ذي النون المصري، الذي حدد أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام دخوله إلى اليمن بنحو سنة 237هـ.

2. أسفار المتصوفة من اليمنيين إلى خارج اليمن. وكانت جهات السفر المتاحة بلد الحرمين الشريفين إذ يذكر المؤرخون أن الشيخ عبد الهادي السودي قد لقي بعض العلماء في مكة المكرمة (درس فيها على ابن أبي كثير، ونبغ في علم الحديث.. ثم انتقل إلى المدينة المنورة بعد أن وصل إلى مستوى متقدم وغلب عليه طابع التدريس للآخرين إلا أنه مع ذلك صحب شيخاً جليلاً في المدينة المنورة، هو الشيخ أبو عبد الله النيسابوري الذي أفاده شيئاً من علوم القوم في الحضرة، والسيد علي بن محمد السمهودي والمؤذن الشهير في الحرم الشريف)[11].

3. رواج كتب الصوفية في اليمن صحبة بعض المسافرين إلى اليمن سائحين وتجاراً ودعاة.

ولقد تأثر أهل اليمن، خاصة في منطقة تهامة بكتب محيي الدين بن عربي وعلى وجه الخصوص بكتابه الشهير (الفتوحات المكية) والذي يضم بين دفتيه ركائز فلسفية واضحة تتجاوز المعرفة الصوفية الساذجة التي لا تخرج عن طابع الزهد.

(وقد تعاطى هذه الفلسفة الصوفية جماعة من رجالات اليمن الكبار كان على رأسهم الصوفي اليمني الكبير أبو الغيث بن جميل الذي حملت كتاباته الصوفية طابع المدرسة الفلسفية سواء أكان متأثراً فيها بابن عربي، على الرغم من معاصرته له أو بأسلافه من الإشراقيين أمثال الحلاج والسهروردي وغيرهما)[12].

ومما يلاحظ أن حركة التصوف إنما ازدهرت في مناطق ساحل تهامة والمنطقة الجنوبية الغربية، تعز وما حولها، ثم المنطقة الجنوبية الشرقية مثل حضرموت، ولم يكن لهذه الحركة رواج في المناطق الشمالية الشرقية.

ويعلل أحد أئمة التصوف وهو الشيخ أحمد الصياد ذلك في معرض ثنائه (كثيراً على السواحل ويرى بأنها مورد عباد الله الصالحين)[13] ولربما منحت السواحل بامتدادها الواسع فرصة للتأمل الصوفي في هذا الفضاء المترامي الأطراف ليكون ذلك بعض مما ذهب إليه الشيخ الصياد، على أن التعليل الأكثر قبولاً هو ما ذهب إليه آدم متز وهو أن المعتزلة – وهم الذين يسيطرون فكرياً في المناطق الشمالية من خلال المذهب الزيدي (ينكرون بالكلية أن يختص بعض المسلمين بالولاية دون البعض ويرون أن جميع المسلمين الذين يطيعون الله ويقومون بأحكام الدين هم أولياء الله)[14].

كما أن المعتزلة بطبيعة ميولهم الاعتقادية يحتجون كما هو معروف – إلى إعلاء العقل إعلاءً كبيراً، مما يجعلهم ينظرون إلى كرامات الصوفية وطقوسهم على أنها في الغالب تخرج عن إطار العقل، ويلاحظ عبد الله الحبشي (على تاريخ التصوف أنه لاينتعش إلا في ظل الدول السنية، إذ لا مجال له في المذاهب الأخرى من مذاهب الشيعة والمعتزلة ومذهب الخوارج)[15].
ويعلل ذلك قائلاً: (ولا غرابة إذا كان للصوفية في عهد الدول السنية أهمية لأنها قامت على زعامات تفصل بين الدولة والدين وليس للحاكم التدخل في الشئون الدينية من زاوية سلطته العليا البعيدة عن كثير من تفاصيل الدين، وغالباً ما جعل الملوك من الصوفية مصدر بركة وإمداد خفي لحكمهم)[16].

ومهما يكن من أمر فإن الشيخ عبد الهادي السودي قد عاش عصراً كانت الحركة الصوفية قد شهدت فيه استقراراً في المصطلح والرسوم، وكان لتأثره الشديد بمعارف الصوفية من خلال رحلته لطلب العلم داخل اليمن وخارجه دور رائد في تخريج العشرات من تلامذته المتصوفة والذين بلغ عددهم في البداية ما يقرب من 313 ثلاثمائة وثلاثة عشر نفراً، ثم ازداد إلى أربعمائة في فترة لاحقة)[17].

نظرية الخطاب الصوفي:

إن مما يلاحظ في شعر المتصوفة في اليمن أنه لا بد يقوم على واحدية الموضوع، بل إن هذا الشعر يقوم على عدة موضوعات تكاد تتكرر بعينها عند معظم الشعراء، وإن كانت تنطلق من فكرة مركزية واحدة، هي فكرة الحب الإلهي والتي تتخذ بدورها تنويعات تدور حول هذا الفلك، كحب الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وصحابته الكرام.

ونستطيع أن نقف على نظرية الخطاب الصوفي في شعر المتصوفة في اليمن لنجد أنها ترتكز على محاور رئيسة ثلاثة:

1. المحب. 2. المحبوب. 3. المثير.

ولن يكون هذا التوصيف خاصاً بمتصوفة اليمن الشعراء، ولكننا سوف نجد أنه يكاد ينطبق انطباقاً تاماً على شعراء المتصوفة من غير اليمنيين في المجال العربي، مع مراعاة الخصوصيات الإبداعية لكل إقليم من الأقاليم.

وهذه المحاور:

المحب

-1-

يصدر الصوفي في علاقته مع ربه عن آيات قرآنية كريمة هي التي تنظم هذه العلاقة، وهناك آيات كثيرة تتحدث عن المحبة بين الله وبين عباده، ولعل ما يمكن الاكتفاء به هاتان الآيتان في سورتي البقرة والمائدة، وهما قوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله)[18]. وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)[19].

ولعل هذه الآية الأخيرة تشير بوضوح إلى أن المحبة لا تأتي من فراغ ولا تصدر عن مصادفة، وإنما تتمكن من قلب المؤمن عن طريق الجهاد المرير في سبيل الله وإنفاذ تعاليمه (فالحب لله هو الحب المحكم العظيم، وهو دوام الذكر بالقلب واللسان لله، وشدة الأنس بالله وقطع كل شاغل عن ذكر الله، وتذكار النعم والأيادي، وذلك أن من عرف الله بالجود والكرم والإحسان اعتقد الحب له، إذ عرفه بذلك. أنه عرفه بنفسه، وهداه لدينه، ولم يخلق في الأرض شيئاً إلا وهو مسخر له وهو أكرم عليه منه، فإذا اتضحت المعرفة واستقرت هاج الخوف من الله، وثبت الرجاء)[20].

وعندما نقرأ شعر الصوفية في اليمن نلاحظ أن هذا الشعر يقوم بالتنويع على أفكار محددة من ضمنها:

أ- أن المحب انشغل بالمحبوب عما عداه فلا يتسع قلب المحب إلا للمحبوب الذي يصبح كل شيء بالنسبة للمحب، على غرار ما نلقاه عند عبد الهادي السودي:

قلبي لغير هواهم لم يسع أبداً ... لأنهم مازجوا لحمي معاً ودمي
لولاهمو ماجرت دمعي على طلبي ... ولا سعى نحو بان المنحنى قدمي
بهم سروري بهم بسطي بهم فرحي ... بهم غنيت عن الألحان والنغم
لا عيش إلا إذا ما كنت أشهدهم ... وما سوى ذاك عندي صار كالعدم
مالي على بعدهم صبر ولا جلد ... لكن رضيت بما يرضونه قسمي[21]

ولعل هذه الفكرة ترد في أكثر من معنى كقوله:

سادتي أنتم مناي فلا ... تقطعوني يامدى هممي
علقت روحي بكم وصبت ... نحوكم من سالف القدم
غيركم في الكون مانظرت ... وقعت في ساحل العدم
أنتم حجي ومعتمري ... أنتم قصدي من الخيم
أنتم فرضي ونافلتي ... ياعريب السفح في الخيم
أنتم سمعي مع بصري ... أنتم طبي من السقم[22]

وكما في قوله:

فلا أهوى سواهم طول عمري ... ولا أنسى إلى يوم القيامه
ومازج حبهم عصبي ولحمي ... فلا أرضى العذول ولاكلامه
همو سكنوا سويدا القلب مني ... وسقمي والسهاد لذا علامه
وهم روحي وهم بصري وسمعي ... علام عواذلي عذلي علامه
بهم سكري بهم صحوي دواما ... بهم أنسي وحقهم قسامه[23]

ب- أن المحب يظهر ما يعانيه من أوجاع وأسقام، ولعل الهجران والصدود هو العذاب الدائم الذي ليس له دواء إلا الوصال الذي لا يكاد يتحقق.

ما هناني قط ماكل ... ياولاة الحب ما أدري كيف أعمل
ليت ذات الخل يقبل ... بذل روح الصب كان البذل أسهل
أو يواصلني معجل ... فالجفا أحرق فؤادي ثم بلبل[24]

مسكين مسكين كم يكابد
في الحب ما يقدر يجاهد
وكم يقاسي من شدائد

| | |
|---|---|
| يعرف بالاحزان | من بين الفي ألف إنسان |
| أحواله ألوان | ما شان إلا تحته شان |
| لا كان الهجران | كم هو للعاشق أركان |
| سلطانه سلطان | يقهر جميع الإنس والجان[25] |

ولعل قصد المحبوب هو إماتة المحب لكثرة هجره وصده له:

| | |
|---|---|
| عذيب اللمى سمسم | فؤادي بعشقته |
| وجنب علي يخطر | ويرمز بمقلته |
| تقولون ما قصده | فديته بخطرته |
| فلا تسألوا خلي | وخلوه ورغبته |
| فقد بان لي قصده | ولكن أنا عبده |
| وما العبد وما جهده | |
| وماله مراد إلا | قلبي يفتته |
| وذا والنبي قصده | ومعناه وبغيته[26] |

وهو راضي بهذا التعذيب والقتل:

| | |
|---|---|
| واناس ما حيلتي | ريم النقا لي رمى |
| أصمى صميم مقلتي | واجرى دموعي دما |
| هذا ابتدا قصتي | في عشق عذب اللمى |
| ما أعمل إذا فاتني | علي ذا أبرما |
| (شارضى) بما رضي لي | خلي شفا غليلي |
| إني وكل سولي | كم فيه من قتيل[27] |

ولقد يكون مناسباً أن نشير إلى أن تعذيب المحبوب يعد من مطالب المحب، بل إن تعذيب المحبوب من قبل حبيبه أمنية المتصوفة وشعرائهم، مع ملاحظة ما تحمله لفظة (تعذيب) من تورية جميلة، فالمحبوب إذا عذب محبه فإنه قد جعله (عذباً) من العذوبة والتي هي التنقية والتصفية والتخليص. يقول حسن القيس: (أراك معذبي وأنت قرة عيني يا حبيب قلباه) وكان عامر بن عبد الله يقول: (أحببت الله حباً سهل علي كل مصيبة، ورضاني في كل قضية، فما أبالي – مع حبي إياه – ما أصبحت عليه وما أمسيت)[28]

## المحبوب

## -2-

يظهر المحبوب في الشعر الصوفي في غاية الجمال والكمال وبدهي أن يتخذ هذا الحب صورة حسية، ليكون التعبير قادراً على نقل التجربة العاطفية والشعورية.

وقد ظهر هذا المحبوب على صور شتى، ولئن كان يراوح هذا الحب بين الواضح والرامز إلا أنه يعبر عن محبوب واحد، فتارة يكون الله تعالى، وتارة يكون رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، غير أنه يكون – غالباً عدم – الفصل بين هذين المحبوبين، لما ينتجه تبادل المواقع بينهما، فحب الله هو حب لرسوله عليه الصلاة والسلام، وحب رسوله هو حب لله، وقد ورد في الحديث الشريف الجمع بينهما.

وفي هذا القسم سوف نعرض لهذا المحبوب الذي فني به شعراء الصوفية في اليمن والصوفي عبد الهادي السودي على وجه الخصوص.

فلنا أن نرى هذا المحبوب على هذا النحو من الحسن الذي احمل كل حسن، حتى بات فيه فؤاد المحب مستغرقاً موحداً، قد رمى بالغير والسّوَى خلفه

| | |
|---|---|
| سوى حسن وجهك لي ما حلا | وأنت الذي لي بهذا حلا |
| جميع معانيك لي فتنة | فكن بارزا في جميع الملا |
| فؤادي بك اليوم مستغرق | تساوى لديه الملا والخلا |
| وقلبي رمى بالسوى خلفه | ومنك ولو لحظة ما خلا |
| وهذا حبيب لنا مقبل | فأهلاً وسهلاً بمن أقبلا |
| أمام الحباب ألا فاسجدوا | إذا رمتم الأكملا الأفضلا[29] |

فهذا الحباب (المحبوب) الذي يستحق السجود ليس إلا رب الحسن المطلق جل في علاه ويظهر المحبوب بهذا الجمال البديع الذي يغني عن كل شيء:

| | |
|---|---|
| يابديعـاً مالـه مثـل | ها أنا صب بلا مثـل |
| ليس لي عطف على أحد | لاولا ميل إلى بـدل |
| بك ياسؤلي ظفرت فلم | التفت للدار والطلل |
| وجهك الوضاح فديتك عن | طلب الإيضاح والخل |
| طاب قلب أنت ساكنـه | وفؤاد من سواك خلي[30] |

وهذا المحبوب قد حاز الجمال بأسره فصار حبه ديدن محبه حتى لتكون العبارات لما تحمله من طاقة تعبيرية مستحوذة بانفعال الصافي دليل هذا الحب، ومعبرة شفافية عن جمال هذا المحبوب:

| | |
|---|---|
| أبداً أؤذن فيك حي على الفنا | يامن جنى وجناته لا يجتنى |
| وأقيم فرض العين في أهل الهوى | وإليك أدعوكل صب معلنا |
| أنت الذي حزت الجمال بأسره | وانا الذي لي صار حبك ديدنا |
| إن لم تكن عيني فإنك نورها | أولم تكن قلبي فأنت له المنى[31] |

إن لهذا المحبوب جمالاً عزيزاً فالمحب يتعبد لهذا الجمال العزيز حتى ليصبح هذا الحب دينا للمحب مهما كلف هذا الحب، حتى لو كان الثمن الفناء والهلاك.

| | |
|---|---|
| ذلي لجمال عزه يكفيني | عزا، وبذاك إن أمت يكفيني |
| ماالحب ولو فنيت إلا ديني | من ذا معه عشق عسى يعذبني[32] |

وإذا كانت هذه الصياغة تأتي بشكل مباشر، دونما إغراق في الرمز، فإننا نجد- ونحن نقرأ الديوانين – صياغة تتخذ من الرمز قالباً لها، وربما كان التعبير بصيغة الأنثى هو الأوفر والأكثر حتى ليكسب التعبير إثارة على المستوى الموضوعي والفني، والسبب في ذلك – فيما أرى – أن التعبير بصيغة الرمز يتيح الوقوف لاستدعاء تجارب عاطفية على مستوى الواقع بسبب ما يتيحه من حرية للمحب من استذكار وتمثل لمواقف إنسانية حقيقية على صعيد الحب الإنساني الطبيعي، الذي يكاد يكون تجربة مشتركة بين البشر.

وتنحو الصياغة غالباً منحى الشعور بالتوجع والإفشاء بما يلاقيه المحب من آلام مبرحة وأشواق مضنية، كقوله:

عذبتني بالمطل منها سعاد ... وبراني وهدّ ركني البعاد
وجفاني من بعد ما هجرتني ... طيب عيشي، وزار جفني السهاد
لو تراني أسامر النجم ليلا ... على ليلى يكون منها افتقاد
يا أخلاي أصل سقمي أنتم ... ولقاكم هو السنا والمراد
يا أهيل الحمى حللتم بقلبي ... وإليكم يحن مني الفؤاد
كل كلي بحبكم مستهام ... والسويدا تشتاقكم والسواد
لا يحق البكاء إلا عليكم ... وعلى وصلكم يليق الجهاد [33]

فليلى ليست إلا رمزاً معروفاً في الصياغة الشعرية الصوفية على المحبوب الذي يليق أن يبذل المحب جهاده في سبيل الفوز بوصاله:

وهو يطمع من عذبة المبسم أن تبل جواه بنهلة فهي شفاه، وإذا كانت قد كتبت عليه أن يعيش في الهجر والصد، فرضاً لازباً فإنه يتوسل إليها أن تعدل عن هذا الحكم وتنسخ هذا الفرض:

ياعذبة المبسم بلي الجوى ... بنهلة فهي الشفا والدوا
وآية الهجر انسخي حكمها ... حتى يطيب العيش لي في الهوى
ياغـــادة حيي لهـــا عـــادة ... رقي لمجروح الحشا بالنوى [34]

ولعل الرمز يكون ظاهراً في شعر الشيخ عبد الهادي السودي عندما يلجأ للكناية، فمن أسماء الكعبة عند الصوفية(ذات الخال) و (ربة الأستار والحجب) و(ذات المحيا) كقوله:

كم ذا تموه في الهوى يامدعي ... صرح وللتمويه والإخفاء دع
قل عبد علوة لا أزال ببابها ... وكلام أهل العذل فيها لا أعي
ما لا مني في الحب إلا مُفْتَرٍ ... أو أحمقٌ قاسي الطبيعة أودعي
فأنا الذي سلبته منه جهرةً ... ورمته ما بين العقيق ولعلع
ودعته ذات الخال نحو خبائها ... فأجاب داعيها إجابة مسرع
من رام منها سلوتي فمغفل ... لم يد رما عشق الغزال الأجرع

فإذا كان المحب محظوظاً بأن دعته ذات الخال نحو خبائها، فوجد فيه مطلق السلو، فإنه يدعو المحبين والعشاق أن يتخلصوا من الغربة وضياع الوجدان، فليستجيبوا لدعوة ذات الخال، فيدخلوا في حمى ربة الأستار والحجب، فهي السبيل إلى قرب المحبوب:

شاهد جمال محيا غاية الطلب ... تظفر فديتك بالأعلى من القرب
والحظ محاسن من تسبي العقل أجمعه ... من السرور بها والأنس والطرب
وخلص القلب من أكوان غريبة ... وادخل حمى ربة الأستار والحجب [35]

وهو يدخل في حوار مع محبوبته، فهي تراه نحيلا حيران أبله مدلها، فتسأله عن السبب فيقول إنه هواه لها وشغفه بها أورده هذا المورد وسار به إلى هذا المصير:

أصمى فؤادي ووله ... حبي لهيفا مدله
الموت فيها حياة ... في كل دين وملة
من لم يمت في هواها ... لاقى العنا والمذلة

لما رأني نحيلاً حيران ولهان أبله
قالت سألتك بالله مالي أراك مدله
فقلت يانور عيني هواك أعظم علة
فاستهزأت بي وقالت جعلتني لك علة
إن رمت وصلي فجاهد واجعل محياي قبلة [36]

المثير

-3-

يظل الصوفي – وقد أضناه الحب وأشقاه الفراق والهجر – تواقاً لوصل من يحب، كطير مشكول في قفص محكم الإغلاق لصائد مستبد، يطمع أن تلمس ريش جناحيه المهيضين أجواء الفضاء الطلق فلا يستطيع.

وهكذا فإن الشاعر الصوفي، وهو سجين الفراق والصدود يزداد عذاباً ووجداً حين يجد نفسه أمام مؤثرات مثيرة، تتنوع بين المكان والزمان والأعراض منها:

1- البرق:

وربما كان وميض البرق من أبرز المثيرات التي تهيج في العادة أشواق الحب الصوفي بما يثيره فيه. من ذكريات جميلة عزيزة مع حبيبه، فلا يسع المحب، وقد برق وبمض هذا البرق إلا أن يذرف دموعه أرسالا حتى لتصبح هذه الدموع أغزر من فيض الغمام، كقول السودي:

بريق الغور من أكناف رامه شجا قلبي وذكره غرامه
وأجرى كالعيون دموع عيني فأخجل فيضها فيض الغمامة
وأزعجني وأقلقني ونكى جراحا ليت لي منه السلامة
وبلبل مهجتي وأطار نومي فحول طول ليلي للكرى مه [37]

إن ومض البرق والذي جاء هنا بصيغة التصغير للتحبب لم يكتف بإجراء دمع العيون وإنما كان مصدر إزعاج وقلق، فلقد أطار النوم وبلبل القلب وأنكى الجراح، بل إن برق الغور هذا بما يثيره من لواعج الذكريات ويذكيه من الأشواق.

أيا بارقاً بالغور إنك متلفي على أنني راض فيا برق رفرف
فعيني إذا شامتك جادت شئونها وقال لهيب القلب ما أنا منطفي
وإن لحت لي ليلي أبيت مسهدا وجفني مدى ليلي عن النوم يجتفي
وأذكرتني عهدا قديما برامة ظفرت به أيام دهري منصفي [38]

وقد يكون المكان أكثر تحديدا من حيث الجهة، فبرق الحمى يومض من اتجاه اليمين، بل هو برق الحمى الغربي، ولسنا بحاجة للتذكير بنار موسى التي برقت وأضاءت من أيمن الوادي الغربي، ليكون البرق عبارة عن زمن يحمل هذه الدلالة المرتبطة بالنور الإلهي الذي يومض ليكون فاتحة نبوة ورسالة.

بريق الحمى الغربي من أيمن الخبا شرى فنعى نومي وذكرني الربى
وهيج أشواقي و فتت مهجتي وأوما إلى عهد الصبابة والصبا
وجدد وجدي بعدما كان باليا ومزق قلبي مثلما مزقت سبا [39]

وهو يوضح أن البرق إذا لاح من جانب الشرق، فإنه يمسي يهيم بذاك الأفق، أفق الشرق، أما إن لاح من الغوير فإنه يشتاق للغوير وهو لم يكن بدعا في ذلك الهيام والشوق، إنه – تماما – يسير على نهج المحبين:

| | |
|---|---|
| إن لاح البرق من جناب الشرق | أمسيت مهيما بذك الأفق |
| أو لاح من الغوير فالشوق له | هذا دأبي ودأب أهل العشق[40] |

وهكذا يكون لمعان البرق لتهييج أشواق المحب نحو حبيبه، ومذكيا لمواجيده فتجدد الذكريات التي تمعن فيه شهيدا وجوى وتثير على قلبه المواجع والمشاغل والألم.

وفي الطريق إلى هذا اللمعان والوميض لبروق الغوير والحمى، وهو لمع قاتل يصبح مطلوبا رغم ما يثيره من أشجان مؤلمة وذكريات حزينة مريرة.

إن المحب ليرحب ببريق الحمى الغربي لأنه رثى له بعد أن فتت مهجته بأن أهدى له أخبار أهل اللوى، فإذا بفؤاده يحيا من جديد حياة تتدفق بالحبور والسرور:

| | |
|---|---|
| وجدد وجدي بعدما كان باليا | ومزق قلبي مثلما مزقت سبا |
| ولكنه من بعد تفتيت مهجتي | رثى لي وأهدى عن أهيل اللوى نبا |
| فأحيا فؤادي فانتعشت مكبرا | وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا[41] |

وهكذا فإن بريق الغوير وهو يثير مشاعر الحزن عند المحب يصبح بذات الوقت أمارة رضا وسرور لأن الانفعال به دليل حاسم على وجود الحب، مما يؤكد فكرة الظاهر والباطن عند المتصوفة، فما يكون عذاباً في الظاهر هو نعيم في الباطن، لأن عذاب الظاهر إنما هو تطهير في حقيقة الأمر، كما يؤكده النص:

| | |
|---|---|
| وإن لاح لي برق الغوير وحاجر | جرت فوق صحن الخد مني أدمع |
| وبت سمير النجم والبين قاتلي | وغيري لمعسول الجمال يمتع |
| هنيئا لمن أمسى مراكب والها | يهيجه برق الحمى حين يلمع[42] |

إن مثير البرق يتميز بخصيصتين ظاهرة وباطنة، تعبر الظاهرة عن إثارة لواعج الأشجان بما تستدعيه من ذكريات وصال أصبحت مقطوعة ونائية، وتعبر الباطنة عن هذا النور الخاطف الذي يمزق الأستار والحجب الكثيفة السود التي هي في الحقيقة موانع الوصال بين الحبيب والمحبوب، فالبرق في هذا المعنى الباطن ومضات نورانية تكشف – مهما تكن لحظات – عالم الأسرار أمام المحب وتريه وجه الحبيب، وهو ما يؤكده قوله:

| | |
|---|---|
| وميض البارق الشاري | به دمعي غداً جاري |
| تبسم وهو نمام | بأخباري وأسراري |
| وأبدى الصبح لي لكن | مناه هتك أستاري |
| تضمن من حمى ليلى | هدايا سرها ساري[43] |

فالبرق لم يكن – باعتباره مثيراً – سوى رمز بين المحب وحبيبه:

| | |
|---|---|
| فهمت الرمز والمعنى | نعم بي ساكن الدار |

وليس الدار إلا هذا المحب، أو بالأصح قلبه وليس الساكن إلا المحبوب، إذ لم يقم معه فيه سواه. كقوله:

| | |
|---|---|
| ما لاح برق الحمى | إلا وهيج لوعة المعنى |
| وفاض دمعه دما | وحنّ من كثير الجوى وأنا |
| ما ذاك إلا لما | له في وميض البرق ألف معنى[44] |

2- النسيم:

في الحب الصوفي، كما في الحب العذري، يشغل النسيم، ونسيم نجد على وجه الخصوص حيزاً واسعاً في المساحة الشعرية والصوفيون كما العذريين لم يبتدعوا هذه المثيرات بل إنا نجد لها سنداً في ثقافتنا الإسلامية والثقافة القرآنية خصوصاً.

لقد ورد لمعان البرق في سياق قرآني غير محبب عند حديثه عن اليهود.

أما الريح أو النسيم فيرد في سياق قصة مثيرة هي قصة سيدنا يوسف عليه السلام حينما جاء أخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم سيدنا يعقوب عليهم السلام، وذلك في قوله تعالى: (اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يرتد بصيراً). فعندما وصلت القافلة إلى وطنهم، وجد سيدنا يعقوب ريح ابنه سيدنا يوسف من خلال قميصه فقال (إني لأجد ريح يوسف)

من هنا فإن الريح ويعبر عنها بالنسيم أصبحت لازمة في الشعر العذري والصوفي على السواء، لتكون حاملة لأنفاس الحبيب ورائحة جسده، مثل أخيه البرق يظل يثير الشجو ويبعث الهم، ولكنه يقوم بنفس الوظيفة التي قام بها ريح يوسف، فهو يشفي المحب من علته ويحيي روحه، فإذا طرق هذا المحب يرتد بصيراً، ويورق القلب سروراً، إن هذا الريح أو هذا النسيم بشرى يفرح بها المحب.

نسيم نجد سرى وهنا فأشجاني ... وبات يبعث لي همي وأشجاني
وكان جسمي عليلا فاشتفت عللي ... وطاب وقت أنفاسي وأحياني
وما رأيت عليلا قد شفى سقما ... إلا النسيم عليلا فهو أحياني
فارتد طرفي بصيرا عند نفحته ... وأورقت من سرور القلب أفناني
هذا سروري ببشراهم فكيف بهم ... فالله يجلو بهم همي وأحزاني[45]

بل إن النسيم يرتبط بالبشرى أما الأمر الآخر فإن النسيم من قاموس الشعر الصوفي والعذري يرادف الريح:

أهدت لي نسيمة الفجر ... من نجد نشرا طوى نشري
دلتني على انقضا هجري ... من سعدى نار تحت من سكري[46]

والنسيم، كما البرق نوع من أنواع الرمز:

كم فيها للسقم من مرهم ... ما هبت إلا لمن يفهم
انبتني حديث عن أروى ... وافشت لي أسرار لا تروى[47]

وهي بذات الوقت تثير أحزانا وأشواقا:

قد هاجت ريح الصبا وجدي ... شاقتني لساكني نجد[48]

ويلجا الشاعر أحيانا إلى سؤال نسيم الصبا عن هذا النفس الطيب الذي حمله إليه، إن هذا النسيم إن هو إلا بشير الرضا، ونذكر بشير يعقوب في هذا المعنى:

ناشدتك الله يانسيم الصبا ... من أين هذا النفس الطيب
هل أنت من ليلى بشير الرضا ... أم أنت عن أسرارها تعرب
أم جزت في روض من قد مشت ... أم ثغرها قبّلك الأشنب
فهات أطربني بأخبارها ... فعهدك اليوم بها أقرب[49]

**3- الطير**

وإذا كانت المثيرات كثيرة، فإنا نقتصر – وقد ذكرنا أبرزها كالبرق والنسيم – على جنس الطير والذي حفل به ديوان الشعر العذري والصوفي معا، وتميز هذا المثير بأن عملية إسقاطه أضاف إلى كونه مثيرا.

لقد كان الطير وهو هنا الذي يختص بالصوت الجميل مثل القمري والهزار والبلبل والحمام باعثاً لأشواق المحبين على امتداد تاريخ الحب العربي والعذري والصوفي على الأخص، وكان الصوت الجميل بما فيه من غناء عذب حزين باعثاً على فضح الأشواق وإثارة الوجدانات ومنح الذكريات جدة وحياة.

وللحمام في ديوان المحبين حضور كبير، فلهذا الطائر الجميل صوت عذب،تتوازى عذوبة صوته بإلفه للإنسان واطمئنانه به، حتى ليصبح تسجيعه وهديله الصوت الثاني لأشواق المحب وحنينه إلى محبه.

والحمام، كما هو أحد المثيرات لا يختلف عن كونه يذكر المحب بحبيبه فلا يسع هذا المحب إلا أن يبكي ويبعث القلب على أن يتذكر المكان والزمان، ويغدو البال مشغولاً، والخاطر ممزقاً مضطرباً:

سجع الحمام فوق غصن ناظر … فجرت مدامع مقلتي من ناظري
وتبلبل البال المشتت شمله … وتمزقت أو صال ساكن خاطري
وتذكر القلب المعاهد في الربى … وليالياً مرت لنا في سامري[50]

وحمام بان وادي الجزع يبلبل الخاطر ويجري الدمع ويمسي المحب يهيم ويلوب في نواحي الربع:

قد بلبل دمعي خاطر وأجرى دمعي … تغريد (حمام بان وادي) الجزع
لما ندبت هديلها بالسجع … أمسيت ألوب في نواحي الربع[51]

أما هزار وادي الرند فيغني سحراً، فيزداد المحب شوقاً ليحل في سلع:

غنى سحراً هزار وادي الرند … فازداد إلى حلول سلع وجدي[52]

والهزار يرتبط زمناً بالمساء،وهو يفترق عن الحمام بأنه يطرب السامع ويقوم به بدور راوي أحاديث الغرام:

أمسى هزار الحمى والبان … يروي لسمعي حديث الغرام[53]

**جمالية التعبير:**

يقصد بجمالية التعبير كيفية استخدام الصياغة الفنية التي هي مجموعة البنى التي شكلت القصيدة من لغة وموسيقى وخيال وتجربة... إلخ.

فالجمالية تكاد تكون السمة الفارقة بين شاعر وآخر ومبدع وآخر تميزه عن غيره باعتبار أن له مزاجاً خاصاً وذائقة خاصة وإمكانية منفردة تجعله يبدع تجربته الخاصة.

وبالنظر إلى ديواني الشيخ عبد الهادي، وجدنا أن أحدهما وهو (بلبل الأفراح) قد كتب باللغة الفصحى وهي اللغة المشتركة بينه وبين لغة شعراء الصوفية في اليمن،مثل شيخه أحمد بن علوان في شعره الواضح على وجه الخصوص، ولغة الشعراء العذريين، الذين يكادون جميعهم يشتركون في لغة واحدة، مع وجود الفارق الشخصي في الأداء.

على أن هذه الفصحى في (بلبل الأفراح) لغة واضحة وغير معقدة،بل نجدها تبتعد عن المفردات الغريبة والتراكيب الصعبة، والسبب في ذلك فيما يبدو أنها صدرت عن تجربة حب صادق، كان لابد أن تعبر عنها لغة صادقة واضحة، كما

أنها أعدت لتربية المريدين، لكأن الشاعر التمس العزاء مما يلاقيه من وجد مبرح وحب عاصف، بغية أن ينفس عن نفسه.فلغة الحب الصوفي والعذري تتميز عن غيرها بالإفضاء والإفصاح والبعد عن الغموض والالتواء والتعقيد.

وقد لاحظ الناقد الكبير الدكتور/ عبد العزيز المقالح أن نماذج الشعر الفصيح للشيخ السودي (أدنى مستوى من الشعر الذي كان قائماً في عصور الازدهار وأنها تميل إلى البساطة. لكنها البساطة العميقة.والتعبير الذي يتسلل إلى الروح)[54]. والحقيقة أن هذا الحكم يكاد يكون صادقاً على نماذج شعرية لمعظم شعراء المتصوفة في اليمن.

إن ما يلاحظ في شعر عبد الهادي وفي ديوانه (بلبل الأفراح) هو سيطرة نغمة الحزن. فيكاد تكون قصائد الديوان جميعها تعزف هذه النغمة،وإنما يختلف فقط في تنويعاتها. وهو ما يؤكد أن حالة صياغة هذه القصائد لم تكن حالة واحدة من الحزن، وإنما هي حالات تفترق في حدتها وهدوئها. وإن كانت معظمها قد صدرت عن مقام واحد. هو المقام الذي يسميه أهل التصوف مقام (الفيض).

أما ديوانه الثاني (نسيمات السحر) وهو المكتوب باللهجة، فإن أبرز ما يتضح فيه هو الذاتية التي تشكل خصوصية تعبيرية وفنية،لكأنك وأنت توازن بين الديوانين من حيث الصياغة والأداء تلحظ أن (بلبل الأفراح) كتب للآخر بيما (نسيمات السحر) كتبه الشاعر لنفسه،وعبر فيه عن أشواقه الأكثر خصوصية.فهو إلى أن يكون سيرة ذاتية لمبدعه أقرب. وهي سيرة ذاتية للتجربة وفرادتها.

وإذا كانت (لغة الشيخ الجليل تخلو من الألفاظ العويصة أو المبهمة)[55]. فإن ذلك لا يخرجها عن المزاج اللغوي الذي يكاد يكون خاصاً بالشاعر مما يميزه عن أي شاعر آخر،بل يميزه عن شعره في ديوانه (بلبل الأفراح) حتى ليمكن للمرء أن يذهب قائلاً بأن ديوان (بلبل الأفراح) لشاعر آخر. أما الديوان الذي يمكن أن يكون لعبد الهادي السودي. فهو (نسيمات السحر)، فهو ما يتفق مع شخصيته السلوكية وتكوينه بوجه عام، وهذا ما لاحظه الدكتور المقالح في دراسته لمقدمة الديوان[56].

إن شعر عبد الهادي بالعامية أكثر قدرة على نقل مواجيد الشاعر فهو مفعم بحضوره الصوفي وألقه الوجداني. والتي كان الشاعر ينسج قصائده في (بلبل الأفراح) أسوة ببقية الشعراء العذريين والمتصوفة. فإنه في (نسيمات السحر) حاول ونجح في محاولته في أن أصبح له صوته الخاص، وهو صوت أكثر حزناً وجوى ولوعة وذاتية ظاهرة.

كما يلاحظ أنه في ديوانيه كليهما حاول أن يلتزم بوحدة الموضوع الذي هو بث شجونه وما يلاقيه من عناء الهجران والفراق وطموحه غير المحدود لوصال حبيبه، مطلق الجمال الذي هام به حد الجنون. كما أنه في كلا الديوانين يعبر – وهو ما نلحظه في معظم شعر الصوفية في اليمن وغير اليمن – عن حبه الحائر العاجز الذي لم يستطع تحقيق أمنياته إلا من خلال الشكوى المريرة دونما مبادرة لفعل شيء ما، لا فتأ الأنظار إلى أن إرادته مغلولة بقيود ثقال لا يستطيع لها فكاكاً.

ونحن هنا لسنا في مجال الموازنة الدقيقة لا بين الديوانين: (بلبل الأفراح) و (نسيمات السحر) للشيخ عبد الهادي السودي و لابينهما ودواوين أخرى لبعض مشاهير الشعراء من متصوفة اليمن كابن علوان مثلاً،وإنما تجدر الإشارة إلى أن السودي حاول أن يبتعد عن المعجم الأجنبي الذي نجده ماثلاً في بعض ألفاظ (الفتوح) لأحمد بن علوان وهذا بدوره يطرح بعض الافتراضات وهي أن السودي لم يكن يجيد هذه اللغة التي كان يجيدها ابن علوان أو يعلمها أو على الأصح يفهم بعض مفرداتها التي تربو على 90 مفردة[57]. أو لأن الشيخ السودي حاول أن يبتعد عن هذه العجمة ذات الطابع الفلسفي، الذي تأثر بها – فيما يبدو – أحمد بن علوان نظرا لوقوفه على كتابات ابن عربي، خاصة كتاب (الفتوحات المكية) مما جعله يصوغ عنوان ديوانه على غراره: (الفتوح)،ولقد يكون هذا الافتراض راجعاً إلى أن الشيخ السودي حاول أن يبتعد تواضعاً عما توحي به هذه المفردات والإشارات.

إن عبد الهادي يميل في عامياته التي ازدحم به ديوانه (نسيمات السحر) إلى هذه اللغة الشعبية التي هي أقرب إلى الإنسان البسيط ونفسه البسيطة التي ترفض التكلف والاعتداد بالرسوم والتقاليد الفنية المعقدة التي تستدعي تميزاً واستعداداً مسبقاً، ولم يكن ذلك إلا تعبيراً واضحاً عن اندفاع تجربته التي أراد لها أن تنثال انثيالاً دونما غموض أو تعقيد، كقوله:

زارت وقد غاب الرقيب والواش    غزال من شاهد جمالها عاش
مشر بشة في حسنها تشرباش    تلعب بكل العاشقين خاش باش
فقلت أهلاً بك وألف مرحب    واحاكمه في (كل أهل) مذهب
أنا الذي في الحب مثل أشعب    أخشى يكون حظي في الهوى لاش[58]

إن هذه البساطة اللغوية لتعبر عن حالة وجدانية خاصة أقرب ما تكون إلى حالة (البسط) في التعبير الصوفي، حين كان يقول هذا اللون من الشعر، كأنه أراد أن يقف الجميع على تجربته على المستوى النفسي والفني معاً دونما تحفظ.

ومن المفيد ونحن نعرض لجمالية التعبير عند الشيخ السودي أن نقف، دونما إغراق في التفاصيل عند نقطتين بارزتين تعدان الأصول المكونة للعملية الإبداعية،سواء أكان هذا الإبداع شعراً صوفياً أم غير صوفي وهما المجاز والرمز.

وبداية فإنه يحسن بنا أن نشير إلى أن المجاز يضرب في جذوره الأولى إلى العمق الأسطوري، وإلا فما معنى أن تبسم الغيوم وتغضب الأعاصير، وتقوى الرياح. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للمجاز. فإن الرمز ذو صلة قوية بالمجاز، إذ الرمز كما هو معلوم (كل ما يحل محل شيء آخر من الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها)[59].

ولما كان الشعر الصوفي ذا طبيعة رمزية، فإن عبد الهادي السودي قد استخدم هذا الرمز في أشعاره كغيره من شعراء التصوف في اليمن وغير اليمن.

ولقد صدر استخدام الشيخ الشاعر للرمز عن قصدية ليس لأن استخدام الرمز دليلاً على وعي بمحموله وحسب، وإنما لأن الشيخ كان واعياً وقاصداً هذا الاستعمال، وهو يصرح بذلك حين يذكر مثلاً أن الخمرة المنصوص عليها في الشريعة بأنها إثم وكبيرة، ولكنها خمرة المحبة، فهو يشر بها حتى يسكر من هذه الخمرة التي ليست خمرة أدنان وإنما هي خمرة قدسية مباركة:

يصحو السكارى وسكري غير منقطع    من خمرة القدس لا من خمر أدنان[60]

وهو يقول أيضاً:

وأسكر سكراً لا بشرب مدامة    واهتز مثل البانة الغضة الغنا[61]

كما أنه وهو يستخدم أسماء مثل بثينة أو سعاد،فإنه لا يقصد إلا الرمز فقط، ذلك أن معانيه المقصودة أجل وأعلى:

ولي معنى يجل عن الغواني    فدعني من بثينة أو سعاد[62]

وهو ذا يستخدم أسماء الأماكن فإنما يستخدمها على سبيل التمويه:

كم ذا ( أموه بالعذيب ) وبارق    هاقد هتكت عرى ذيول ستائري[63]
عرفت هواكم قبل أن أعرف الهوى    وأنتم مرادي لا سعاد ولا لبنى[64]

إن نسيم نجد أظهر المكنون من وله الحب وشجونه، هذا النسيم نفسه ليس إلا حاضناً الرمز الذي لا يعلمه أحد إلا هذا المحب هو أسير الغرام:

لكنه أظهر المكنون من وهي      وحار في الحكم حتى قلت أردابي

وفي حواشيه رمز ليس يفهمه      إلا أسير غرام شانه شاني.[65]

لقد كان الرمز كما كان المجاز أصيلاً عند الصوفيين، ولعلهم وجدوا فيهما الخلاص من إسار الواقع باعتبارهما أداتين مباشرتين من أدوات تجاوزه.

فالمجاز وسيلة للقفز على المستحيل، بواسطة اللغة، بل هو محاولة لإخضاع المستحيل ليصير ممكناً.معبراً بذلك عن توق الإنسان والمبدع على وجه الخصوص إلى آفاق أكثر إشراقاً واستيعاباً لطموح دونما حدود. أما الرمز فهو أيضا محاولة لتخطي عوائق التعبير المحدود لغوياً إلى لغة أكثر قدرة على أداء المعاني الإنسانية التي لم يجد لها المبدع معادلاً في واقع لغته على النحو المطلوب.

كانت التجربة عند السودي مثيرة في الديوانين وإن كانت أكثر ألقاً وإشراقاً في (نسيمات السحر) فلقد استطاع أن ينقلنا إلى مجالي الصوفية الشفيفة بما تمنحه الإنسان من سمو روحي ومعنى حقيقي لحياة سعيدة وطمأنينة نفسية لا يمكن أن تتحقق خارج نطاق الإطار الصوفي.

إن انسياب المعاني وتركيز الأفكار عبر تقنية لغوية خلاقة قد أوقفنا على إبداع يؤكد حالة فكر الشيخ السودي من ناحية وقدرته على أن يحلق بنا في هذا العالم النوراني البهيج من ناحية ثانية.

## نتيجة البحث

لا يزال التراث المعرفي في اليمن بعامة والصوفي بخاصة محوجاً إلى الكشف والدرس والتحليل. وإذا كان هذا التراث نتاجاً لتراث فكري ومعرفي شامل، فإنه يقوم به – بالضرورة – جماعات وليس أفراداً، غير أن أفراداً بأعيانهم هم الذين يكونون علامات في طريق هذا التراث، بهم يعرف ويتميز عن موروث الآخرين.

وإذا كانت اتجاهات ومذاهب فكرية ومعرفية قد تزعمها أشخاص وصارت معروفة بأسمائهم، فإن اتجاهات ومذاهب وفلسفات قد ظهرت ظهوراً كبيراً بفضل أعلام كبار منحوها كثيراً من الثراء والتجدد والحياة.

والتصوف في اليمن اتجاه عريق، يبتعد عن الغلو، ويسلك طريق القصد، يعد الشيخ عبد الهادي السودي أحد أعلامه الذين قاموا بعملية تأصيل للتصوف من خلال السلوك الشخصي والإبداع الشعري.

لقد تأثر السودي بمن سبقه من متصوفة اليمن ومن أبرزهم الشيخ أحمد بن علوان، ولكنه برغم تأثره الشديد بهذا الشيخ الجليل وبغيره من الشيوخ، فإنه مضى يرسم لنفسه على طريق الإبداع الشعري ملامحه الخاصة ومذهبه الخاص، فلقد استطاع أن يتخذ له بناء خاصاً يدل عليه في حركة القصيدة، لغة وفكرة وموسيقا وتجربة فريدة وقد اتضح من خلال البحث أن القصيدة تمثل عنده مستويات مختلفة في كلا الديوانين. بل إن قصائده في (نسيمات السحر)،تكاد تكون الطابع الذي يميزه عن غيره من شعراء المتصوفة اليمنيين، باعتباره شعراً معبراً بوضوح وجلاء شديدين عن ذاتيته الخاصة.

وفي اختصار فإن شعر عبد الهادي السودي صورة جد صادقة لشعر الصوفية في اليمن،هذا الشعر الذي يبتعد عن التعقيد في الفكرة وفي النفس على السواء، فهو تعبير عن مواجيد أكثر مما هو تعبير عن فلسفة.

ولربما يحتاج شعر الصوفية في اليمن وشعر الشيخ السودي إلى دراسة واستقصاء يليقان بمكانة هذا الاتجاه المعرفي الذي يمثل بصمة واضحة في تاريخ الفكر الإسلامي القديم والحديث والمعاصر.

الهوامش

1. د. عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، وكالة المطبوعات،الكويت، ط الثانية 1978 م 6/2
2. نفسه /8
3. نفسه /8
4. عدنان حسين العودي: الشعر الصوفي حتى أفول بغداد وظهور الغزالي،دار الشئون الثقافية العامة، دون تاريخ /158
5. د. عبد الحليم محمود: المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، دار النصر للطباعة،دون تاريخ /127
6. نفسه / 226 -227
7. الأحقاف الآية /20
8. عبد الله محمد الحبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن، توزيع مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط 1976م، 11 - 12
9. عبد الكريم قاسم سعيد: قضايا وإشكالات التصوف عند أحمد بن علوان، مكتبة مراد، صنعاء، ط الأولى، 1997، 21.2
10. الصوفية والفقهاء في اليمن /36
11. العارف بالله عبد الهادي السودي، شعره وسائله مناقبه، تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1995، نقدية الديوان/52
12. الصوفية والفقهاء في اليمن/70
13. نفسه /21
14. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الكتاب العربي، مكتبة الخانجي،ط الرابعة، 1997، /48
15. الصوفية والفقهاء في اليمن /40
16. نفسه /40–41
17. الديوان / 41
18. البقرة، الآية / 165
19. المائدة الآية /54
20. د. عبد الحليم محمود: أستاذ السائرين، الحارث بن أسد المحاسبي، دار الكتب الحديثة القاهرة، دون تاريخ /315
21. الديوان /98
22. نفسه /110
23. نفسه / 95
24. نفسه / 108–109
25. نفسه /220
26. نفسه /238
27. نفسه / 242
28. نفسه /242
29. نفسه /252
30. الشعر الصوفي /59
31. الديوان /132
32. نفسه /138
33. نفسه /136
34. نفسه / 160
35. نفسه / 123
36. نفسه / 131
37. نفسه / 102
38. نفسه /103
39. نفسه /95
40. نفسه /85
41. نفسه /114
42. نفسه / 107
43. نفسه / 113
44. نفسه / 119
45. نفسه /203
46. نفسه /115
47. نفسه / 121
48. نفسه /111
49. نفسه /130
50. نفسه /117
51. نفسه / 158
52. نفسه /185
53. نفسه /159
54. مقدمة الديون /21
55. نفسه /28
56. أنظر المقدمة
57. أنظر حمود القيري، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة مخطوط / 216 (الدراسة).
58. الديوان /248
59. مجدي وهبه: مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت بدون تاريخ /552.
60. الديوان /216
61. نفسه /111
62. نفسه / 106
63. نفسه / 117
64. نفسه /106، 111
65. نفسه / 117

# فـــي
# الحضارة اليمنية

عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي

شهدت اليمن حضارتين... اتسمتا بالمجد والخلود.

الحضارة الأولى: الحضارة الإنسانية... حضارة اليمن القديم حضارة الإبداع والفن والاقتصاد وفن التخطيط والحكم النيابي.

الحضارة الثانية: الحضارة الإسلامية حضارة العقيدة والعلم والفكر والإبداع العلمي وحكم الشورى.

## أ) الحضارة اليمنية القديمة:

لكل شعب من الشعوب خصائص ومميزات يستلهمها من مكوناته الطبيعية تولد فيه طاقات هائلة تدفعه لأن يكون خلاقاً مبدعاً لبناء حياته وكيانه، اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وزراعياً وثقافياً.

فاليمن بتكويناته الطبيعية من جبال ووديان وسهول، أعطت الإنسان خصائص ومميزات لبناء الحضارة. فهو يتكون من سلسلة جبال وهضاب وصحراء وسهول شرقية وغربية. من هذا التكوين الطبيعي نجد أن التضاريس الجبلية تنقسم قسمين:

الأول: الجبال الغربية تبتدأ في آكام من سلسلة جبال ووديان ضيقة تغطيها ترسبات الصخور وشدة انحدار الوديان حتى تصل إلى أعلى قمة ترتفع عن سطح البحر بـ 3700 متر قمة جبل النبي شعيب.

الثاني: الانخفاض وبعد المسافات الجبلية والآكام والقيعان الفسيحة نحو الشرق حتى السهول الشرقية.

من هذا التكوين نجد أن اليمنيين بنوا حضارتهم على ناحيتين:

الأولى: استصلاح المدرجات على سفوح الجبال وزراعتها لوجود الخصب وإصلاحها بشكل هندسي محافظة على التربة التي تجرفها السيول وتنزل إلى الوديان بالسهل الغربي.

الثانية: استصلاح القيعان وزراعتها وبناء السدود في مضايق الوديان الواسعة لكي تحفظ المياه من تسربها إلى السهول الشرقية ورمال الصحراء بشكل هندسي لسقي الأرض عند الاحتياج إلى الماء.

من هذين الاتجاهين ثبت لنا قدرة اليمنيين على بناء الحضارة بالكد والإبداع باستصلاح المدرجات وزراعة الوديان الضيقة التي جعلته أكثر نشاطاً بالحفاظ على أرضه التي دائماً ما يخسر من جرائها خراب المدرجات وسحب ثرواته من كوارث الطبيعة من الطمي لتذهب إلى السهول الغربية متجهة إلى البحر وأصبح أكثر اهتماماً لإنماء مكاسبه تسمى اليمن الخضراء.

والاهتمام ببناء السدود في الوديان الواسعة وزراعة قيعانها واستخدام السدود بشكل هندسي ابداعي لاستغلال المياه في السهول الشرقية حفاظاً عليها من أن تذهب إلى رمال الصحراء.

ولهذا سميت بأرض الجنتين. فكان لهذا التكوين الطبيعي عاملان:

الأول: عامل البناء والتجدد.

الثاني: عامل الصراع السياسي.

فالعامل الأول: أبرز لنا الطموح في تجدد الحضارة ببناء السدود والمدرجات والإنتاج الزراعي والنمو الاقتصادي.

العامل الثاني: الصراع السياسي وطموحاته للسلطة والتفوق الذاتي.

من هذا الاستقراء، نجد أن التاريخ في أي زمان ومكان يتجه حيث توجد الصراعات السياسية القائمة على الذات في بناء الدولة وما تشيده من العواصم والهياكل والمعابد عمقت الحس الحضاري لبناء الدويلات. أو الدولة الموحدة.

ونجد أن الجانب الغربي لم تواكبه حركة التاريخ السياسي إلا نزراً لاتجاهه إلى حركة البناء والاهتمام بالزراعة واستصلاح أراضيه بالمدرجات والسهل وعلى ضفاف الوديان وبناء المجتمع المتماسك في إطار نفوذ أقياله وهذا ما هو كائن.

1) المجال السياسي:

أ- القبيلة أكثر نضجاً[1] سياسياً هي الحاكمة، ويطلق عليها الشعب، وتتسلم زمام الدولة مثل قبيلة سبأ. وقتبان. وحمير. وكنده.

ب- قبائل محكومة تسمى قبيلة.

وهذا التقسيم يعني أن تكوين القبيلة مكون من روابط العمل لا من أواصر القرابة والدم والجماعة التي تجمع أفرادها القبيلة وتسمى قبيلة.

ومن حق القبيلة الحاكمة العمل في سبيل الصالح العام وخدمة الدولة، أي أنها لا تخرج عن اعتبار أن رابطة العمل هو أساس تكوينها[2]، أو أنها على الأقل مكلفة بالإسهام في العمل الذي تقوم به القبائل الأخرى في خدمة الصالح العام. وأنه لم يعفها مركز الزعامة عن ذلك. ومن ذلك نظام البرلمان.

البرلمان:

1. يتكون من المجلس القبلي. والمجلس التشريعي القبلي من مجالس تمثل الشعب تمثيلاً نيابياً.

2. المجلس القبلي: مجلس يمثل القبيلة الحاكمة إلى جانب العرش يمثل القبائل المختلفة في الهيئات التشريعية المتعددة تكون بيدها إدارة البلاد يعقد جلساته في العام مرتين.

3. المجلس التشريعي: يتكون من ملاك الأراضي والقبائل المنظمة إليها. وسكان المزارع والمراعي ويمثلهم طبقة السادة صاحبة الامتياز. أي أنه يتكون من رؤساء القبائل وعدد كبير من أصحاب الأملاك.

4. المجلس الاستشاري: يتكون من مجالس شورى على مستوى الأقاليم تسمى المجالس الإستشارية تمثل كافة فئات الشعب من القبائل والسادة والحرفيين ما عدا الرقيق.

المهام:

- مهام المجلس القبلي والمجلس التشريعي:

يتميز المجلس القبلي. أنه مجلس تنفيذي وتشريعي في الوقت نفسه. يقوم بسن القوانين ووضع التشريعات وينفذها. وخاصة في مجال الزراعة. وذلك بما يخص الأرض والعقارات وينظم ضرائبها. إلا أن القوانين التي يسنها تتوقف على إقرار وموافقة المجلس الاستشاري لها.

- مهام المجلس الاستشاري:

إصدار القوانين وسنها إلى جانب اختصاصات أوسع من اختصاصات المجلس القبلي.

تنتهي هذه المشاورات بالموافقة على المواضيع المعروضة. وكانت القرارات التي تتخذ تبلغ عبر المجلس القبلي وتصبح تنفيذية إلى جانب إصدار القوانين لتعزيزها في الاستثمار الزراعي والعقارات وما يترتب عليها من دفع الضرائب[3].

من هذا المفهوم نجد أنه لا يوجد تميز بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية، حيث إن المجلس القبلي له الحق في سن القوانين والتشريعات وتنفيذها بعد عرضها على المجلس التشريعي الذي عادة ما يصدرها ويبلغها القبائل.

إذاً فالمجلس القبلي هو المجلس التشريعي الاستشاري للدولة يصدر مرسوم ملكيا للاجتماع.

الاختصاصات:[4]

واختصاصات المجلس القبلي الاستشاري للدولة يقوم بإصدار القوانين والتشريعات والعفو. واختصاصات أخرى نيابة عن الملك تعد سارية المفعول. وهذا يؤكد أن الملك من خلال المجلس القبلي يعد همزة الوصل بين الشعب والملك.

التنفيذ:

بعد انتهاء جلسات مجلس القبائل يوكل بإعداد القوانين وتنفيذها إلى هيئة أخرى أعضاؤها أقل عدداً من الهيئة السابقة وذلك ضماناً للتنفيذ والسرعة[5].

الانسجام:

من هذا النهج نجد أن العرش. ومجلس الدولة. والمجلس الاستشاري ومجلس القبائل يكونون جميعهم الحكومة. ولم يكن ثم هيئات خاصة بالتشريع. وأخرى بالإدارة. وثالثه بالقضاء. وإنما الجميع في إطار البرلمان اليمني.

فكلمة الشعب تتكون في اعتقادهم من القبيلة التي استطاعت قيادة القبائل الأخرى التي لم تبلغ النضج السياسي[6]. وهذا الشعب القبيلة الحاكمة، من يملك أرضه وأرض الآخرين الذين تحت زعامته. وكذا نجد اسم الشعب هو عبارة عن اسم القبيلة الزعيمة في لقب سبأ. وسبأ وذو ريدان. وملك قتبان ومعين.

أما الكلمة الدالة على قبيلة فهي في الأصل كانت تستخدم للتعبير عن نظام خاص. فالحالة الاقتصادية والسياسية هي التي تقرر وظيفة عمل الجماعة وهذه تسمى قبيلة.

إذاً فالقبيلة في العصور القديمة كانت عبارة عن الجماعة التي تربط بين أفرادها الروابط الاقتصادية، أو روابط العمل. فارتباط أفراد القبيلة بعضهم ببعض صلة عمل لا صلة قرابة ودم[7].

ولذا نجد أن القبيلة اليمنية متحملة مسؤليتين:

الأولى: السيف

الثانية: الأرض.

وهاتان المسؤليتان حق على كل فرد من أفراد القبيلة وملاك الأرض.

فالفلاح اليمني مطالب بالتزامات عسكرية لا بد من تأديتها. ومطالب باستغلال الأرض لما عليه من التزامات ودفع الضرائب.

ولذا أصبح لزاماً على قانون الضرائب عندما يحتاج إلى ملاك الأرض. أو سكان المزارع. والمراعي عسكرياً. أو تشريعياً. أن يبحث في استثمار الأرض أثناء قيام الفلاح بواجباته العسكرية وفي تمثيله في الهيئات التشريعية القبلية[8].

2) المجال الزراعي:

عمد اليمنيون على استغلال جهودهم الذاتية بالبحث عن مصادر الرزق فاستصلحوا الأراضي الزراعية على سفوح الجبال بإقامة المدرجات الزراعية والقيعان وعلى ضفاف الوديان. والسهول لبناء الحياة الزراعية وبناء السدود. وتنوع منتجاته بالممارسات والتجربة والخبرة الزراعية فكانوا مبدعين.

3) الاقتصاد:

أبدع اليمنيون في الصناعة فكانوا أكثر شهرة في الصناعة الحرفية كالسيوف والخناجر والحلي.

4) الهندسة:

اشتهر اليمنيون بالنحت وبناء القصور والسدود وشق الطرقات ونحت الجبال لاستخدام صخورها أعمدة. وامتازوا بالفن المعماري الجميل.

5) التجارة:

لم تكن التجارة مقصورة باليمن فحسب فكان اليمنيون، عبر القوافل التجارية، رسل اليمن بتسويق منتجاتهم الزراعية والصناعية للشرق والغرب فأوجدوا الهجرات اليمنية وأسسوا المدن وبنوا الحياة ووطدوا العلاقات الإنسانية.



6) التفوق الذاتي:

أعطى اليمنيون مكانة رفيعة في الشعوب والمجتمعات الأخرى تفوقاً ذاتياً لأصالتهم العربية وتجددهم الحضاري فكانوا رسل الحضارة اليمنية في الشعوب الأخرى، أصالة ومحتداً بالمحافظة على القبلية وعاداتها وأعرافها وتقاليدها.

تلك أسس الحضارة اليمنية استمدت عن نفسية متحضرة ألهمته قدرة الخلق والإبداع ببناء سد مأرب والمدرجات الزراعية. وبناء القصور وهندسة الصهاريج بعدن.وبناء المدن بالجوف. والمعابد والهياكل وفن التحنيط، وبناء الدولة المركزية والحكم النيابي.

فالإنسان اليمني في الحاضر الإنسان اليمني القديم. دلل على ذلك إعادة سد مأرب، وممارسة الحكم النيابي. فهو جدير بإقامة الحكم الشوروي العادل بنفسية متحضرة قابلة للتطور والمعاصرة، ملتزمة الخروج من مأزق الضياع، والتشتت والإنفلات والذاتية المغلقة، والأنانية المقيتة، والتحجر الفكري بدافع الأصالة والمعاصرة لبناء اليمن الخضراء، يمن أرض الجنتين. يمن الوحدة في إطار نهج سياسي موحد. وفكر يمني أصيل. ووحدة وطنية.

ب) الحضارة الإسلامية

كان لتضاربات اليمنيين الفكرية والعقائدية قبل الإسلام أثرها في تقبل الدين الجديد الذي جاء فاصلاً بين الحق والباطل.

كانت قبيلة الأشاعرة القاطنة بوادي زبيد ورمع بتهامة الغربية أول قبيلة همها أمر هذا الدين الجديد.

كان عبد الله بن قيس المكنى بأبي موسى الأشعري في السابعة[9] عشرة من عمره أول من هاجر من اليمنيين مع عمه (أبو عامر عبيد بن وهبة الأشعري) للتعرف على الدين الجديد فوصلا مكة في بداية البعثة النبوية ودخلا البيت الحرام وكانا في حيرة من مجموع قريش التي تطوف بالبيت وتقدس الأصنام.

قال أبو عامر لأبي موسى كيف نعرف محمداً من هؤلاء القوم ؟. فرد عليه قائلاً الرجل الذي لم يتجه إلى الأصنام هو محمد.

وذات مرة قدم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ولم يتجه إلى الأصنام وجلس بعيداً عن القوم يصلي فجاء إليه أبو موسى ولم يكن معه عمه أبو عامر فسلم عليه. وقال له أبو موسى الأشعري. أنت محمد بن عبد الله صاحب الدعوة؟ فقال عليه الصلاة والسلام نعم. فقال أبو موسى: أنا عبدالله بن قيس الأشعري قدمت وعم لي يدعى أبوعامر من اليمن لنتعرف صحة هذه الدعوة. ولما تدعو إليه. فاستبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال ادعو لوحدانية الله سبحانه وتعالى لا شريك له. واسمعه آيات من القرآن فانشرح صدر أبي موسى وصدق به واستأذنه إلى الغد ليكون معه عمه أبو عامر.

وفي الغد قدم أبو موسى وأبو عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يصل فيه إلى البيت فسلما عليه. وقدم عمه أبو عامر فسمعا منه صلى الله عليه وسلم ما تيسر من القرآن وتعاليم الإسلام وطلبا منه البقاء بمكة. أو الهجرة إلى الحبشة. أو العود إلى اليمن فأمرهما العود إلى اليمن ليعلما قومهما تعاليم الإسلام.[10]

تلك هي أول هجرة لأبي موسى الأشعري إبان بزوغ الدعوة الإسلامية.وفي آخر العام السابع الهجري كانت الهجرة الثانية لقبيلة الأشاعرة برئاسة أبي موسى الأشعري بوفد مكون من اثنين وخمسين نفراً من الأشعريين ومن بينهم أخواه أبو بردة وأبو رهم القاطنين بوادي زبيد ورمع. وكان الرسول في عزوة خيبر، والتقى الوفد الأشعري اليمني بجعفر بن أبي طالب الذي هاجر ورفاقه إلى الحبشة في طريقهم إلى العودة للمدينة المنورة[11]، قال عليه الصلاة والسلام للأشعريين من أين جئتم؟. قالوا من زبيد. قال عليه الصلاة والسلام بارك الله في زبيد. قالوا ورمع يا رسول الله. قال بارك الله في زبيد. قالوا ورمع يا رسول الله. قال بارك الله في زبيد ورمع في الثالثة.

وقال صلى الله عليه وسلم. جاءكم أهل اليمن أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان والحكمة يمانية.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو. أو قل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في إناء واحد ثم اقتسموا فيما بينهم بالسوية فهم مني وأنا منهم.

وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم في أبي موسى الأشعري حين سمع صوته وهو يقرأ القرآن لقد أعطي هذا مزماراً من مزامير آل داود. فقال أبو موسى لو علمت أنك تسمع لحبرته تحبيراً – أي حسنته تحسينا.

وسئل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن أبي موسى الأشعري. فقال صبغ في العلم صبغة. أي خلق للعلم.

وفي العام الثامن للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن. اتجه معاذ بن جبل إلى الجند، وأبو موسى الأشعري لزبيد. وقال لهما صلى الله عليه وسلم. يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا.

أسس أبو موسى الأشعري جامع الأشاعر بزبيد. وأسس معاذ بن جبل جامع الجند بالعام الثامن الهجري. وكان وبر بن يحنس قد أسس جامع صنعاء بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام السادس الهجري.

وفي العام التاسع للهجرة توافدت القبائل اليمنية والعربية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأت سطوع الدين الإسلامي وأيقنت أنه البديل الحق عن الباطل المعتم.

من هنا نرى الحضارة الإسلامية بدأت تشع في كل من صنعاء والجند وزبيد، من هذه الثلاثة المساجد المباركة ثم توسع اشعاعها بقيادة الفكر الإسلامي وأئمة الإسلام. ورواة الحديث وفقهاء الفقه الإسلامي.

ومن أشهر الرواة من اليمن أبو موسى الأشعري وأبو عامر عبيد بن وهبة عم أبي موسى الأشعري وكعب بن عاصم الأشعري. والحارث الأشعري. وأبيض بن حمال المأربي، وفروة بن مسيك المرادي[12].

ولم يكتف الأمر أن قادة الفكر الإسلامي انحصر تواجدهم باليمن فكان لهم دور فعال في الجهاد ونشر العلم في الشعوب التي تجندوا للقيام بنشر الإسلام، ومنهم عميرة الزبيدي بفتح الزاي، أخذ عن معاذ بن جبل بزبيدوانتقل إلى الشام وولي القضاء بدمشق في أيام معاوية.

أعطتنا مرحلة الحضارة الإسلامية باليمن أربع مراحل:

المرحلةالأولى: مرحلة التأسيس التي ابتدأت من العام الثامن الهجري إلى سنة 203هـ وهذه المرحلة توسع فيها المجال العلمي بتأسيس المدارس التي توسع وجودها وفعاليتها برواة الحديث والفقه. منهم أبو قرة موسى بن طارق اللحجي الزبيدي شهرة لتردده بين الجند ولحج وعدن ومكة وزبيد المتوفى بزبيد سنة 203هـ وصاحبه في زبيد محمد بن يوسف أبو حمة الزبيدي، كما قصده الإمام أحمد بن حنبل بزبيد للأخذ عنه. كما قصد الإمام الشافعي العلامة عبد الرزاق بن همام بن نافع للأخذ عنه بصنعاء.

والعلامة أبو مسلم الكشي. وكان يتردد بين صنعاء ومكة وزبيد وسمع عليه شيوخ كثيرون، والعلامة محمد بن موسى الكشي قاضي زبيد في المائة الثالثة.

وأول من نشر المذهب الشافعي الفقيه الحافظ موسى بن عمران المعافري. والعلامةأبو القاسم محمد بن عبد الله الجمحي القرشي سكن سهفنه التي تقع بين الجند وذي سفال، وتعرف الآن بسفنة المتوفى سنة 430هـ، وعليه كان انتشار المذهب الشافعي في الجند وصنعاء.

الجند:

والجند نسبة إلى جَنَد بن شهران بطن[13] من المعافر. وهي من بلاد السكاسك اشتهرت بالعلم أنجبت رواة وعلماء وفقهاء، وممن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً موسى الجندي شهادة رجل في كذبة كذبها[14]. روى عنه معمر بن راشد وعبد الله بن زينب الجندي روى عنه كثير بن عطاء الجندي.

ومحمد بن عبد الرحمن الجندي روى عن معمر بن راشد. وروى عنه الشافعي محمد بن ادريس وغيره وطاووس بن كيسان اليماني مولى بجير بن ريسان الحميري، كان من أبناء فارس نزل الجند، وهو تابعي مشهور سمع ابن عباس وجابر بن عبد الله وابن عمر وأبا هريرة روى عنه مجاهد وعمرو بن دينار وقيس بن سعد وابنه عبد الله وغيرهم مات بمكة سنه خمس أو ست ومائة.

وزمعة بن صالح الجندي روى عن عبد الله بن طاووس وعمرو بن دينار وسلمة بن وهرام وابن الزبير. وروى عنه عبد الرحمن بن مهدي ووكيع.

وعبد الله بن عيسى الجندي روى عنه عبد الرزاق الصنعاني ومحمد بن خالد الجندي، وعبد الله بن بجير بن ريسان الجندي حدث عن محمد بن محمد روى حديث مسلمة بن شبيب عن عبد الرزاق بن همام عن معمر بن راشد. ورواه غيره عن عبد الرزاق عن عبد الله بن بجير ولم يذكر بينهما معمراً.

وسلام بن وهب الجندي روى عنه زيد بن المبارك وعلي بن حميد الجندي حدث عن طاووس بن كيسان روى عنه عبدالملك بن جريج.

وكثير بن عطاء الجندي روى عن عبدالله بن زينب الجندي روى عنه عبد الرزاق، وقال البخاري كثير بن سويد يعد من أهل اليمن عن عبد الله بن زينب روى عنه معمر.

وصامت بن معاذ الجندي يروى عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي دواد، روى عن المفضل بن محمد الجندي، ومحمد بن منصور أبو عبدالله الجندي سمع عمرو بن مسلم والوليد بن سليمان. ووهب بن سليمان مراسيل سمع منه بشر بن الحكم النيسابوري. قاله البخاري. وأبو قرة موسى بن طارق الجندي الزبيدي روى عن ابن جريج ومالك وخلق كثير روى عنه أبو حمه وأبو سعيد المفضل بن محمد الجندي الشعبي روى عن الحسن بن علي الحلواني وغيره روى عنه أبو بكر المقرئ انتهى كلام ياقوت[15].

الفقهاء:

ومن الفقهاء. عطاء بن أبي رباح مولى بني فهر من أجلاء فقهاء التابعين سمع عن جابر بن عبدالله وعبدالله بن عباس. وعبد الله بن الزبير. وروى عنه الزهري وقتادة ومالك بن دينار. والأعمش والأوزاعي وغيرهم وإليه والى مجاهد تنتهي فتوى مكة[16]، وكان بنو أميه يأمرون بالمنادى، لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح عشرين سنة وكان من أحسن الناس صلاة توفي سنة 115هـ.

ومنهم محمد بن خالد الجندي أحد شيوخ الشافعي ومنهم يحيى بن زياد الجندي أدرك علماء الجند وصنعاء كطاووس وغيره. وكان ماهراً بالقراءات السبع ومات بصنعاء.

ومن المتأخرين المؤرخ العلامة بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب بن جبر الجندي[17] المتوفي سنة 732هـ.

ولعل تاريخ الجند توقف من بعده بظهور الحركة السياسية والاقتصادية والعلمية بتعز ابتداء من العهد الأيوبي والدولة الرسولية.

معاذ بن جبل

عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل بن عمرو بن عابد بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب الأنصاري الخزرجي. قال عليه الصلاة والسلام: بم تحكم بينهم؟ قال بكتاب الله. قال فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله. قال فإن لم تجد؟ قال أجتهد رأيي. قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله[18]، وقال يا معاذ زيّن الإسلام بعدلك وحلمك وعفوك وحسن خلقك فإن الناس ناظرون إليك وقائلون خيرة رسول الله. أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحمة اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الإمام والتفقه بالقرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل.

وأنهاك أن تشتم مسلماً وتصدق كاذباً أو تكذب صادقاً أو تعصي إماماً عادلاً أو تفسد في الأرض. واذكر الله عند كل شجر وحجر، وأحدث لكل ذنب توبة. وستقدم على قوم أهل كتاب يسألونك عن مفاتيح الجنة. فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وان محمداً رسول الله.

ثم ودعه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال له: لعلك لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك تمر بمسجدي وقبري "فبكى معاذ خشية لفراق رسول الله صلى الله

عليه وسلم. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم. لا تبك فإن البكاء قبل أوان البكاء من الشيطان.[19]

وكان معاذ يتردد بين الجند وحضرموت وتفقه به جماعة من أهلها، وكان معاذ من أكابر الصحابة روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حقه: معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام. وَرَافَع رجل إمرأته إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين غبت عن زوجتي هذه سنتين فجئت وهي حامل. فاستشار عمر معاذاً في رجمها. فقال له معاذ. إن كان لك عليها سبيل فما لك على مافي بطنها من سبيل، دعها حتى تضع فوضعت غلاماً عرف زوجها شبهه به. فقال ابني ورب الكعبة إذ وضعته جفراً له سنتان، فقال عمر رضي الله عنه حينئذ عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ لولا معاذ لهلك عمر[20].

وكان معاذ يتردد إلى أبي موسى الأشعري بزبيد فلما قدم معاذ وقد اجتمع الناس حول أبي موسى وعنده رجل قد جمعت يداه إلى عنقه. فسلم معاذ وهو راكب على بغلته. ورد أبو موسى السلام وبشّ في وجه معاذ وألقى إليه وسادة وقال أنزل. فقال معاذ ما بال هذا الرجل يا أبا موسى. فقال هذا رجل يهودي أسلم ثم ارتد وقد أردناه على التوبة شهرين فلم يفعل. وأحسبه ممن عناه الله بقوله" وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون" إنه والله يريد شراً بهذا الدين.

ولما سمع معاذ ذلك قال. لا أنزل حتى يقتل. فقال أبو موسى إنما جيئ به لذلك فأنزل. قال ما أنزل حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، فأمر به فقتل. ونزل وصافح أبا موسى ومن معه وطابت نفوس الجمع بقتل هذا اليهودي الماكر[21].

ثم سأل معاذ أبا موسى. فقال له يا أبا موسى كيف تقرأ القرآن فأجابه أقرأه قائماً وقاعداً وعلى راحلتي وأتفوقه تفوقاً. وقال أبو موسى كيف تقرأ أنت يا معاذ. فأجابه أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من الليل فأقرا ما كتب الله لي فاحتسب نومتي كما أحتسبت قوتي. وظلا يكرران الزيارة يتذاكران في كل مرة أمور الدعوة إلى الإسلام وفي شؤون العبادة والعلم.[22]

وصحب معاذ كثيراً من أهل اليمن معظمهم من النخع وممن صحبه عمرو بن ميمون الأودي من حضرموت وكان من الأولياء ذكره أبو نعيم، روى عن عمر وعلي وابن مسعود وعبد الله بن عمر وأبي هريرة وابن عباس توفي بالكوفة سنة 75هـ وهو من رجال البخاري ومسلم.

ومن فقهاء المرحلة الأولى: أبو بكر بن المضرب الزبيدي أخذ عنه أبو القاسم بن محمد بن عبدالله الجحمي بزبيد وتفقه بمختصر المزني. وتفقه ابن المضرب فقه الشافعي بالمثنى. وتفقه المثنى بالقاضي حامد بن عامر بن بشر المروزي المتوفى سنة 362هـ[23].

الفقه الحنفي:

أما الفقه الحنفي فقد انتشر عن الإمام أبي بكر بن جعفر بن عبد الرحيم الخابي ومن تلاميذه زيد بن الحسن. وعبدالله بن أحمد بن زيد بن عبدالله اليفاعي. وكان أبو بكر بن جعفر بن عبد الرحيم يحفظ كتاب الجامع في الخلاف تصنيف ابيه جعفر وشرحه الحاملي عن ظهر غيب. وكان له في كل عام رحلة إلى زبيد يناظر فيها القاضي محمد بن عوف الحنفي ويقال عن هذا المؤلف في زبيد كتاب القاضي المشهور عند الحنفية[24].

كانت هذه المرحلة تشمل ما يلي:

الأولى: عهد الرسول: وهو عهد الإنشاء والتكوين ومدته اثنان وعشرون عاما وأشهرا، من بعثة الرسول إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

الثانية: عهد الصحابة: وهو عهد التفسير والتكميل ومدته تسعون عاماً من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 11هـ إلى آخر القرن الأول الهجري.

الثالثة: عهد التدوين والأئمة المجتهدين وعهد النمو والنضج التشريعي ومدته مائتان وخمسون عاماً من100هـ إلى 350هـ.

الرابعة: عهد الجمود والتقليد و الوقوف وقد ابتدأ من أواسط القرن الرابع[25].

من هنا نرى أن الحضارة الإسلامية توسع نطاقها وانتشرت المدارس والأربطة في أكثر مدن اليمن وقراه ومنها مدرسة سهفنة. وجامع الجند. وجامع صنعاء وجامع الأشاعر بزبيد.

المرحلة الثانية:

مرحلة التطور وهذه المرحلة تأتي بقدوم محمد عبدالله بن زياد إلى زبيد سنة 204هـ الذي اختط دار مملكته بأرض الحُصَيْب نسبة إلى الحصيب بن عبد شمس بن سبأ والتي سميت زبيد نسبة إلى الوادي زبيد لقدمها، حيث تبنى تأسيس الدولة الزيادية وتطور الحركة العلمية بمساعدة القاضي محمد بن هارون التغلبي الذي كون أسرة عرفت ببني عقامة، وكان على عاتقهم نشر المذهب الشافعي بزبيد ومنهم أبو الفتوح علي بن محمد بن أبي عقامة التغلبي، والحسن بن محمد بن أبي عقامة مؤلف كتاب جواهر الأخبار وملح الأشعار. والقاضي عبدالله بن محمد بن أبي عقامة قاضي زبيد. والعلامة عبدالله بن عيسى بن أيمن المهري صاحب مشكلات المهذب. يقال تخرج من تلامذته ستون مدرساً، ومن أبرز أدباء العصر النجاحي الأديب أبو عبدالله الحسين بن علي بن القم وجياش بن نجاح الشاعر والمؤرخ وغيرهم.

وفي هذه المرحلة وجد التنافس الفكري بقدوم الدعوة الشيعية، بزعامة علي بن الفضل ومنصور بن حوشب. ومذهب زيد بن علي بزعامة الإمام يحيى بن الحسين الرسي الملقب الهادي الذي نشر المذهب الزيدي الهادوي.

كان الجو السياسي مهيناً لنشر المذاهب بالقرن الثالث الهجري وتوسع نطاق المذاهب بزبيد في عهد الدولة النجاحية حيث اتسعت الحلقات بالفقه الشافعي والحنفي والحنبلي والمالكي في كل من الجامع الكبير وجامع الأشاعر والمدرسة العصامية.

ومن أشهر مدرسيها بالسادس الهجري العلامة أبو عبدالله أبو القاسم الأبار. وعبدالله بن محمد الحفائلي. ونصر الله الحضرمي ومن أشهر الآخذين عن الأبار عبدالله بن عيسى المهري. ومحمد بن عطية وعمارة بن زيدان الحكمي اليمني، الفقيه والفرضي، والشاعر المعروف المتوفى بالقاهرة سنة 569هـ، وكانت حلقات التدريس تكتض بالطلاب وفي ذلك يقول الشاعر الغرنوق.

مجلسك الرحب في تزاحمه لا يسع المرء فيه مقعده
كل على قدره ينال فذا يلقط منه وذاك يحصده

ومن أبرز الأدباء أحمد بن محمد الخمرطاش المتوفى سنة 553هـ عن عمر يناهز ثمانية وعشرين عاماً، وكان عالماً وشاعراً، له المقصورة الخمر طاشية المشتملة على تاريخ اليمن القديم والإسلامي مطلعها:

تأوب القلب تباريح الجوى وعاده عايد شوق قد ثوى
وانبعث من سره بواعث أذكين في أمثاله جمر الغضا

وقصيدة الفرج التي أوردها الخزرجي في مؤلفه طراز أعلام الزمن.

والعلامة محمد بن يحيى بن علي بن عمران القرشي الزبيدي من علماء الحنفيه باليمن ولد بزبيد سنة 460هـ وبرع في علم اللغة ورحل إلى بغداد توفي سنة 555هـ.

كان في هذه المرحلة تطور الحركة العلمية وانتشار المذاهب الإسلامية واهتمامهم بالاجتهاد والقياس والدليل والإجماع.

المرحلة الثالثة:

مرحلة الازدهار. وتأتي بتواجد الدولة الأيوبية التي قضت على المذهب الشيعي بمصر ودعمت المذاهب الأربعة فاهتمت ببناء المدارس باليمن وشجعت الحركة الصوفية. وبروز العلماء في المجال العلمي في كل الفنون.

والجدير بالذكر أن الحركة العلمية بزبيد ازدهرت في الفقه الشافعي والحنفي، ولم يعد ذكر لمذهب الإمام أحمد بن حنبل. ومذهب الإمام مالك وربما كان أقل تدريساً بعد انقضاء الدولة النجاحية.

واهتمت الدولة ببناء المدارس للمذهب الشافعي. والمذهب الحنفي فمن المدارس التي عمرت في العهد الأيوبي المدرسة العاصمية للمذهب الحنفي لمدرسها عمر بن عاصم. والمدرسة الدحمانية للمذهب الشافعي لمدرسها محمد بن دحمان.

ومن أشهر علماء الحنفية أبو بكر بن عيسى بن حنكاس الأشعري الذي عاش في بداية عهد الملك عمر بن علي بن رسول وطلب منه بناء مدرسة للأحناف كما بنى مدرسة الشافعي، ومدرسة للحديث وعرفت بالمدرستين المنصوريتين العليا والسفلى وخصص لهما وقفا بوادي زبيد، ومن العلماء سليمان بن موسى بن علي الجون الأشعري الحنفي المتوفى سنة 653هـ الذي شرح المقصورة الخمرطاشية شرحاً علمياً وعمره ثمانية عشر عاماً وغادر زبيد إلى الحبشة عندما ظهر الاحتفال بسبوت النخيل بوادي زبيد الغربي بمشاركة الملوك الرسوليين الذين كانوا يصطافون بزبيد أيام ثمر النخيل حيث قصورهم وحدائقهم، ويخرج السكان للنـزهة وتقام الاحتفالات الموسمية، فخرج من زبيد مع مجموعة من العلماء بحجة الاختلاط.

والعلامة المحدث أبو بكر محمد بن أحمد بن سليمان بن بطال الركبي الأشعري المتوفى سنة 630هـ. والشاعر محمد بن حمير المتوفى سنة 651هـ والعلامة اللغوي والشاعر أبو بكر بن عمر بن إبراهيم دعاس والعلامة أحمد بن محمد الأشعري برز في علم المساحة بالقرن السادس الهجري.

كانت هذه المرحلة مزدهرة بالعلماء والابداع الفكري كثر فيها الفقهاء والمتفقهون وازدهرت الحركة الصوفية ووجدت مجالاً حفياً. يقول الجندي[26]. ثم أعلَم أن أكثر بلد اليمن من زمن متقدم على زماننا فقهاء ومتفقهين مدينة زبيد.

المرحلة الرابعة:

مرحلة التكامل الجامعي بظهور الدولة الرسولية من سنة 626 هـ لما صاحب المرحلة من مناخ علمي وفكري وابداع في شتى الفنون شجع على تواجد العلماء من البلاد العربية والإسلامية فكان الملوك الرسوليون رغم تحمل المسئولية أكثر اهتماماً بالعلم علماً وتأليفاً. وعمراناً واقتصاداً وسياسة.

وفي هذه المرحلة نتعرض إلى الإبداع العلمي. والحركة الصوفية.

الإبداع العلمي:

لم تكن هذه المرحلة ذات دراسة وجمود بل صاحب المرحلة ابداعٌ فكري أبرز الجانب الرسمي إبداعه في العلوم حيث اهتم الملوك الرسوليون بالتأليف أبرزهم.

الملك المظفر عمر بن علي بن رسول. ألف كتاب المعتمد في الطب. وتيسير المطالب في تسيير الكواكب[27].

الملك الأشرف ممهد الدين مؤلفاته الجامع في الطب. والإبدال لما علم في الحال في الأدوية والعقاقير.الاسطرلاب. التبصرة في علم النجوم. تحفة الآداب في التواريخ والأنساب.التفاحة في علم الفلاحة والزراعة. جواهر التيجان في الأنساب.

الملك المؤيد. مؤلفاته شرح طردية أبي فراس الحمداني. مختصر الجمهرة في البيزره، نقولات من أشعار الجاهلية والمخضرمين والمولدين.

الملك المجاهد علي بن داود:الإرشاد في علم الفلاحة. الأقوال الكافية والفصول الشافية في علم البيطرة.

الملك الأفضل العباس: الألغاز الفقهية، بغية ذوي الهمم في أنساب العرب والعجم. بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين. دلائل الفضل في علم الرمل. العطايا السنية والموارد الهنية في المناقب اليمنية. نزهة الأبصار في اختصار كنـز الأحبار. نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون. مختصر ابن خلكان. نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء.

وكان لاستقرار المجد الفيروز آبادي بزبيد أثره العلمي لغوياً فألف القاموس المحيط في جو علمي زاخر وعلماء فطاحل دفعوا بالحركة العلمية دراسة وتدريساً وتأليفاً حيث برز في مجال الفكر أحمد بن موسى بن علي الجلادي فألف في علم الجبر والمقابلة مؤلفه "استنباط الصناعة الجبرية" توفي سنة 732هـ، وفي مجال الإبداع الفكري والعلمي برز العلامة إسماعيل بن أبي بكر المقري الشاوري بمؤلف يشمل خمسة فنون أسماه عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي، جعل الفقه على النمط المألوف وأربعة فنون على جداول

تشمل النحو والتاريخ والعروض والقوافي، وذلك إذا قرأته على النمط المألوف فقها ثم تأخذ حروف أول كل سطر أو فقرة من الأسطر وتكون منه فناً.

كما أبدع في تأليفه كتابه الإرشاد في الفقه، وفي مجال الأدب فهو شاعر متميز عن شعراء عصره وقيل أنه أشعر من المتنبي[28]، وله ديوان مطبوع طبع سنة 1905م بالهند، والفريدة الجامعة للمعاني الرائعة قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مطلعها.

شارفتَ ذرعاً فنرعن مائها الشبم
وجزت غلافنم لا خوف في حرم

تشمل جميع أنواع البيان والبديع. وله مؤلفات أخرى.

والعلامة الخزرجي في علم التاريخ والتراجم منها العسجد المسبوك، وطراز أعلام الزمن والعقود اللؤلؤية.

وفي الحديث الحسين بن المبارك الزبيدي المشهور بالإسناد المُعْزَى إليه السند الصحيح، وإليه يشير العلامة محمد بن محمد الجزري عندما قدم زبيد سنة 828هـ أنشد:

عذلوني لما دخلت زبيد
قلت عذل العذول غير مفيد
فالبخاري الصحيح لم يك يروي
عالياً عن سوى طريق الزبيدي

والعلامة أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي مؤلف طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص. والتجريد الصريح في صحيح البخاري.

وفي هذه المرحلة كانت هجرة الحضارم إلى زبيد لأخذ العلم لوجود الحروب بحضرموت[29].

والعلامة سليمان بن إبراهيم العلوي المشهور بالسند العالي، والعلامة أبو بكر بن علي الحداد المتوفى سنة 800هـ مؤلف تفسير القرآن وشرحه للقدوري على المذهب الحنفي، وأثبت أن دخول القات إلى اليمن من الحبشة في آخر القرن السابع الهجري.

والعلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي مؤلف التفقيه شرح على كتاب التنبيه في أربعة وعشرين مجلداً قدم للملك المجاهد الرسولي مع جمهرة من العلماء والطلاب فأجازه المجاهد بأربعة شخوص ذهبية مكتوب عليها:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها
على الناس طراً قبل أن تتفلت[30]
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت
ولا البخل يبقيها إذا هي ولت

بلغت المساجد والمدارس بمدينة زبيد في عهد الملك الأشرف الثاني الرسولي مأتين وستة وثلاثين مسجداً ومدرسة[31].

ولم تتوقف حركة التاريخ العلمية في العهد الرسولي والعهد الطاهري فقد استمرت ديمومتها باستمرار رجال العلم والأدب والتاريخ والحديث والجبر والمقابلة والمساحة تزخر برز فيها الفقيه والأديب والشاعر أبو بكر بن إبراهيم بن يوسف الحكاك المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري والشاعر العالم عبدالله بن أبي بكر المزاح العلوي المتوفى سنة 830هـ، وعبدالرحمن العلوي المتوفى سنة 827هـ، وأبو بكر بن علي بن عبد القادر مهير المتوفى سنة 1027هـ برز في المجال الأدبي بشعره الفصيح والحميني والموشح.

أما مجال الحديث والفقه فكان العلامة الحافظ عبد الرحمن بن علي الدَّيبع الشيباني المتوفى سنة 944هـ أبرز علماء هذا العصر، حاز درجة الإسناد إلى جانب التاريخ أخذ عنه علماء العصر السند العالي ومنهم العلامة السيد الطاهر بن حسين الأهدل. والعلامة الصديق محمد الخاص والعلامة أبو العباس أحمد الطنبداوي قطب رحى الافتاء، وكان شيخ الإسلام عبد الرحمن بن عبد ا لكريم بن زياد المقصري من أبرز تلاميذ هذه الكوكبة خلف شيخه الطنبداوي في الإفتاء والشهرة بمؤلفاته الشهيرة التي بلغت خمسة وثلاثين مؤلفا أبرزها فتاواه.

والعلامة موسى الضجاعي وأحمد بن عمر المزجد مؤلف العباب المحيط بعلوم الفقه، والعلامة محمد بن الصديق محمد الخاص المتوفى سنة 1050هـ، والعلامة محمد بن يحيى المطيب في الفقه والتاريخ، والعلامة أبو بكر

بن أبي القاسم الأهدل المتوفى سنة 1035هـ. والعلامة أحمد بن عبدالله السانة، مؤلف كتابه المشهور المسمى الإعلان بنعم الله المنان. المشتمل على سبعة فنون على نمط مؤلف العلامة إسماعيل بن أبي بكر المقري، ولكنه أكبر حجماً يشمل الفقه. والعروض والصرف والمنطق والتجويد، والقوافي والنحو، وله في المساحة المسمى المسرة والإزاحة لطالبي علم المساحة.

والعلامة محمد بن زياد الوضاحي وله مؤلفات عدة منها المنتخبة من النفحات الطيبة شرح طلبة الطلبة.

والعلامة محمد بن عبد اللطيف التالي الزبيدي مؤلف جدول التوقيت للصلاة بالقرن الحادي عشر الهجري رجع إليه في محاضرته دافيد كنج الأمريكي.

ومن العلماء الذين اشتهروا بعلم الفقه والحديث والأصول العلامة محمد بن أبي القاسم جعمان والعلامة اسحاق بن محمد جعمان. وبرهان الدين إبراهيم بن إسحاق جعمان وزكي الدين جعمان وأبو القاسم بن طاهر جعمان مؤلف غاية السئول لقراء ذريعة الأصول. والعلامة إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم جعمان المتوفى سنة 1083هـ.

## الحركة الصوفية:

الحركة الصوفية حركة روحية ظهرت في أواخر القرن الأول الهجري، والذي يهمنا دراسة قصيرة عن التصوف باليمن وتطوره ومساره في الفكر الإسلامي الحضاري.

كان لمدينتي البصرة[32] والكوفة بالعراق أثرهما الفكري الذي انطلق من قبيلتين عربيتين.

الأولى: البصرة سكانها عدنانيون وفي مقدمتهم بنو تميم وكان مذهبهم السنة مع الميل إلى الاعتزال والقدرية، وفي مقدمتهم في الزهد والورع الحسن البصري المتوفى سنة 110هـ ومالك بن دينار وغيرهما.

الثانية: الكوفة وجل سكانها من اليمنيين كانوا أميل إلى التشيع وعدم التحجر في اللغة ورواية الشعر والأخذ بظاهر الحديث مع القول بالإرجاء.

وشيوخهم في الزهد والتصوف الربيع بن خيثم المتوفى سنة 167هـ وجابر بن حيان الكندي. وأبو العتاهية.

كانت هذه بداية ظهور الحركة الصوفية وفي عهد الخلافة العباسية ببغداد انتقل جماعة من اليمنيين وبدؤوا نشاطهم في حركة التصوف بالتالي:

1. إلقاء المواعظ في المساجد.
2. الحث على التخلي عن الدنيا والترغيب في العزلة عن الناس.
3. القول بمقالات دخيلة على الإسلام[33].

وفي هذا الاحتدام الفكري ببغداد تصدى لهذا الفريق علماء السنة والجماعة وفندوا أقوالهم ووضحوا مخالفاتهم.

مدرسة ذا النون المصري:

كان لهذه المرحلة جو فكري خصب لم يبق محصوراً في بغداد. والكوفة والبصرة بل انطلق إلى مصر حيث أسس ذا النون المتوفى سنة 240هـ مدرسة التصوف في مصر على غرار مدرسة الكوفة. إلى جانب النوري. وأبو حمزة المتوفى سنة 369هـ ومن مصر انتقل ذا النون من مدرسته بمصر إلى وهران بالمغرب وبيت المقدس وانطاكية. واليمن سنة 237هـ[34].

آراء أئمة الإسلام

نهج قادة الفكر التصوفي نهجين:

الأول: كبار العلماء أعطوا للفكر الصوفي شمولية الاعتقاد والتمذهب بفكر واسع في النهج الإسلامي بفكر متحرك يؤمن بالروحانيات مع مسايرة الحياة المتجددة. وهم من أطلق عليهم علماء الحقيقة وعلماء الشريعة.

الثاني: قادة الفكر الصوفي من كبار علماء الفقه الإسلامي أخذوا شمولية الاعتقاد بعلم الحقيقة فقط والسمو الروحي والابتعاد عن الحياة ووضعوا أسساً وقواعد لمريديهم لنهج سياسة التصوف، وجعلوا للصوفية أهمية أكثر من الفرائض والواجبات.

من هذا النهج احتدم الخلاف بين علماء الشريعة الذين هم أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بظاهر

الشريعة. وبين علماء الحقيقة. الصوفية الذي يؤمنون بالغيبيات متخذين من علم الخضر نهجاً لهم.

المعارضة:

ومعارضة أهل السنة والجماعة ما تعتقده الصوفية. أن السنة خير من الفروض والطاعة خير من العبادة.

لذا رد أهل الجماعة على ذلك. أن هذا مخالف للشرع لأن الشريعة تقتضي القيام بالمفروضات وتأديب المتوالي. وتحكم على الناس بأعمال الظاهر وتعاقب على الجرائم بمقتضى الشرع وتدع عقاب ما خفي على الله سبحانه وتعالى[35].

الإمام أحمد بن حنبل: يرى أن التصوف صرف أصحابه عن ظاهر العبادة ويحمنهم على طلب الخلة مع الله جل وعلا فيستبيحون إغفال الفرائض[36].

الإمام الشافعي: لا يقر التفريق بين الشريعة والحقيقة. فقال كل من رام الحقيقة غير الشريعة فهو مخدوع[37].

الخوارج: أول فرقة ظهرت خلافاتها مع الصوفية وضح ذلك ما جرى بينهم وبين حسن البصري. وشجبت طرائق وأعمال التصوف.

الإمامة الشيعية: أنكرت كل نزوع إلى التصوف لأنها تطلب التوسل بغير أئمتهم الإثناعشرية.

المعتزلة والظاهرية: يستنكرون العشق لأنه يقوم من الناحية النظرية على التشبيه ويقوم من الناحية العملية على الملامسة والحلول.[38]

## الصوفية باليمن:

إذا كان للشيعة الإثنا عشرية نصيب في غزو الفكر اليمني بظهور علي بن الفضل. ومنصور بن حوشب سنة 268 هـ وأسست لها قاعدة انطلقت منها إلى الحكم فالعهد الصليحي. فقد زامن هذه الحركة انطلاقة الفكر الزيدي بدخول الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي سنة 282هـ صعدة وتأسيس المذهب الزيدي الهادوي الذي أصبح المذهب لثلث سكان اليمن.

أما الحركة الصوفية: فكان انطلاقها إلى اليمن عام 237هـ عندما زار ذا النون المصري اليمن في أول عهد الدولة الزيادية بزبيد وملكها آنذاك محمد بن عبدالله بن زياد لذا لم يذكر، المصدر[39] لأي مدينة كانت زيارة ذا النون لصنعاء أو الجند-ربما كانت زيارته لزبيد لأنها في هذه المرحلة عاصمة سياسية ومدرسة فكرية كالجند وصنعاء.

لذا يحتمل أن الزيارة كانت لزبيد والجند المدينتين اللتين أثر فيهما الفكر الصوفي، والأشد حيرة أنا لم نقف في القرن الثالث الهجري للنشاط الصوفي، إلا إذا كان هذا القرن البذرة ومن ثم بدأ النمو حيث نجد المصادر تذكر أقدم متصوف في التاريخ بتهامة سود بن الكميت المولود سنة 316هـ عاصر آخر الدولة الزيادية وتوفي سنة 436 في عهد الدولة النجاحية عاش مأة عام وكان يسكن قرية فاشق بجوار تهامة[40] بالقرب من جبال حجة.

ويذكر الشرجي في طبقاته أحمد الصياد المتوفى سنة 579هـ[41] وصاحبه أحمد الفشلي وما صاحب الفترة من مريدين وخلوة في المفاوز وعلى ساحل البحر ثم استقر للتفقيه بجامع الأشاعر بزبيد ومن مريديه إبراهيم بن شارة بن يعقوب العدني الذي أخذ من عبد القادر الجيلاني وكتب سيرة الصياد وكانت الطريقة القادرية أكثر شهرة.

فالبحث عن الحركة الصوفية خصب جداً. ولكني اقتضب الأمر وسيرها في هذه المرحلة وما تحمل من معان وأفكار. فالصوفية اشتق اسمها من الصوف ومنهم من يقول معناها الشمولي صفاء النفس من الكدورات، والتعلق بالخالق جل وعلا، والمكاشفات الغيبية. وعدم التعلق بالحياة وملذاتها واعتبار أن الحياة الفانية لا يمكن الالتفات إليها. إلا من خلال معرفة ما يمكن العمل به، والاتجاه إلى العبادة والانعزال عن الملذات والشهوات.

ومن ثم نجد أن الصوفية انتشرت في العالم العربي والإسلامي لعاملين:

الأول: سياسي

الثاني: فكري

الصوفية والسياسية:

أبرزت الأحداث السياسية التي جاءت بعد الخلفاء الراشدين وجود الفرق الدينية والتحول الفكري الديني

وحياة التقشف إلى البذخ في المجتمعات الإسلامية والصراع السياسي أفرزت الصوفية التي لم ترقها حياة المجتمعات بالتالي:

1. شعورهم بالتبعية الأخلاقية[42].

2. ضعفهم عن مقاومة الرذائل الاجتماعية المنتشرة.

3. فساد البيئة التي عاشوا بها ومن ثم اتجهوا إلى الابتعاد وكونوا جماعات من المريدين والفقراء والدعوة إلى الزهد والورع فأثروا على المجتمع مما جعل السلطات تخاف مكانتهم الروحية ونهجهم طريقة علماء الحقيقة. لذلك اتخذت السلطة السياسة التالية:

الأول: التقرب من الطائفتين وبذل المساعدات لبناء المدارس لعلماء الشريعة علماء الظاهر. وبناء التكايا لعلماء الحقيقة ليظل المجتمع بين هاتين الطائفتين لغرض إبعادهم عن سياسة الدولة.

الثاني: اتخاذ هاتين الطائفتين قادة إصلاح إذا احتدم الصراع بين الدولة والرعايا بانتداب من تراه مؤثراً لحسم أي نزاع من الشخصيات المؤثرة.

وفي هذه الحالة مرت اليمن ابتداء بالدولة الأيوبية التي شجعت هذا المجال وظلت فترة من الزمن.

فالدولة الرسولية التي ظلت نحو مائتي عام تستند على هاتين الطائفتين الروحية والعلمية ولا تحاول أن تتدخل في خلافاتهما العقائدية.

وتعطينا مرحلة بداية الدولة الرسولية ظهور العلامة الزاهد أحمد بن علوان المتوفى سنة 665 الذي كان لوالده قسطاً وافراً آخر حياة الدولة الأيوبية ومكانته الرسمية بها ثم بداية حكم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، وموقف العالم الشاب أحمد بن علوان بعد وفاة والده ومزاولته الوظيفة في ديوان الدولة ثم ابتعاده عنها واتجاهه للعلم والزهد والورع. فكان له مكانته الروحية اجتماعياً في الوعظ والإرشاد والنصيحة، ومن أدبه ينصح الملك عمر بن علي رسول قوله:

يا ثالث العمرين افعل كفعلهما

وليتفق فيه منك السر والعلن

أشد لملك يقول الناظرون له

نعم الملك ونعم البلدة اليمن

عار عليك قصور شيدت بذخاً

وللرعية دور كلها دمن

ولم يكن ابن علوان وحده في الزهد والورع فهناك كثير من علماء الحقيقة من كان لهم دور فعال في النصح والزهد والتصدي للمظالم والإسراف.

فهذا أبو بكر عيسى بن حنكاش من علماء الشريعة والحقيقة خاطب الملك المنصور ببناء مدرسة للأحناف بزبيد بلغة العالم قوله لماذا يا عمر لم تبن لأصحاب أبي حنيفة مدرسة كما بنيت لأصحاب الإمام الشافعي؟

وهذا أبو بكر بن علي الحداد رفض هدية الملك المجاهد بقوله: اصرفها لمن هو مستحق المساعدة فلست في حاجة. وقال مستشهداً بالآية الكريمة "أنتم بهديتكم تفرحون". وكان يعيش على مؤلفاته ونسخها.

التنافس الفكري في العهد الرسولي:

تعطينا مرحلة التصوف في عهد الدولة الرسولية صراعاً احتدم بين العلامة إسماعيل بن أبي بكر المقري وقادة الفكر الصوفي أحمد الرداد. وإسماعيل بن أبي بكر بن إبراهيم عبد الصمد الجبرتي والكرماني الذي دار حول ممارسة الطريقة وأسلوب أدائها من ضرب بالدفوف وغناء وتمايل الأجساد وشطحات وغيبوبة.

فكانت معارضة المقري لهذا الاسلوب، لا معارضة الفكرة الصوفية من حيث الروحانية. قوله.

والضرب بالدف للنسوان ليس به

قبح ولا سيما إن كان من سبب

ما للشريعة ذلت بعد عزتها

وأصبح الرأس فيها موضع الذنب

شوهاء قد ذهبت عنها محاسنها

عريانة الجسم عن أثوابها القشب

وقال في قصيدة أخرى يعاتب صديقه محمد بن محمد المزجاجي تلميذ إسماعيل الجبرتي من قصيدة مطولة منها مشيراً إلى الكرماني

وما عجبي من أعجمي وبغضه
لدين بفضل العجم لا العرب معرب
فذاك عدو والشهيد محمد
ولكني من صاحب لي أعجب

ورغم كل ما حدث فالدولة الرسولية كان موقفها عدم التدخل في الصراع الفكري ما لم يمس كرامتها متخذة سياسة عدم التعرض لأي طائفة.

وهذا ما سارت عليه الدول الإسلامية إبعاد الدولة عما من شأنه مساس بالعقائد فكل له أنصار واتباع.

وبالجملة. إن الحضارة أو الحضارات التي تنشأ تولد ابداعات فكرية سواء أكان في المجال العلمي والفكري والفني والعمراني أو الروحي.

من هذا النهج نجد أن التنافس العلمي والعقائدي في هذه المرحلة الحضارية التي زخرت بالإبداع العلمي والأدبي والسمو الروحي.

## الاقتصاد:

لا حياة لأمة إلا بتنظيم حياتها الاقتصادية زراعياً وتجارياً وصناعياً وحرفياً، وبالاقتصاد تنتظم الحياة.

وإذا درسنا نظم الاقتصاد الحديث نجد أنه مستمد من عصور الأمم السابقة مع بذل التطورات الحديثة وفقاً لمتطلبات العصر التكنولوجي الحديث. فمثلاً: نجد أن من نظم الاقتصاد وزارة التموين، ووزارة الاقتصاد لتنظيم الحركة الاقتصادية وفقاً لمتطلبات المجتمع والمحافظة على العملة الشرائية وعدم التلاعب بها وبالسلع التجارية.

ويطالعنا التاريخ في العصور التاريخية وبالأخص العصر الرسولي أن الديوان ينظم ذلك عن طريق ما يسمى "المحتسب" الذي يرفع تقاريره للديوان دورياً عن الحركة التجارية وقيمها الشرائية وتطوير الحِرَف بما يساعد على نمو المجتمع الاقتصادي.

ولقد برز حديثاً كتاب من أعماق تاريخ ديوان الدولة الرسولية يقوم بتحقيقه الأخ الباحث محمد عبد الرحيم جازم في مجلد ضخم يشمل الحركة التاريخية الاقتصادية حضارياً في مدينة زبيد والمهجم المدينتين اللتين لعبتا دوراً في التاريخ الرسولي وأخذت مدينة زبيد قسطاً وافراً منه.

يشمل هذا الكتاب ما يلي:

- قانون زبيد في المعاملات التجارية.
- الحرف اليدوية التي كانت من أبرز الحركة التجارية.
- الأسواق التجارية.
- الضرائب التي تتحصلها الدولة على السلع التجارية.
- الزراعة وتطوراتها التي تعد المواد الخام للصناعة مثل السكر.

ومن أشهر الصناعات التي كان لها دور فعال في تطور الحياة الصناعية ما يلي:

1. صناعة الزجاج بزبيد في قرية المزجاجية ويشمل أنواعا مختلفة.
2. صناعة الخزف في تهامة وأشهرها زبيد وحيس.
3. صناعة الصابون ويشمل نوعين الصابون لغسل الثياب، ونوع آخر الحطم ويصنع من شجر العصل لغسل الثياب كثيرة الأوساخ وقد عرفنا الأخير في وقت متأخر يستخدم لتنظيف البز الذي يصنع بزبيد وتحويله إلى أسود بالحور والنيلة الزرقاء.
4. صناعة الحصر من خوص وشجر الدوم ويشمل التالي:

أ- صناعة السجاجيد مصارف كموائد الطعام وزنابيل قفاع تسمى ظروف لتعبئة الحبوب والبضائع التجارية، سدول كبيرة لحفظ الحبوب بالمخازن، ومراوح يدوية لتلطيف الحر والرطوبة، وقبع لتغطية الرأس.

ب- فرش وتشمل ما يلي: 1) فرش للمساجد وفرش للدواوين الملكية من النوع الفاخر الملون. 2) فرش عادية. 3) حصير يغشى به المنازل المعمورة من القش. 4) فراش حصير يصنع من طابقين بنوع خاص من الخوص الأبيض يغزل بدقة يسمى كيس يتسع لنفرين يقي النائم من شدة البرد.

5. الغزل والنسيج ويشمل:

– غزل العطب القطن البلدي بمغازل يدوية يقوم بها الرجال والنساء بعد إخراج البذرة بمصانع الحلج الخشبي فيغزل على خيوط متنوعة. دقيق ومتوسط وكبير.

– مصانع الحياكة وهذه المصانع مهمتها صبغ خيوط الغزل بأنواع مختلفة وتركيبها في شرعات تمتد على نحو خمسة أمتار تلف على عمود خشبي ويصنع منها ما يلي:

- الفوط. المآزر. البرد، البيرم، الملايا. واللحف.
- ونوع آخر الحرير والديباج ويصنع منها السباعيات وهي نوع من الأردية توضع على الكتف للزينة والمقانع للنساء.
- ونوع آخر الحرير ويصنع خصيصاً للملوك.

6. معامل الدباغة:

وتشمل صناعة الجلود بعد دبغها أي تنظيفها مما بها بالماء والملح ثم تجفف ثم تقشر من الشعر وتستخدم لصناعة الأحذية وأحزمة ومحافظ، وقرب للماء.

ونوع أخر تنظف ويبقى بها الشعر لاستخدامها أردية من البرد وجلود الأنعام ويصلح بها قصيب المدائع لشرب التنباك.

7. مصانع الزيت:

وهذه المصانع تصنع من الخشب ويجرها جمل يغطى علىٰ عينيه، تسمى معاصر ويوضع بها الجلجلان "السمسم" في جوف جذع شجرة غليظة ويوضع بها عود يربط على ظهر الجمل ويظل الجمل يدور حولها حتى يتحول إلى زيت وقش السمسم يستخدم طعاما للجمال لأجل السمن، كما أنه يؤكل يسمى عصارة، وقد بلغت أعداد المعاصر بزبيد كما أورد الديبع ستة وثلاثين معصرة. وقد أدركت نحو خمسة عشر معصرة سنة 1367هـ. ويستخدم الزيت للطعام والدهنيات وللأسرجة.

8. مصانع الخزف – الفخار

وتشمل أواني مختلفة تصنع من الطين اللزج وتحرق ومن أنواعها صحون للأكل، جمان لطبخ القهوة، شراب للماء جرار للماء أزيار، وتسمى أدواح للماء، وتستخدم أيضاً لصبغ النيلة بها. أواني أكال متوسطة. تسمى. زبادي. وصوابر. ومصاب. وأكواز وفناجين للقهوة وأواني تسمى مطاهر للمساجد للوضوء، وبلابل تستخدم لحفظ الماء للشرب والاغتسال لأنها تبرد الماء طبعيا. معاجن على شكل دائري مفتحة للنساء. أواني لحفظ السمن والعسل تسمى جمان. وتسمى ذؤلة.

9. صناعة الورق.

10. صناعة تجليد الكتب.

11. صناعة نسخ الكتب.

12. صناعة الآلات الموسيقية. وتشمل صناعاتها ما يلي:

الطبول. الدفوف. المدبرج. الشبابة المزمار. الرباب.

13. مصانع السكر.

اشتهر وادي سردد بزراعة السكر وكان يصنع بزبيد على ثلاثة أنواع. السكر الأبيض المكرر. السكر الأحمر. سكر نبات.

14. الذهب. وجد بزبيد في قرية واسط الذهب الأشرفي سنة 876هـ.

15. مصانع البز الأبيض وتحويله إلى أسود

وكانت هذه المصابيغ بزبيد إلى وقت قريب أي إلى سنة 1380هـ ثم بدأت تنقرض لوجود الغزو الصناعي الحديث. وبقي منها الآن مصنع واحد وتصبغ بالخور الذي يزرع بوادي زبيد ويصنع بقرية التربية خارج زبيد بنحو عشرة كيلو مترات ويورد إلى زبيد. وفي القرن العاشر الهجري دخل عليها النيلة الزرقاء المسمى نيلة وباللغة الإنجليزية أنديجو من الهند. أضاف على الصباغة لمعاناً يضع لصبغ البز الأبيض إلى أسود ويباع للمناطق الباردة. وقد بلغت هذه المصانع بزبيد إلى سنة 1355 مائة وخمسين مصنعاً للصباغة ومائة وخمسين مصنعاً للحياكة.

16. صناعة البارود بالرُّكب شرق زبيد

وظلت الحركة التجارية بزبيد والمهجم زاخرة حتى ظهرت الحديدة كميناء أنتهت المهجم نهائياً. وظلت زبيد في نشاطها التجاري والصناعي إلى سنة 1370هـ بدأت حياتها التجارية والصناعية تتدهور لما صاحب المرحلة من

تغيرات صناعية وسياسية. كما انتقلت منها صناعة الحياكة إلى بيت الفقيه والدريهمي والحديدة. وأكثر تدهوراً منافسة الحديدة لها بتحويل الوارد إليها من المخا والخوخة وعدن إلى الحديدة. بالإضافة إلى ذلك فقد سوقها الأسبوعي الذي تحول إلى الجراحي إحدى قراها.

## السياسة... وأثرها على الفكر

بدأت السياسة تلعب دوراً هاماً في عزل الفكر اليمني اجتماعياً وانقساماته بوجود الدويلات والدعوات التي انتشرت في أواخر القرن الثالث الهجري منها الدولة اليعفرية فالدعوة الشيعية، فالدعوة الزيدية الهادوية. في خضم نمو الفكر السني في كل من صنعاء، والجند وزبيد.

وأول معاناة واجهها سياسياً عالم اليمن الكبير أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى سنة 352هـ بالسجن من قبل اليعفريين ولم يفرج عنه إلا بتوسط الزياديين ملوك زبيد فقد كان عالماً جليلاً أثرى المكتبة اليمنية بعلمه الواسع الذي أصبح مرجعاً علمياً وفكرياً للأجيال.

ومن ثم امتدت الدعوات بصراعاتها الفكرية والسياسة من زيدية معتدلة ومعتزلة وشيعة اثناعشرية ومطرفية.

وكان لتأثير الدعوة الزيدية أثرها مع الدعوة الشيعية والسنة حتى شملت صعدة وصنعاء وذمار.

وظلت السنة تسير بخط غير معوج كان لها الأثر في الانتشار والازدهار بينما ظل الصراع الفكري والسياسي محاطا بالدعوة الشيعية والزيدية، والعزلة السياسية ظهر في مرحلتها العلامة نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة 573هـ الذي يعد من أبرز علماء هذا العصر في علم الكلام والأدب والتاريخ والفقه بالمنطقة المتصارعة فكرياً. والعلامة الإمام يحيى بن حمزة المتوفى سنة 705هـ الذي ترك السلطة واتجه إلى العلم في جو مليئ بالصراع السياسي على السلطة وأثمر في العلم بلغت مؤلفاته ثمانية وستين مؤلفاً أبرزها الطراز.

والعلامة محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة840هـ وله مؤلفات قيمة أهمها العواصم والقواصم.

ومرت مرحلة العزلة السياسية تفرض حصارها على اليمن بصراعات الأئمة وحروبها المستمرة حتى جاءت مرحلة الدولة القاسمية الأولى وهيمنتها على اليمن رغم الوحدة السياسية التي شملت اليمن الطبيعية بعد الفراغ من الحكم الوطني فرضت قداسة الإمام والتفرقة بشتى أنواعها.

غير أن هذه المرحلة وما بعدها التي جاءت بالدولة القاسمية الثانية برز علماء أدركوا عمق السياسة التي أحاطت الشعب بسور العزلة فكانت المسئولية الكبرى على عاتقهم فحطموا سور العزلة باجتهاداتهم ونهجوا طريق السنة والجماعة وبنوا حياتهم العلمية على الانفتاح الفكري واللقاء الأخوي والتبادل العلمي بين صنعاء وزبيد شأنهم شأن علماء الإسلام الذي نهجوا مسلك العلماء باللقاءات والأخذ والعطاء من العلماء فكان محمد بن إسماعيل الأمير ومحمد بن علي الشوكاني، والمقبلي وقاطن والجلال وعبدالقادر بن احمد الكوكباني المتوفى سنة 1223 والقاضي أحمد بن صالح أبو الرجال والحسين بن زيد جحاف وغيرمم ممن تركوا التعصب المذهبي فحاربوا سياسة العزلة والتعصب وقاوموا سياسة الحكم الإمامي وتعصبه وفتحوا صدورهم لعلماء زبيد فمنهم من زار زبيد وأخذ عن علمائها الأسانيد الصحيحة مثل أحمد محمد قاطن وأولاد محمد بن علي الشوكاني الذين أخذوا الإجازة من الحافظ العلامة عبدالرحمن بن سليمان الأهدل المسجلة في كتاب النفس اليماني. في إجازة القضاة أولاد محمد بن علي الشوكاني.

كما تبادلت الزيارات بين علماء زبيد وصنعاء فكان لقاء العلامة عبد الخالق بن الزين المزجاجي بصنعاء فأخذ الإجازة من العلامة محمد بن اسماعيل الأمير وبدوره أجاز مجيزه وتوفي بصنعاء.

ومن أبرز ما طالعنا به الأدب والاحترام المتبادل بين العلماء والسمو العلمي والانسجام الخلقي الرفيع زيارة العلامة عبد الله بن عمر الخليل لصنعاء سنة 1170هـ ولقاءاته بعلمائها وأبرزهم القاضي أحمد بن صالح أبو الرجال وتبادلا العلم أخذاً وعطاء وكل واحد توج زميله بما يستحق من المدح في قصيدتين متبادلتين

الأولى: للعلامة عبد الله بن عمر الخليل منها قوله:

شدا بكم الشحرور لما ترنما … وصيرني صبا عميداً متيما
فبت أراعي الزهر في كبد السماء … وارتاح زهر الروض لما تبسما
سلام على صنعاء التي فاح نشرها … ولاح سناها في النجود وأتهما
سلام على تلك الخلائق أنها … لكالروض بل أبهى وأزهى وأعظما
ولا سيما الشخص الذي طاب أصله … ومد إليه العلم زنداً ومعصما
صفي الهدى جالي الردى وافر الندى … مجيب الندا ما حي دجى ظلمة العمى
حليف علوم الشرع والفهم نشرها … على صفحات الدهر دراً منظما
وجامع أشتات العلوم التي كسا … سناها البهي ثوباً من النور معلما
فاعظم به من صالح وابن صالح … سما وارتقى العليا سماه والسما

الثانية أحمد صالح أبو الرجال رد عليه بقوله منها:

أصخت إلى داعي الصبابة بعدما … صحى القلب عن حب الغواني وحوما
وعدت اخا لهو وقد كنت ناسكا … أشمر برداً صار بالترك معلما
ولكنني سليت قلبي بخمرة … جعلت لها كأساً من النظم محكماً
وأمليته من فضلك الجم ما به … حدا كل حاد في الدجى وترنما
فلما أرعوى عن غيه والحضا لما … يعد لما قد كان خلقا مذمما
أدرت عليه من علومك أكؤساً … فعاد ملياً بالفنون منعما
فاشرق نور الحق منه وأنه … لعمري لولا أنت قد كان أظلما
أفخر الهدى لا زال فضلك آية … بها يفخر الآتي على من تقدما
وأنك شمس والعلوم أشعة … كسوت بها دراً من سناها وأنجما
رويدك لا تعجل علينا برحلة … فإنا نعد المكث ربحا ومغنما
وأنك قد زينت بالعلم مصرنا … وحليت بالآداب جيداً ومعصماً
وإن زبيد إن تك ذا تلهف … وشوق فمعذور إذا ما تضرما
ولكن هذا المصر قد جاء سائلا … مقامك فيه إن منت مكرما
فلا زال للأمصار فيك تحاسد … ولا زلت عن كل الشرور مسلماً

ومما أثبته علماء صنعاء في هذه المرحلة في إجازاتهم لسند الحديث رواية سند علماء زبيد ما ذكره العلامة محمد بن محمد زبارة في ترجمة العلامة الحسين بن علي العمري الآخذ عن مشائخه بصنعاء عن العلامة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير عن والده العلامة محمد بن إسماعيل الأمير عن العلامة السيد يحيى بن عمر الأهدل الزبيدي[43] هذه الإجارة شعراً.

بك الله من ليل الجهالة نستهدي … ومنك النوال الجم والسيب نستجدي
ونحمدك اللهم على ما حييتا … بسنة خير المرسلين بلا رد
فمنها صحيح للبخاري وإنني … له باتصال عن شيوخ ذوي رشد
ولي طرق شتى لايصاله بها … وفي النظم ذا ذكراي واحدة تجدي
فمن قاسم نجل الحسين بن قاسم … حليف التقى والعلم والفضل والزهد
عن السيد الظفري علي بن أحمد … عن ابن الأمير الفخر ذي اليمن والجد

فمن هنا نرى أن سياسة العزلة الفكرية قد تحطمت أمام رجال العلم والفكر والاجتهاد. فالعمري يروي سند الصحيح عن القاسم بن الحسين بن القاسم عن العلامة علي بن أحمد الظفري عن العلامة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير عن والده العلامة محمد بن إسماعيل الأمير عن العلامة السيد الحافظ يحيى بن عمر الأهدل الزبيدي عن العلامة يوسف محمد البطاح الزبيدي عن العلامة السيد طاهر بن حسين الأهدل الزبيدي عن شيخه الحافظ الكبير عبد الرحمن بن علي الديبع الزبيدي المشهور بسنده العالي إلى البخاري.

فالحركة العلمية بعد لقاءات العلماء كان لها أثرها الفعال في إنهاء سياسة العزلة والتفرقة ولم تتوقف الحركة الفكرية. فكان لها دور فعال في إيجاد علماء أعلام افتخرت بهم اليمن لا زبيد وحدها وظلت جامعة الأشاعر الإشعاع الفكري برز فيها على امتدادها بعد مرحلة الانفتاح عبد الله بن سليمان الجوهري ذو المؤلفات التي منها معين الإخوان شرح فتح الرحمن.

والعلامة محمد بن محمد مرتضى الزبيدي مؤلف تاج العروس المتوفى سنة 1205هـ بمصر وعبد الخالق بن علي المزجاجي. والعلامة شيخ الإسلام عبد الرحمن بن سليمان الأهدل المشهور بمؤلفاته والتي منها النفس اليماني وبركة الدنيا والأخرى. وفوائد الفوائد وخرائد الخرائد والعلامة محمد عبد الخالق بن علي المزجاجي ذو المؤلفات الشهيرة.

وتطالعنا مرحلة القرن الثالث عشر الهجري والرابع عشر الهجري بحركة علمية زاخرة وحركة اقتصادية. وتكون زبيد المدينة العلمية يفد إليها العلماء والطلاب من جميع أنحاء اليمن وأندونيسيا وإفريقيا مصاحبة بالحركة التجارية والصناعية بمصانعها اليدوية وتصدير منتجاتها الصناعية التي تصنع محلياً مثل الحياكة التي بلغت مائة وخمسين مصنعاً ومصانع البز بالخوز والنيلة التي بلغت إلى سنة 1355هـ مائة وخمسين مصنعا تصدر إلى المناطق الباردة صنعاء ذمار تعز رداع البيضاء. صعدة. حجة بالإضافة إلى الحديدة التي بدأت حركتها التجارية تنشط في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وانتقلت إليها مصانع الحياكة إلى جانب بيت الفقيه والدريهمي.

وكان الطلاب عندما يصلون إلى زبيد لينهلوا من معينها يتحصلون على لقمة العيش بسهولة من الأوقاف والتجار ومتوسطي الدخل دون من أو ضن، كما يجدون السكن في الأربطة كما يوجد بصنعاء وذمار ما يسمى بالمنازل، ومن أبرز علماء هذه المرحلة العلامة السيد محمد بن عبدالرحمن الأهدل ومحمد بن علي العمراني المنتقل من صنعاء إلى زبيد، وعبد الرحمن الشرفي، ويوسف محمد فقير وداود السالمي وداود عبدالرحمن حجر، والسيد عبد الله محمد البطاح، ويوسف محمد جدي.

ومن تلاميذ هذه الكوكبة الذين درسوا بالمدرسة العلمية بالأشاعر التي تأسست سنة 1357هـ العلامة أبكر بن عبد الرحمن الأهدل، سليمان ين محمد بن عبدالله الأهدل وأحمد محمد عبدالله الأهدل ومحمد صديق البطاح ومحمد يوسف جدي ومحمد يوسف فقير ومحمد إسماعيل مختبي وحسين محمد عبدالله الوصابي، ومحمد أحمد قشاعة وأحمد محمد خليل خطيب جامع زبيد، وأحمد عبدالله خليل ومحمد أحمد السالمي وعبدالله زيد المغربي القائل في وصف حلقة علم بجامع الأشاعر:

كأنك بدر والتلاميذ أنجم ... في فلك يحويه بطن الأشاعر

والجدير بالذكر أن الأربطة الموجودة بزبيد تشمل ما يلي:

رباط الجامع الكبير الذي يحتوي على أربعة عشر غرفة بالجناح الشرقي ما عدا رباطه الشرقي الثاني، رباط الأشاعر، رباط يحيى بن عمر الأهدل، رباط البطاح، رباط الدارة، رباط الهكارية، رباط الحوازم، رباط المهادلة، رباط علي يوسف، رباط الفرحانية، رباط القصينية، رباط الغصينية مسجد الوهابية، رباط الجبرتية، رباط العلويتين.

إلى جانب أن عدد المساجد الموجودة بزبيد حالياً وهي التي كانت تسمى بالمدارس الثان وثمانون مسجداً ومدرسة الباقية من مجموع مائتين وستة وثلاثين مسجداً ومدرسة في العهد الرسولي وكل مسجد إلا وبه غرفة أو غرفتان للطلاب المهاجرين سكناً لهم.

فكانت جامعة الأشاعر زبيد أبرز المدن اليمنية للحضارة الفكرية الإسلامية تعز. الجند. جبلة. رداع. صعدة. ذمار. صنعاء. عدن. تريم بحضرموت. بيت الفقيه. المراوعة.

ومن أبرز ما أنجبته زبيد في المرحلة الأخيرة وكان لهم دور في الحركة النضالية الأستاذ الكبير أحمد محمد نعمان، أمين عبد الواسع نعمان، عبدالله محمد الإرياني. محمد بن محمد الإرياني أحد شهداء الحركة النضالية بحجة، وعلي سعد عبدالله الحكمي، الخادم أحمد غالب وغيرهم ممن طمرهم التأريخ المعاصر.

ومن خلال استقرائنا من بداية المرحلة العلمية إلى آخرها نجد أن استمرار هذه الحضارة الفكرية لها عدة عوامل منها:

أولاً: عامل الاستقرار السياسي والاتجاه السياسي.

ثانياً: الانفتاح الفكري وتزامل المذاهب الفكرية في نشر العلم بعيداً عن الصراع السياسي والتعصب.

ثالثاً: احتضان علماء الإسلام والاستفادة منهم أخذاً وعطاءً.

رابعاً: العطاء المادي والمعنوي للعلماء وطلاب العلم بالمؤسسات الخيرية "الأوقاف" والموسرين للطلاب الوافدين إليها.

الأحداث:

كل حضارة لها عوامل ارتقاء وعوامل انحطاط: فمن العوامل التي بنت الحضارة العلمية والفكرية ما ذكرناه آنفاً.

أما العوامل والأحداث التي أدت إلى الانحطاط فمنها ما يلي:

أولاً: في سنة 1373هـ أمر الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين بفرض تدريس كتاب الازهار للمذهب الزيدي بالمدرسة العلمية بالأشاعر في عمالة السيد العلامة أحمد محمد الشامي إلى جانب الفقه الشافعي. والفقه الحنفي فرفض العلماء هذا الفرض إلا إذا كان اختيارياً فأمر بإغلاق المدرسة عاماً كاملاً مما أدى بمدير المدرسة العلمية العلامة حسين عبدالله الحدايا الرفع للإمام أحمد أن يدخل متن الأزهار اختيارياً دون إكراه فوافق على ذلك عندما شعر أن الفرض يؤدي إلى النفور وتبلد الفكر.

ثانياً: تحديد قبول الطلاب إلى خمسين طالباً بمقرر من الوقف قدح الاربع من الحبوب وريال واحد شهرياً ونصف ريال.

ثالثا: انهيار الحركة الاقتصادية والتجارية بزبيد نتيجة لعاملين:

الأول: الغزو الصناعي الأروبي الذي غزا اليمن مما أدى إلى انهيار مصانع الحياكة، والمصابغ، إلى جانب انتقال الحركة التجارية من زبيد إلى بيت الفقيه والحديدة.

الثاني: مصادرة الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين لأملاك المواطنين من الاراضي الزراعيه المسماة الكائن وهى التي سار عليها مئات السنين أن المالك يدفع العشر الشرعي لبيت المال والخمس للوقف، وتسمى الارض كائن وقف، وتباع بالنقلة لأن الأرض وقفية يسمح البيع والشراء بها باسم النقلة اثباتاً أن الأرض وقف. فامر الإمام أحمد أن تصادر وأن يستأجر المالك لها بالربع للوقف بدلاً من الخمس، فأثرت هذه الأحداث على سير الحركة الاقتصادية زراعياً وتجارياً وصناعياً، فكان من جراء ذلك الفقر والتشرد وخراب المدينة طيلة ثلاث سنوات عجاف فأثرت هذه على الناحية العلمية والفكرية وأصبح الطالب المهاجر الذي يصل إلى زبيد لا يتحصل المساعدة من الموسرين إلا إذا كان مزوداً براتب شهري من والده.

كانت هذه من أهم عوامل الانحطاط، إلى جانب أن قامت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر سنة 1962م - 1382هـ كان للتعليم الحديث عامل أساسي لانخراط الشباب للتعلم في المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعة لضمان الطالب في حياته بوجود الشهادة التي تؤهله للحياة (في أي مجال - وأصبح لا يدرس لدى العلماء إلا من كان لا يريد الشهادة أو يتزود بالعلوم العربية والشرعية بعد إتمام شهادته الثانوية أوالجامعة وهذا نادر الاتجاه.

وعامل آخر فتح المعاهد العلمية التي نهجت دمج العلوم الحديثة مع مضاعفة العلوم الدينية والعربية للحصول على الشهادة ولكنه لم يتحصل على الغاية العلمية المنشودة سابقاً بالإضافة إلى إحاطة الطلاب بإطار فكري سياسي أبعدهم عن العلماء والالتصاق بهم.

وعامل آخر عدم الاتجاه السياسي لإعادة تدريس الحلقات العلمية لدى البقية الباقية من العلماء لوجود الفكر السياسي الديني المتطرف.

من هذه الأحداث نجد أن الحضارة الإسلامية في اليمن لا زبيد وحدها أصيبت بالإندثار نتيجة الغلو والفراغ الفكري والجهل المركب. لذا لابد من أن تزامن الحضارة الفكرية الحديثة الحضارة الإسلامية ليظل الفكر الحديث مرتبطاً بحضارته علماً وعقيدة، وفكراً وتراثاً، وأن يزامل الفكر الإسلامي تغيرات العصر الحديث بعيداً عن التيار السياسي والانشطار الفكري والتمزق الاجتماعي والطموح غير المشروع الذي ثبت ما توصلنا إليه من تمزق نتيجة الادعاء لحماية الإسلام، فحضارة الإسلام أنجبت بناة علم وفكر لا بناة إدعاء وسياسة وتمزق - فالمرحلة تتطلب بناء جيل يمني يتحمل مسئولية التجدد الحضاري أصالة ومعاصرة تربويا في ظل تغيرات العصر وشمولية الحركات النضالية لإزاحة التشطير الفكري والسياسي والإقليمي لحماية اليمن أرضاً وفكراً وإنساناً مما يدبر له من أعداء اليمن.

فالشعب اليمني الذي حقق إعادة الوحدة اليمنية جدير أن يحقق حضارة الإسلام بوحدة المنهج التربوي في جميع المراحل التربوية متحدياً أعداء اليمن وحضارته الإنسانية والإسلامية عبر تاريخه الطويل بالعلم والحب والصدق لليمن الكبرى أرضاً وإنساناً وفكراً.

## سمات الحضارة الإسلامية :

إذا كانت الحضارة اليمنية قبل الإسلام لها سمات الفن والقصور والسدود والنحت والمدرجات الزراعية والحكم النيابي أبهة الملك والأقيال والقبلية. فالحضارة الإسلامية جاءت بتحولات فكرية ونفسية متحضرة وفقاً للعصر الإسلامي لبناء الإنسان حضارياً وعقائدياً دينياً ودنيويا لبناء أسس التعاليم الإسلامية - التي أنقذت البشرية من التيهان والضياع وشملت نواحي عديدة أهمها:

1. التشريع الإسلامي الذي جاء به القرآن من أحكام ونصوص - فرضها الله على المسلمين للتمسك بها

وبوحدانية الله سبحانه وتعالى لا شريك له واتباع أوامره ونواهيه.

2. الامتثال لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بما جاء به دين الحق والتمسك به وبسنته عليه الصلاة والسلام عملاً بالحديث. "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي".

3. الشورى في الحكم لاختيار – من كان صالحاً حاوياً صفات المسئولية.

4. اجتهادات العلماء وفقاً للحياة. دليلاً، وقياساً، وإجماعاً.

5. الاهتمام بدور العبادة والمدارس التي أصبحت مركزاً للحضارة الإسلامية.

من هذا النهج الإسلامي سار السلف الصالح في بلورة تعاليم الإسلام ودراسته علماً وتطبيقاً بمفهوم حضاري أوسع شملت العلوم الإسلامية وما صاحب الحياة من علوم وفنون خدمة للإنسانية وبالتالي:

1. الاهتمام بعلوم القرآن الكريم.
2. الاهتمام بالحديث وعلومه أسانيد ومصطلحات.
3. الاهتمام بعلوم الفقه وأصوله وقضاياه الفقهية لمعالجة المجتمع الإسلامي.
4. الاهتمام باللغة العربية وآلاتها.
5. الاهتمام بمفاهيم اللغة العربية.
6. الاهتمام بالأدب وإبداعاته نثراً وشعراً.
7. الاهتمام بعلم الكلام.
8. الإبداع في العلوم الاجتماعية والاقتصادية والكونية التي شملت:

أ- علوم الزراعة.
ب- علم الطب
ج- علم الجبر والمقابلة.
د- الاهتمام بالأنساب.
هـ- الاهتمام بالتاريخ.
و- الاهتمام بالفلك.
ز- الاهتمام بعلم الهيئة والزيج.
ح- الاهتمام بالاقتصاد
ط- الاهتمام بالهندسة والمساحة
ي- الاهتمام بعلم السياسة

والجدير بالذكر أن اليمن القديم مهد الحضارة العربية كان له اهتمامه بعلم الزراعة والفلك والطب والاقتصاد والسياسة عبر مراحل الحكم المعيني والسبائي والقتباني والكندي.

أبرزت ذلك الآثار التي أعطته المكانة العلمية لدى علماء الآثار وأفصحت عنه الاكتشافات الأثرية المكتوبة بالمسند ولا زال الكثير تحت الدراسة والتنقيب.

أما الحضارة الإسلامية. فهي المجال الخصب الذي جعل اليمنيين أكثر أصالة ومعاصرة في بناء الحياة الاجتماعية الراقية والفن المعماري والحركة العلمية السياسية والاقتصادية وفقاً للشريعة الغراء في اليمن والشعوب التي استوطنها اليمنيون لتجدد الحياة.

أبرزت لنا مدنا إسلامية جديرة بالاهتمام لأنها أساس حياة العالم الإسلامي المتجدد بالفكر الإسلامي الحضاري – أنجبت رجالاً مبدعين فكراً وعقيدة وعلما ولا تزال آثارهم تظهر بين آونة وأخرى تحتاج إلى جهود مخلصة وأيد أمينة ونفسية متحضرة.

ومن خلال المسئولية الكبرى المشتركة والبحث العلمي والمحافظة على التراث الإسلامي ودراسته وإخراجه للأجيال نكون غذيناهم علميا وحملناهم مسئولية فكانت الحضارة قبل الإسلام. بمأرب، والجوف، وحضرموت – وبعد الإسلام صنعاء، وذمار، وصعدة، وتريم وجبلة وتعز والجند وزبيد.

زبيد جامعة الأشاعر التي لعبت دوراً فعالاً في المجال العلمي والفكري الإسلامي والاقتصادي والسياسي بلا جدال.

فمارب رمز الحضارة اليمنية قبل الإسلام، وزبيد رمز الحضارة الإسلامية العلمية والفكرية بعد الإسلام.

زبيد/ ذي القعدة 1408هـ ــ22 يونيو 1988م

الهوامش

1. التاريخ العام لليمن محمد يحيى الحداد ، الجزء الأول .
2. المصدر نفسه.
3. المصدر نفسه.
4. المصدر نفسه.
5. المصدر نفسه .
6. المصدر نفسه .
7. المصدر نفسه .
8. المصدر نفسه.
9. محمد علي دولة شئون إسلامية. دار القلم دمشق. بيروت.
10. المصدر نفسه .
11. المصدر نفسه.
12. طبقات فقهاء اليمن – ابن سمرة الجعدي.
13. بلدان اليمن وقبائلها – محمد الحجري المجلد الأول – الجزء الأول .
14. المصدر نفسه.
15. المصدر نفسه .
16. المصدر نفسه .
17. المصدر نفسه.
18. بلدان اليمن وقبائلها الحجري (المجلد الأول – الجزء الأول).
19. المصدر نفسه.
20. المصدر نفسه.
21. محمد علي دولة شئون إسلامية.
22. المصدر نفسه.
23. طبقات فقهاء اليمن – الجعدي.
24. المصدر نفسه.
25. جامعة الأشاعر عبد الرحمن الحضرمي، الطبعة الأولى سنة 1975 والثانية مزيدة منها مصور في مكتبة ، جامعة صنعاء ودار الكتب بصنعاء ومركز الدراسات بصنعاء.
26. السلوك الجزء الأول ص546
27. مصادر الفكر العربي الإسلامي . عبدالله الحبشي
28. البدر الطالع، محمد علي الشوكاني
29. تاريخ جواهر الأحقاف، محمد بن علي بن عوض با حنان.
30. العسجد المسبوك، الخزرجي ص107 .
31. بغية المستفيد في أخبار زبيد ، عبد الرحمن الديبع.
32. التصوف في تهامه ، محمد أحمد العقيلي ص81 .
33. التصوف في تهامه محمد أحمد العقيلي ص32.
34. التصوف في تهامة محمد أحمد العقيلي ص86.
35. محمد أحمد العقيلي، التصوف في تهامة.
36. المصدر نفسه.
37. المصدر نفسه.
38. المصدر نفسه.
39. التصوف في تهامة ، محمد أحمد العقيلي.
40. التصوف في تهامة ، محمد أحمد العقيلي.
41. المصدر نفسه.
42. التصوف الإسلامي ص101، دكتور زكي مبارك.
43. نزهة النظر ص273.

# جزيرة سقطرى

د. عبد الغني علي سعيد *

هي إحدى الجزر اليمنية وتقع في بحر العرب في خط طول 54 درجة و63 دقيقة شرقاً. وفي خط عرض 12 درجة و30 دقيقة شمالاً[1] وتبلغ مساحتها زهاء 1200 ميل مربع[2] أو 3650م2[3] ومساحتها من الشرق إلى الغرب زهاء 80 ميلاً أما عرضها فيختلف فعند الأطراف حوالي خمسة أميال وتتسع في الوسط حتى تصل إلى 22 ميلاً (35 كم) تبعد عن ساحل راس فرتك زهاء 193 ميلاً[4] .

وتبعد عن الساحل زهاء 300 ميل 500 ك م[5] ويذكر الحسن بن أحمد الهمداني[6] موقعها الممتاز وأن طولها ثمانون فرسخاً، والجزيرة عبارة عن مجموعة من الهضاب الجيرية. ويتخللها جبال جرانيتية يصل ارتفاعها في بعض الحالات إلى 18 /12م مثل جبل مجيرو المنطقة الساحلية[7] وأهم المراكز حديبو وقلنسية وقاضب ونوجد ودار السلام.

## اسم سقطرى

يشير أ.د./ يوسف محمد عبد الله[8] إلى أنه يجوز في رسم الإسم علامات التأنيث الثلاث سقطرة، سقطراء وسقطرى والأرجح سقطرى، وعلماً بأن الأسم سقطرى محرف عن الكلمة السنسكريتية (سكهادارا). و(دويفا سكها دارا) تعني جزيرة دار السعادة وأن التسمية الهندية تحريف للأسم الأصلي (سكرد) في اللغة اليمنية القديمة (كربوس رقم 661 سطر 6) وفي نقش (ينبق 47 سطر 5). هو المقصود به سقطرى أي أن (سكهادارا) تحريف بإبدال الدال والراء من سكرد والأصوات اللينة لا ترسم في اللغة اليمنية القديمة. وكذلك في المصادر اليونانية (بطليموس وبلينوس) .دو سكريداو وهي تحريف للاسم اليمني القديم المشار إليه سابقاً.

وكتاب الطواف حول البحر الأرتيري[9] يذكر اسم الجزيرة باسم (ديوسكريدس) وذكرها جان بان بيرني[10] باسم جزيرة دم التنين. وجواد علي[11] يذكرها باسم (وفيا سوكا نارا أي سقطرة) أما مصطفى كمال[12] فيذكرها باسم جزيرة الأخوين ويشير بافقيه بأنها كانت تتبع إدارياً ملك حضرموت[13] وحالياً تتبع محافظة حضرموت.

---

* أستاذ الآثار القديمة، رئيس قسم الآثار – جامعة صنعاء

ويشير كتاب الطواف على أن سكانها خليط من العرب والأغريق والهنود[14] ومن أهم رجال الأعمال قوم من موزا[15] (موزع) ويصف الهمداني[16] خيراتها بأنها غنية بأنواع الزروع والحيوانات والعنبر ودم الأخوين... إلخ، أما ابن المجاور[17] فيذكر أنها أكبر الجزر على الإطلاق وهي عبارة عن بساتين ونخل وزروع.

ويشير د. يوسف محمد عبد الله[18] إلى أنها إحدى الحدائق النباتية في العالم، ويذكر حسن صالح شهاب[19] بأن خيراتها متنوعة وهناك يوجد قطة متوحشة يصطادها أهل سقطرة ويستخرج من غدته بواسطة الجراحة مادة الزباد.

وللجزيرة قصص وحكايات قديمة وحديثة ومنها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

- انه يوجد سبعة طيور تستقبل المسافرين في البحر وهي مستقبلة ولم يشاهد المسافرون تلك الطيور السبعة وهي مستدبرة، وإذا شاهد المسافر تلك الطيور السبعة وهي مستقبلة فهو بقرب سقطرة وعلى أن تكون الطيور سبعة مكتملة وترى ليلاً ونهاراً[20].
- وبامخرمة[21] يحكي قصة أخرى عن قدوم المراكب إلى سقطرة وما يوخذ من عينات من المراكب ومحتوياتها حتى من الفحم ... إلخ، ويلقي بتلك العينات إلى البحر على أساس وصول المراكب إلى الأمان.
- وإذا ما عدنا إلى قصة الملاح المصري الناجي، وهذه القصة تعتبر من الأدب الرفيع في عهد الدولة الوسطى[22] شحاتة آدم تخبرنا هذه القصة عن الجزيرة التي نجا إليها الملاح، وعن خيراتها وملكها الثعبان الذي أخبر البحار بأنها سوف تختفي عند عودته إلى بلده بعد أربعة أشهر وأنه لا يستطيع بعد ذلك أن يرى الجزيرة مرة أخرى، ويصف البحار الجزيرة بأن البحر يحيط بها.

وجزيرة سقطره تعتبر برج مراقبة ومرشدة للملاحة الدولية في المياه اليمنية ومحطة تجارية تستقبل السلع التجارية المحلية، والأجنبية، وكانت تعج برجال الأعمال وأصحاب السفن من اليمنيين والعرب والأفارقة والفرس والهنود واليونان منذ القدم.

وإذا قارنا قصة الملاح الناجي وما أورده إبن المجاور عن جزيرة سقطره بقوله: إن سيف الدين سنقر مولى إسماعيل بن طغتكين جهز جنداً إلى جزيرة سقطرة ليأخذوها وعند الإقتراب من تلك الجزيرة أختفت عن أعين القوم، وهذه القصة، توافق ما جاء في قصة الملاح الناجي، أن الجزيرة غير مستقرة في بعض شهور السنة بسبب عوامل الرياح والعواصف القوية التي تعزل الجزيرة عن الساحل اليمن.

ولكن الجزيرة اليوم تختلف عن هذه القصص المشار إليها سابقاً فهي عبارة عن منتجع سياحي، إذا ما جاز لنا التعبير عن ذلك فلها مقومات سياحية متميزة عن الجزر اليمنية الأخرى، ولقد وفر لهذه الجزيرة الكثير من الخدمات، ومن أهمها المطار الذي يستقبل الطائرات أسبوعياً على مدى شهور السنة، إضافة إلى الملاحة البحرية، وهذا يعود إلى اهتمام القيادة السياسية ممثلة بالأخ رئيس الجمهورية وتعتبر جزيرة سقطرة من أهم الجزر اليمنية بمساحتها وبخيراتها النادرة.

الهوامش:

(1) هارولد.ن، يعقوب، الضابط الإنجليزي، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط. بيروت، 1983م، ص 386.

(2) فيتالي ناؤمكين الكنسدرسيدوف، الأبحاث الأثرية في جزيرة سقطرى، مجلة الفكر العربي للعلوم الإنسانية، عدد62، بيروت، ص142.

(3) محمود توفيق محمود، المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، دراسات في الجغرافيا، السياسة والجيوبولتكس، الرياض، دار المريخ للنشر، 1403 هـ/1983م، ص115، 116.

(4) يوسف محمد عبد الله، سقطرة- سقطرى- الموسوعة اليمنية، ج2، ص 519.

(5) مصطفى كمال عبد العليم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصر اليوناني الروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، ك2، 1984م، ص 201 وما يليها.

(6) الهمداني، الحسن بن أحمد، الإكليل، ج1، تحقيق: محمد علي الأكوع، دار الحرية، بغداد، 1977م، ص 271.

(7) محمود توفيق، المرجع السابق، ص 115، 116.

(8) يوسف محمد عبد الله، المرجع السابق، ص519.

(9) The periplus the of the Eryraem thraen sea Trams Lated From The Greek and dn n otted by wi.s ahoff p33, 1974.

(10) الأكوع، محمد بن علي. الإكليل، المرجع السابق، هامش ص271.

(11) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص62، 63.

(12) مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 201 وما يليها.

(13) محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، بيروت مؤسسة الدراسات العربية،1973، ص 54.

(14) The periplus the of the Eryraem op....33.

(15) نقولا زيادة، دراسات تاريخ الجزيرة العربية،ك2، المرجع السابق، ص 267.

(16) الهمداني، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث، ط2،بيروت، 1403هـ/ 1983م، ص 93، 94.

(17) ابن المجاور جمال الدين أبو الفتوح يوسف يعقوب بن محمد، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، وتصحيح اوسكرلو فقرين، بيروت، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 1407هـ/ 1986م، ص 266، كذلك انظر: حسين عبد الله العمري واخرون، في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع ق.م. إلى نهاية القرن 19م، بيروت دار الفكر المعاصر، ط1، 1410هـ/ 1990م، محمود توفيق محمود، المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، مرجع سابق.

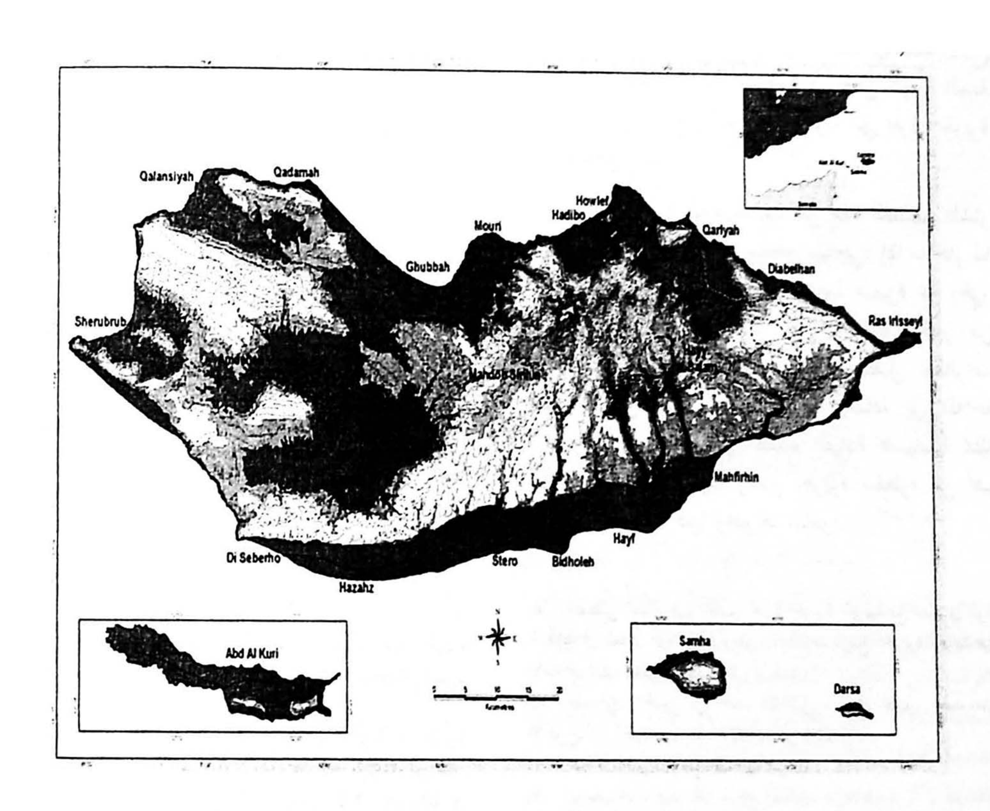
(18) يوسف محمد عبد الله، المرجع السابق، ص519.

(19) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، بيروت، دار العودة، ط2، 1981م، ص 147.

(20) ابن المجاور، المرجع السابق، ص 267، 268.

(21) أبو محمد عبد الله الطيب محمد بن أحمد أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1986م، ص 33، 34.

(22) محمود توفيق، المرجع السابق، ص 116، 117.



# المسجد وأثره على العمارة والفنون الإسلامية

الدكتور: علي سعيد سيف*

المقدمـــة:

تعتبر المساجد من الأماكن التي تسابق الخلفاء وولاة الأمر إلى تشييدها وتزيينها بأجمل الزخارف.

فقد كانت المساجد تشيد تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى وامتثالا لأوامره عز وجل التي يقول فيها "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الأخر" إلا أن المقصود بكلمة يعمر هنا في الآية الكريمة هو الإيمان والعبادة فيه، إلا أنه وعلى مر الحقب الزمنية كانت المساجد عنوان الدولة والحاكم، فعند تشييد مسجد يتسابق البناؤون إلى إخراجه بمظهر ينم عن الجمال ومدى الرغبة الملحة في تشييده، ولا غرو فقد وصلتنا مساجد تزخر بما أضفى عليه المعمار المسلم من عناصر معمارية شهد لها الأعداء، واندهلوا عندما شاهدوا تلك الأبنية بضخامتها وتعدد طرزها حسب العصور، إضافة إلى عناصرها الزخرفية التي ما خلت مسجد من ضروب الزخرفة وبما يتفق مع ديننا الحنيف السمح.

فكانت المساجد قبلة علماء الآثار الأجانب فأتوا عليها بالدرس والتحليل وإن كانت دراساتهم قد غمطت حق المعمار المسلم في ابتكاره لذاك العنصر المعماري أو في ابتداعه لذاك العنصر الزخرفي. ونسبوه إلى فنون سابقة عليه، ولا يضير المعمار المسلم إذ أقتبس ممن سبقه ولكن لم يقف عند حد الاقتباس بل طوره وزاد فيه وهذا طبعه فيه الديدنة والتطوير.

ولقد نهل المعمار المسلم من بيئته وبما يتناسب مع طبيعة دينه الحنيف فكان للدين والبيئة الدور الأكبر في جعل المسجد بعناصره المعمارية والزخرفية لا يخرج عن نطاقها، ولا داعي لأن نخوض في ذلك فتعدد عناصره المعمارية والزخرفية لخير شاهد على ذلك البناء العظيم والذي سيظل بفضل الدين ينهل منه المعمار المسلم ما شاء له.

وكما أنه لا مجال لأن نتطرق إلى التأصيل للعناصر المعمارية، فكما أسلفت كان الدافع إلى التجميل والإبداع هو الدين الحنيف.

المسجد النشأة والتخطيط:

يعتبر المسجد من أهم العمائر الإسلامية على الإطلاق ويعد أساسا في تخطيط المدينة العربية الإسلامية وأن أول لبنة توضع في بناء أي مدينة إسلامية هو

* أستاذ الآثار الإسلامية المساعد بقسم الآثار – كلية الآداب – جامعة صنعاء

المسجد ومنه تتفرع شوارع ومرابد المدينة، وقد نشأ المسجد نتيجة للحاجة الضرورية إليه وذلك لكي يقيم فيه المسلمون شعائر دينهم "الصلاة". وعندما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بالصلاة، وبعد أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، هاجر بدينه الجديد كان أول عمل قام به، هو بناء المسجد يجعل منه بيت الله ومركزا لدعوته إلى الإيمان والتوحيد.

وقد بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجداً في المربد الذي بركت فيه ناقته القصوى[1] وكانت الصلاة قد نزلت بشأنها آيات قرآنية تحث على أدائها لوقتها يقول تعالى"إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا"[2] وكما أمر سبحانه بأن الصلاة لوقتها حث الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكون في جماعة لأن درجاتها أكثر من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، إلى جانب أن صلاة الجماعة تقوي الروابط الأخوية بين أفراد المجتمع، وقد كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أول مسجد أسس على التقوى من أول يوم، ولهذا فقد اتخذ نمطاً معمارياً يتناسب مع متطلبات تلك الصلاة من اصطفاف المسلمين في صفوف متوازية كالبنيان المرصوص.

ولذا فقد كان التخطيط العام للمسجد ضرورة حتمية حتمها اصطفاف المصلين في صفوف موازية لجدار القبلة مما أدى إلى اتخاذ المسجد بتخطيطه الذي بدأ برواق القبلة والذي كان في بداية الأمر باتجاه بيت المقدس إلى الشمال من المدينة فكان لابد من إقامة حائط (جدار) أمامهم حتى يحجب المارة خارج المسجد وحتى لا يتخطوا رقاب المسلمين لأنه من تخطى رقاب المسلمين أهون عليه من أن يقف 40 سنة دون أن يمر من أمام المصلين، وكذلك حتى يحجب ضوضاء المدينة عن المصلين حتى لا ينشغلوا عن الصلاة، ثم طلب الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسقف تلك المقدمة فأذن الرسول صلى الله عليه وسلم بتسقيف ذلك الجزء وقال عريش كعريش موسى[3] ثم غطيت السقيفة بالطين حتى تحجب تساقط ماء المطر عليهم إلى جانب أنها تمنع شدة الحر[4] في الصيف.

وبذلك أصبح للمسجد جزء مسقف أطلق عليه (الظلة - السقيفة - الصفة) وجزء مكشوف يسمى تجاوزا (الصحن أو الرحبة)، ومن هنا بدأت النواة الأولى لتخطيط المسجد، ثم بعد 17 شهراً من الهجرة النبوية[5] أي في الخامس عشر من رجب السنة الثانية للهجرة الموافق 12 يناير 624م - التاريخ الذي يحدده المؤرخون - جاء الأمر الإلهي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بتحويل وجهته صلى الله عليه وسلم صوب المسجد الحرام وبذلك يقول الله عز وجل "قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره"[6] فكان أن سارع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحويل القبلة الذي على أثره بني حائط جديد مقابل للحائط السابق وحتى يقف المسلمون خلف ذلك الحائط ثم سقف هذا الجزء وأصبح المسجد يتكون من صفتين شمالية نحو بيت المقدس وجنوبية نحو المسجد الحرام بينهما فراغ سمي اصطلاحا بالصحن(شكل 1)، وهذا هو التخطيط العام للمسجد البسيط ببساطة أداء الشعائر الدينية التي لا تعقيد فيها كما لا تعقيد في البناء الذي تؤدى فيه الشعائر ولا تكلف في توزيع وحداته المعمارية وأسلوب بنائه[7]، وبعد مرور فترة زمنية وبعد أن أدخلت حجرات الرسول صلى الله عليه وسلم التسع إلى المسجد أضيفت المجنبتان الشرقية والغربية وكان ذلك في زمن الوليد بن عبد الملك[8] سنة 86هـ-96هـ وبذلك صار المسجد عبارة عن صحن يحيط به أربعة أروقة (شكل 2) أعمقها رواق القبلة، وكان السبب في تعميق رواق القبلة حتى يتسع لأكبر عدد من المصلين..

وبهذا يعتبر هذا التخطيط الذي نهل منه المعمار المسلم في تشييد المساجد الجامعة في الأقطار التي مصرت أو التي فتحت فكان أن شيدت المساجد في كل من صنعاء والبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وغير ذلك من المدن والذي صار أساسا يقتدى به في بناء المساجد في العالم الإسلامي.

ثم بعد ذلك توزعت وحدات المسجد البنائية من العناصر المعمارية التي سنأتي عليها تباعا.

المداخل والنوافذ:

لما كان المسجد يعتمد في بنائه على الجدران المشيدة سواء باللبن أو الحجر وكان العمق في الأروقة يحجب الإضاءة عن الصفوف الأولى فكان لا بد من أن تفتح فيه المداخل، حتى تسهل عملية الدخول والخروج من وإلى المسجد، وذلك تلبية للمتطلبات التي يؤديها المسجد من خلال تزاحم المصلين على مدخل واحد وحتى يسهل ذلك، عمد المعمار إلى فتح مداخل متعددة تفتح على المناطق المزدحمة بالسكان وعلى الشوارع. وبما أن المساجد تحاط بجدران سميكة ومرتفعة لكي تحول دون تسرب الضوضاء الخارجية إلى داخل المسجد وذلك بحكم موقعه إلى جانب السوق. وكان يراعى في جدران بيت الصلاة أن لا تفتح فيها النوافذ و الأبواب وإذا فتحت فللضرورة القصوى وفي أضيق الحدود ثم فتحت نوافذ لإدخال الضوء فكانت هذه النوافذ مرتفعة وبعيدة عن مرمى النظر الخارجي[9]، لكي يصل الضوء إلى المصلين حتى يتمكنوا من تسوية صفوفهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة".

ومن الملاحظ أن الأبواب توضع داخل جحور شاهقة وعميقة بعض العمق قد ترتفع بارتفاع المبنى أو تزيد عليه أحيانا وتحف به مسطبتان [10].

وقد شيدت بعض البوابات بالحجارة المصقولة المنتظمة صفوفها يكتنفها عمودان مندمجان يزيد من جمال البوابة ولهما تيجان مختلفة الأنواع والأشكال تحمل عقودا متنوعة تضفي على المدخل أهمية وبروزا حقيقين، كما تحف ببعضها وتبرز بعضها عن سمت الجدار وذلك إبرازا للمدخل ليستدل عليه من قبل المارة الذين يريدون الولوج إلى المسجد. وإلى جانب بروزه زين أيضا بتراجعات أضفت عليه تعبيرات جمالية وفنية بحيث أضفى المعمار المسلم لمساته الجمالية المنفذة على الحجر أو الطابوق وذلك بعمل الأعمدة المندمجة التي تحمل تيجاناً ناقوسية الشكل جميلة المنظر يرتكز عليها عقود سواء متراجعة أو مزدوجة، إلى جانب ذلك زينت هذه العناصر المعمارية بشتى ضروب الزخرفة التي غلب عليها الزخرفة النباتية والهندسية وعلى سبيل المثال لا الحصر مدخل المدرسة الشرابية في واسط[11] ومن مصر مداخل مسجد الأقمر والصالح طلائع والمدرسة الصاحبة وغيرها[12].

كما كان يعلو المدخل حنية محارية الشكل يكتنفها من الجانبين زخرفة المقرنصات إلى جانب تزينه كتابات (شكل 3)[13]، هذا وقد تعددت المداخل في المسجد الواحد حتى وصل في بعضها إلى 12مدخلا مثل مسجد ابن طولون.

أما بالنسبة للنوافذ فنجد أن المعمار العربي أُغرم بتعدد النوافذ وتزيينها بالأعمدة المندمجة التي تكتنفها لترتكز عليها عقود زينت جميعها بزخارف نباتية وهندسية، كما زين بواطن تلك العقود بزخارف محارية الشكل. وإضافة إلى ذلك فقد زينت بعض تيجان النوافذ بغطاءات وستائر مشبكة أو جصية[14] أضفت عليه لمسات جمالية وفنية إضافة إلى وظيفتها في إدخال الضوء وتجدد الهواء داخل المسجد.

الأعمدة والتيجان:

استعمل المعمار المسلم في بداية نشاطه المعماري مما كان حوله من الأبنية المندرسة من كنائس ومعابد وعمائر مخربة، وقصور ومنازل. فكان أن حمل تلك الأعمدة وزين بها وبنى بها مبانيه سواء الدينية أو المدنية. ثم بعد ذلك بدأ بتطوير أعمدة اكتسبت شكلا ميزته عن العمارة السابقة عليه فكانت ذات بدن أسطواني[15]، وكان أول الأشكال الأسطوانية ذات التيجان الناقوسيه شوهدت لأول مرة في قصر المعتصم في سامرا ثم تطور فكان المثمن والمضلع تضليعا حلزونيا والمقور الذي أنتشر في العصر العباسي[16].

أما التيجان فقد عرف المسلمون منها تيجانا بصلية وتيجانا تشمل صفا من وريقات نباتية ثم تيجانا على شكل مقرنصات وتيجاناً ناقوسية. وقد كانت تيجان الأعمدة تتصل ببعضها عند بدء العقود بروابط خشبية. هذا وقد كان المعمار المسلم في بعض الأحيان يتجنب استعمال الأعمدة فيقيمون السقف على أكتاف من البناء أو دعائم مربعة الشكل تبنى من الطابوق أقيمت فوق

قواعد مربعة. وكان طول ضلعها 2م كما في جامع سامرا الذي زينت زواياه الأربع كل زاوية منها بعمود رخامي (شكل 4)، وكما يشاهد كذلك في جامع ابن طولون.

كما أن بعض الأكتاف مستديرة الشكل أو مثمنة وكانت مغطاة بالجص والألوان[17].

العقود:

كان من ضمن العناصر المعمارية التي أقبل عليها المعمار المسلم هي العقد فقد كثر استخدامه في العمائر الإسلامية المختلفة.

وقد اختلف في الموطن الأول للعقد فقال فريق منهم أنها وجدت لأول مرة في بلاد ما بين النهرين والبعض الآخر قال في فارس وقال آخر في آسيا الصغرى وفريق آخر في الهند، ولسنا في صدد مناقشة الموطن الأول للعقد، فليس مجاله هنا.

كانت العقود النصف دائرية هي الشائعة والمستعملة قبل الإسلام ثم في بداية العصر الإسلامي، وهذا العقد في شكله يرسم نصف دائرة لا دبب فيها ولا انكسار ولا تجاوز النصف الدائرة ولا تطويل للأطراف أو الأرجل[18].

وبعد الفتوحات العربية أخذ هذا العقد يتطور ويتخذ أشكالا متعددة منها العقد المدبب الذي يعتبر ابتكاراً عربيا صرفا حيث تراها مقامة في المسجد الأموي بدمشق وفي قصير عمره في بلاد الشام وفي قصر الأخيضر وفي جامع المتوكل وجامع أبي دلف[19] (شكل 5).

وقد اتخذ هذا العقد لعدة اعتبارات منها:

1. أن العقد المدبب يعمل على زيادة ارتفاع فتحة العقد.
2. أكثر تحملا من غيره من العقود، وذلك للسبب الآتي وهو أن الثقل يكون على مركز العقد مما يعمل على توزيع الثقل إلى جدار العقد.

أما عقد حذوة الفرس فقد اختلف في نشأته[20]، وانتشر هذا العقد بشكل كبير في المغرب والأندلس وكذلك العقد المخموس الذي يتألف من قوسين دائريين ويرتد ابتداؤه عند خط امتداد كتفي العقد والذي يسمى العقد المرتد، وقد وجد في باب الشمس في طليطلة[21].

كما عرف المسلمون العقد المفصص والذي يتألف من سلسلة عقود صغيرة استخدم في قصر الأخيضر[22]، ثم أقبلت عليه البلاد المغربية بشكل كبير[23]، وكما نشاهده في المسجد الجامع في قرطبة وقصر الحمراء في غرناطة وغيرها. وكان الهدف من العقد هو الارتفاع بالسقف إلى أكبر حد ممكن حيث نجد انه قد وصلت ارتفاعات بعض العقود في مسجد ابن طولون[24] إلى ثمانية أمتار ورفع السقف إلى 10 أمتار فوق أرضية المسجد[25]، كما كان لهذه العقود فوائد أخرى في المسجد وهو إدخال الضياء والهواء إلى أكبر مساحة في المسجد إضافة إلى ذلك فإن للعقد الدور الأكبر في حمل السقف حيث إنه ثبت معماريا أن العقد اكثر تحملا للسقف من أي بناء آخر وحتى يتيح مجالا أكبر في توزيع مساحة المسجد واستطالته وسعة البلاطات لكي يستوعب أكبر عدد من المصلين، إلى جانب ضرورة العقد في عمل المداخل والنوافذ وتزينهما به، وتعمل منه أشكال الحنايا المعقودة أو العقود المتراجعة التي تضفي منظرا جماليا قل مثيله، إلى جانب ذلك فقد أبدع المعمار المسلم بتشكيل صنجات العقد بأشكال متعددة (شكل 6).

القباب:

من ضمن العناصر المعمارية التي عرفتها العمارة العربية قبل الإسلام في بعض أجزاء الوطن العربي القبة بينما أقبل المسلمون على بنائها في المساجد والأضرحة بشكل خاص وأصبحت من الخصائص المميزة للعمارة الإسلامية.

وتعتبر قبة الصخرة من أقدم نماذج القباب القائمة في العصر الإسلامي ثم توالت عمارة القبة في العصر الأموي وتبعه العصر العباسي حيث شوهد أنها تعلو مداخل أبواب السور الداخلي لمدينة بغداد (المدورة)[26]. وفي مصر الفاطمية كان للقباب أهمية كبرى وتمتاز القباب المتخلفة من آثار القاهرة الفاطمية، أنها أقيمت على مقرنصات معقودة والمقرنص المعقود هو نصف قبة يتصدرها عقد مقوس وقد استفاد البناءة العرب من تجارب الأمم السابقة في بناء القباب والمقرنصات ولكنهم طوروا عناصرها بما يتفق مع أساليبهم الإنشائية ومزاجهم الفني حتى أصبحت عنصرا مميزا من عناصر العمارة الإسلامية. وأقدم مثل

عربي معروف للمقرنصات المعقودة يظهر في قبة المحراب بمسجد القيروان التي بنيت سنة 221هـ[27] وأقدم القباب الفاطمية في القاهرة هي قبة مسجد الحاكم.

وقد تعددت أشكال القباب منها القبة المضلعة من الداخل، وأقدم مثل معروف لها في قصر الأخيضر، وأما المضلعة من الخارج والداخل فهي قبة المحراب في جامع القيروان[28].

ثم انتشرت القباب المضلعة بين المغرب ومصر حيث استعملت بكثرة في العصر الفاطمي مثل مسجد السيدة رقية[29] ثم تطورت القباب حتى وصلت إلى قمتها في العصر المملوكي، حيث غلب على أسلوب بنائها الحجر وكان إما على هيئة ملساء أو ذات ضلوع متلاصقة رفيعة أو ذات تكوينات زخرفية محفورة أو بارزة بروزاً خفيفاً بينما ظهر في العصر المملوكي نموذج القباب يميل إلى الشكل البصلي الوثيق الصلة بالقباب في فارس[30] وقد عم استعمال القباب الكبيرة في المباني الدينية والدنيوية فنشاهدها تعلو المساجد إما قباب صغيرة أو كبيرة كما في العصر العثماني، وكما نشاهدها تزين بلاطة المحراب وقبة البهو وتعلو المداخل تميزاً له، كما انتشرت انتشاراً كبيراً لتغطية المدارس بحيث اصبح لها قباب كبيرة يحيط بها قباب صغيرة فضلاً عن ذلك نجد أن الأضرحة غطيت بقباب حتى أصبحت علامة دالة لها ميزةً ومعرفة بها ومن خلالها يستدل على الضريح وبدونه ربما يخطئ المرء في نسبة الضريح من غيره كما أن القبة استعملت لتغطية المآذن بمختلف أشكالها من الكروية إلى المضلعة إلى أشكال الكمثرى وأشكال القلل. كما استخدمت القباب في تغطية الأفران حتى تتوزع الحرارة بشكل متناسب في معظم أجزاء الفرن.

وبهذا نخلص بالقول إلى أن القبة من العناصر المعمارية التي تعددت وظائفها ومميزاتها فتعمل على توزيع التيارات الهوائية داخل المبنى وكذلك توزيع صدى الصوت وتكبيره إلى جانب أنه يفتح نوافذ في رقبتها مما يساعد على إدخال الضوء، وبالإضافة إلى ما سبق فهي عنصر جمالي استطاع المعمار العربي أن يضفي عليها لمساته الفنية البديعة فقلما نشاهد قبة خلوةً من الزخرفة، فقد زينها بضروب شتى من الزخرفة كما غطاها بالبلاطات الخزفية المزينة بأنواع الزخرفة.

وقد عمد المعمار إلى بنائها بمختلف مواد البناء فنجد قباباً مبنية بالحجر والآجر والخشب ثم غطيت بصفائح المعدن. وهذا إنما ينم عن مدى مقدرة الفنان والمعمار العربي وفي جعل القبة صفحةً يخط بها تاريخ فنه في عصره، وتسجيل حياته الفنية إلى جانب أنه جعل من تسلسل القباب اعتمادها كتاريخ للعمارة.

## المحاريب:

يعتبر المحراب من أهم العناصر المعمارية بالنسبة للمسجد وذلك لأنه يحدد اتجاه القبلة وحتى يكون الإمام متوسط الصفوف ويفسح صفاً للمصلين كما وأنه يعمل على تكبير الصوت وتفخيمه.

وأما عن نشأته وتطوره فقد تطرق إليه الكثير من الباحثين[31] وأنه مشتق من حنية الكنائس أو أنه محور عن محاريبها فمحراب المسجد هو جوفه في حائط القبلة لا يتسع لغير راكع واحد وهو الإمام عند ركوعه وسجوده وجلوسه[32].

ونتيجة للضرورة التي احتاج لها المسلمون في المساجد عمل المحراب لكي يصبح المسجد أكثر اتساعا واستيعابا لأكبر عدد من المصلين. ولقد تطور شكل المحراب واصبح مقوسا واتخذ جوفه ذات شكل مستدير[33] بحيث تبرز عن السطح الخارجي لجدار القبلة وفيه يدخل الإمام ومن ثم يترك مجالا أوسع لصف كامل من صفوف المصلين. لان المصلين عند ما يقفون مؤتمين بعد الإمام يكونون في صفوف متوازية.وعندما كانت المساجد مستطيلة الشكل تقريبا فالصف يتسع لأكبر عدد ممكن إلى جانب أن عدد المصلين كثير وعدد المساجد في ذلك الوقت قليل فحدا بالمعمار المسلم أن يجعل المحراب حنية بارزة عن سمت الجدار الخارجي حتى يدخل الإمام فيها وبدخوله داخل الحنية يفسح مجالا لصف من المصلين.

ولذا يمكن أن نخلص بالقول أن وظيفة المحراب ربما كانت السبب في إيجاده وعمل تجويفه داخل جدار القبلة. إلى جانب وظيفته كعلامة دالة على اتجاه القبلة ومكان

وقوف الإمام حتى لا يشغل صفاً للمصلين. فضلا عن ذلك فان الحنية المجوفة تحدث صدى للصوت. بحيث تعمل على تكبيره مما يسمح للمصلين في الصفوف الأخيرة سماع صوت الإمام اثناء تأديته شعائر الصلاة.

إذا فوجود المحراب حتمته الضرورة ودعت إلى إيجاده الحاجة له الناشئة من وظيفته. وهو بذلك مخالف لحنية الكنيسة التي هي فناء كبير في صدر الكنيسة يتسع على الأقل لمنضدة توضع عليها معدات الشعائر والمراسيم وفضاء فسيح يسمح للقائم بالشعائر الدينية مثل الغدو والرواح فيه من غير عائق. ولذا فالاختلاف شديد بين وظيفة الحنية في المحراب في المسجد ووظيفة الحنية في الكنيسة.

المآذن:

هي المكان الذي يعلن من فوقه الأذان ولعل المئذنة هي أهم العناصر المعمارية التي تعطي للمسجد شخصيته المميزة ولم تكن المئذنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان بلال رضي الله عنه يؤذن من على سطح أحد البيوت المجاورة. ونجد أن المسلمين اتخذوا المآذن لأول مرة في دمشق حين أذنوا للصلاة من أبراج المعبد الذي أقيم عليه المسجد الأموي وهي على شكل برج مربع.

وقد تميزت المآذن بأنها أول ما تقع عليه عين الناظر إلى المدينة وذلك بسموها وارتفاعها (شكل 3) التي تدل على أماكن وجود المساجد في مختلف أحياء المدينة وتعكس قيمة البناء المادية ومدى الاهتمام بها .

ولذلك فالمئذنة تعتبر علامة دالة على المسجد إلى جانب أنها استخدمت لأغراض كثيرة منها التذكير والتسبيح في رمضان. كما استخدمت في أيام المعتضد بالله 279 - 289هـ. وسيلة للردع والضرب على يد من يسيئ إلى الناس ويتجاوز على حرمتهم بان يرفع الأذان من عليها في غير وقته، إضافة إلى نعي الموتى.

كما اعتمدت المئذنة لارتفاعها في رصد الأهلة لأن فيها مصالح للناس من حقوق لهم وواجبات عليهم من صوم وحج وزكاة. كما اعتمدت في بعض الأحيان كمنازل لإيواء الناس وممن أقام في المئذنة أبو حامد الغزالي في مئذنة جامع دمشق.

إلى جانب أن مدناً نعتت بأسماء المآذن كملوية سامرا وحدباء الموصل ومظفريه أربيل ومئذنة عانه ومنارة عدن.

وأما بالنسبة لمنارات الطرق فقد اتخذت كعلامة دالة على خط السير إلى جانب أن يأخذ المسافر قسطاً من الراحة فيها كظل وغيره إضافة إلى إيقاد النار لهداية السفن إلى سواحل البحار وعلى الثغور، وبذلك نخلص بالقول إلى أن المئذنة لم تعد قاصرة على وظيفتها الأذان وإنما تعدته كما سبق وأن أشرنا إليه، فضلا عن أنه من مميزات المئذنة لا تهدم ولا تبنى إلا بأوامر الخليفة، وكما أنه كان الاعتناء بها وزخرفتها حتى تظهر قوة الحاكم من عدمها وذلك من خلال المئذنة وبنائها وزخرفتها، وقد غلفت في بعض الفترات بالبلاطات الخزفية حتى تظهر ذوقاً وجمالاً فنياً يعكس مدى قوة اقتصاد تلك الفترة واستقرارها السياسي.

المنبر:

أصبح للمسجد أهمية كبرى فلا يعتمد على جدران تحيط به ولا سقف يظله وإنما أصبح له عناصر مهمة كالمحراب والمنبر، والمنبر أصبح إيجاده ضرورياً في المسجد لأن من عليه تلقى الخطب والوعظ والإرشاد ومن عليه تؤخذ البيعة ويجلس عليه الخليفة يوم تنصيبه والوالي يوم تعيينه، وفي موسم الحج يخطب من فوقه في مكة والمدينة فكان أول من خطب عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم حيث عمل له منبر من ثلاث درجات حيث وقف على الثانية وجلس على الثالثة. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقف قبل عمله على الأرض مستنداً على جذع النخلة الذي قيل انه بعد أن هجره الرسول صلى الله عليه وسلم سمع له حنين[34]. وقد كان سبب صنعه يرجع إلى زيادة عدد المصلين في المسجد وضرورة رؤيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وسماع خطبته فقد قيل له ألا نصنع لك شيئا تقوم عليه حتى يراك الناس وتسمعهم خطبتك[35].

فالقصد من الخطبة الإسماع الذي يتحقق باتخاذ موقع أعلى من المكان الذي يكون فيه السامع عادة، كما أن الخطبة تكون أوقع في النفس عند رؤية الخطيب وحركاته والتعبيرات التي ترتسم عليه وكما يروى أن النبي صلى

الله عليه وسلم كبر فوق المنبر، وقال إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم عند الخطبة يبدو عليه أحيانا الجهد والتعب أثناء إلقاء الخطبة[36]. ولم يوافق صلى الله عليه وسلم على اتخاذ المنبر حتى شاور ذوي الرأي من أصحابه وأقروا الفكرة وقد جاء في مسند ابن حنبل أن هذا المنبر كان ذا ثلاث درجات فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس على الثالثة ويضع قدميه على الثانية ثم آتى الخليفة أبو بكر(رضي الله عنه) فوضع قدميه على الأولى وجلس على الثانية وجاء عمر (رضي الله عنه) ووضع قدميه على الأرض وجلس على الأولى.

ولقد اتخذ عمرو ابن العاص منبراً في جامعه بالفسطاط فنهاه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكتب إليه " أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكفيك أن تكون واقفاً والمسلمون تحت عقبيك فعزمت عليك إلا ما كسرته"[37] على أن هذا التحفظ لم يدم طويلا فشاع المنبر في العصر الأموي و أشار ابن دقماق في كتابه إلى منبر كان في جامع عمرو بن العاص قبل سنة 93هـ.[38] لذا فكان اتخاذ المنبر ضرورة حتمية لأنه بعد أن توسعت المساجد اصبح من العسير مشاهدة الخطيب إلا أن يعتلي منبرا.

المقصورة:

هي ذلك البناء الذي يحتجز من المسجد حتى يجلس فيه الخليفة قبل تأدية الصلاة وأثنائها وقد قيل أن أول من اتخذها الخليفة الثالث عثمان بن عفان ولكن الأرجح أن الذي أحدثها هو معاوية بعد محاولة الاعتداء عليه واتخذها الخلفاء، وصارت على حد قول ابن خلدون "سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة، وإنما هي تحصل عند حصول الترف في الدول والاستعمال"[39].

الميضاءة والنافورة:

الميضاءة عنصر معماري استلزمته تعاليم وتقاليد الدين الإسلامي فمن المعروف أنه من أهم فرائض الإسلام على المسلمين ومن مستلزمات الصلاة الطهارة متمثلة في الوضوء، ولذلك كان لا بد من تزويد المساجد بالماء لأداء هذه الفريضة [40] وترجم ذلك بحوض الماء أو النافورة في وسط الصحن تستخدم لهذا الغرض وتضفي على المسجد والصحن جمالاً وجاذبية، وحرص المسلمون بناء على توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكون المياضي غير مستقبلة القبلة أو مستدبرتها حيث يقول في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم "إذا جلس أحدكم لقضاء حاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها "[41]. وقد كانت تزود هذه الأحواض بالماء عن طريق مد أنابيب أو قنوات كانت توضع في أحد أركان المسجد، إلا أنه لم يصل إلينا من بقايا تلك الأنواع. ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها عدم العناية بها والتجديدات[42] حيث بقي الأمر حتى القرن السابع الهجري حيث ابتدأت العناية بالميضاءة التي كانت توضع في صحن المسجد، ومنذ تلك الفترة اكتسبت أهمية معمارية وزخرفية وذلك عندما ازدادت عناية الأمراء والقواد بها[43].

وكان أقدم ميضاءة ونافورة أقيمت هي التي ذكرها المقريزي عند حديثه عن جامع ابن طولون بقوله "قبة مشبكة من جميع جوانبها وهي مذهبة على عشرة عمد رخام وستة عشر عمود رخام في جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قطعة رخام فسحتها أربعة أذرع في وسطها نافورة تفور بالماء"[44]. وربما أن النافورة استخدمت للزينة لا للوضوء، وقد احترقت النافورة سنة 265هـ/896م وبنيت أخرى عوضاً عنها في حكم العزيز بالله الفاطمي سنة 275هـ/995م.[45]

المزولة:

تعتبر من أهم الأساليب الفنية التي أدخلت على المسجد حيث تعمل على تحديد وقت دخول الصلوات وذلك عن طريق إشارات الظل التي تعكسها هذه المزولة، والتي هي عبارة عن عمود ينصب في صحن المسجد بارتفاع معين يصل إلى المتر، وهو يكون دليلا للمؤذن بدخول أوقات الصلاة وخاصة صلاتي الظهر والعصر، فنجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حدد دخول الصلوات فتدخل صلاة الظهر عندما تبدأ الشمس بالزوال والعصر عند ما يصير ظل كل شيء مثله وعند المغيب صلاة المغرب وبذلك كان المؤذن يعرف دخول الوقت من عدمه بواسطة ظل تلك المزولة.

ونجد أن المزولة وجدت في مسجد الجند الذي بني على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والذي بناه معاذ بن جبل (رضي الله عنه) عندما بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن مبشراً ومعلماً لأهلها ويدعوهم إلى الدخول في الدين الإسلامي.

الشرافات:

الشرفة أعلى الشيء، وهي ذلك البناء الذي يزين به أعلى المباني وبأشكال مختلفة، وهي ناحية معمارية جمالية، فقد زينت بها الأسوار واتخذت كطابع حربي بحيث يحتمي به المقاتل وتكون كمتراس يحميه من السهام ويسهل عليه الرمي من خلفها على المهاجمين، وإلى جانب ذلك اتخذت كعنصر زخرفي فنشاهدها تزين المعابد في العالم القديم والمساجد والمدارس في العصور الإسلامية كما زينت بها القصور، وقد وجدت أنواع منها ذات الشكل المسنن أو المتدرج تنتهي من الأعلى بدرجة واحدة أو على شكل الورقة الثلاثية، وشوهدت الشرافات في مسجد ابن طولون الذي وصفها احمد فكري بأنها كالأقزام[46]، وقد ارتبطت الشرفات بالمساجد ارتباطا وثيقا حتى سميت بعرائس السماء حيث نجدها تزين أعالي الجدران المطلة على الصحن وكذلك الجدران المطلة إلى الخارج. ولذلك فالشرفة ميزة معمارية وفنية تضفي على المبنى طابعاً جمالياً وخاصة عند ما تسقط الشمس وتمد ظلها وضوءها بتناسق بديع وجمال أخاذ.

العناصر الزخرفية:

تضم العناصر الزخرفية ضروباً شتى من الزخارف، وبما أن حديثنا عن الزخارف في المسجد فقد عمد المعمار إلى أن يقتصر في زخرفته على ثلاثة طرز زخرفية هي الزخارف النباتية والزخارف الهندسية والزخارف الكتابية.

- الزخارف النباتية:

لما جاء الإسلام وكانت حياة المسلمين تمتاز بالبساطة والبعد عن التعقيد وكانت أحوالهم غير مستقرة وذلك لما حملوه من راية الإسلام ونشره في بقاع الأرض فكان المسلمون منصرفين عن هذه الأعمال الفنية وبعد أن بدأ يترسخ الدين الجديد في قلوب الناس بدأت تظهر معه نوع من الحياة الفنية وجاءت بعض الأحاديث النبوية تنهى عن الأعمال الفنية وخاصة التصويرية منها لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام الذي جاء ليرفع الإنسان من براثن الشرك وعبادة الأوثان فكان أن نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن عمل الصور والتماثيل ويذكر ابن عباس بما معنى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم "قال المصورون أشد الناس عذابا يوم القيامة ويقال له انفخ فيه الروح وما هو بنافخ" وقد كان إلى جانبه صانع التماثيل فقال له ومن أين أعيش فأشار عليه بالطبيعة فنهل الفنان المسلم منها وأجاد فيها لأنه لا يوجد فيها ما يضاهي خلق الله.

وكان أول من وضع اللمسات الفنية في المساجد إذا صح لنا التعبير هو الخليفة عثمان بن عفان عندما جدد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة بالحجارة المنقوشة والقصة، والمشهود لعثمان بورعه وتقواه إلى جانب أنه لا نجد آية قرآنية تمنع الزخرفة بل هناك آيات تحبب فيها مثل قوله تعالى "قل من حرم زينة الله".

هذا ولقد قلد المسلمون الطبيعة تقليدا صادقا وأمينا فكانوا يستخدمون الفروع والورق لتكوين زخارف تمتاز بما فيها من تكرار وتقابل وتناظر ويبدو عليها مسحة هندسية جامدة تدل على سيادة مبدأ التجريد والرمز في الفنون الإسلامية، وأكثر الزخارف التي انتشرت في الفن الإسلامي هي زخرفة "الأرابسك"[47]. ولكن الحقيقة أن الأرابسك هي الزخارف المكونة من فروع نباتية وجذوع منثنية ومتشابكة ومتتابعة وفيها رسوم محورة عن الطبيعة Stylized ترمز إلى الوريقات والزهور وتسمى بالمت أو نصفها (المراوح النحيلة وأنصافها) وقد ظهرت زخارف الأرابسك في القرن الثالث الهجري في مدينة سامرا في الزخارف الجصية التي كانت تغطي أسافل الجدران وأفاريز الشبابيك والأبواب. كما يبدو على بعض الزخارف النباتية الإسلامية طابع هندسي لأن قوامها خطوط منحنية أو ملتفة تتصل بعضها ببعض وقد يكون بينهما ما يخرج منه فص أو فصان يراعى فيه مبدأ التناظر[48].

وقد كانت الزخارف النباتية الإسلامية ترسم بطريقة اصطلاحية محورة عن الطبيعة وقد حاول بعض العلماء أن

يفسروا ذلك بنفور المسلمين من تقليد الخالق سبحانه وتعالى وانصرافهم عن صدق تمثيل الطبيعة وفسرها آخرون بالبيئة المحيطة به التي تسود أغلب البلاد الإسلامية فلا تساعد على إظهار بدائع الطبيعة ونمو الزهور والنباتات واختلاف الفصول[49] وقد سبق وأن أشرنا إلى أن الفنان المسلم في بداية مشواره في الفنون اتجه إلى الطبيعة ومثلها بصدق وأمانة في فنه مما يدحض رأي بعض المفسرين لاتجاه الفنان المسلم إلى التحوير عن الطبيعة وإنما هو حب الفنان المسلم في التعبير والتجديد وهذا هو طبعه وديدنه في التطوير والابتكار في الفن والعمارة.

- الزخارف الهندسية:

عرفت الفنون السابقة على الإسلام ضروبا شتى من الرسوم ولكن هذه الرسوم لم تكن في تلك الفنون ذات شأن كبير وكانت تستخدم في الغالب كإطارات لغيرها من الزخارف، وفي الإسلام أضحت الرسوم الهندسية عنصراً أساسيا من عناصر الزخرفة[50]. فقد استخدم الفنان المسلم الزخارف الهندسية بكثرة منها المثلث والمربع والمعين والنجوم بأشكالها وأنواعها، والمشاهد أن الزخارف الهندسية أكثر ذيوعا في الطرز التي ازدهرت في مصر والشام منها في سائر الطرز الإسلامية الأخرى، وقد طبعت الفنون الإسلامية بطابع هذه الرسوم الهندسية [51] مما يجعل من الأشكال الهندسية نماذج فنية ذات منظر جمالي قل مثيله.

- الزخارف الكتابية:

للكتابة شأن عظيم في تاريخ الفنون الإسلامية إذ أننا نستطيع أن نتخذها أساسا وسبيلا لتاريخ العمائر الإسلامية والتحف، لأن لكل عصر ولكل إقليم في العالم الإسلامي أسلوبه في الخط وزخرفته فيستطيع ذوو الخبرة أن ينسبوا من خلال الكتابة العصر الذي بني فيه ذلك المبنى. فضلا عن ذلك فإن أشرطة الكتابة الزخرفية توجد تنوعا في الزخرفة وتبعد ما قد ينشأ من ملل بسبب سيادة عناصر زخرفية من نوع واحد سواء أكانت هندسية أم نباتية [52].

وكانت أنواع الخطوط تنسب إلى المدن مثل الكوفة والمدينة والأنبار والحيرة، والظاهر أن القوم في الكوفة عنوا عناية خاصة بتجويد الخط والإبداع في رسم الحروف الذي غلب عليه عندهم اليبوسة.

وانتشر الخط الكوفي في سائر أنحاء العالم واستعمل في كافة المجالات وسائر الكتابات التذكارية[53] إلا أنه لم يستمر حيث حل محله الخط النسخي. كما أننا نجد أن الكتابة بكل أنواعها تزين مداخل المساجد وعلى القباب وعلى الوزرات وأسافل السقف وعلى العوارض الخشبية التي تربط بين الأعمدة وأعلى النوافذ وكذلك تعمل كإطارات للمحاريب وتزين به ريشة المنبر وأعلى مدخله، ولذلك فاستعمالاته متنوعة وكثيرة، وبدأ ظهورها في المسجد عندما عني المسلمون بتزيينه بالكتابات.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث نود أن نشير إلى أن المسجد كان الملهم الأول للمعمار المسلم في ابتكار العناصر المعمارية والتخطيطية، ومن المسجد خرجت وتطورت جميع العناصر المعمارية على اعتبار أن المسجد هو المكان الذي تسابق إلى بنائه الخلفاء والولاة وأهل الخير وأنفقوا على بنائه الأموال الطائلة لإخراج المسجد بما يليق بهذا البناء الذي هو بيت الله في الأرض، وقد اعتبر البناة ورعاة العمارة والفنون عمارة المسجد قربات يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى، فكانوا يطلبون لبنائه أفضل المهرة من البنائين وأرباب الزخرفة.

ولقد سجلت لنا كتب التاريخ الكثير ممن قام بالبناء ومقدار ما أنفق من الأموال على بناء المساجد أو شراء الأراضي، فعلى سبيل المثال نجد أن الأزرقي في كتابه أخبار مكة يشير إلى أن الخلفاء العباسين اشتروا الأراضي المحيطة بالحرم المكي بمبالغ كبيرة فقد وصل سعر الذراع إلى (18) ديناراً ذهبياً، هذا بالإضافة إلى ما أنفق على البناء من الأموال فضلاً عن ذلك تشير المراجع التاريخية إلى جلب المواد من مختلف بقاع الأرض فمثلا فسيفساء الحرم المكي والمدني جلبت من الشام واليمن وكذلك نجد المنابر الرخامية التي قام الخلفاء العثمانيون بالأمر بعمل منابر رخامية في اسطنبول وإرسالها إلى المساجد والمدارس التي أمروا ببنائها في العالم العربي.

ولذا فقد صارت المساجد على مر العصور وحتى يومنا هذا تلقى اهتمام ولاة الأمور في كل زمان ومكان حتى صارت بعض المساجد سمات للولاة وسميت بأسمائهم فمثلا جامع عمرو بالفسطاط وجامع سيدي عقبة بن نافع بالقيروان وجامع المنصور ببغداد وجامع معاذ بن جبل في الجند وجامع الأشاعر في زبيد وجامع الظاهر بيبرس وجامع الصالح طلائع، ومن المدارس مدرسة السلطان حسن بالقاهرة والمدرسة الصالحية والمدرسة المستنصرية ومدرسة قلاوون والمدرسة المظفرية بتعز والمدرسة الأشرفية بتعز والمدرسة العامرية برداع والمدرسة البكيرية في صنعاء وغيرها.

ونتيجة لتسابق الولاة على بنائها جاء بناء المسجد معبرا عن مدى رعاية واهتمام الولاة والصالحين من أهل الخير في بنائها وأضحى المسجد مصنعاً يبتكر ويطور فيه المعمار المسلم العمارة الإسلامية وعناصرها المعمارية واصبح الميدان الفعلي لتطوير العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية.

ولذا تفنن البناؤون في بناء المسجد فأصبح لتخطيطه المكون من الصحن والظلات الأربع أثره البالغ في عمارة المساجد في جميع أنحاء العالم الإسلامي وهذا التخطيط يتناسب مع المناطق الحارة إذ يعمل التيار في صحن المسجد على تلطيف درجة الحرارة في ظلات المسجد وقد حذوا حذو هذا التخطيط حتى في المناطق الباردة التي عمل المعمار المسلم على سد فتحات البوائك المطلة على الصحن حتى تحجب التيار البارد من الوصول إلى أروقة المسجد وعمل فيها مداخل لمرور المصلين والتنقل من مكان لآخر وهذا التخطيط قد أثر بدوره على المنازل في المناطق الحارة كما هو الحال في بلاد الشام وفي العراق وبعض مناطق الجزيرة العربية وغيرها.

وكذلك كان للمداخل والنوافذ الأثر الكبير في تزيينها وإفرادها بأنواع شتى فجعل منها المداخل ذات الحجور المزدوجة المعقودة بالعقود المتنوعة وكذلك المداخل البارزة والتي عمل إلى جانبيها مكسلتين كما غطيت المداخل أحيانا بقباب وأيضا أحيانا أخرى يعلوها مآذن.

أما بالنسبة للنوافذ فقد تفنن المعمار المسلم في أن جعلها داخل حنايا تشبه المحاريب وأحيانا نوافذ داخل حنايا مصمتة غشيت بالستائر الجصية في معظم الأحيان.

أما الأعمدة والدعامات والتيجان فقد كانت للمعمار اليد الأولى في الابتكار والإبداع فقد عمد المعمار إلى عمل الأعمدة المربعة والمستطيلة والمستديرة وجعل يعلوها التيجان الناقوسية الشكل وذات الأشكال المتعددة، أما الدعامات فلم يجعلها سمجة وإنما زين أركانها بالأعمدة المندمجة المزينة بالزخارف ونقل ذلك إلى المنازل والقصور.

أما العقود فنجد أنه نتيجة لتخطيط المسجد ذي الأروقة جعل يعلو البائكات عقود متنوعة منها المدبب الذي انتشر بشكل كبير في أغلب العمارة الإسلامية في المدارس والمنازل والقصور لتعلو المداخل والنوافذ ومنها ما جعل على شكل حذوة الفرس ولقد انتشرت هذه العقود بشكل كبير في الأندلس، في قرطبة وغرناطة وغيرها مما يوحي للناظر إليها وكأنها غابة أعمدة وعقود ومنها العقود العاتقة والتي بدأت في المسجد لتعتق العتب والذي كان عليه النص التأسيسي لتحميه من الثقل الواقع عليه من البناء فوقه.

ومن العناصر المعمارية التي كان لها التأثير الكبير على العمارة الإسلامية هي القباب فقد انتشرت أنواعها في جميع المباني منها القباب النصف كروية والقباب المضلعة والبصلية الشكل التي غطيت بها ليس المساجد فحسب وإنما ملحقاتها والحمامات وبعض القصور لتغطية القاعات الرئيسية منها.

وأما أكثر العناصر المعمارية قدسية في المسجد فهو المحراب والذي يعتبر بحق قبلة الفنان المسلم ففيه سجل إبداعه الفني من كتابات وخاصة الآيات القرآنية التي تذكر الصلاة وسجل عليه النصوص التأسيسية وكذلك الزخارف النباتية ولم يترك المحراب كحنية وإنما جملها بالأعمدة المندمجة ذات التيجان والعقود وجعل طاقياتها على شكل الدروع.

ومن أهم العناصر المعمارية المآذن والتي تدل على وجود المسجد فكان لها الأثر الأكبر في أن أي غريب عن

المدينة يرى المئذنة فيذهب إلى بيت الله ليجد هناك من يدعوه إلى الطعام والاستضافة، وقد تعددت المآذن وأنواعها وكأنها أكف الضراعة تدعو الله وتسبحه.

ومن العناصر المهمة المنبر والذي كان للمسجد فضل تطوره حيث كان في بداية الأمر يتكون من ثلاث درج من الآجر والأحجار ثم أصبح من خشب وقد تطور كقطعة أثاث في المسجد حيث زين بشتى ضروب الزخرفة ثم عمل من الرخام والمزين بالزخارف الهندسية والكتابية النباتية.

ومن العناصر المعمارية المقاصير والمياضئ والنوافير والتي خرجت من المسجد لتؤثر في العمارة الإسلامية كالمدارس والمنازل والقصور.

أما الشرافات فكأنها ابتكرت بالمسجد وخاصة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة لتنتقل إلى أسوار المدن وأبراجها كستائر للمدافعين عنها من هجمات الأعداء إضافة إلى ذلك الرماية بالسهام من خلفها على من يريد الاقتراب من المدينة أو أبوابها.

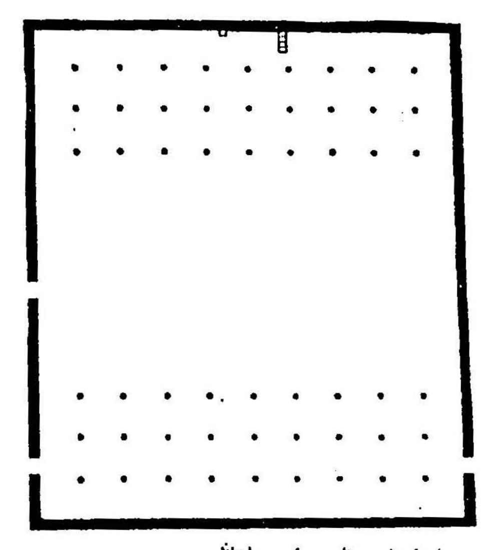
وفي النهاية كان للمسجد التأثير الواضح والكبير في الزخرفة الكتابية التي، إن صح القول، خرجت من المسجد لتنتشر في أي شيء يخطر على بال المسلم سواء في العمارة كنصوص تأسيسه وآيات قرآنية وأدعية وأحاديث وكذلك على التحف سواء المعدنية والخزفية أو الفخارية أو المنسوجات وغيرها وللمسلم لمساته الفنية من كتابية ونباتية وهندسية، هذا ويجمل بنا القول أن للمسجد التأثير الواضح في جميع مجالات الحياة من العمارة الدينية والمدنية والعسكرية.

وهذا غيض من فيض فاض به علينا المسجد لأن منه خرجت جيوش الإسلام لتعلن للعالم أجمع أن الدين الإسلامي منه تعلم الناس الروابط الأخوية كتعلمهم للصلاة في صفوف كأنهم بنيان مرصوص.

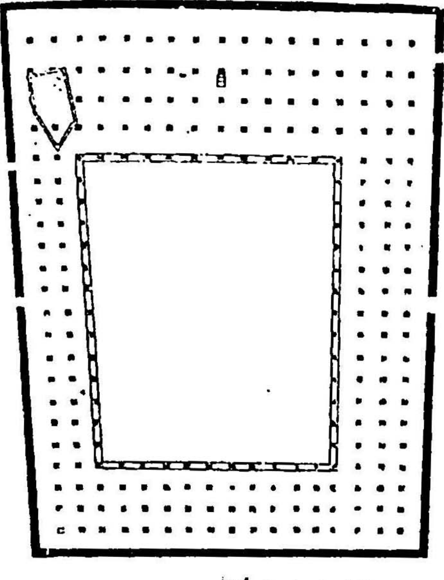
قائمة الهوامش:

1. فكري، احمد: المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف مصر 1961م. ابن سعد، الطبقات الكبرى جـ1 ص2 والمسجد الجامع بالقيروان لأحمد فكري ص46،ص168.
2. سورة النساء آية 103.
3. السمهودي، علي بن عبد الله، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، القاهرة 1909م، ص243.
4. ابن النجار، المدخل ط359، السمهودي ص234.
5. السمهودي، وفاء الوفاء ص258
6. سورة البقرة آية 144.
7. محمد، غازي رجب، المسجد الجامع في المدينة العربية الإسلامية ص2، بحث غير منشور.
8. محمد، غازي رجب ، نتيجة محادثة شفهية.
9. فكري، المدخل، ص315، أبو الفتوح، سيف النصر، مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة رسالة ماجستير غير منشورة 1975م، ص4،
10. حسن، زكي محمد، فنون الإسلام القاهرة 1948م، ص155.
11. سلمان، عيسى وآخرون، العمارات العربية في العراق ص69.
12. عن هذه المداخل أنظر أبو الفتوح، المرجع السابق، فكري، مساجد القاهرة ومدارسها جـ1،جـ2، ص66
13. للمزيد من المعلومات أنظر مساجد القاهرة ومدارسها لوح رقم 42.
14. أنظر النوافذ في العمارة العباسية في العراق رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة بغداد.
15. حسن، زكي المصدر السابق ص153,152، محمد غازي العمارة العربية الإسلامية في العراق ص24.
16. محمد، غازي العمارة العربية ص28.
17. محمد، غازي المصدر السابق ص146.
18. فكري، احمد المدخل ص120،
19. محمد، غازي المصدر السابق ص28.
20. فكري المسجد الجامع بالقيروان ص71.
21. حسن، زكي المصدر السابق ص151،87، غازي المصدر السابق ص28.
22. محمد، غازي المصدر السابق ص28.
23. حسن، زكي،المصدر السابق ص 151،غازي ص 28
24. حسن، زكي، المصدر السابق ص 150 فكري، المدخل ص 112
25. فكري، المصدر السابق،ص 112
26. غازي،المصدر السابق،ص6.
27. فكري،مساجد القاهرة ومدارسها جـ1، ص163.
28. فكري، المسجد الجامع بالقيروان ص87-90.
29. فكري مساجد القاهرة جـ1،ص109.
30. شافعي ، فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية جـ1، ص189.
31. أنظر عن ذلك شافعي، فريد، العمارة العربية الإسلامية ص5680، وما بعدها.
32. فكري المسجد الجامع بالقيروان ص54.
33. فكري نفسه ص59.
34. محمد، غازي، المسجد الجامع ، بحث غير منشور ص9.
35. محمد، المنبر، بحث غير منشور ص5.
36. محمد، غازي المسجد الجامع ص10.

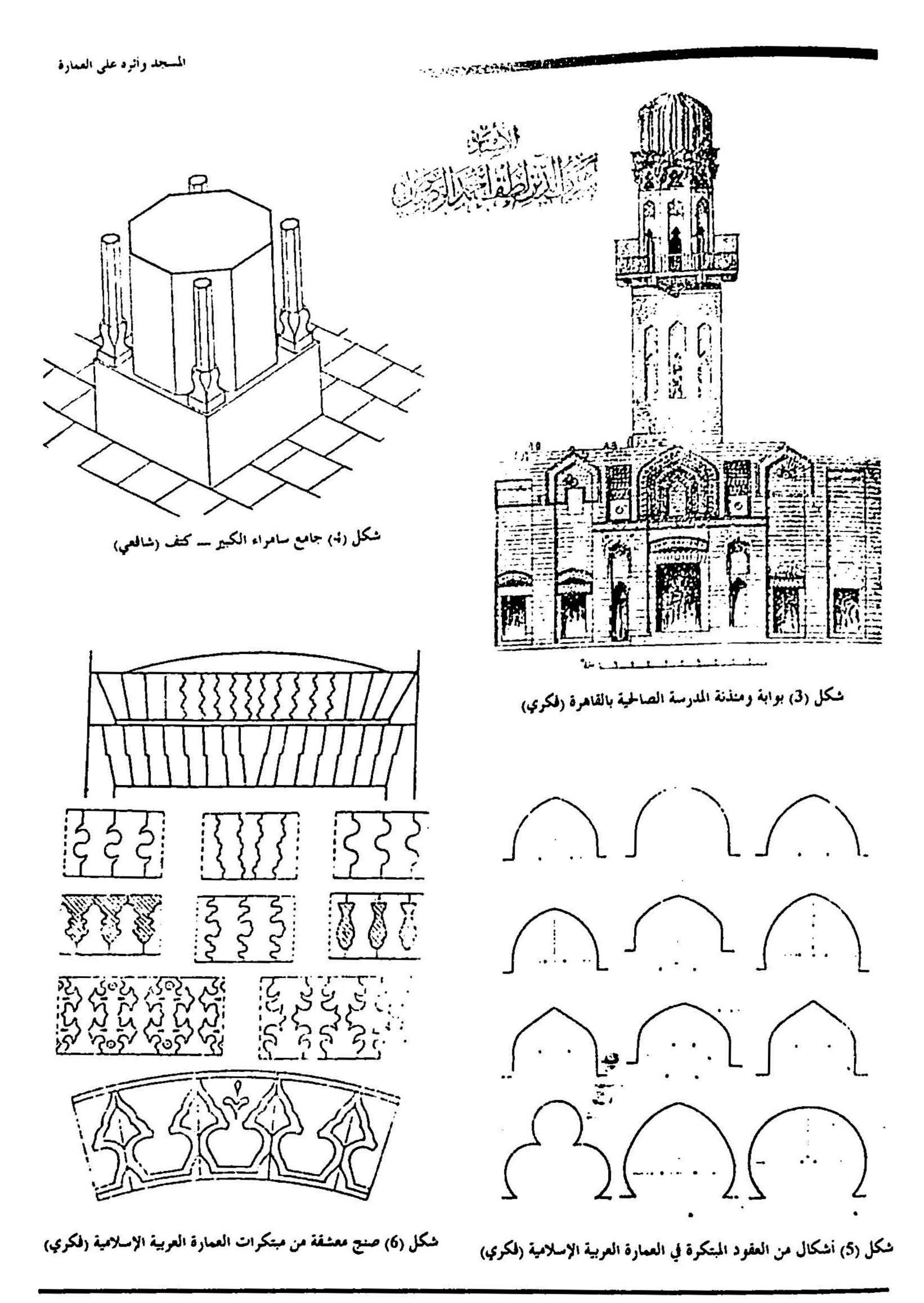
37. حسن،زكي، فنون الإسلام ص35.
38. ابن دقماق، انتصار عقد الأمصار جـ4، ص63.
39. غازي، المصدر السابق المسجد ص9.
40. شمس الدين ، فؤاد،العمارة الإسلامية مالها وما عليها، مجلة الفكر العربي،أغسطس ع 52 ص 521 .
41. غازي، المسجد الجامع،بحث غير منشور ص11.
42. شافعي ،فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية ص 259.
43. حسن، زكي فنون الإسلام ص 10 .
44. المقريزي، الخطط ص11 .
45. القلقشندي ،صبح الأعشى جـ2، ص225.
46. فكري المدخل ص 10.
47. حسن،في الفنون الإسلامية ص25.
48. حسن ،فنون الإسلام ص 251،250.
49. حسن المصدر نفسه ص 252.
50. حسن في الفنون الإسلامية ص 29، فنون الإسلام ص249.
51. حسن فنون الإسلام ،ص 249.
52. حسن المصدر نفسه ،ص 235 .
53. حسن المصدر نفسه ص 236.



شكل (1) تخطيط المسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ (فكري)



شكل (2) مخطط المسجد النبوي في عهد الوليد (فكري)



شكل (4) جامع سامراء الكبير ـــ كتف (شافعي)

شكل (3) بوابة ومئذنة المدرسة الصالحية بالقاهرة (فكري)

شكل (6) صنج معشقة من مبتكرات العمارة العربية الإسلامية (فكري)

شكل (5) أشكال من العقود المبتكرة في العمارة العربية الإسلامية (فكري)

# مسجد ومدرسة التكية بحيس

## دراسة أثرية معمارية

د. عبد الله عبد السلام الحداد*

مقدمة:

يتناول البحث دراسة لإحدى المدارس العثمانية بمدينة حيس[1] الوقعة على ضفاف وادي نخلة من سهل تهامة وعلى بعد 35كم جنوب زبيد (شكل1)، والمدينة رغم صغر حجمها إلا أنها تضم عشرات المباني الأثرية من مساجد ومدارس وقلاع وأسبلة وأسواق تجارية تعود معظمها إلى العصور الرسولية والطاهرية والعثمانية، حيث تضم حوالي 19 مسجدا وهي: الجامع الكبير، مسجد ابن أبي الخل، مسجد الكسلة، مسجد الجباري، مسجد الخامري، مسجد الموفى الأعلى، مسجد الموفى الأسفل، مسجد الهنود، مسجد السيد جعفر، مسجد الطاوسي، مسجد عبد القادر الجيلاني، مسجد الدحن، مسجد ابن علي، مسجد الدقاق مسجد البخاري (الحضرمي)، مسجد عطا، مسجد الخماشي، مسجد عسيس، مسجد ركيز، كما تضم ست مدارس هي: مدرسة الإسكندرية، مدرسة المعجار، المدرسة الياقوتية، مدرسة الهتاري، مسجد ومدرسة التكية، مدرسة المشهور.

ونتناول في هذه الدراسة إحدى منشآت العصر العثماني التي جمعت بين ثلاث وظائف، وهي مسجد ومدرسة التكية على أمل أن نتناول بقية المدارس والمساجد في دراسات قادمة إنشاء الله.

الموقع:

يقع مسجد ومدرسة التكية[2] وسط ربع الحضرمي وهو الحي الشمالي لمدينة حيس[3]، يحد المسجد من الجنوب شارع ضيق يفصل بينه وبين محكمة حيس ويحده من الشرق شارع أيضا ويحده من الجهتين الشمالية والغربية منازل ملاصقة له.

التسمية:

يعرف هذا المسجد حاليا باسم "مسجد التكية"، لذلك من المرجح أنه يمثل المسجد الخاص أو المصلى الخاص بمبنى التكية الذي ربما كان يحيط بالمسجد أو يقع بجواره أو يحتل الجزء الشرقي من الفناء والذي ربما تهدم مع مرور الزمن واختفت آثاره، ويدلنا الاسم على أن هذه المنشأة كانت تقوم بثلاث وظائف: أولاها أداء الصلوات الخمس في الدر قاعة[4] التي تتوسط الإيوانين[5]، والثانية سكن للصوفية المرتبين فيها والذين كانوا ينامون في الخلاوي أو حجرات التكية والتي لم يعد لها وجود حاليا، والوظيفة الثالثة: تعليم الصوفية أصول طريقتهم وعلومها وتتم الدراسة في الإيوانين الجانبيين.

* أستاذ العمارة الإسلامية المساعد قسم الآثار – جامعة صنعاء

تاريخ البناء:

هذا المسجد من المساجد المجهولة التاريخ[6] ولكن من المرجح أن تاريخ بنائه يرجع - من خلال العناصر المعمارية - إلى العصر العثماني في اليمن، حيث إن التكية كمنشأة معمارية لم تظهر في العالم الإسلامي إلا في العصر العثماني كبديل للخانقاة والرباط[7].

الوصف المعماري: (شكل 2)

يتكون مسجد التكية من مساحة غير منتظمة طولها من الشمال إلى الجنوب "24م" وعرضها من الشرق إلى الغرب "16.5م" في أقل اتساع لها عند الضلع الشمالي، و"20م" في أقصى اتساع لها عند الضلع الجنوبي، تضم فناء كبيرا مكشوفا ومسجدا صغيرا وميضاءة ومئذنة.

الفناء:

يحيط بالمسجد فناء مكشوف بنيت جدرانه بقوالب الآجر بسمك "40سم" الجدار الشرقي طوله "24م" وارتفاعه "1.55م" يفتح في منتصفه تقريبا المدخل الرئيسي والوحيد للمنشأة باتساع "70سم" وارتفاع "1.70م" يغلق عليها مصراعا باب من الخشب، والجدار الجنوبي مصمت لا فتحات فيه طوله "20م" وارتفاعه "1.7م" والجدار الغربي طوله "24م" وارتفاعه "1.80م" وهو ملاصق للمنازل المجاورة يتخلل هذا الجدار أربعة انكسارات حيث يمتد الجدار من الجنوب بشكل مستقيم بطول "12م" ينكسر بعدها نحو الشرق بطول "4م" ثم ينكسر مرة أخرى نحو الشمال بطول "9م" ينكسر بعدها للمرة الثالثة نحو الغرب بطول "1.90م" ثم يعود الجدار إلى استقامته باتجاه الشمال لمسافة "3م" مكونا الجدار الغربي لخزان المياه والمئذنة وأما الجدار الشمالي للفناء فيمتد بطول "16.5م" وارتفاع "1.60م" وهو ملاصق للمنازل المجاورة أيضا.

المسجد: (شكل 3)

يتكون من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول "7.75م" ومن الشمال إلى الجنوب بعرض "5.5م" يطل بواجهاته الأربع على الفناء المحيط به، وقد بنيت جدران المسجد بواسطة قوالب الآجر المحروق بسمك "75سم" وارتفاع "3م" وكسيت بطبقة من ملاط النورة[8]، يتوسط الواجهة الجنوبية دخلة مستطيلة ذات عقد منكسر مفصص ارتفاعها "2.50م" واتساعها "1.50م"، يشغل الجزء الأسفل منها مدخل ارتفاعه "2م" يغلق عليه باب من الخشب ذو مصراعين. ويعلو فتحة المدخل جدار من الآجر يملأ المساحة أسفل العقد يتوسطه فتحة شباك مستطيلة ينفذ من خلالها الضوء الخافت إلى داخل الدار قاعة عندما يكون الباب مغلقا.

أما الواجهة الشمالية للمسجد فتمثل واجهة الدار قاعة والإيوانين الجانبيين الشرقي الغربي وهي واجهة مصمته خالية من الفتحات. يشغل منتصفها ومنتصف واجهة الدار قاعة كتلة المحراب على هيئة كتف بارز عن الواجهة بحوالي "45سم" وعرض "1.20م"، وأما الواجهتان الشرقية والغربية للمسجد فتمثل واجهتي الإيوانين الشرقي والغربي، يشغل الطرف الجنوبي لكل منهما فتحة شباك معقودة ارتفاعها "1.10م" واتساعها "90سم" يغلق عليها مصراعا شباك من الخشب.

وفي الركن الشمالي الشرقي من المسجد جدار يمثل امتدادا للواجهة الشمالية بطول "7.35م" وارتفاع "1.45م" وسمك "55سم" يتوسطه محراب مجوف اتساعه "1.08م" وعمقه "55سم" وإلى الشرق من المحراب خزانة كتب صغيرة، كما يوجد في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد جزء من جدار على هيئة كتف يتجه نحو الجنوب وكأنه امتداد للواجهة الشرقية طوله "18سم" وارتفاعه "1.45م" وسمكه "55سم" ومن الملاحظ أن أرضية الفناء المحصور بين الجدارين المذكورين أكثر ارتفاعا من أرضية المسجد وباقي أرضية الفناء، مما قد يدلنا على أن هذا الجدار ذا المحراب كان يستخدم كمصلى صيفي نظرا لشدة حرارة الصيف مما يصعب معها الصلاة داخل أماكن مغلقة.

أما من الداخل فإن المسجد يتكون من مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول "6.25م" وعرض "3.50م" قسمت إلى در قاعة مغطاة بقبة يكتنفها من الشرق والغرب إيوانان يغطي كلا منهما قبو مدبب[9].

الدر قاعة:

تتكون من مساحة مربعة أبعادها "3.50×3.50م" يتوسط الجدار الشمالي منها دخلة محراب معقودة ارتفاعها "1.85م" في صدرها حنية مجوفة نصف دائرية ارتفاعها "1.60 م" واتساعها "1م" وعمقها "55سم" (شكل 4) خالية من أي زخارف ويكتنف المحراب خزانتي كتب مستطيلتين متماثلتان أبعاد كل منهما "30×30×50سم" كما يشغل الجدار الجنوبي – على جانبي المدخل المحوري على المحراب – خزانتا كتب مماثلتا للخزانتين المجاورتين للمحراب.

ويغطي الدر قاعة قبة مدببة ارتفاعها عن الأرض "5.25م" (شكل 3) كسيت من الداخل والخارج بطبقة من ملاط النورة تنتهي القبة في الخارج بعمود الآجر، وتستند القبة من الداخل على رقبة دائرة محمولة على مثمن يبرز عن السطح بحوالي "20سم"، يرتكز المثمن على أربع مناطق انتقال بكل منها تسع حطات من المقرنصات المزدوجة المخروطية منها والدالية، الجزء الأسفل منها مكون من ست حطات من المقرنصات المخروطية تبدأ في الأسفل بمكعب واحد من الآجر يعلوه مكعبان فثلاثة.. حتى تصل إلى الصف السادس إلى ستة مكعبات، والجزء الأعلى من منطقة الانتقال مكون من ثلاثة صفوف من المقرنصات الدالية الشبيهة بأسنان المنشار (شكل5).

الإيوانان: (شكل 2، 6)

يكتنف الدر قاعة من الشرق والغرب إيوانان يطلان على الدر قاعة بعقدين مدببين ارتفاع كل منهما "2.60م" واتساعه "3.30م" وكل إيوان منهما مكون من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول "3.30م" وهو بذلك أقل اتساعا من الدر قاعة لأن سمك جدران الإيوان تزيد عن سمك جدران الدر قاعة بحوالي "10سم" أما عمق كل من الإيوانين فيبلغ "1.37م" وكل إيوان منهما مغطى بقبو مدبب مبني من الآجر، ويشغل كل من الجدارين الشرقي والغربي للإيوانين خزانة كتب أبعادها "45×75×95سم" وإلى الجنوب من خزانة الكتب شباك اتساعه "90سم" وارتفاعه "1.15م" مغشى بستارة جصية مخرمة.

الميضاءة:

يشغل الجزء الشمالي الغربي من الفناء ميضاءة مكونة من خزان مياه مربع الشكل ملاصق للركن الشمالي الغربي من الفناء أبعاده "190×190م" الجزء الأسفل من الخزان محفور في الأرض بعمق"50سم" والجزء الأعلى بارز فوق السطح بارتفاع "1.55م" بنيت جدرانه بقوالب من الآجر بسمك "30سم" وكسيت من الداخل والخارج بطبقة من القضاض[10] ويغطي الخزان قبو مدبب من الداخل مسطح من الخارج، وفي الضلع الشرقي من الخزان فتحة مقعودة "47×63سم" مخصصة لاستخراج المياه من الخزان، ويجاور الخزان من الجهة الشرقية مساحة مستطيلة مكشوفة وملاصقة للجدار الشمالي من الفناء طولها "5م" وعرضها "3.25م" مكونة من ممر أوسط يكتنفه من الجانبين خمسة حمامات بنيت جدرانها على هيئة زوايا قائمة.

المئذنة: (شكل 7)

تقع المئذنة فوق كتلة خزان المياه الذي يعد بمثابة القاعدة المربعة للمئذنة المكونة من بدن مثمن الشكل مغطى بقبة نصف كروية ارتفاعها "50سم"، ارتفاع البدن "1.85م" وعرض كل ضلع من أضلاعه "80سم" بني بقوالب الآجر بسمك "27سم" وكسي من الداخل والخارج بملاط النورة، يغطي البدن المثمن قبة نصف كروية ارتفاعها "50سم" ويتم الوصول إلى المئذنة عبر سلم صاعد مكون من خمس درجات موازية للجدار الشمالي من الخزان تنتهي عند مدخل المئذنة المكون من فتحة معقودة اتساعها "45سم" وارتفاعها "1.55م"، يفضي المدخل إلى داخل تجويف البدن المثمن حيث يقف المؤذن لرفع الأذان، ولكي يتوزع الصوت على مختلف الاتجاهات فتح المعمار في الأضلاع الشمالية والشرقية والغربية من المثمن ثلاث فتحات أبعاد كل منها "40×60 سم" متوجة بعقد منكسر.

الدراسة التحليلية والنتائج:

من خلال اسم المسجد "مسجد التكية" نستنتج ما يلي:

• أن المدرسة تعود إلى فترة الحكم العثماني الأول لليمن 945-1045هـ/1538-1635م، حيث إن التكية كمنشأة واسم لم تظهر في العمارة الإسلامية إلا في العصر العثماني.

• نستدل من التسمية أن المنشأة كانت تؤدي وظائف ثلاث: الأولى الصلاة في المسجد الخاص بها والذي مازال قائما حتى الآن، والثانية: الدراسة والتي كانت تتم في الإيوانين الجانبيين، والوظيفة الثالثة ارتفاق الصوفية المرتبين في التكية والذين من المحتمل أنهم كانوا يقيمون في خلاوي خاصة تحيط بالفناء أو تحتل جزءاً منه أو تقع في مبنى خاص مجاور للمدرسة.

• ضمت المدرسة عناصر معمارية متنوعة جعلتها متميزة عن غيرها رغم صغر حجمها، وتتمثل هذه العناصر فيما يلي:

– تخطيط المسجد المكون من در قاعة وإيوانين وجد قبل ذلك في عصر الدولة الطاهرية 858-923هـ/1454-1517م كما في المدرسة الإسكندرية بحيس (شكل 8) والتي كانت تعرف باسم المدرسة المجاهدية نسبة إلى منشئها السلطان المجاهد علي بن طاهر 864-883هـ/1460-1478م[11]، وعلى شاكلتها بنيت المدرسة الوهابية بزبيد[12]، وغيرها من المساجد والمدارس التي بنيت في العصر العثماني ومنها: مسجد الخماشي، ومسجد عسيس[13]، مما يعني تأثر مدرسة التكية بالمنشآت السابقة لها من العصر الطاهري.

– القبو المدبب الذي يغطي كلا من إيواني المسجد وجد قبل ذلك في العمارة الرسولية والطاهرية، حيث تعد أقباء الجامع الكبير بحيس أقدم الأقباء التي مازالت باقية حتى الآن. مما يعني تأثر أقباء مسجد التكية بأقباء الجامع الكبير بحيس.

– مناطق انتقال القبة التي تغطي الدر قاعة مزدوجة الشكل، الجزء الأسفل منها من النوع المعروف باسم المقرنصات المخروطية وتتكون من ست حطات على هيئة مكعبات بارزة تبدأ في الأسفل بمكعب واحد ثم تزداد في كل حطة من الحطات الست. ويليها ثلاث حطات من المقرنصات الدالية الشبيهة بأسنان المنشار، وهذا النوع من المقرنصات وجد قبل ذلك ولأول مرة في المدرسة الدعاسية بزبيد 665هـ/ 1267م[14]، في مسجد ابن أبي الخل 690-718هـ/1291-1318م، ومسجد المدرسة الياقوتية بحيس (قبل 842هـ/1438م)[15] والمدرسة المنصورية بجبن887هـ /1482م[16] (شكل 9)، وفي معظم مساجد ومدارس حيس وزبيد خاصة وتهامة عامة (شكل 10)، وهذا يدلنا على استمرار استخدام الأساليب الرسولية والطاهرية في العمارة العثمانية في اليمن.

– المئذنة المثمنة المقامة على قاعدة مربعة وجدت في الجامع الكبير 682هـ / 1283م (شكل 11) ومسجد الخامري ومسجد البخاري بحيس لكن المآذن المذكورة مقامة على كتلة المداخل، في حين أن مئذنة التكية مقامة على خزان المياه مثلها في ذلك مثل مئذنة مدرسة الهتاري بحيس وإن كانت الأخيرة من طراز المآذن المنبرية[17]، وهذا يدلنا على أن المعمار في مدينة حيس كان يستغل أي كتلة مرتفعة لبناء المئذنة عليها توفيرا للمال سواء أكانت تلك الكتلة مدخلا أم خزانا للمياه أم محرابا، وبشرط أن يكون موقعها في الجهة القريبة من المنازل المجاورة.

الهوامش

1. حيس: بفتح الحاء وسكون الياء المثناة من تحت ثم سين مهملة مدينة في تهامة تنسب إلى الحيس بن ذي رعين، وقيل الحيس بن يريم بن ذي رعين بن كريب بن نعامة بن شرحبيل الحميري، وقد ورد أول ذكر لها في المصادر عند الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" (انظر)، الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الثالثة، 1983م،ص204، الحميري، نشوان بن سعيد، منتخبات في أخبار اليمن (من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)، تحقيق: عظيم الدين أحمد، وزارة الإعلام والثقافة صنعاء، الطبعة الثانية، 1981م، ص30. إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة صنعاء، 1985م، ص203.

2. التكية نوع من العمائر الدينية والاجتماعية ظهر في العصر العثماني، وكانت مخصصة لإقامة دراويش الصوفية، ثم خصصت لتكسالى من الناس والذين عرفوا باسم "تنابلة السلطان" وهم الذين وفدوا إلى البلاد وأقاموا فيها بدون عمل حيث تم تسكينهم في التكايا، وتخطيط التكية يشبه تخطيط الرباط والوكالة والخان (انظر)، فريد محمود شافعي (د)، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها،

جامعة الملك سعود بالرياض، 1982م، ص143، مصطفى عبد الله شيحة (د)، الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى 1992م، ص21.

3. تتكون مدينة حيس من أربعة أحياء يعرف كل منها باسم ربع وهي: ربع السوق ويحتل وسط المدينة وشرقها، ربع الثلث ويحتل الجزء الجنوبي من المدينة، ربع الحضرمي ويحتل الجزء الشمالي من المدينة، ربع المحل ويقع في الجهة الغربية من المدينة.

4. در قاعة: لفظ مركب من مقطعين: در باللغة الفارسية ويعني باب، وقاعة باللغة العربية، واللفظان معا يدلان على الجزء الذي يتوسط القاعة أو المسجد أو المدرسة وتكون أرضيته في الغالب منخفضة عن أرضية الأواوين، (انظر)، محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ص50.

5. الإيوان: كلمة فارسية معربة مأخوذة من "إيفان" وتعني لغويا قاعة العرش ومنه إيوان كسرى، ويتكون الإيوان من مساحة مربعة أو مستطيلة الشكل ذات ثلاثة حوائط من ثلاث جهات أما الجهة الرابعة فمفتوحة، ويغطى الإيوان في الغالب بقبو، (انظر)، محمد أمين، المصطلحات، ص17.

6. ذكر لي شفاها مؤرخ حيس عبد الرحمن بعكر أن منشئ هذا المسجد والتكية هو الفقيه حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري الذي ولد سنة 833هـ وتوفي سنة 926هـ، وقد بحثت في ترجمته للمذكور في كتابه كواكب يمانية في سماء الإسلام، وكذلك في العديد من الكتب التي ترجمت لحمزة المذكور ومنها، البدر الطالع للشوكاني، النور السافر للعيدروس، وغيرها فلم أجد ولو إشارة واحدة إلى قيامه ببناء المسجد المذكور أو أي مسجد آخر في حيس وغيرها.

7. سعاد ماهر محمد (د)، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج5، نشر وزارة الأوقاف المصرية -المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،1983م، ص48-49.

8. تتكون النورة من مادة كلسية تشبه الجص تعرف باسم الخرشاب أو الكلس أو الجير الحي (انظر)، مطهر الإرياني وآخرون، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية صنعاء، الطبعة الأولى، 1992م، مادة القضاض، ص770-772.

9. القبو: من وسائل التغطية التي انتشرت في العمارة الساسانية كما في طاق كسرى، وانتشر استخدامها في العصر الإسلامي منذ العصر الأموي كما في قصور المشتى والطوبة وحمام الصرخ والأخيضر، وفي العديد من المنشآت الدينية ومنها الجامع الاموي بدمشق، والمسجد الأقصى بالقدس، ثم انتقلت إلى مصر في العصر الفاطمي كما في مسجد الجيوشي، ووجدت أيضا في المغرب الإسلامي كما في جامع سوسة، أما في اليمن فلم تستخدم الأقباء في تغطيات المنشآت المعمارية طوال القرون الخمسة الأولى من العصر الإسلامي، لذلك من المحتمل أن هذا النوع من التغطيات دخل إلى اليمن مع الأيوبيين 569-626هـ/1174-1229م، حيث استخدمه الأيوبيون في عمائرهم بمصر كما في ممرات أبراج سور القاهرة وقلعة الجبل، وفي مدارس السادات الثعالبة والكاملية والصالحية، حيث يرجع استخدام القبو في العمارة اليمنية إلى عهد الأتابك سنقر الأيوبي 598-608هـ-1211م إذ يذكر ابن الديبع أن المدرسة التي بناها الأتابك سنقر في زبيد والمعروفة باسم مدرسة ابن دحمان - نسبة إلى مدرسها - كانت ذات أواوين، وكذلك الحال بالنسبة للمدرسة المنصورية بعدن التي بناها مؤسس الدولة الرسولية المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول 626-647هـ/1229-1249م، ويعد الجامع الكبير بمدينة حيس 682هـ/1283م أقدم اثر رسولي باق حتى الآن على حالته الأصلية استخدمت فيه الأقباء في التغطيات، وفي الوقت نفسه يعد الأثر الرسولي الوحيد الذي استخدمت الأقباء في تغطية جميع وحداته المعمارية، في حين استخدمت القباب كعنصر رئيسي في بقية المنشآت الرسولية، واستخدمت الأقباء كعنصر ثانوي في تغطية بعض الوحدات المعمارية،كما في مصلى المدرسة الفاتنية بزبيد (قبل 768هـ/1367م) وفي خانقاة المدرستين المعتبية قبل 796هـ /1394م والأشرفية 800هـ/1398م بتعز، (انظر)، عبد الله الحداد، مدينة حيس، ص275-276.

10. القضاض: خليط من النورة والماء والنيس أو الحصا الصغيرة، ويتم خلطه بطريقة معينة تستمر لعدة أيام ثم تكسى بها الجدران أو الأرضيات وتطرق لعدة ساعات حتى لا تترك أي فراغات تتخللها، ثم تدلك بأدوات خاصة تطلى بعدها بطبقة رقيقة من الشحم لمنع تسرب المياه مع استمرار التدليك حتى يصبح السطح ناعما جدا، وقد عرف القضاض منذ عمارة ما قبل الإسلام في اليمن وكان يستخدم خاصة في المنشآت المائية كما في عمارة سد مارب والعديد من السدود الصغيرة البرك وخزانات المياه نظرا لما يتميز به من خاصية منع تسرب المياه والصلابة الشديدة، وهذه المادة تشبه مادة الخافقي المعروفة في مصر والذي يتكون من الجير والحمرة وإسراميل تخلط وتعجن وتترك لتختمر ثم تكسى بها الأسطح وأحواض المياه لأنها عازلة للرطوبة،(انظر)، مطهر الإرياني، القضاض، ص770، محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص39.

11. جددها الوالي المملوكي اسكندر موز في فترة حكمه 937-973هـ فنسبت إليه.

12. بناها السلطان الطاهري المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر سنة 887هـ/1460م.

13. عبد الله الحداد، مدينة حيس اليمنية، ص238، 231.

14. محمد سيف النصر أبو الفتوح (د)، المدرسة الدعاسية بمدينة زبيد. مجلة كلية الآداب قنا، العدد الثاني، 1992م ص86.

15. عبد الله الحداد، مدينة حيس، ص274.

16. إبراهيم أحمد المطاع، المدرسة المنصورية بمدينة جبن باليمن، دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1994م، ص193.

17. عبد الله الحداد، مدينة حيس اليمنية، ص256-258.

## المراجع:


1. إبراهيم أحمد المطاع، المدرسة المنصورية بمدينة جبن باليمن، دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1994م.

2. إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة صنعاء، 1985م.

3. الحميري، نشوان بن سعيد، منتخبات في أخبار اليمن (من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق عظيم الدين أحمد، وزارة الإعلام والثقافة صنعاء، الطبعة الثانية، 1981م.

4. سعاد ماهر محمد (د)، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج5، نشر وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1983م

5. عبد الله عبد السلام الحداد، مدينة حيس اليمنية، تاريخها وآثارها الدينية، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى 1999م

6. فريد محمود شافعي (د)، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جامعة الملك سعود بالرياض، 1982م

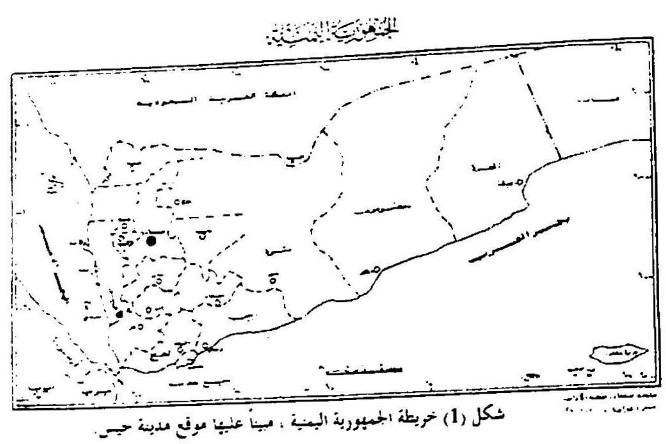
7. محمد سيف النصر أبو الفتوح (د)، المدرسة الدعاسية بمدينة زبيد، مجلة كلية الآداب قنا، جامعة أسيوط، العدد الثاني، 1992م

8. محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، دون تاريخ

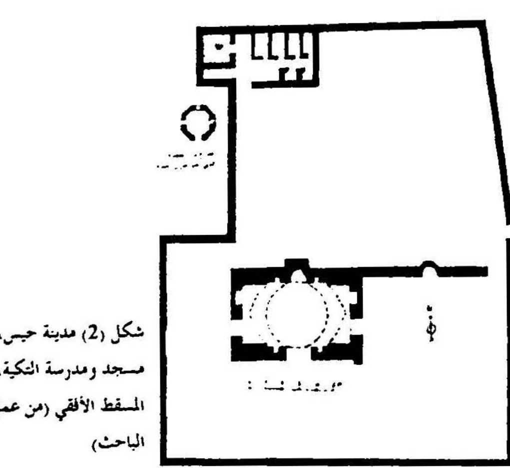
9. مصطفى عبد الله شيحة (د)، الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى 1992م.

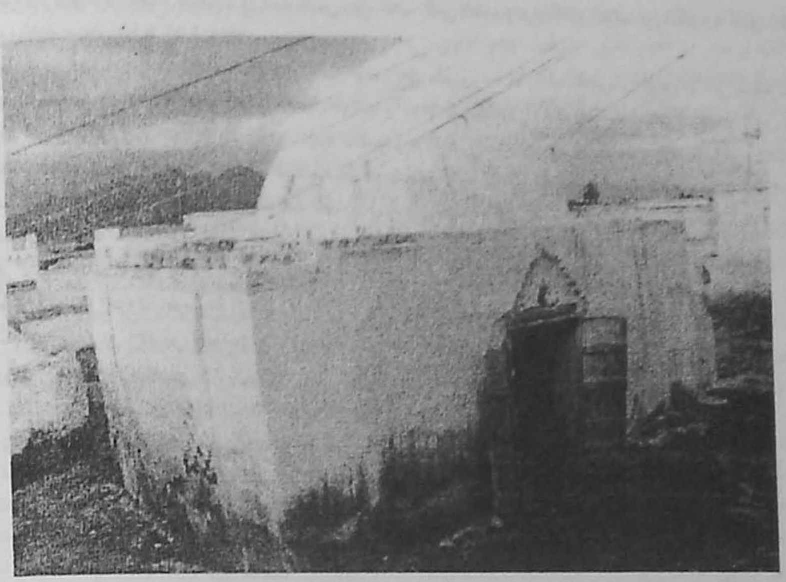
10. مطهر الإرياني وآخرون، الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية صنعاء، الطبعة الأولى، 1992م.

11. الهمداني الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، الطبعة الثالثة، 1983م.

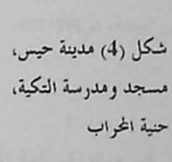
شكل (1) خريطة الجمهورية اليمنية ، مبيناً عليها موقع مدينة حيس.


شكل (2) مدينة حيس، مسجد ومدرسة التكية، المسقط الأفقي (من عمل الباحث)

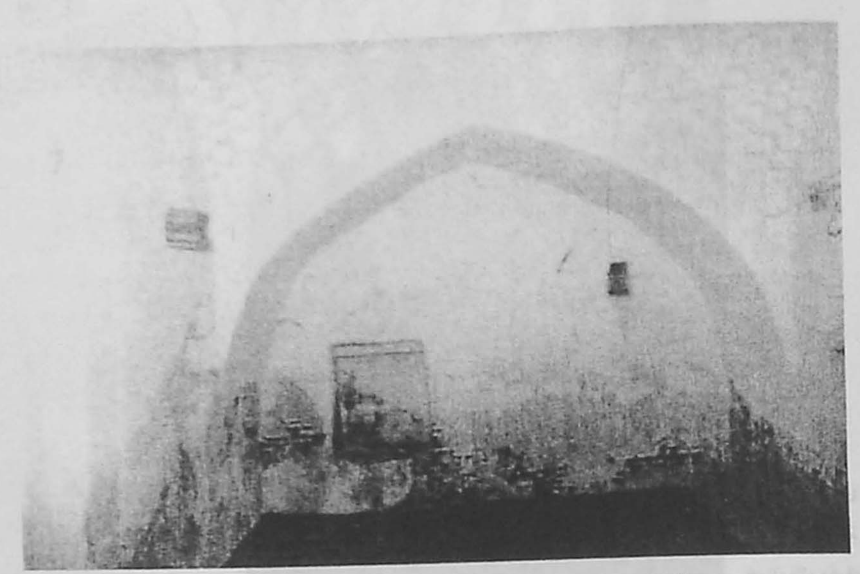


شكل (3) مدينة حيس، مسجد ومدرسة التكية، منظر عام لمسجد التكية والقبة التي تغطي الدار قاعة.

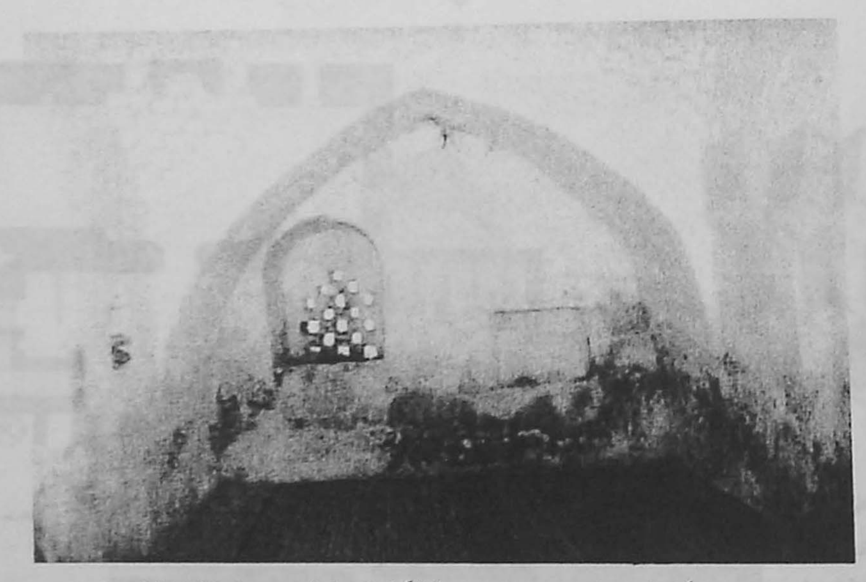




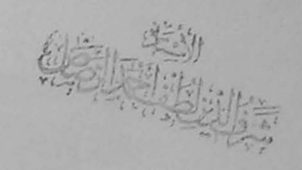
شكل (4) مدينة حيس، مسجد ومدرسة التكية، حنية المحراب



شكل (5) مدينة حيس، مسجد ومدرسة التكية، الإيوان الشرقي ومناطق انتقال القبة.

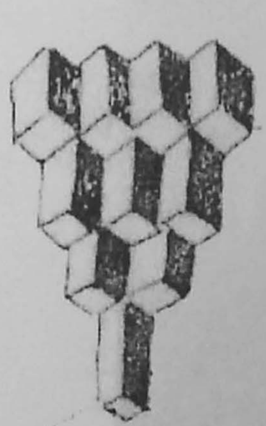


شكل (6) مدينة حيس، مسجد ومدرسة التكية، الإيوان الغربي ومناطق انتقال القبة.

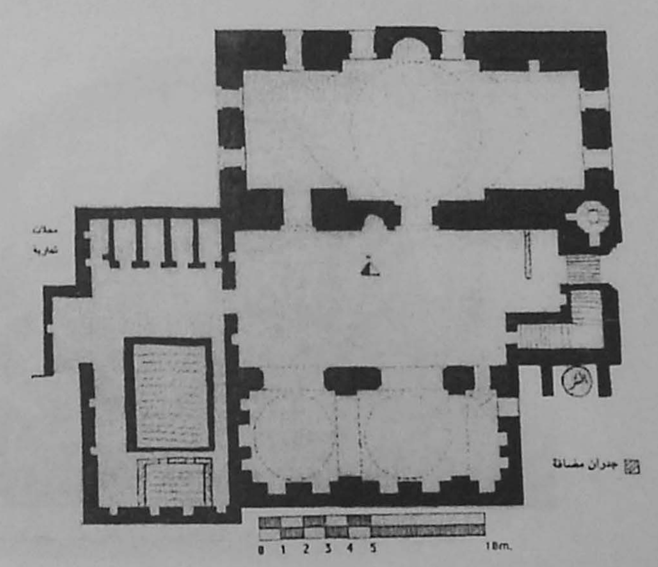




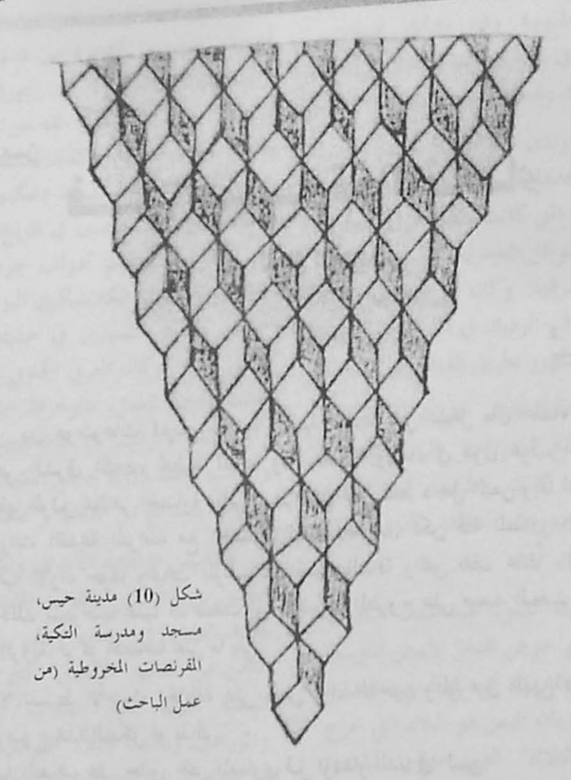
شكل (7) مدينة حيس، مسجد ومدرسة التكية، خزان الماء، وفوقه المئذنة وإلى جواره تقع الميضأة.



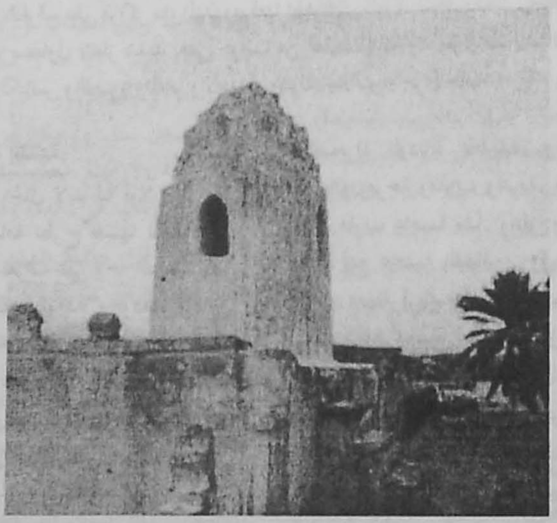
شكل (9) مدينة حيس، مسجد ومدرسة التكية، المقرنصات المخروطية (عن إبراهيم المطاع)




شكل (8) مدينة حيس، مسجد ومدرسة التكية، المسقط الأفقي (من عمل الباحث).



شكل (10) مدينة حيس، مسجد ومدرسة التكية، المقرنصات المخروطية (من عمل الباحث)



شكل (11) مدينة حيس، الجامع الكبير، المئذنة.

لمحات من

# فن العمـــارة والبنـــاء

## في اليمن القديم

د. عبد الجليل السروري*

من بين موضوعات فنون الحضارة اليمنية القديمة التي تشغل بال علماء الآثار ومؤرخي الشرق القديم، تخطيط المدينة وفن العمارة والبناء في دول عرب الجنوب وارتباطها الوثيق بمظاهر الحضارة والتراث الإنساني ليس فقط داخل اليمن وإنما لعلاقاتها بالحضارات القديمة المتزامنة مع الحضارة اليمنية العريقة. لكن قلة المصادر الأصلية وتضارب الآراء حولها وغياب المؤسسات المعنية بالثقافة والفن تقف عائقاً بالغاً لها. ورغم ذلك سيتوجب علينا أن نلتفت إلى موضوعنا المطروح على صعيد البحث ولكي تتضح الرؤية، نركز اهتمامنا على ما يلي:

أولاً: تسليط الأضواء الخاطفة على بعض آراء الباحثين والمؤرخين الذين تعرضوا لهذا الموضوع بهذا الشكل أو بذاك.

ثانياً: التعرف على جذور الفن المعماري قبل ازدهار المدن في اليمن.

ثالثاً: التعرف على مراكز بناء المدن وموقعها الجغرافي.

رابعاً: سنتناول بإيجاز شديد بعض جوانب من تخطيط المدينة والعمارة عند بناء السدود والمعابد والكنائس والقصور والمقابر والأعمدة. ونترك المجالات الأخرى جانبا.

### الموقع الجغرافي للمدينة القديمة:

قبل التعرض إلى هذا المجال لابد لنا أولاً وقبل كل شيء أن نورد ملاحظة هامة تطرح نفسها تلقائياً لدى الباحث الموضوعي، أننا لا نعرف على وجه التحديد زمن بروز الحضارة في اليمن القديم ومدة وجودها، وإنما في ضوء ما جاء في بعض الأبحاث الأخيرة يمكن القول أنها ظهرت في الألف الأول ق.م على أقل التقدير، واستمرت حتى القرن السابع الميلادي. تركزت مراكزها، أولاً في المناطق الشرقية من اليمن حيث تخترق سفوح الجبال والصحراء الوديان العديدة، وأهم الأودية هي ذنة وبيحان ومرخة ومذاب وعرمة، فعلى وادي ذنة، قامت مدينة مارب عاصمة سبأ. وعلى وادي بيحان كانت تقع مدينة تمنع عاصمة القتبانيين. وفي وادي مذاب والجوف كانت مدينة قرناو عاصمة المعينيين وعلى وادي عرمة كانت شبوة عاصمة حضرموت وكان هناك أيضاً واديان مهمان ويتجهان باتجاه البحر العربي والمحيط الهندي، وربطا بصلة متينة، الطرق البحرية بمراكز الحضارة في مشرق اليمن أحدهما وادي حضرموت، كان يقع عليه كثير من مدن حضرموت الشهيرة فضلاً عن شبوة - العاصمة، مثل سينون وتريم، والوادي الثاني هو وادي بنا

* فنان تشكيلي.

الذي يخترق الهضبة الجنوبية وفيه نشأت تجمعات الحميريين الذين استقروا في نهاية المطاف في أعلا الوديان وبنوا عاصمتهم ظفار هناك.(شكل1)

أما في الشمال من وادي الجوف فكان تقع وادي نجران، تصب فروعه المتعددة في فلاة اليمن. وفي هذا الوادي قامت مدينة نجران التي كانت ملتقى طرق التجارة السبئية ومركز تشكيل القوافل التجارية التي انطلقت نحو شمال الجزيرة العربية وشرقها. وكان من أسباب بروز الحضارة والمدن على ضفاف الوديان في الشرق هو مرور الطريق التجاري البري المشهور بطريق اللبان وغيرها.

ولم تكن وظيفة تلك المدن تقتصر على توفير خدمات القوافل وتسهيل نقل السلع النادرة مثل اللبان والطيوب والأحجار الكريمة. وإنما كانت وظيفتها تمتد لتبادل المعارف والخبرات والتصورات المتعلقة بأمور الحياة وشئون الثقافة المختلفة.

ولكن مدى تأثير مدن اليمن، كما اثبتت البحوث الأخيرة، شمل إلى حد كبير حوض البحر الأبيض المتوسط عن طريق مصر وأفريقيا، مما ترك أثره في أسس الحضارة الغربية. كما ينبغي التنويه بأن اليمن هو البلاد التي خرج منها. "ملوك الشرق الثلاثة" الذين جاؤوا ليقدموا فروض الولاء للوليد الطفل الذي بعث لانقاذ العالم. وهي البلاد التي حكمت فيها ملكة سبأ المشهورة أيضاً، مما جعل التوراة أن تطلق على هذه البلاد اسم ( العربية الغنية)، والرومان يطلقوا عليها (العربية السعيدة). وجهدوا بكل ما لديهم لادماجهم في امبراطوريتهم. أما أباطرة الحبشة فكانوا يعتبرون أنفسهم أحفاد ملكة سبأ "بلقيس"، التي يذكرها الأنجيل. وقد رويت عنها عدة قصص اختلفت في شكلها وطابعها، ومعظمها يخلو من الذوق الفني. وقد أعاد معظم الكتاب العرب قصة ملكة سبأ التي ذكرها القرآن الكريم، وهي أن ملكة سبأ دخلت إلى قاعة سليمان وكان أرضها من المرايا، فحسبتها لجة من الماء فكشفت عن ساقيها.

وكانت قصتها مصدر الهام للعديد من الفنانين، ومثل رافائيل وريموند وجيرتي شخصيتها حيث رسما ونحتا قصتها ضمن ما أبدعوه من تصوير ونحت القديسين والشخصيات المذكورة في التوراة والإنجيل. ولدى الأحباش يوجد الكثير من القصص والتصاوير التي تمجد الملكة. ودون قصتها. وكذلك الفنان العربي المسلم عبر عن الرحلة ولقائها بسليمان الحكيم. وهنالك طائفة من علماء الآثار والمتخصصين في تاريخ الشرق وآثار اليمن الفنية الرائعة. ومنهم أدولف جرمان الذي استند في أبحاثه إلى مؤلفات الكلاسيكيين اليونانيين، ووصف أغاثر خدس مساكن السبئيين في حديثه عن الفن المعماري اليمني قائلاً: "وكان العربي الجنوبي يهتم بصفة خاصة إلى جانب إجادة العمل، بالزخرفة خاصة زخرفة الأسقف والحيطان والأبواب. إذ كان يعني في زخرفتها بالسن والذهب والفضة والأحجار الكريمة. أما الأعمدة فكان يزخرفها بصفائح من الذهب والفضة.

وتتضمن مؤلفات الآثاري والمؤرخ اليمني أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (المتوفى بعد عام 336هـ-945م في ريدة) وعلى وجه الخصوص الجزء الثامن من كتاب "الإكليل" كثيراً من مظاهر الحضارة اليمنية حيث قدم خدمات جليلة لعلماء الآثار والمؤرخين. ويكتب قائلاً: "العرب ينسبون كل مستطرف من البناء إلى سليمان عليه السلام، كما ينسبون كل قديم إلى قوم عاد وجن سليمان. وترى أكثرية الناس أن الجن بنوا قصور اليمن، إلا أنه لا يمكن أن تكون الجن كبناة لعلتين. الأولى أنهم ذكروا أنهم بنوا قصر سلحين خلال سبعة وسبعين سنة. ولم يكن بين موت سليمان وصدور بلقيس عنه إلا سبع سنين. بقول المكثر، وعند موته رفعت الجن أيديها عن الخدمة وقبضت رباقها...

والثانية قول علقمة الشاعر القديم، الذي يذكر أن الناس بنوها لا الجن:

أبعد سلحين لا عين ولا أثر

أم بعد بينون يبني الناس أبياتا

أما الآثاريون الذين تعرضوا لآثار اليمن وفنونه في الأيام المتأخرة، فقد وضعوا بحوثاً واستندوا على الملاحظات والدراسات التي قاموا بها في موطن الآثار أو

استخلصوا الاستنتاجات من ملاحظاتهم للقطع الأثرية وللصور التي عثروا عليها. وقد أورد بعضهم مثل الباحثة جاكلين بيرن أن الحضارة العربية الجنوبية إنما برزت في القرن الخامس قبل الميلاد بتأثير الحضارتين اليونانية والفارسية عليه، وأن عناصر الحضارة الجنوبية وخاصة الفن منها مثل النحت والعمارة قد غرفت من مناهل يونانية وفارسية. لقد حاولت الباحثة فيما بعد أن تصحح الخطأ وزعمت أن بداية التأثير اليوناني تعود إلى القرن السادس ق.م.

أما الباحثة برتا فقد ارجعت هذه المؤثرات إلى أثر يوناني هيليني وأثر سوري حتي وأثر فينيقي، وذكرت أن هذه المؤثرات أثرت على الحضارة العربية الجنوبية، وتولدت عن هذا المزيج الأجنبي والعربي حضارة العرب الجنوبيين.

ومن المؤرخين العرب جواد علي يقول: "وتقدمت معارفنا بعض التقدم بالنسبة للفن المعماري عند العرب الجنوبيين، فتبين تأثره بمؤثرات عراقية وسورية وفينيقية ويونانية ومصرية.

أما الذين لم تعجبهم بعض الآراء السابقة للمستشرقين، التي تدعي أن الحضارة اليمنية قد خضعت لتأثير الحضارات الأخرى فيرون أن هؤلاء في الغالب انطلقوا من رغبة في التنبؤ والاستعجال في إصدار الأحكام العلمية دون تروّ وبحث كافي، وقد يكون مبعثها أحيانا التشكيك وأحيانا التعصب، فالآراء التي زعمت بأن الحضارة اليمنية قد خضعت لتأثير بلاد فارس هي التي قررت أن الآشوريين قد تركوا بصماقم على معالم حضارة فارس، وهم الذين حاولوا أن يقولوا أن أعظم الحضارة الإنسانية وهي المصرية تجد جذورها في الحضارة اليونانية ذاتها وليست إلا امتدادا شرقياً لها، ويستشهد صاحب هذا الرأي بما يقوله البروفسور جيوفاني جاريبي: "إن الفن المعماري اليمني عميق جداً من حيث الاكتمال الهندسي والأناقة والانسجام، كما أنه يمتلك بشكل دقيق نفس الخصائص الأصلية لفن الكتابة، ويرد جاريبي على بعض الشوفينيين والمتعصبين بلغة واضحة: "إنه ليس من الضروري في تفسير فن المعمار في اليمن القديم افتراض أنه يقتفي نموذج الحضارة اليونانية القديمة إنه يتميز بالطابع الذي لا مثيل له والذي يلازم للإنشاءات المعمارية الفريدة، كما أنه يتصف برؤية الإنسجام والعقلانية، التي تتجلى في الأشكال الهندسية المنتظمة للأحجار التي نصبح معابد والأحجار التي تحمل النقوش".(شكل2)

ونرجع إلى المراسلات بين ماركس وانجلس حول حضارة اليمن حيث يذكر أنجلس قائلاً: "يبدو أن، العرب الذين كانوا قد استوطنوا في الجنوب كانوا شعباً لا يقل مدنية عن المصريين والآشوريين، كما يبين ذلك من المباني التي شيدوها، وهذا يفسر في الأشياء الكثيرة عن الفتح المحمدي وبقدر ما يتعلق الأمر بهذه الصورة التي هي الدين يبدو استنتاجاً من الكتابة القديمة، وفي الجنوب حيث مازال التراث العربي القوي القديم تراث دين التوحيد في الغالب والذي لا يؤلف التراث اليهودي إلا جزءا صغيرا منه".

## الجذور التاريخية للفن المعماري:

أبقى الزمن على بعض المباني المشيدة من القطع الحجرية الضخمة التي عولجت بطريقة بدائية والتي يعود تاريخها للفترة التي عاش فيها الإنسان البدائي، ولكن الغرض الحقيقي من تلك المباني ما زال مجهولاً بالنسبة لنا أما فيما يخص العصر النحاسي فإن أهم مواقع مستوطنات سكنية عثرت عليها البعثة الإيطالية عند أسفل جبل العرقوب في خولان الطيال بين صنعاء ومارب وتختلف المواقع اختلافاً جوهرياً في مخططها وفن تشييدها عن المستوطنات السبئية الأخرى، ومنشآته عبارة عن صفوف متينة من كتل طبيعية وراسخة في الأرض، ويبدو مخططاتها الأساسية إما دائرية الشكل أو إهليجية أو شبه مستطيلة، وتتصل هذه المنشآت بعضها بالبعض. كما تم اكتشاف مبان منفردة كبيرة مشيدة من كتل حجرية كانت مخصصة للعبادة.

## فن العمارة والبناء في مرحلة ازدهار الحضارة:

إن ظروف البيئة الملائمة وتوافر المواد الإنشائية حول المدن وكذلك العلاقات الاجتماعية المتكونة على أساس المساعدة المتبادلة قد ساعدت في بناء المدن، مثل الحاز وهيزوم وقرناو ومعين وغيرها، والتي يعود تاريخ بنائها إلى

العصر السبئي، وتدل الطبقات السفلى من الحفريات على أن المدن تم إنشاؤها بالأحجار البركانية الخبطة.

ولهذا السبب فقد اقيمت المحاجر في منطقة قرناو (معين) والتي تبعد 20 كم إلى الشمال من معين عند جبل اللوذ أو جنوبا عند جبل (يام) والتي تبعد 80 كم عن الحوجين عند مدخل الوادي في غرب الجوف. وقد ساعد على البناء ظهور تقسيم العمل إلا أن تقسيم العمل وتطور توزيعه قد أفضى إلى نتيجة مزدوجة فمن ناحية أدى إلى تطور قدرات الناس وخلق مهارات محددة ومتقنة ومدربة لدى كل واحد منهم تقريباً وأدى من ناحية أخرى إلى إغتراب الإنسان وعزلته عن نتائج عمله. ولا سيما بعد أن تحولت أدوات الإنتاج إلى ملكية فئة قليلة جداً من البشر حسب مجالات التخصص الدقيق حيث يقوم كل حرفي بانجاز العمل المتعلق به بمهارة. وهناك من يقوم بقطع الأحجار وآخر بصقلها.. الخ. ولقد استطاع البناؤون أن يجدوا حلولا لأكثر المسائل التكنيكية تعقيداً، خاصة في التكنيك المعماري وفي بناء المنازل والنقوش، كما بلغت تكنولوجية إنشاء شبكات الري مستوى عاليا تجمعت فيها خبرة متراكمة خلال مئات السنين.

وقد برزت طائفة من المعماريين، أمثال "ثوابيوم واقرابوم"، اللذين انتسبا إلى عائلة محاسنعم القتبانية واللذان قاما بتزيين بيت " يافش" وتشكيل وصب تماثيل أطفال يمتطون أسداً (تمنع). وهناك المهندس القدير "أوس عم بن يصرعم" الذي خطط وساهم في شق الأنفاق والطرقات عبر الجبال والصخور ويذكره العديد من النقوش. وفي أحد نقوش المسند أو الخط عند عرب الجنوب، الموجودة في حائط المدينة المعينية وفي بوابتها الغربية تذكر الأبراج وعدد من التفاصيل المتنوعة في أول النص أسماء البنائين أصحاب الفكرة والتنفيذ إلى جانب أسماء أصدقاء الملك.

وهناك العديد من المعماريين المجهولين الذي خلدوا لنا العديد من الأعمال الفنية الرائعة، نطمح إلى أن تكون أعمالهم مصدر إلهام لنا وللفنانين والمؤرخين وعلماء الآثار والمعماريين في المستقبل.

## بناء السدود وقنوات الري:

إن المدن اليمنية أقيمت على طول الأودية واعتمدت على مياه الأمطار الموسمية. ويتضح لنا أن المهندسين المجهولين في هذا المجال قد عملوا على ربط المدن اليمنية بشبكة متينة من القنوات العديدة. وكان من بين أعمالهم إحدى الشبكات التي بنيت حول مدينة شبوة الواقعة في حريضة القديمة في الشمال الشرقي. ونستطيع أن نرى من أعلى الهضبة التي تحيط بشبوة من الشمال الغربي العديد من قنوات الري التي تتفرع من مياه حريضة القديمة.

وفي صرواح القديمة كانت نظم قنوات الري التي ساعدت على تخزين مياه السيول التي كانت تحول فيما بعد إلى الحقول عبر شبكة من القنوات. وما زالت بقايا خرائب قنوات المياه الكثيرة حتى الآن، ويطلق عليها اسم "البناء". وهي تقع على بعد حوالي 900 متر إلى الشمال من الخربية حيث كانت توجد شبكة مياه جيدة.

ومثال آخر لقنوات الري حول عاصمة دولة قتبان في بيحان القصاب. كانت منظومة الري تبلغ على وجه التقريب 15 ميلاً. وكانت هذه المنظومة واحدة من عدة منظومات الري عند القتبانيين. وهي تنظم تدفق المياه من روافد الوديان بعد هطول الأمطار الغزيرة، وكانت منظومة الري عند القتبانيين مشيدة بالحجارة وبين الحجارة كان نوع من المادة الرابطة المقاومة للمياه، وكان هناك فتحات بنيت بمهارة وهي تتحكم بتدفق المياه، ولا تزال آثار هذه الأنظمة باقية حتى الآن، وحسب تقديرات البعثة الأمريكية أنها تعود إلى القرن الخامس ق.م.

وخلاصة القول يمكن الاعتراف بأن التكنولوجية اليمنية القديمة التي اعتمدت في تشييد سد مارب الشهير وقنوات الري تختلف تماماًعن منظومات الري في البلدان المجاورة التي اعتمدت في الأساس على مياه الأنهار الدائمة الفيضان وتقتصر على استغلال جهد الإنسان وضبط الفيضانات، أما اليمن فلم يكن هناك أنهار دائمة الجريان، وإنما هناك وديان جافة تعتمد الزراعة فيها على مياه الأمطار. وتدل نتائج المسح الحديث والتصوير الجوي

للأرض على أنه بفضل سد مارب رويت أراض شاسعة تقدر بأكثر من 72 كم، وهي التي عرفت بأرض الجنتين وقد بلغ طول السد حوالي 700متر. ويرى الدكتور (هانس رادرماخر) أن "جسم" السد الأصلي عبارة عن "ركام من التراب" تم تثبيته عند نهايته مع "صخور الجبل" بواسطة أجزاء متينة وبغية امتصاص تأثير الضغط. في البداية قاموا ببناء "الهيكل" المؤلف من الأحجار الكبيرة، ثم طمروه بالتراب والأحجار الصغيرة، ومن أجل تثبيت الحجارة استخدم المعماريون البرونز والرصاص، وفي طرفي السد تقع الفتحتان اللتان يخرج منهما الماء إلى شبكة من قنوات الري، كما كان السد الصغير والمقاسم التي توزع المياه على الأرض وفق نظام دقيق.

وتدل الدراسات الأولية على أن بناء السد قد مر بمراحل عديدة. كل المنشآت المعمارية تقريباً قد استخدمت في إعادة بنائها مواد كانت قد استخدمت سابقاً في منشآت آخرى، مما يزيد من صعوبة التحديد الزمني الدقيق لمراحل الإنشاء المختلفة لسد مارب.

ويبدو أن السد قد شيده اليمنيون القدماء قبل حوالي 5000 سنة، أي في الآلف الثالث ق.م ويبدو أن السد قد انهار بعوامل عديدة من أهمها انهيار الحضارة اليمنية التي شاخت، وساد فيها الانقسام والصراع الديني العنيف، وعدم اعتراف البدو بقواعد الحضارة، وفي مرحلة صعبة للغاية كان فيها التدخل الأجنبي وتزايد نفوذ الرومان والفرس والاحتلال الحبشي لليمن.

وللمزيد من التوضيح يمكن مشاهدة الأشكال والصور لمباني سد مأرب العظيم: (شكل3) و(شكل4) للوجه الشمالي للمباني القائمة و(شكل5) مشهد عام للمصرف الجنوبي من السد ومنظر عام لصهاريج عدن التي تعود تقريباً إلى (قبل) بداية القرن الأول الميلادي، (شكل6).

## تخطيط المدينة:

بنيت المدن والعواصم عادة في المرتفعات التي تشيد خصيصاً في بعض الواحات لذلك الغرض، وفي داخل المدينة كان يشيد قصر الحاكم في القلعة التي غالباً ما يطلق عليها تسمية خاصة، ففي مأرب عاصمة سبأ كانت تسمى سلحين، وفي ظفار (ريدان)، وفي شبوة شاكر. وتقسمت المدينة إلى أحياء شيدت بها القصور للأمراء ومنازل التجار والحرفيين، وفي تلك الأحياء شيدت المعابد. إلا أن أكبر المعابد وأهمها، في اعتقاد المواطنين كان يشيد خارج السور، أما المخازن فكانت تبنى في الجانب الداخلي من السور، وفي قلب المدينة أو في مواجهة قصر الحاكم يقع الميدان الرئيسي الذي يستعمل كسوق تجري فيه عمليات البيع والشراء، وتربط المدينة بقنوات الري والطرق المنظمة التي تشق في بعض الأحيان في وسط الجبال.

ولقد حاول بعض المتخصصين بالآثار اليمنية إعطاء تصور تخطيط المدينة، فوجدوا تخطيطها إما أن يكون مستطيل، مربع، بيضاوي الشكل أو مستدير الشكل وعلى سبيل المثال، كانت مدينة مارب في النصوص القديمة، في رأي "نزيه مؤيد العظم" مربعة الشكل تقريباً (شكل7) وفي رأي "فخري" مربعة، ذات زوايا مستديرة، وكذلك الأرض الواسعة ذات الخرائب في غربون المشهد في منطقة الهجرين (حضرموت)، وكذلك الحال في شبوة فهي مربعة الشكل (شكل8)، وعلى العكس من ذلك فإن مدينة الحاز (حيزوم) كان شكلها بيضاوي يبلغ ارتفاع سورها اليوم 6–8م. وكذلك مدينة براقش (يثل) في الجوف بيضاوي الشكل الصورة (شكل9) وقد بنيت أسوار المدينة من أجل الدفاع عنها.

## المعابد:

يظهر من خلال كتابات المتخصصين بالآثار أن المعابد قد اتخذت أربعة طرز هي الطراز المستطيل والطراز المربع والطراز المستطيل الذي ينتهي بشبه دائري، ثم المعبد البيضاوي الطراز ومن المعالم البارزة في هذا الصدد ما وجد في مارب عاصمة الدولة السبئية القديمة أي معبد "المقه- أوام" الذي اكتشف على مسافة 4كم جنوب غرب ماري، أن المعبد على قدر ظاهر من الفخامة سواء كان في مساحته أو في خصائص بنائه(شكل10).

فالقسم الأساسي منه بيضاوي الشكل يصل إلى ألف قدم وتره الطويل 270 قدماً، وتره الصغير 250 قدماً،

ويفضي إليه فناء مربع (حوالي 72×75 قدما) تمتد إزاء جداره من الداخل مجموعة من 32 عموداً مربعاً وثمانية منها أعمدة طويلة كل منها عبارة عن كتلة واحدة منحوته من الحجر المصقول ما عدا اثنين يتكون كل منهما من قطعتين الواحدة فوق الأخرى. يظهر على الجدران قدر كبير من الزخرفة الدقيقة على هيئة نوافذ وهمية، أما القسم الأساسي البيضاوي من المعبد فكان سمك جدرانه قد بلغ حوالي 13 قدما ونصف وارتفاعه 37 قدما أما تاريخ البناء فإن الأساليب المعمارية المنفذة التي تظهر في جدران المعبد فتدل على أنه بني على مراحل تمتد من القرن الثامن إلى القرن الخامس ق.م.

ويحدثنا رئيس البعثة الأثرية الألمانية د. يورجن شميدت بأن معبد "بران" يأتي ثاني المنشآت العظيمة على الرغم من أنه لم يتم بعد عملية الحفر المتعلقة به، ولم يظهر فيه بوضوح سوى ثمانية أمتار من عمود المدخل المنحوت من الحجر، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يصف لنا معبد "ودم ذو مسيم" عند سفح جبال "بلق" بمارب، تقاس أبعاده الخارجية بــ 27 قدماً طولاً و20 قدماً عرضاً، كما اتضح أنه ينقسم إلى قسمين أحدهما عبارة عن فناء والمدخل الذي يتكون من الحجارة الضخمة، يعتقد بأنه كان هناك شرفة "أمام الباب". أنظر المسقط الأفقي الشكل (شكل1113).

ومثال آخر هو آثار "معبد بنات عاد" تم الكشف عنه في منطقة السوداء – وادي الجوف أثناء الدراسة الأولية لمشروع الترميم الذي قامت به البعثة الفرنسية، يتكون هو أيضاً من ثلاث غرف مغطاة والفناء الكبير والبوابة المربعة التي تقابل في الداخل المكان المقدس، إلا أنه يختلف من حيث زخرفة الأعمدة فهناك مناظر ميثولوجية عديدة. (شكل12)

والسقف الواقع بين البابين المشيدين من الجرانيت مزخرف بعناصر زخرفية شبيهة بالعناصر الزخرفية في مدينة (هرم) أي الأشكال الهندسية والثعابين الملتفة حول بعضها.. الخ، ويوجد خلف البوابة الثانية فناء كبير مكشوف به ستة أعمدة، وفي هذا الجزء من المعبد توجد مجموعة من اللوحات المنقوشة وكان الباب نفسه يغص بزخارف من نفس الأسلوب الزخرفي.

ومعبد (هرم) يتميز بنفس الدرجة من الإتقان، على أحد الأعمدة صف من خمسة رسوم للوعول الرابضة تقع أسفل ثمانية أعمدة مزينة بالثعابين المتشابكة وتحت الوعول يوجد إفريز من الخطوط المتموجة أسفلها جرار نبيذ كروية الشكل فوق رؤوس ثلاث من النساء الراقصات يشبهن راقصات (هرم) شعورهن وضعت من ظفائر تتدلى على جانبي الوجه ويحملن في أيديهن صولجانات بينما تتدلى شرائط ملابسهن من أذرعهن، وتحت أقدامهن يوجد إفريز آخر من الخطوط المتموجة وصف من خمسة وعول، وهناك البوابة وتضم عدة صفوف من الزخارف، في أعلاها سبع حلقات وفي أسفلها خمسة وعول واقفة تواجه ناحية اليسار، ويوجد صف آخر من الوعول يواجه ناحية اليمين، ويفصل بينهما إفريز، وأسفل الوعول صف من تسعة رؤوس رماح يليه صف من تسعة رسوم الوعول الرابضة.

وإذا قارنا معابد الجوف ومارب فإننا لا نجد حتى الآن أي أثر في الجوف للمعابد البيضاوية أو الإهليجية الشكل كتلك الموجودة في معابد المدن السبئية بالإضافة إلى أن الأعمدة المصنوعة من كتلة واحدة من الحجر والمقامة أمام المعابد السبئية قد استخدمت كمدخل لها، ولم نجد حتى الآن أية زخارف تمثل أشخاصا على معابد هناك، ولمعابد الجوف المشيدة من هذه الكتل الضخمة من الجرانيت مظهر عام يذكرنا ببعض معابد مصر مثل معابد في منطقة أهرامات الجيزة والأوزيريون وبابيدوس و..إلخ (شكل13)

وهناك العديد من المعابد في وادي حضرموت مثلاً، معبد سونا، هجر المعبد معبد سين ذو ميفعين – ريبون، الأعمدة كانت خشبية على طول جداره الغربي ربما كان شكل الجانب الغربي للفناء رواق مسقوف والمبنى المركزي مبلط بالواح حجرية وكانت هناك تعميقات نظيفة (ممهدة) للأعمدة الخشبية. ويتضح لنا أكثر من خلال الشكل بعد إعادة بناء فناء المعبد، أما من حيث الديكور المعماري فإن نتائج المسوحات الأولية وجدت أن الزخارف التي تعلو المساند زخارف هندسية وحيوانية تتوسطها رموز الآلهة (الهلال والنجمة) وهي كثيرة في معبد الإله (سين) ذو ميفعين. ونجد أن الجدران قد لبست

بالألواح الحجرية المنقوشة وخاصة في الغرف والممر الجنوبي من الداخل والخارج، وكذلك الألواح المحاطة بإطار خارجي أملس ومزين بزخارف كما هو في المعابد السينية والقصر الملكي بشبوة.

ومن الديكور التقليدي اليمني القديم نجده في معبد الأله (سين) ذو ميفعين أيضاً القطع المستطيلة التي عمل ديكور النوافذ المصطنعة.

وهناك خاصية حضرمية لا نجدها في مباني الممالك الأخرى. منها القطع الحجرية الصغيرة تحمل ديكورا على مستطيل بارز وبشكل مثلث.

مما تقدم يبدو لنا مدى اهتمام اليمنيين القدماء بالحياة الدينية، وهذه الظاهرة استرعت انتباه الكتاب الرومان في أواسط القرن الأول قبل الميلاد، إلى ما وصل إليه اليمنيون القدماء من تقدم في بناء المعابد.

مدافن الموتى والشواهد:

إن المقابر التي انتشرت في ربوع اليمن تدل على أن الانسان اليمني القديم لم يبد اهتماما أو عناية بها مثل عنايته بتشييد المعابد، وأن المقابر كانت مختلفة وعملية الدفن أيضاً مختلفة. وأنماط الدفن تتراوح بين الدفن في توابيت قائمة بزاويا الأركان من الحجر وعليها أغطية، والدفن في غرف منحوته في الصخر اكتشفت في حريضة بحضرموت. أما في المرتفعات فهناك مقابر شبام الغراس (شبام سخيم) وهي تختلف من حيث عادات الدفن، فلقد عثر فيها على مومياوات ملفوفة بالكتان وقطع أثرية أخرى تعود إلى القرن الثالث ق.م.

ومقابر وادي ضوران في المنطقة الواقعة بين صرواح وشبوة عثر فيها على تحف فنية رائعة منها الملاعق والأطباق. فكان العرب يهدمون القبور ويغنمون محتوياتها بحجة أن بها كنوزاً مخبوءة. وروى المؤرخ بن هشام الكلبي أن محمد بن يوسف، أخ الحجاج، كان والياً على اليمن فكان يبعث الناس إلى القبور ويطلب ما فيها من الأموال لأنهم كانوا يقبرون أموالهم معهم. فكان نهابو القبور يهشمون التماثيل.

وفي شبوة وجد قبر جماعي مؤلف من غرفة كبيرة غير منتظمة مملجة بالملاط ويوجد مكانان في الصخر العادي وكأنهما هيئا لإستقبال الجثث، ويوجد في عمق الغرفة حفر في الحائط على علو 80 سم من سطح الأرض، وحتى الآن لم يعثر على أدوات المتوفى في المقابر كاملة.

أما فيما يخص شواهد القبور اليمنية القديمة فكانت تنحت من ثلاثة أنواع من الأحجار وهي الجيري والرملي والمرمر، والمعثور عليها في الجوف ضمن مقتنيات متحف الآثار بجامعة صنعاء، كان يتم تنفيذها أولاً بشكل المتوفى من الأشخاص بطريقة النقش البارز، بينما النصوص مكتوبة بالنقش الغائر وأن الشواهد كانت مستطيلة وأن صاحب الشاهد يشغل الحيز الأكبر.

إن كتب السيرة لم تتعرض لذكر الأصنام التي كانت باليمن حينما بعث النبي (صلعم) عماله، ولم يرد لها ذكر في مراسمه وعهوده ولا في مراسلاته لأقيال حمير، ولا تحطيم أو كسر آلهة أو صنم وثني، إلا ما ورد عن علي، لما أوفده النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأمر بتحطيم القبور المشرفة المرتفعة وتسويتها بالأرض.

يتضح لنا مما تقدم أن الشعب اليمني كان يعتقد بالحياة الآخرة كغيره من الشعوب في الشرق القديم وأن القبور المنحوته سواء في الصخر أو بشكل هندسي كانت تخصص للأقيال والأغنياء. وأن القبور تحتوي على أعمال النحت والنقش والنقود والأدوات النفيسة المختلفة وأن القبور قد تعرضت للنهب والسرق عبر تاريخنا الطويل وما عثر عليه من محتوياتها يؤكد ما جاء في مؤلف الهمداني حول القبور. وإن اختلفت عملية الدفن بعض الشيء فهي تكاد تكون متشابهة ولكنها تختلف تماماً عن مقابر الفراعنة في مصر الذين سخروا الإنسان لبناء الأهرامات وعبادة حياة الفراعنة.

الأعمدة

يرجح أن معظم الأعمدة في اليمن كانت أولاً مربعة أو اسطوانية الشكل كتبت عليها نقوش غالباً، وكانت رؤوس الأعمدة مربعة الشكل، وذات ثمانية أو ستة عشر ضلعاً، (شكل14). الأعمدة ذات كتلة واحدة منها حجر رباعي الشكل، يصل ارتفاعه إلى 9 أمتار.

لا تختلف أعمدة مأرب عما وجد في معبد عثتر في قرناو عاصمة المعينيين حيث لا تزال الأعمدة العالية معمولة ومرتكزة على عوارض ضخمة تحدد مدخل المعبد المكون من أربع كتل من الجرانيت". وأن جانبي المعبد يحيطان بحيوان خرافي نصفه نسر ونصفه أسد، له قرنان وهناك أشكال مميزة أخرى من غصينات تجاور عناقيد العنب. والغصينات تم تنفيذها في أشكال مختلفة وفقا لكل ركن وهي تزين ستة من وجوه الشكل، وهناك أشكال مختلفة سبقت الإشارة إليها تماما من تيجان الأعمدة داخل الأشكال النباتية في أفاريز الكروم وزخارف الورد ومن الأعمدة داخل الأشكال النباتية في أفاريز الكروم وزخارف الورد. ومن ضمن مقتنيات المتحف الوطني الأشكال التي عثر عليها في مناطق أثرية مختلفة وعند المقارنة بين الأعمدة في المعمار اليمني القديم والمنشآت اليونانية والرومانية يتضح لنا أن هناك تماثيل في الأشكال النباتية وتيجان الأعمدة التي تشبه النمط الإغريقي الهيليني ربما كان في فترة متأخرة أي أثناء دخول المسيحية إلى اليمن في مطلع القرن الرابع الميلادي. (شكل15/ 16)

## الكنائس:

مع مجيء المسيحية إلى اليمن في القرن الثالث والرابع الميلادي تدهورت مكانة المعبد المأربي "المقه" وشيدت العديد من الكنائس في نجران وظفار وعدن، ولكن من أهمها كانت كنيسة صنعاء (القليس) التي أنشأها مسيحيو الجزيرة العربية لتنافس المعابد الوثنية، فكانت كنيسة القليس ذات اتساع ضخم ومزخرفة بصورة استثنائية اسطورية إذ كانت مزينة بمواد ثمينة كالمرمر والرخام ذات الألوان المختلفة والأبنوس والأخشاب النادرة والعاج والفسيفساء والرسوم وصفائح الذهب والفضة ومرصعة بالأحجار الكريمة. وقد هدمت الكنيسة في نهاية القرن الثامن واستخدمت بعض عناصرها في زخرفة الكعبة في مكة المكرمة وموقع كنيسة "القليس" كان قرب قصر غمدان. ويظن أن موضع تلك الكنيسة الآن يعرف بـ (غرفة القليس) وهو موضع حقير ترمى فيه القمامات وعليه حائط وتقع أعلى صنعاء في حارة القطيع بقرب مسجد نصير ويبدو أن هندسة كنسية صنعاء وغيرها من الكنائس التي شيدت في اليمن متأخرة تتميز بفن العمارة اليماني القديم وبالفن البيزنطي المسيحي في بناء الكنائس.

## القصور والمساكن:

أقيمت في مدن اليمن القديم قصور كثيرة حتى أنه دعيت "بلاد القصور" وجاء في ذكر البعض منها في نقوش المسند وفي مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين الرومان والمؤرخ اليمني الهمداني. وتغنى بها الشعراء العرب في العهد الإسلامي ويعتبر الكثيرون أن هناك عددا كبيراً من القصور ذات شهرة واسعة منها قصر غمدان في صنعاء الذي يبدو أنه قد مر بمراحل من التهديم والتدمير والاحتراق. جزء منه في عهد إرياط الحبشي والخليفة الثالث عثمان وكان في كل ركن من أركان القصر أسد من البرونز مجوف من الداخل. فإذا هبت الريح فدخلت في أجوافها تتردد في أجواف تلك الأسود أصوات لها زئير كزئير الأسد. وعند كل أبواب القصر تماثيل من البرونز تذكرنا أولا وقبل كل شيء بتماثيل أسود تمنع "طفل يمتطي أسداً" التي كانت تزين بيت "يافش" في منتصف القرن الثاني ق.م في مدينة تمنع. ويؤكد لنا ما جاء في النقوش عن تزيين القصور بالتماثيل والنقش الخاص بقصر هرجم.. كما جاء فيه التماثيل لأناس وأوعال وأسود وثور كل ذلك من البرونز.

أما فيما يخص الأعمال الجدارية التي كانت تزين القصور فقد ذكر الهمداني منها عند وصفه لقصر كوكبان، انه كان الخارج يزين بالفضة وما فوقه بحجر أبيض وداخله يزين بالعقيق اليماني والفسيفساء والجزع وصنوف الجوهر، أما قصر غمدان فكانت له أربعة أوجه: وجه مبني بحجارة بيضاء ووجه بحجارة سوداء ووجه بحجارة خضراء ووجه بحجارة حمراء.

وكتب أحد المؤرخين اليمنيين يقول: "كانت الزخارف مكملة للبناء الخارجي والداخلي مجملة له وكان يطعم بالصدف وسن العاج، وقد شاهدت ذلك في بعض أبواب وطاق البيوت القديمة من قبل عصرنا هذا، وتارة تطعم بالذهب الخاص والأحجار الكريمة، وكانت الزخرفة عادة بزهرة الزنبق أو سائر الزهور وأنواع الزركشة.





ومع الأسف لا يوجد ضمن مقتنيات المتاحف الوطنية هذا النوع من أنواع الفن ولم يبق لنا الزمن أيا من الأعمال الجدارية. فإن أندر النماذج من معبد أوام يوجد في المتحف الوطني الألماني.

وما جاء في السابق يؤكد ما جاء به أغاثر شيدس: "وللسبئيين" في منازلهم ما يفوق التصديق، فقصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب والمزينة بالفضة يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صفائح من الذهب مرصعة بالجواهر ويبذلون في تزيين قصورهم أموالاً طائلة لكثرة ما يدخلونه في زينتها من الذهب والعاج والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة.

ولعدم توفر المراجع الأساسية في هذا المجال فقد كان بعض الباحثين يتجهون إلى بعض النقوش المحفورة على المباخر والأحجار ويقارنونها بما جاء في "الإكليل" (جـ8) وفن العمارة القديمة في البلدان المجاورة، منها النقش المعثور عليه في أكسوم وصور جلازر المعثور عليها في مدينة الكفار (اليمن)، وبطريقة المقارنة تعيد صورة البيوت المكونة من الطابقين بحيطان متساوية الطول والعرض ومتشابهة مع بيوت الحضارات الشمالية.

أما المساكن المرتفعة فإن الباحثين يعتمدون على ما أشار إليه المؤرخ الهمداني عند حديثه عن قصر غمدان حيث كان يتكون من عشرين سقفاً، وحسب المعلومات الأخرى كان قصر غمدان يتألف من 7 سقوف، وبين كل سقفين أربعين ذراعاً. وأختلف الناس في العصر القديم والباحثون في العصر الراهن في أوصافهم للقصر والبنايات المرتفعة، فكان نقش في المتحف العثماني باستبول وفيه واجهة، يرمز إلى بيت يتألف من 14 طابقا تتخلل الواجهة فجوات تنازلية على طول الواجهة.

أما نتائج مسوحات البعثة الفرنسية فقد استطاعت أن تعطي تصوراً للقصر الملكي الحضرمي شقير بشبوة، وهو عبارة عن بناية متعددة الطوابق وكانت الغرف في الطابق الأرضي مزينة بلوحات من رسوم جدارية. (شكل17)

وتعطي البعثة تصوراً آخر للهندسة المعمارية المدنية في وادي حضرموت (منطقة مشغة). ومهما قيل عن فن العمارة القديمة في اليمن فقد ظل محافظاً على أصوله المعمارية حتى يومنا هذا، ومازال أهل اليمن ينسجون على نفس المنوال الذي كان يتبعه أجدادهم قبل ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة أو أربعة آلاف سنة ويزينون البيوت بالبلور العربي والفسيفساء والنقوش على الخشب، ويبدعون بذلك نماذج الفن الرفيع ويمكن للمرء أن يشاهد نماذج للزخرفة الموجودة في قصر الحمراء في الأندلس وكل هذا ينتسب إلى الأثر الرفيع لفن العمارة اليمني الذي يعود في جذوره إلى عصور ما قبل التاريخ العربي. فقد نشأ هذا الفن في جنوب الجزيرة العربية وأن معماريي هذا الجنوب هم الذين بنوا قصر الحمراء في الأندلس.

وخلاصة القول إن اليمنيين القدماء قد خلفوا لنا الآثار الكثيرة من الفن المعماري في المجالات المختلفة. وهي تحتاج اليوم إلى مزيد من الدراسة والتنقيب من أجل الحفاظ عليها.

<u>ونستخلص الآتي:</u>

1. أن المساهمة الإبداعية التي قدمها عرب الجنوب للفن المعماري في العالم القديم تعكس التقاليد التي تكونت في الدول اليمنية التي عاصرت سبأ والتي تعود جذورها على أقل تقدير إلى الآلف الأول ق.م وأخيراً، ظهرت دولة حمير في منتصف القرن الثاني ق.م وحتى ما قبل الإسلام حيث أقيمت المدن الكبيرة على طريق القوافل التجارية.

2. يبدو أنه كان لدى اليمن عدد كبير من المهندسين المعماريين الماهرين وقد ساعدت طبيعة اليمن الجبلية ذاتها في أزدهار الفن المعماري إذ شيدت المدن على مقربة من مقالع الحجارة التي كانت تستخرج منها مختلف المواد الإنشائية، وقد تم تركيب الكتل الحجرية بمزيد من الدقة والعناية والإتقان باستخدام، كالعادة، مادة الرصاص والجص.

وقد اختلفت مدن اليمن عن مدن الشرق القديم التي كانت تشيد على ضفاف الأنهار الكبرى بأنها تمد بالمياه عن طريق الصهاريج المبنية من الحجر وخزانات محفورة عند سفوح الجبال ومجاري الأودية، وتطورت شبكة واسعة من

السدود ومنشآت الري التي من أشهرها سد مأرب الذي أصبح رمزاً لمملكة سبأ، والذي يثير بناؤه الدهشة والإعجاب في التكنيك المتبع في ذلك الحين.

3. ولتوفير الحماية للمدن كانت، على ما يبدو، إقامة الأسوار على الشكل المستدير والبيضاوي.

4. أما ما يتعلق بالمعابد وأشكالها فيبدو أنها كانت على الطراز المربع والمستطيل الذي ينتهي في الشكل الدائري. وأقسامها تتكون من "قدس الأقداس" وبهو ثم ردهة للمدخل.

5. أما الأعمدة فقد كانت في بداية الأمر خالية من الزخرفة والرسوم الهندسية، كما هو الحال في معابد السبئيين بمدينة مأرب. أما في معابد دولة معين فكانت تتجلى في أشكال النقوش المحفورة حفراً خفيفاً المناظر الميثولوجية المأخوذة من الفن اليمني القديم، أما المعابد المصرية التي استعملت في أول الأمر دعائم مربعة فكانت تزين بالنقوش الدائرية، وتطورت في أشكال تمثل الآلهة أو زهرة اللوتس والبردى. ولو حاولنا التعرف على نماذج الأشكال الإغريقية الهيلينية فيبدو أنها ظهرت في مدن الدولة الحميرية عند تشكيل الكنائس في منتصف القرن الثالث الميلادي، وظهرت تيجان الأعمدة في أشكال البناء المزخرفة بالأوراق النباتية وعناقيد العنب.

6. مدافن الموتى كانت تقع على المنحدرات الجبلية، وضمن محتوياتها حجر دفن وبعضها محفور في الصخر، وقد وجدت في بعضها جثث محنطة إلى جانب أدوات المتوفى، أو لوحة تمثل المتوفى وبعض التماثيل. يستدل منها أن اليمنيين لم يعيروا اهتماماً لمدافن الموتى كما فعل قدماء المصريين في الأهرامات والمعابد، رغم اعتقادهم أن التقاليد متشابهة في الحياة بعد الموت أي الحياة الآخرة.

7. كان في المدن اليمنية العديد من قصور الملوك ومنازل الأغنياء التي تميزت بتعدد الطوابق. واستخدم المهندسون أثناء بنائها مختلف المواد الإنشائية المصقولة صقلاً جيداً والأحجار الصلدة المتعددة الألوان. وكانت بين المواضيع مشاهد الصيد والفلاحة ونقوش الوعل والثور والعصافير تتناول بمناقيرها حبات العنب، وعلى أركان القصوروضعوا تماثيل برونزية ورموزا دينية أخرى أما التحف الفنية التي كانت تزين القصور اليمنية فقد أثارت الدهشة والإعجاب لدى الناس.

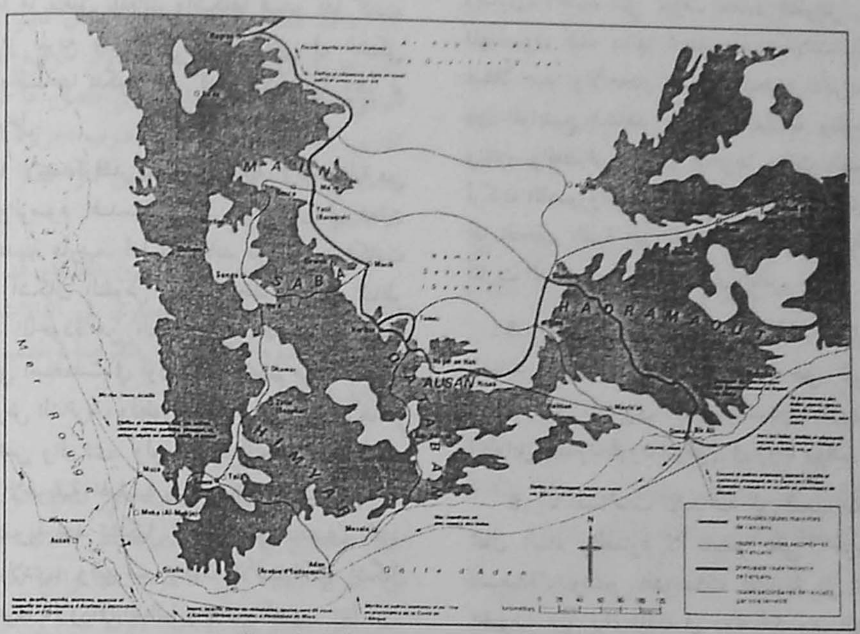
8. وعلى الرغم من انهيار المنشآت المعمارية ورموز الديانة الوثنية فلا زال أهل اليمن حتى اليوم يقتدون بتقاليد الفن المعماري القديم ويشيدون البيوت المتعددة الطوابق ويثبتون قرون الوعول في زوايا بيوتهم.

9. إن المساهمات الإبداعية التي قدمها المعماريون في مجال البناء والعمارة لا تقتصر على "الجزيرة العربية السعيدة"، وتشير الدراسات الآثارية إلى تأثير عرب الجنوب على بناء المدن في دولة آكسوم، التي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وفي وسط جزيرة العرب في مطلع القرن الأول الميلادي، وبخاصة على الأسلوب المعماري في عاصمة كندة (قرية) الفاو.

**قائمة المراجع**

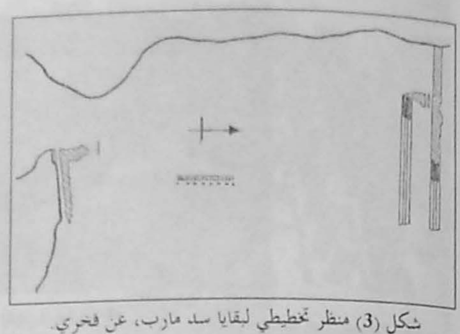
- أ.د عبد الله يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، جزءان - دار التنوير، بيروت، 1985
- الصمد، واضح، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، بيروت، 1981م.
- هولفرتز، هانز، (اليمن من الباب الخلفي) تعريب خيري حماد، صنعاء 1985م.
- شهاب، حسن صالح. أضواء على تاريخ اليمن البحري -دار العودة 1981م.
- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، الإكليل، جـ8، بيروت، 1978م.
- بيرين، جاكلين (الفن في منطقة الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام مجلة دراسات يمنية العددان (23-24) 1986م.
- الحداد، عبد الرحمن، حوار تاريخي حول أصالة الثقافة والفنون في اليمن القديم، مجلة اليمن الجديد يناير 1987م.
- بنفربت أ. البعثة الفرنسية، عصر نحاسي في جنوب الجزيرة العربية، مجلة الإكليل العدد (1) 1987م.
- عبد الرزاق، محمود، فن البناء في اليمن القديم، مجلة اليمن الجديد، إبريل 1988م.
- كراتشكو فسكايا أ.، الأهمية التاريخية لآثار فن المعمار اليمني القديم، ترجمة د. قائد طرابوش، مجلة الإكليل، العدد 3،4 1988م.
- فيليس، ويندل، كنوز مدينة بلقيس اكتشاف مدينة أثرية في اليمن، تعريب عمر الديراني، صنعاء، 1985م.
- العارف، ممتاز، الأحباش بين مارب وآكسوم، منشورات المكتبة الفكرية، بيروت.

- عقيل، عزة، جان فرانسوا، شبوة عاصمة حضرموت القديمة، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء 1996م.
- أحمد فخري، رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة د. هنري رياض وآخرون، وزارة الإعلام والثقافة صنعاء، ط1، 1988.
- اليمن في بلاد ملكة سبأ، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي دمشق،1999م..

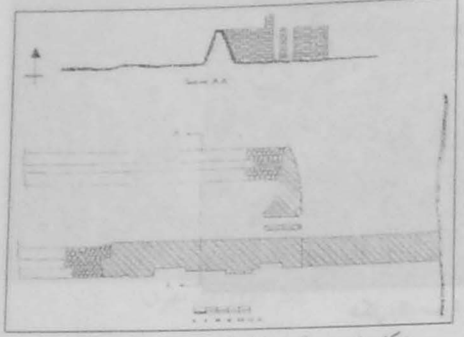


شكل (1) خارطة توضح موقع عواصم الدول اليمنية القديمة


شكل (2) نقش بحرف المسند



شكل (3) منظر تخطيطي لبقايا سد مارب، عن فخري.



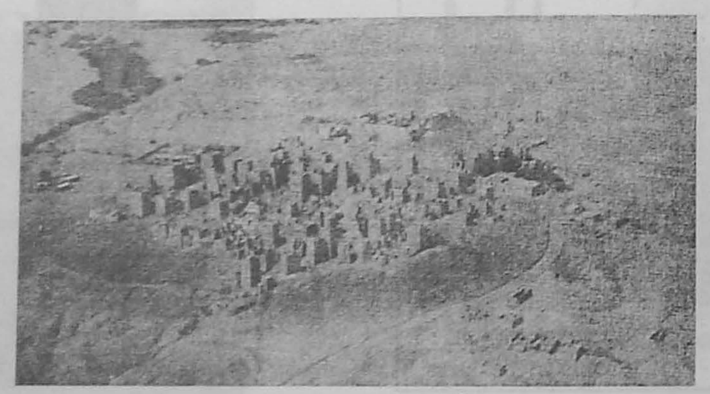
شكل (4) خريطة ومقاطع للصمامات الجنوبية لتصريف مياه السد، عن فخري



شكل (5) صورة للمصرف الجنوبي من السد



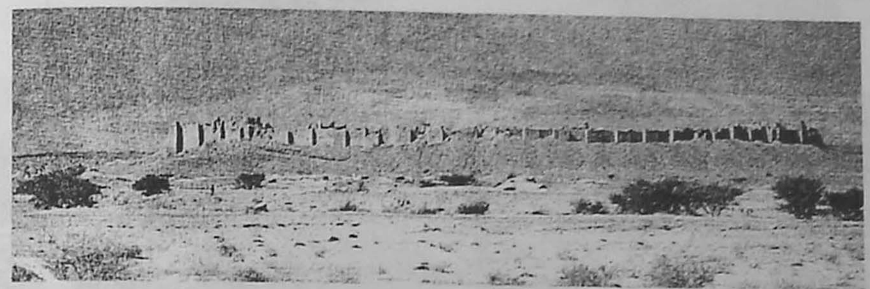
شكل (6) صورة لصهاريج عدن



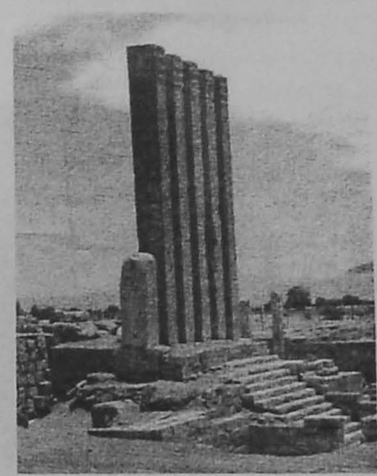
شكل (7) صورة لمدينة مارب القديمة



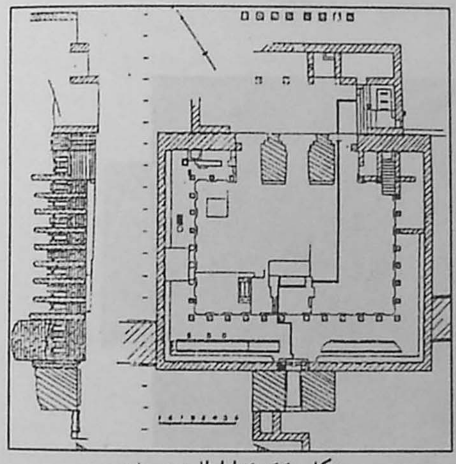
شكل (8) صورة موقع مدينة شبوة القديمة



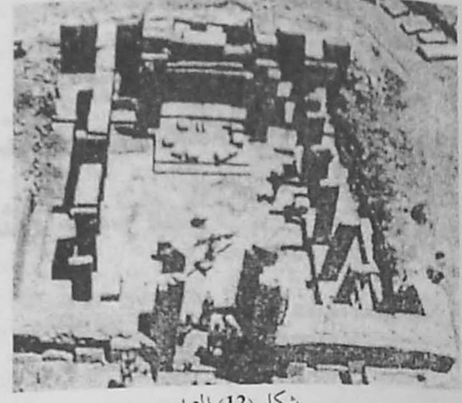
شكل (9) صورة لمدينة براقش



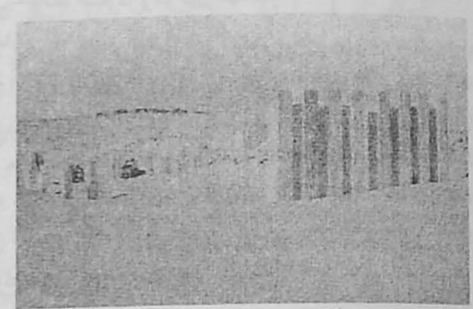
شكل (10) صورة معبد بران مارب



شكل (11) مخطط للمعبد، مارب

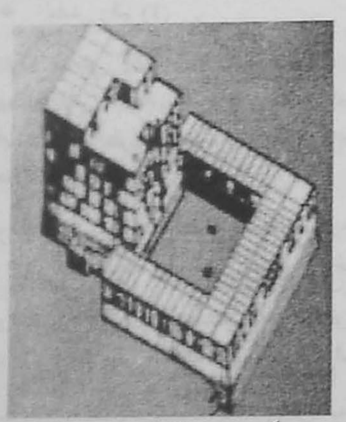

شكل (12) المعبد


شكل (13) معبد الجوف


شكل (14) نموذج من الأعمدة


شكل (15) الأعمدة


شكل (16) رأس عمود


شكل (17) مخطط قصر شقير شبوة

# نقوش جديدة من متحف قسم الآثار

## دراسة تحليلية لغوية لثلاثة نقوش قصيرة

د. عميدة محمد شعلان*

يركز هذا البحث على دراسة تحليلية لغوية لثلاثة نقوش جديدة من متحف قسم الآثار[1] بكلية الآداب–جامعة صنعاء، وقد تبين للباحثة بعد إطلاعها على النقوش اليمنية القديمة المنشورة، بأن هذه المجموعة جديدة ولم يسبق نشرها من قبل، وهي:

النقش الأول يحمل الرقم المتحفي: A-20-162 وتم اقتناؤه للمتحف بتاريخ 1–6–1986م

النقش الثاني يحمل الرقم المتحفي: A-20-169 وتم اقتناؤه للمتحف بتاريخ 5–6–1986م

النقش الثالث يحمل الرقم المتحفي: A-20-880 وتم اقتناؤه للمتحف بتاريخ 13–6–1988م

- النقش رقم (1)

الرقم المتحفي: A-20-162

مصدر الأثر: الخربة البيضاء– بني نوف الجوف.

أبعاد الأثر: الطول 18.5سم، العرض 18.5سم، الارتفاع 8سم.

مادة الأثر: حجر جيري.

وصف الأثر: جزء من نقش بالخط المسند على حجر مربع الشكل تقريباً، دُونَ بخط غائر ويتألف من ثلاثة أسطر، والجزء الأيمن منه مفقود، أما الجزء الأسفل من الحجر فغير مشغول بالكتابة.

ويستدل من سياق هذا النقش أنه واحد من مجموعة النقوش النذرية السبئية؟ والمكرسة لأحد أو إحدى الآلهة اليمنية القديمة، والتي، وللأسف الشديد، قد تلفت حروف اسم هذا الإله أو هذه الإلهة في منتصف السطر الثالث.

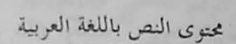
---

* أستاذ آثار ولغات اليمن القديم المساعد، قسم الآثار–كلية الآداب–جامعة صنعاء.



النص بالحرف العربي

1. [..../ و] مْ و هــ ب م/ و ح ض
2. [ ر م/ .... ] أ د م/ ذ ي ع د/ هــ
3. [ ق ن ي و/..../ ] ب ح ت ن هــ ن



محتوى النص باللغة العربية

1. [..../ و] مُوهبم وحضـــ
2. [ رم/ ....] أتباع (قبيلة أو عشيرة) ذو يعد
3. [ قدموا (قرباناً)/لـــ ....] بحتنهان

الحاشية

السطر 1: [..../ و][2]: واضح أن بداية السطر تلفت حروفه الأولى والتي تؤلف اسم علم للشخص الأول.
م و هــ ب م: اسم علم بسيط يحتوي على الجذر السامي وهب بمعنى "وهب، أعطى، منح" (Cohen 1996 (6): 508)، ثم حرف الميم (التميم) الذي يلحق بعض أسماء الأعلام في النقوش اليمنية القديمة للدلالة على التنوين. فيمكن قراءة الاسم قياساً على ما ورد عند الهمداني بـــ موهِب و موهَب (الهمداني 1986: 53). وكذلك يمكن قراءة الاسم على صيغة المبني للمجهول على وزن مفعول قياساً على الاسم موهوب المعروف في الموروث العربي (Walter 1966: 26 أنظر هياجنة 242 :Hayajneh 1998). يرد موهبم اسم علم لشخص علاوة على ذلك في إحدى المخربشات السبئية (شكل رقم 7 / 1) (باسلامة 1990: 164) وكذلك معروف في النقوش القتبانية (Hayajneh 1776:140) .

ومن الجذر وهب نجد أسماء أعلام كثيرة جاءت بصيغة بسيطة وكذلك بصيغة مركبة مع أسماء الآلهة في النصوص السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية:

(Tairan 1992:261;Al-Said 1995: 236;Hayajneh 1998: 295; Sholan 1999:167)

السطر 3-2: الحرفان ح ض [ ر م/.... ]: يقترح تكملة الاسم هكذا ح ض ر أو ح ض ر م. وقد جاء ذكر الاسمين كاسمي علم لشخصين في النقوش المعينية (Al-Said 1995: 88) وكذلك في النقوش القتبانية (Hayajneh 1998: 120). وبناء على ذلك يرجح قراءة الاسم على صيغة اسم الفاعل قياساً على الاسم حاضِر المعروف في المصادر العربية (Caskel 1966: 290)، أو على صيغة حضور (الهمداني 19:6: 632). فالاسم مشتق من الجَذر العربي حضر بمعنى "تواجد، حضر" ( الفيروز آبادي 1952 (2): 10).

أ د م: اسم جمع، والمعنى "أتباع، رعية" (بيستون وآخرون 1982: 2).

ذ ي ع د: الاسم مكون من شقين، من ذ (ذي) اسم الموصول للمفرد المذكر وتأتي هنا لجمع الذكور بمعنى "اللذين"، ومن يعـد اسم القبيلة أو العشيرة التي ينتمي إليها أصحـاب النقش.

الاسم يعــد جاء على صيغة الفعل المضارع مشتق من مادة وعد الواردة في اللغات السامية بمعنى "وَعَدَ" (Cohen 1997 (7): 573). وهناك من يرى أن الفعل يعد فعل مضارع مشتق من الجذر السامي عود بمعنى "عاد، رجع" (Müller 1982: 177; Al-Said 1995: 184 ).

للمقارنة يرد أيضاً الاسم مسبق بـ (ذ) في النقوش السبئية والمعينية والقتبانية(Harding 1971: 675). ويرد كاسم علم لشخص في النقوش المعينية (Al-Said 1995: 184) وأيضاً في النقوش اللحيانية والصفوية (Harding 1971: 675).

السطر 2-3: هـ [ ق ن ي و/....] الفعل هقنيو جاء هنا بصيغة الجمع أي " قدموا قرباناً ".

السطر 3: ب ح ت ن هـ ن : الصيغة هنا مركبة من الاسم بحت ومن نمن صيغة المثنى المعرف. ومن واقع النقوش النذرية القتبانية[3] الحضرمية[4] والسبئية[5] المنشورة حتى اليوم عرف أن القربان بحت قد قدم للآلهة ذت حميم، ذت صنتم، أثرت، عم ذريمتم، عم ذديمتم، سين، المقه. فربما في نصنا هذا أن (هذين) القربانين قد قُدمَا لواحد من هذه الآلهة.

حتى الآن لم تفسر الكلمة بحت بشكل دقيق، فقد ترددت الآراء كثيراً في تفسير هذه الكلمة[6]. ويعتبر المرحوم محمود الغول هو أول من ترجم هذه الكلمة بمعنى "ذَكَرٌ" (Ghul 1959: 2-4) كما هو معروف في اللغة العربية من مادة بوح (الفيروزآبادي 1954 (1): 444)، وأورد المعجم السبئي، القتباني وأ. أفانزيني الكلمة متحفظين ببعض الشيء تحت الجذر بوح بمعنى "ذَكَرٌ (يقدم قرباناً) (ف: بُوح)"(بيستون وآخرون 1982: 33؛ Avanzini 1980:149; Ricks 1989: 24). ويرى بافقيه بأن المعنى الذي جاء في المعجم غير مناسب ويعتقد أن المزيد من النقوش وتنوع النذور قد يحسم الأمر. ويكتفي بافقيه بترك اللفظ كما هو "شيء يقدم في المعابد الوثنية القديمة" (بافقيه 1994: 22).

وقد أوضح لي الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله بأن "البُحت" هو (اسم محلي معروف في اليمن لشجرة، وللصمغ الذي يخرج منها. وكان من مواد البخور وهي أقرب إلى شجرة المُر). وبالتالي يمكن أن يكون المعنى أنه قد قدموا قرباناً بهيئة مبخرة وهذه المبخرة قد خصصت لإحراق هذا النوع من البخور. وعادة ما يكتب على المباخر المصنوعة من البلق أو غيره اسم مادة البخور المخصصة له، مثل المباخر التي وردت عليها كلمة طيب إل، رند، ضرو، كمكم، قصط، لدن،...الخ (Maraqten 1994: 171; Sima 2000: 266) وربما تكشف الآثار لنا مستقبلاً عن مبخرة مكتوب عليها كلمة بحت.

ويرى أ. سيما أنه يمكن فهم الكلمة بحت بناءً على ما جاء في النصوص النذرية بأنها نوع من القرابين إلى جانب أنواع القرابين الأخرى كـ مس[3] ند وصلم. علاوة على ذلك فقد أرتبط القربان بحت في معظم النصوص النذرية بالكلمات التالية: البلق، الفخار والبرونز (Sima 2000: 298). ومن هذه النصوص ما يلي:

في القتبانية:

(JR-Wbrashear 1/2): س ق ن ي/ ذ ت/ ح م ي م/ ع ث ت ر/ ب س[3] ر م/ ب ح ت/ ب ل ق ن "قدم للإلهة ذت حميم عثتر بس[3]رم قربان من البلق".

(RES 311/4-5): س ق ن ي/ و ر خ/ و ح ر م ن/ ب ح ت/ ب ل ق ن "قدم (للإله) ورخ (وللإله) حرمن قربان من البلق".

(RES 4273/2-3): [....و س ق ن ي ت/ ذ ت/ ص ن ت م/ ب] ح ت ي/ ب ل ق م " ...وقدمت للإلهة ذت صنتم قربانين من البلق".

(Lee Warner/2-4): س ق ن ي/ ع م/ ذ ر ي م ت م/ أ ر ب ع/ ب ح ت ي/ م ر ت ن " قدم (للإله) عم ذ ريمتم أربعة قرابين من الفخار".

(VL 1/2-3): س ق ن ي/ ع م/ ذ د ي م ت م/ ب ح ت/ م ر ت ن " قدم (للإله) عم ذ ديمتم قربان من الفخار".

(M. Bayḥān 545 /2-3): ر د أ ت/ أ ث ر ت/ ب ح ت ن ي هـ ن " قدمت (للإلهة) أثرت (هذين) القربانين "أي قطعتين من ذلك الشيء"(بافقيه 1994: 21)

أما في السبئية:

(CIH 423/1-2): [هــ ق ن ي ....ر أ] س هــ م و/ و ث م ن ي/ ب ح ت م/ ذ هــ ب م "قدم .... (اسم الشخص يدعى) رأسهمو وثمانية قرابين من البرونز".

- **النقش رقم (2)**

الرقم المتحفي: A-20-169

مصدر الأثر: بني نوف– الجوف

أبعاد الأثر: الطول 19سم، العرض 16سم، الارتفاع 6.5سم

مادة الأثر: مرمر

وصف الأثر: جزء من نقش بالخط المسند، نفذ بخط غائر جاء في أربعة أسطر.

يستدل من سياق هذا النقش أيضاً أنه واحد من مجموعة النقوش النذرية السبئية والمكرسة للإله [...] (في المعبد المسمى) عرنــ ؟.




النص بالحرف العربي

1. ....] ز ع ف ل/ ع ب د/ [....
2. ....] ش هــ ر ع ل ي/ هــ ق ن ي/ ذْ [....
3. ....] ف ر ع ن/ ع د يْ/ ع ر ن [....
4. ....] ص ل/ م س3 ن د ن/

محتوى النص باللغة العربية

1. ....] ز ع ف ل عبد [....
2. ....] ش هــ ر ع ل ي قدم (للإله) ذْ [....
3. ....] ف ر ع ن في (معبده المسمى) ع ر ن [....
4. ....] ص ل (و) النقش

الحاشية

السطر1: .... ] ز ع ف ل. واضح من أن بداية ونهاية كل سطر من هذه الأسطر مفقودة. فإذا تأملنا في بداية السطر الأول واضح أنه اسم علم لصاحب النقش أو والده، والذي لم يتبق منه سوى الحروف الأربعة الأخيرة من الاسم. وهي: ز ع ف ل

ع ب د: اسم مفرد بمعنى "عبد".

السطر 2: ....] واضح أن بداية السطر قد تلفت حروفه الأولى، ثم بعد ذلك يأتي اسم العلم

ش هـ ر ع ل ي: وهو اسم علم لشخص مركب من شقين: الأول منهما شهر وهو المحتمل أن يكون اسم المعبود، بينما الشق الثاني من الاسم فهو من الجذر السامي علي بمعنى "عليَ، أرتفع"(.Müller 1962: 80ff)، وبالتالي يمكن قراءة الاسم بصيغة الجملة الاسمية وبمعنى "شهر (القمر، الهلال) أرتفع".

وقد جاء اسم المعبود شهر في بعض أسماء الأعلام السبئية المبكرة مثل شهر هقم، ذمر شهر، كرب شهر ...إلخ (Tairan 1992: 260).

ويمكن أيضاً أن يكون علي هنا اسم المعبود، حيث ورد في بعض الأسماء المركبة منها على سبيل المثال حمد علي، ذمر علي، علي رأب، علي هزع، مجد علي، نبط علي، عل خرش ...إلخ (Tairan 1992: 261; Al-Said 1995: 227; Hayajneh 1998: 292; Sholan 1999: 162)، لذلك يمكن قراءة الاسم بصيغة الجملة الفعلية شهرَ عاليَ بمعنى "عالي شَهرَ".

فالاسم شهر علي ورد أيضاً في نقش سبئي آخر كاسم علم مذكر (Fa 30 bis/4).

هـ ق ن ي/ ذ[....: فعل ماضي مزيد بحرف الهاء باللهجة السبئية والمعنى "قدم قرباناً". ذ ربما يأتي هنا بعد الاسم الموصول اسم للمعبود والذي لانستطيع تكملته نتيجة فقدان الحروف.

السطر 3: ....] ف ر ع ن/ ع د ي/ ع ر ن [....

فرعن: اسم علم، ونتيجة للكسر الذي يسبقه فلا نستطيع الجزم ما إذا كان اسم علم لشخص أو ربما صفة لاسم الإله الذي لم يتبق منه سوى حرف (ذ) إذا كان ذلك صحيحاً. فاسم العلم فرعن ورد كاسم علم لشخص في بعض النقوش السبئية (Robin-Kāniṭ 3/2, Robin 1982: 46;Gl 1217/1-2)والحضرمية (Harding 1971: 466). عدي عرنـ[.... صيغة مركبة من جار ومجرور، حرف الجر عدي بمعنى "في"، عرنـ[.... يحتمل أن يكون اسم المكان الذي يوجد فيه المعبد.

يرد الاسم ع ر ن: في هذا النص السبئي (CIH 240/5) أ ل م ق هـ/ب ع ل/ ع ر ن. وواضح أن عرن هنا اسم لمكان يوجد فيه المعبد الخاص للإله المقه. وقد ورد عرن كاسم لمدينة في النقوش اليمنية القديمة (Al-Scheiba 1982: 110) حيث أشار إلى هذا المكان فون فيسمن في كتابه تاريخ وجغرافية جنوب الجزيرة العربية (Wissmann 1964: 324) .

السطر 6: ....] ص ل (و) مس$^{3}$ند: من المؤكد أن بداية السطر مفقود ولم يتبق من الكلمة الأولى سوى حرفان هما صل ويبدو أنه نوع قربان، لأن الكلمة التي تليه مس$^{3}$ ند، أي أنه قد قدم " ....]ص ل (و) النقش".




- **النقش رقم (3)**

الرقم المتحفي: A-20-880

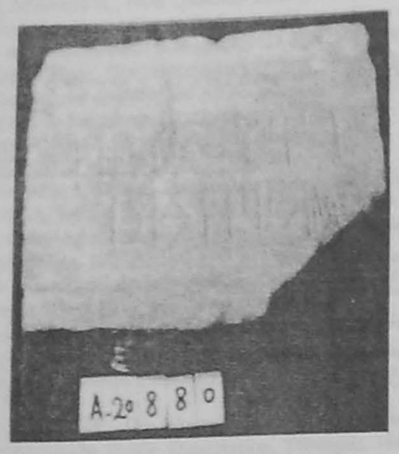
مصدر الأثر: مدينة عبلة، شبام الغراس

أبعاد الأثر: الطول : الطول 19سم، العرض 18سم، الارتفاع 4.2سم

مادة الأثر: رخام

وصف الأثر: جزء من نقش بالخط المسند، نفذ بخط غائر في سطرين

يتضح من سياق هذا النقش القصير أنه واحد من مجموعة النقوش القبورية أو التذكارية، وصيغة هذا النمط من النصوص القصيرة قد عرفت كثيراً في النقوش القتبانية المكتشفة من مقبرة حيد بن عقيل وكذلك في النقوش السبئية المكتشفة من مقبرة أوام.




النص بالحرف العربي

1. ل ح ي ع ث ت/ ب
2. ن/ م ح ض ر م/

محتوى النص باللغة العربية

1. لحي عثـــ(ر) من
2. (عائلة أو قبيلة) محضرم

الحاشية

السطر 1: ل ح ي ع ث ت: جاء اسم العلم المركب المذكر في عدد من النقوش اليمنية القديمة منها السبئية والمعينية والقتبانية: (Tairan 1992:191; Al-Said 1995:41; Hayajneh 1998: 337).

هناك احتمالان لتفسير هذا الاسم: الأول منهما وهو أن الاسم يتألف من ثلاثة أجزاء، الأول اللام حرف التمني، ومن الجذر السامي حيو/ي (Müller 1962: 47; Hoftijyer-Jongeling 1995: 365f.) وهو الفعل بمعنى "حيا" ومن الفاعل اسم المعبود عثت. أما الاحتمال الثاني، فيتكون الاسم من شقين، الأول لحي كما هو في اللغة الجعزية بمعنى "جميل، يبرق" (Leslau 1987: 312) ومن الفاعل اسم المعبود عثت. ويقرأ الاسم لحي عثت، مع ظاهرة القطع أو الترخيم في الاسم (عثت) أي عثتر وهي للتخفيف عند التلفظ باسم العلم المذكور. ويمكن تفسير الاسم بـ "ليحيا (أو) وليستمر الإله عثـــ(ر)" أو بصيغة المضاف إليه "جمال الإله عثـــ(ر)".

السطر 1–2: ب ن: استخدمت بن هنا وفي نقوش أخرى كأداة نسب إلى العائلة. محضرم: اسم العائلة أو القبيلة مشتق من الجذر حضر أنظر النقش رقم (A-20-162/1-2)، ومن ثم حرف الميم (التمييم) الذي يلحق بعض أسماء الأعلام في النقوش اليمنية القديمة. ومن المرجح قراءة الاسم مِحْضَار قياساً لاسم عائلة المِحْضَار الحضرمية (الحجري 1996 (4): 691). وقد جاء الاسم محضرم أيضاً كاسم لعائلة أو قبيلة قتبانية (Harding 1971: 531) وكذلك كاسم لقبيلة سبئية (مكياش 3995: 330) وفي نقش آخر من مجموعة نقوش متحف قسم الآثار غير المنشورة (A-20-847/0).

الهوامش:

(1) يضم متحف قسم الآثار بكلية الآداب–جامعة صنعاء عدداً كبيراً من النقوش اليمنية القديمة غير المنشورة، وتنوي الباحثة دراستها على هيئة حلقات متتابعة. وقد أعدت الباحثة موضوعاً بعنوان "نقش جديد من نقوش الإله ذو سماوي" وهو قيد النشر.

(2) [....] أتبعت الباحثة منهجاً واحداً في تفريغ حروف النقوش وذلك بوضع أربع نقاط في مكان الكلمة المفقودة. فهذه النقاط لا تعبر بالضرورة عن عدد الأحرف المفقودة، بقدر ما هي توضيح للقارئ بأن هناك كسوراً في النقش يصعب أحياناً تقدير عدد أحرف الكلمة المفقودة.

(3) وردت الكلمة بحت في النقوش القتبانية منها:
(RES 311; 3902.142; 3914; 4273; 4274; JR-Wbrashear 1; Lee Wamer; VL 1; M. Bayḥān 545).

(4) وفي النقوش الحضرمية: (Rb V/91 no. 61 etc.; no. 77; no. 82 C; Rb I/84 no. 178 etc.; no. 183 etc; no. 196 etc.; no. 197 a-e; no. 198 a-f; 253a-e-300 ; Rb I/ 88 no. 68; no. 132 a-b; Rb I/89 no. 269-270-271-272; no. 279 etc.; no. 291 etc.; 298) .

(5) وفي النقوش السبئية: (CIH 423 ; 960; Ja 672; 2892; 2894; RES 4203;4679; 4921).

(6) أنظر في هذا الموضوع: (Ryckmans 1987: 169; Müller 1993: 18; Frantsouzoff 1995: 16).

## قائمة اختصارات مدونات النقوش

CIH: Corpus Inscriptionum Semiticarum .IV: مدونة النقوش السامية (كوربوس)

Fa: Ahmad Fakhry 1952: مجموعة نقوش أحمد فخري نشرها جونزاك ريكمانز

JR-Wbrashear: Jacques Ryckmans, 1987: نقوش Wm. Brashear نشرها جاك ريكمانز

Lee Warner: François Bron, 1992: نقوش M. P.Lee Warner نشرها فرانسوا برون

Rb: Serguei Frantsouzoff, 1995;1997: نقوش ريبون نشرها سيرجوي فرانتسوزوف

M. Bayḥān: 1994 نقوش متحف بيحان نشر مجموعة منها محمد عبد القادر بافقيه تحت رمز م.ب. بافقيه 1994

RES: Répertoire d'Epigraphie Sémitique: مدونة النقوش السامية المكملة (ريرتوار)

VL: Ghul, Mahmud A., 1959: نقوش فان ليسن نشر مجموعة منها محمود الغول

Ja: Jamme, Albert, 19429 1981: نقوش إلبرت جام

## المراجع باللغة العربية


بافقيه، محمد عبد القادر، *"نقوش ودلالات"*، ريدان 6، 1994م . 6–26.

باسلامة، محمد عبد الله، *شبام الغراس. دراسة تاريخية أثرية*، صنعاء، مؤسسة العفيف الثقافية، 1990م.

بيستون، ألفريد ف.ل.، محمود الغول، والتر موللر، جاك ريكمانز، *المعجم السبئي*، بيروت، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، ودار نشريات بيترز، 1982م.

بيستون، ألفريد ف.ل.، *قواعد النقوش العربية الجنوبية "كتابات المسند"*، ترجمة رفعت هزيم، اربد، مؤسسة حمادة، 1995م.

الحجري، محمد بن أحمد، *مجموع بلدان اليمن وقبائلها*، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، مجلدان، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، 1996م.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، *القاموس المحيط*، 4 أجزاء، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، 1952م.

مكياش، عبد الله أحمد، *أسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية*، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، اربد، 1993م.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، *الإكليل* 2، تحقيق محمد بن علي الأكوع، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1986م.


## المراجع باللغات الأجنبية


Avanzini, Alessandra, *Glossaire des inscriptions de l'Arabie du Sud.* 2 Vol., Firenze, Quaderni di Semitistica 3, 1977-1980.

Beeston, Alfred F.L., *Sabaic Grammar*, Manchester, Journal of Semitic Studies, Monograph No. 6, 1984.

Bron, François, *Mémorial Mahmud al-Ghul. Inscriptions Sudarabiques*, Paris, L'Arabie préislamique 2, 1992.

Caskel, Werner, *Ǧamharat an-Nasab. Das genealogische Werk des Hišām ibn Muhammad al-Kalbī*, Ba. II,Leiden, 1966.

Cohen, David (Hrsg.) [ab Fasc. 3: avec la collaboration de F. Bron et A. Lonnet]: *Dictionnaire des racines sémitiques ou attestées dans les langues sémitiques.* Comprenant un fichier comparatif de Jean Cantineau. 8 Fasc.:' -z. Paris, 1970-1999.

*Corpus Inscriptionum Semiticarum, pars quarta. Inscriptiones himyariticas et sabaeas continens.* Tomus I. II. III., Paris, 1889.1911.1929.

Fakhry, *Ahmad, An Archaeological Journey to Yemen (March-May 1947).* Part II Epigraphical Texts by G.

Ryckmans, Cairo, 1952.
Frantsouzoff, Serguei A."The inscriptions from the temple of Dhat Ḥimyam at Raybūn", *PSAS* 25, 1995.15-28.
-, "Regulation of conjugal relations in ancient Raybūn", *PSAS* 27, 1997. 113-127.
Ghul, Mahmud A., New Qatabâni Inscriptions, *BSOAS* 22, 1959. 1-22.
Harding, Lankester G., *An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions*, Toronto, Near and Middle East Series 8, 1971.
Hayajneh, Hani, *Die Personennamen in den qatabānischen Inschriften.Lexikalische und grammatische Analyse im Kontext der semitischen Anthroponomastik*, Hildesheim, Texte und Studien zur Orientalistik 10, 1998.
Hoftijzer, J.-Jongeling, K., *Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions* I-II (with Appendices by R. C. Steiner, A. Mosak Moshavi and B. Porten), Leiden, Handbuch der Orientalistik, 1. Abteilung, der Nahe und Mittlere Osten 21, 1995.
Jamme, Albert, *Sabaen Inscriptions from Maḥram Bilqîs (Mârib)*, Baltimore, Publications of the American Foundation for the Study of Man III., 1962.
-, Pre-Islamic Arabian miscellanea. In: *Al-Hudhud. Festschrift Maria Höfner zum 80. Geburtstag*. Hrsg. von R. G. Stiegner, Graz, 1981.
*Jemen. Kunst und Archäologie im Land der Königin von Saba'. Katalog zur Ausstellung des Kunsthistorischen Museums Wien*. Hrsg. von W. Seipel, Wien, 1998.
Leslau, Wolf, *Comparartive Dictionary of Ge'ez*, Classical Ethiopic, Wiesbaden, 1991.
Maraqten, Mohammed, Typen altsüdarabischer Altäre. In: *Arabia Felix: Beitrage zur Sprache und des Kultur vor islamischen Arabien. Festschrift Walter Müller zum 60. Geburtstag*. Hrsg von Norbert Nebes, Wiesbaden, 1994. 160-177.
Müller, Walter W., *Die Wurzeln Mediae und Tertiae y/w im Altsüdarabischen. Eine etymologische und lexikographische Studie*, Dissertation, Tübingen, 1962.
-, Zum Fragment einer spätsabäischen Inschriften an der Moschee von Ṣirḥa, *ABADY* I, 1987. 177-180.
-, „Heilige Hochzeit„ im antiken Südarabien. In: *Studies in Oriental Culture and History. Festschrift Walter Dostal*. Hrsg. von A. Gingrich e . a. Frankfurt, 1993. 15-28.
Ricks, Stephen, *Lexicon of Inscriptional Qatabanian*, Rom, Studia Pohl 14, 1989.
Al-Said, Said F., *Die Personennamen in den minäischen Inschriften. Eine etymologische und lexikalische Studie im Bereich der semitischen Sprachen*, Wiesbaden, Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission der Akademie der Wissenschaften und der Literatur, Mainz 41, 1995.
Al-Scheiba, Abdallah H., *Die Ortsnamen in den altsüdarabischen Inschriften. Mit dem Versuch ihrer Identifizierung und Lokalisierung*, Inaugural-Dissertation Marburg/Lahn, 1982.
Sholan, Amida, *Frauennamen in den altsüdarabischen Inschriften*, Hildesheim, Texte und Studien zur Orientalistik 11, 1999.
Sima, Alexander, *Tiere, Pflanzen, Steine und Metalle in den altsüdarabischen Inschriften.Eine lexikalische und realienkundliche Untersuchung*, Wiesbaden, Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission der Akademie der Wissenschaften und der Literatur, Mainz 46, 2000.
Solá Solé, José M., *Sammlung Eduard Glaser IV. Inschriften aus Riyām*, Wien, Sitzungsberichte der Österreichischen Akademie der Wissenschaften Phil.-Hist. Kl. 234/4, 1964.
Tairan, Salem A., *Die Personennamen in den altsabäischen Inschriften. Ein Beitrag zur altsüdarabischen Namengebung*, Hildesheim, Texte und Studien zur Orientalistik 8, 1992.
*Répertoire d'Epigraphie Sémitique publié par la commission du Corpus inscriptionum semiticarum*, Paris, Tome I, 1900-1905, Tome II, 1907-1914, Tome V, 1929, Tome VI, 1935, Tome VII, 1950, Tome VIII, 1968,
Robin, Christian, *Les Hautes-Terres du Nord-Yémen avant l'Islam*. 2 Bände, Leiden, Uitgaven van het Nederlands Historisch-Archaeolgisch Instituut te Istanbul L, 1982.
Ryckmans, Jacques, Inscriptions sud-arabes d'une collection privée londonienne. In: *Ṣayhadica. Recherches sur les inscriptions de l'Arabie préislamique offertes par ses collègues au professeur A.F.L. Beeston*. Ed. par Ch. Robin et M. Bâfaqīh, Paris, 1987. 165-180.
Wissmann, Hermann von, *Sammlung Eduard Glaser III. Zur Geschichte und Landeskunde von Alt-Südarabien*, Wien, Sitzungsberichte der Österreichischen Akademie der Wissenschaften Phil.-Hist. Kl. 246, 1964.

# أثيوبيــا وحمــير

## في القرنين الخامس والسادس الميلاديين

بيجو ليفسكايا. ن. ف

ترجمة: قائد محمد طربوش *

الإهداء: إلى أستاذي الفاضل مطهر علي بن يحيى الإرياني.

من المترجم:

هذا هو الفصل الرابع من كتاب بيزنطة في طرقها إلى الهند تأليف بيجو ليفاسكايا صدر باللغة الروسية عن دار العلم موسكو – لينين جراد عام 1951. ترجمنا الخمسة الفصول المتعلقة باليمن وعلاقاتها بالبلدان الأخرى وهو ما يربو على 70٪ من الكتاب وقد نشرت الفصول الأخرى في مجلتي الحكمة اليمانية والكلمة. نشر في مجلة الحكمة كل من قوانين الحميريين العدد 138، المصادر في تاريخ حمير – العدد 194، مرافئ وبضائع البحر الأحمر العدد 201. ونشر الفصل الخامس – العلاقات الاجتماعية بنجران في بداية القرن السادس الميلادي. في مجلة الكلمة في ثلاث حلقات – عدد سبتمبر أكتوبر 1993 وعدد مايو 1994 وسبتمبر 1994م[1]. وستصدر هذه الفصول في كتاب بعنوان من تاريخ اليمن في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، إنشاء الله، من المفيد الحديث عن الفصول التي ترجمناها كمقدمة لهذا الفصل.

تنوعت موضوعات هذه الفصول حيث تطرقت المؤلفة في فصل مرافئ وبضائع البحر الأحمر، إلى العلاقات التجارية بين اليمن ووسط إفريقيا عبر الحبشة، وبين اليمن وجنوب شرق إفريقيا عبر الصومال وبربرة بالذات. ومقايضة البضائع بالذهب في المناطق الإفريقية المشار إليها في الفصل المذكور.

وحللت المؤلفة في فصل قوانين الحميريين مواد تلك القوانين واقتبست بضعا منها. وأبدت وجهة نظرها في صحتها من عدمه وقارنتها بقوانين المدن البيزنطية الأخرى.

والملحوظ أن معشر المثقفين اليمنين أو جلهم لا يعرف عن قوانين الحميريين شيئا بما في ذلك المتخصصين بتاريخ اليمن. لقد حاولنا العثور على نصوص قوانين الحميريين باللغة السريانية من أجل أن يقوم أحد العارفين بتلك اللغة بترجمتها إلى اللغة الروسية نقوم بعد ذلك بترجمتها إلى اللغة العربية ولما سألنا البرفسور م.ب بيوترفسكي (متخصص بتاريخ اليمن القديم والوسيط) عن النص السرياني لقوانين الحميريين أفاد بأنه لا يعرف عن ذلك شيئا (كان ذلك عام 1988م). وبعد الفشل في العثور على نص تلك القوانين في لينين جراد أطلعنا في مكتبة كلية التاريخ جامعة موسكو على بحث كبير كتبه فاسيلف عام 1907م عن حياة الأسقف جرجنت في مجلة

---

* دكتور علوم في فقه القانون– عميد كلية الحقوق– جامعة تعز.

الوقت الروسية (وجرجنت هذا هو الذي شرح قوانين الحميريين) غير أنا لم نجد نص القوانين في ذلك المؤلف. ومع الاعتراف بأن محاولاتنا في العثور على قوانين الحميريين في روسيا قد ذهبت أدراج الرياح، إلا أنه لابد أن يقيض الله من يعثر على نصها السرياني ويترجمها إلى اللغة العربية.

وتناولت المؤلفة المصادر في تاريخ حمير - الفصل الثالث من هذا البحث حللت فيه المصادر الإغريقية والسريانية والعربية.. الخ، التي ذكرت وقائع الصراع الذي دار في جنوب شبه جزيرة العرب نذكر منها المدونة التاريخية لتنوس، الطبوغرافيا المسيحية لكوزما أندكوبلف، مدونات يوحنا الانطاكي ويوحنا الأفسي، رسالة شمعون بطرس الأرثمي، مدونة دينوسيوس تلمهر الكاذب، حوليات الترتيب الزمني لثيوفن، كتابات بروقيوبوس القيساري، أشعار يوحنا بسلتس عن الحرب الكوشية الحميرية، التي ترجمها بافل الأدسي إلى السريانية من الإغريقية قام يعقوب الأدسي بمراجعة الترجمة، رسالة يعقوب السرجوقي السرياني، شهادة الرقى (عن الشهداء النجرانيين ) في بداية القرن السادس الميلادي.

إخباريات ابرام الدبلوماسي البيزنطي (اب الدبلوماسي تنوس)، مدونة زكريا متيلينسكي، كتاب الحميريين، الذي عثر موبورج عام 1924م على جزء منه وغيرها من المصادر التاريخية المتعلقة بتاريخ اليمن في القرنين الخامس - السادس الميلاديين وهي مصادر قيمة نحن في أمس الحاجة إلى أن نراها باللغة العربية.

وأفردت المؤلفة الفصل الرابع من كتابها للحروب الحميرية الإثيوبية في القرنين الخامس-السادس الميلاديين، تتبعت العلاقات المتشابكة بين بيزنطة وفارس وأثرها على بلدان حوض البحر الأحمر وشبه جزيرة العرب. مرجعة الصراع بين الدولتين الكبيرتين آنذاك (بيزنطة وفارس) إلى فترة تعود إلى ماقبل مائتي سنة من الحروب الحميرية الأثيوبية. مشيرة إلى أن مصالح الفرس بدأت تصطدم بمصالح الحميريين والأثيوبيين في ذلك الوقت الذي لم يكن بمقدور إيران احتلال شبه جزيرة العرب وإدارة تجارتها نظرا لقوة النبطيين واليهود. ثم أثيوبيا فيما بعد.

وربطت الكاتبة ظاهرة انتشار التجارة اليهودية في إيران وعلاقات الأخيرة مع الأقليات اليهودية في شبه جزيرة العرب. وبذور انتشار المسيحية في اليمن. متحدثة عن الصراع النسطوري (نسبة إلى مذهب نسطور المسيحي) والمانوفوزي (مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح) والمذاهب المسيحية الأخرى من جهة. والصراع اليهودي - المسيحي في شبه جزيرة العرب من جهة أخرى. لقد أكدت المؤلفة أنه لم يكن بمقدور الجيش الأثيوبي احتلال أرض الحميريين لو لم تقم بيزنطة بمساعدتها الكبيرة لأثيوبيا. والدعم البحري على وجه الخصوص، لقد قدرت المؤلفة عدد الجيش الإثيوبي الذي غزا اليمن بخمسة عشر ألف مقاتل وعدد السفن التي كانت تحت إمرة كالب بسبعين سفينة. كان أغلبها من قطع الأسطول البحري البيزنطي. مشيرة إلى السفن التي أبحرت إلى جبهة القتال من مرافئ الإمبراطورية البيزنطية أو من مجال نفوذها. كما تحدثت عن النهب والسلب للأموال والممتلكات وقتل الأسر الحميرية بعد الاحتلال الأثيوبي لليمن. والغدر باليمنيين الذين تحالفوا مع الحبشة أثناء الحرب إلى درجة أن السميفع. الملك الحميري الذي توّجه الأحباش ملكا بعد مقتل يوسف ذو نواس قد كان أول المغدور بهم.

وتطرقت المؤلفة إلى المقاومة اليمنية للاحتلال الأثيوبي. قائلة بأنه لم تمض سوى عشرين سنة من الاحتلال إلا وبدأت الانتفاضة اليمنية ضد المحتلين، تلك الانتفاضة التي قمعها أبرهة بقسوة وإن لم تؤد هذه القسوة إلى الخضوع المطلق لحكمه.

لقد أشارت الكاتبة إلى أن البيزنطيين حاولوا أثناء الاحتلال الحبشي لليمن جر أثيوبيا وحمير إلى الاشتراك في الحرب الدائرة بين فارس وبيزنطة عام 531م. وبعد أن قام الفرس بإحراز انتصار على البيزنطيين في مواقعهم فيما بين النهرين وضفاف الفرات. لقد طلب البيزنطيون من الأثيوبيين في اليمن عبور الصحراء لإحداث ثغرة على الطريق الممتد في الخليج العربي وجنوب العراق والبدء بهجوم يقوده الأحباش على الفرس.

وذكرت المؤلفة محاولات أبرهة الاستقلال باليمن عن أثيوبيا ومع ذلك استمر في الحفاظ على التوجه المؤيد لبيزنطة بصرف النظر عن أنه شق عصا الطاعة عن الحبشة. لأنه أدرك أنه ليس بمقدوره الاستمرار في الاستقلال. بسبب أن ذلك غير مرغوب فيه من قبل كل من بيزنطة وإيران. وهو ما يجعل بيزنطة تشعر بالارتياح لبقاء أبرهة مخلصا للتوجه المسيحي الرومي. في حين تشعر إيران بأن حمير لم تعد محمية تابعة لأثيوبيا وهو ما يجعل وضعا كهذا لليمن أقل خطورة عليها.

وإضافة إلى ما تقدم تحدثت الكاتبة عن انتفاضة الحميريين ضد الأحباش وعن قائد تلك الانتفاضة – الوالي يزيد بن كبشانة [كبشة] الكندي الذي وحد الأعيان السبئيين في مناطق الجوف وحضرموت التي انضمت إليه. وإن كان انهيار السد قد غير وضع جيش يزيد مما اضطره الخضوع لأبرهة من جديد وإن لم يستسلم الأمراء المنتفضون لأبرهة جميعهم. إذ بقي قسم من الإقيال حاملا راية المقاومة على الرغم من أن يزيد قد كان ترك صفهم.

وأتت المؤلفة بافتراض هام يكمن في احتمال أن يكون أبرهة قد أمر بانهيار السد. لأنه بذلك الإجراء الحاسم والقاسي في نفس الوقت سيحصل على نتائج سريعة تتمثل في إخضاع الثوار عليه من جهة. وإغواء الناس بإعادة بنائه من جهة ثانية. لقد حشد أبرهة السكان لإعادة بناء سد مأرب وأرغمهم على العمل المضني لإعادة بنائه وصرف أنظارهم عن الانتفاضة.

وتختم المؤلفة قصة احتلال الحبشة لليمن بالقول بأن هذا الاحتلال لم يكن سبعين سنة وإنما 49 عاما أي في الفترة ما بين 526م–570–575م. وهو التاريخ الذي يبدأ فيه الغزو الفارسي لليمن.

وصفت المؤلفة الوضع الذي قرر فيه قسم من النبلاء الحميريين طلب المساعدة من الروم في محاربتهم للأحباش من أمثلة ذلك توجه أبو مرة ابن ذي يزن الحميري إلى القسطنطينية بقصد مساعدة الامبراطور الروماني مساعدته في تحرير حمير من الأثيوبيين. ولما كان الإمبراطور اغسطين الثاني لا يميل إلى القيام بعمليات حربية في مناطق بعيدة وبفضل دعم علاقة دولته مع أثيوبيا الصديقة القديمة. لم يحصل القيل الحميري على الدعم والمساعدة فاتجه إلى الفرس بهدف الخلاص من الأحباش. وختمت هذا الفصل بالحديث عن استيلاء الفرس على اليمن وطرد الأحباش منها وتولي سيف بن ذي يزن ملك اليمن. وقيام خسروف بإرسال جيش إلى اليمن من جديد بقيادة وهرز بعد مقتل سيف، ليصبح وهرز حاكما على اليمن بأمر خسروف. لقد قدرت المؤلفة الفترة التي حكم فيها سيف بـــ22 سنة من توليه الملك إلى عودة وهرز ثانية أي 575م – 597م.

ويأتي الفصل الخامس من الكتاب: "العلاقات الاجتماعية بنجران في بداية القرن السادس الميلادي" استهلته المؤلفة بالحديث عن الصراع بين الملك الحميري ذي نواس ودولة المدينة (نجران). وبنيتها الاجتماعية. لقد أشارت المؤلفة إلى أن التنظيم الاجتماعي للمجتمع السبئي – الحميري يمثل حسبما تكشف النقوش (في حينها) خليطا طريفا للنظام الاجتماعي القبلي، ذي التمايز السلالي. لأن طبيعة العلاقات الاجتماعية بنجران كمدينة كبيرة تمثل نموذجا لنوع من العلاقات التي توجد في مرحلة معينة من التطور الاقتصادي والاجتماعي في مدن القوافل. تلك العلاقات المعقدة والمتشابكة – العلاقات العشائرية والتمايز الاجتماعي. تكمن أهمية العلاقات العشائرية في ارتباطها بقبائل العرب الرحل، وإن لم ينفصل السكان الحضر سكان مدن العربية الجنوبية عن التقاليد العشائرية. وهذا ما تؤكده النقوش والمصادر الوصفية في ذكر العائلات الحميرية الكبيرة وعشائرهم الكثيرة التي وحدها المصالح المشتركة للعشيرة. وانتقال الثروة في إطارها عن طريق الوراثة، الأمر الذي أدى إلى ظهور جبروت القوة السياسية وأهمية العشائر العريقة (الأحرار) و(النبلاء) فكانت العشيرة القوية صاحبة الاختصاص الوراثي بوظائف الكبراء والرؤساء.

إن التنظيم القبلي هو الذي يؤدي إلى التقسيم إلى عشائر رفيعة الشأن وعشائر وضيعة. لقد احتلت العشائر

النبيلة، الغنية وضعا مسيطرا في مدينة نجران. وكانت لها اليد العليا في إدارة المدينة. كانت مدينة نجران وضواحيها وحدة مستقلة (دولة المدينة) ذات نظام حكم لا مركزي. كان الأحرار والنبلاء الفئة الحاكمة فيها، والفئة العليا في المدينة بالذات. تلك الفئة التي كانت تتألف من أكثر الناس غنىً وأكثر الشخصيات وجاهة.

وكان نظام الحكم فيها يستند على أساس وراثي وإن كان توارث المنصب الأول في مدينة نجران لم يكن ليجعل الحاكم أو الشخص الأول منفرداً بالسلطة. لقد كان الرئيس المتساوي في الاختصاصات مع زملائه. وكان هذا حال الحارث الرقي، الذي يتخذ التدابير بصفته رئيس مدينة نجران وضواحيها. لقد كان الشخص الأول فيها غير أنه لم يكن منفردا في تسيير أمورها وتقرير مصيرها حسب وجهة نظر المؤلفة حين قالت وكان الحارث بمثابة الأول بين المتساوين والعضو الأكثر بروزا وغنىً والأرستقراطي السامي.

حللت الكاتبة الصراع الدائر بين نبلاء نجران والتبع مسروق. كما كشفت النقاب عن حرية التملك لدى المرأة حتى في ظل وجود زوجها. وأتت بمثال الزوجة رومي من عشيرة جو النجرانية الغنية. لقد ذكرت المؤلفة أن ملكية رومي أربعين ألف دريق مسكوك في خزانتها عدا مالها من الذهب والفضة والنحاس واللؤلؤ والياقوت كحلي تتزين بها. هذا فضلا عن ثروة زوجها الموجودة في خزانته.

وتنتقل المؤلفة إلى المقارنة بين قمة الدولة الحميرية ودولة المدينة نجران وموضوع الولاء للملك من قبل مقربيه. وهو الولاء الذي يخضع لقوة الملك وضعفه. لقد كان الملك رأس اليمن في مرحلة سيادة حمير. وكان الأمراء المقربون منه غير محصورين بعدد. وهم حكام المناطق الداخلية في إطار الدولة. كان الملك يستند عليهم وإن كان يعتبر نفسه في درجة أرفع شأنا منهم.

وكانت العلاقة بين الملك والأقيال مرتبطة بقوته وضعفه مثال ذلك أنه حين الحق الأحباش بمسروق عددا من الهزائم العسكرية بدأ الخوف يساوره في أن ينقلب عليه أقرباؤه السبعة أو ما يمكن تسميتهم بالمنامة الملوك - أقيال حمير. وهنا يكمن التغاير في وضع رئيس الدولة الحميرية - الملك الذي يعتبر نفسه في مركز أسمى من الأقيال ووضع رئيس مدينة نجران الذي يعتبر نفسه الأول بين النظراء المتساويين في قمة السلطة الحاكمة للمدينة. وإن كانت دولة المدينة هذه غير مستقلة بالكامل عن الدولة الحميرية. لقد كانت إدارة مدينة نجران تسير شئونها الداخلية وعلاقاتها التجارية بحرية لكنها في نفس الوقت مرتبطة بالدولة الحميرية ارتباطا يعتمد على تسليم قدر معلوم من الضرائب وإعلان الولاء والطاعة للملك الحميري.

ولما كان الحارث الرقي (اثنا رخ) المدنية في زمن مسروق. وكان منصبه هذا وراثيا عن أبيه. فإن علاقة رئيس المدينة مزدوجة. فهو رئيس مدينة نجران وضواحيها لكنه في نفس الوقت خاضع للملك الحميري. لقد شغل الحارث مكان أبيه غير أنه إذا كان أب الحارث قد تصرف بما يوافق عليه الملك الحميري. فإن الحارث لم يقم بذلك أثناء حكم مسروق ذو نواس - العدو اللدود للأحباش وللمذهب المانوفوزي - المسيحي.

وكان نبلاء مدينة نجران هم الذين يقررون جميع أعمال المدينة وإدارتها. كان النظام الذي يحكمون بموجبه شأنه شأن نظام الدولة الحميرية كلها مستقىً من العادات والتقاليد الاتحادية القبلية وأنظمة الحكم القديمة في سبأ وقتبان ومعين وبعض التوليفات المقتبسة من أنظمة الدول التي كانت لها علاقات تجارية وترتبط معها بوشائج دينية وسياسية.

وكان الحرفيون والزراع والعبيد قاعدة هذا الهرم الحكومي لدولة مدينة نجران شأنها شأن الدولة الحميرية برمتها.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن مؤلفة الكتاب قد انطلقت من وجهة نظر مادية في التحليل وهو المنهج السائد في الكتابة في الاتحاد السوفيتي السابق.

وإذا كان الحديث أعلاه عن الكتاب والبحث الذي نقدمه للقراء منه فمن هي كاتبته ؟ ذكر صلاح الدين عثمان هاشم مترجم كتاب آخر للمؤلفة: العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى السادس

الميلادي[2]. أن نينا فيكتور فنابيجو ليفسكايا ولدت عام 1894م في مدينة بطرس برج في أسرة مرموقة أثرت روسيا بعدد من العلماء. درست التاريخ واللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) بجامعة بطرس برج. التحقت بعد ذلك بمعهد الدراسات الشرقية التابع للجامعة المذكورة، متخصصة باللغات السامية (العبرية، الآرامية، السريانية، الحبشية) والعربية فيما بعد.

كانت موضوعات دراستها في البداية تاريخ النصرانية الأولى وتاريخ الشرق الأدنى في فترة الصراع بين أكاسرة الفرس وقياصرة الروم من أجل السيطرة على منطقة الشرق الأدنى.

كانت بيجو ليفسكايا ن.ف من العلماء المرموقين في الاتحاد السوفيتي السابق، حيث حصلت على لقب عضو مراسل في أكاديمية العلوم السوفيتية. وقدمت مجموعة ضخمة من المؤلفات التي نالت شهرة عالمية في ميادين دراستها في كل من تاريخ الدولة البيزنطية وإيران الساسانية وبلاد العرب. وكانت أول خبير في العالم بالسريان وحضارتهم وآدابهم.

ماتت بيجو ليفسكايا عام 1970 وقد خلفت ما يزيد على مائة وثمانين بحثا تتوزع ما بين كتب وأبحاث ومقالات وتعليقات ونقد. من أهم كتبها التي نالت شهرة عالمية:

1. أرض الجزيرة في حدود القرنين الخامس – السادس الميلادي صدر عام 1940م.
2. بيزنطه وإيران في حدود القرنين السادس والسابع الميلادي 1946م.
3. بيزنطة في الطرق إلى الهند عام 1951م (ترجمنا منه الخمسة الفصول المتعلقة باليمن).
4. مدن إيران في العصور الوسطى المبكرة عام 1956م.
5. تاريخ مار بابلاها الثالث ورين صوما – نقلته من السريانية إلى الروسية وعلقت عليه – عام 1958م.
6. فهرست المخطوطات السريانية الموجودة بمكتبة لنين جراد عام 1960م.
7. العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي عام 1964م.
8. الشرق الأوسط – بيزنطة – الصقالبة 1976م.
9. حضارة السريان في القرون الوسطى صدر عام 1979م.

وغيرها من الأبحاث والمقالات.. إلخ[3]. وكانت بيجو ليفسكايا أستاذة ا.جـ. لونديين والمشرفة على أطروحة لنيل درجة كانديدات (تعادل ph) عنوانها العربية الجنوبية في القرن السادس الميلادي (ترجمها إلى العربية الأخ محمد علي بن عبد الله البحر).

وبعد هذا التعريف بالمؤلفة لماذا الإهداء.

أهديت هذه الترجمة لأستاذي مطهر علي بن يحيى الإرياني لسببين الأول شخصي وهو أني قد تتلمذت على يده في سنتي 1963–1964. الثاني علمي. وسببه أنه حين كنت أترجم أدبيات تاريخية مختصة بشئون اليمن تعززت علاقتي بمستشرقين سوفيت متخصصين بتاريخ اليمن مثل لونديين وباور بيؤترفوفسكي وجريز نيفتش وغيرهم. وكانت تتم لقاءات بيننا في أوقات معلومة. وكنت أضطر للاستفسار عن بعض المفردات الروسية التي لم أعثر على مقابل لها دقيق باللغة العربية في القواميس. وكنت أشعر بنوع من الحرج حين يسمون نقوشا مرقومة بجلازر كذا وهالفي وغيرهما من المستشرقين الأجانب الكثر في وقت لا ذكر فيه لمتخصصين يمنيين. وعندما بدأت أطلع على أبحاث سوفيتية جديدة تشير فيه إلى نقش الإرياني كذا.. إلخ. شعرت بالفخر والاعتزاز لأن واحدا من أبناء وطني قد أصبح مرجعا علميا في النقوش. وكيف لا وهو أستاذي في نفس الوقت. زد على ذلك أنه كان المتخصص اليمني الوحيد بالتاريخ القديم الذي اعترف بأنه لم يكن يعلم عن قوانين الحميريين شيئا حين تقابلنا بعد أن أرسلت له بنسخة من مخطوط هذه الفصول المترجمة. وهذه هي صفة العالم الذي لا يدعي أنه يعرف كل شيء. لهذا وذاك كان إهداء هذه الترجمة إليه كنوع من رد الجميل له كأستاذي وتقديراً لعلمه الذي أصبح في متناول الجميع عرب وأجانب. ولما يتمتع به الأستاذ مطهر من البساطة والتواضع والطيبة وهي صفات لا توجد إلا في عالم فاضل.

وفي الأخير نود أن نشير إلى أننا قد حذفنا المقتبسات التي كانت توردها الكاتبة باللغات السريانية والإغريقية إلخ، لأنها قد كانت تضع ترجمتها مقابل تلك الكلمات باللغة الروسية. ومرد ذلك أنه ليس بمقدور المطابع العربية طباعة تلك المقتبسات من جهة. ولأن الترجمة الروسية لها قد كانت تفي بالغرض من جهة ثانية. وهو ما جعلني أكتفي بترجمة النص الروسي وحذف الكلمات السريانية والإغريقية الخ. وعلاوة على ذلك رتبت المراجع في آخر كل فصل حسب التسلسل 1-2-1 بينما كانت المراجع في الأصل مثبتة في أسفل كل صفحة.

هذا وأرجو أن يكون قد حالفني الحظ في الترجمة، التي اعتبر نفسي مسئولا عن أمانة النقل. وتبقى الأفكار التي أوردتها المؤلفة هي المسؤولة عنها.

والله من وراء القصد...

قائد محمد طربوش ردمان

الهوامش:

1. والشيء المؤسف أن المجلتين المذكورتين لم تنشر المراجع للنصوص المذكورة بحجة عدم قدرتها على طبع المراجع باللغات الأجنبية. هذا وتجدر الإشارة إلى أنه قد سبق ونشرت مجلة الإكليل في عددها 3-4 /1987 بحثاً ترجمته بعنوان الأهمية التاريخية لفن المعمار اليمني القديم استغربي حين وجدت مراجعاً للبحث لا يعرف اللغة الروسية ولم آذن له بالمراجعة. وتذيل الموضوع بصور ورسوم الفن المعماري المقارن بالفن المعماري اليمني القديم بالفن المعماري الأكسومي والحبشي والبتراء لإثبات أدلة الباحثة بهذا الشأن. أرجو من مجلة الإكليل إعادة نشر البحث في أحد أعدادها القادمة – المترجم
2. صدر هذا الكتاب في الكويت عام 1985، أشرف على طبعه قسم التراث العربي.
3. لمزيد من الإطلاع حول المقالات والأبحاث التي كتبتها عن اليمن وشبه جزيرة العرب يمكن العودة إلى: قائد محمد طربوش. بيبلوغرافيا اليمن في الإستشراق السوفيتي، مطبعة دار السلام، دمشق، عام1985، قسم و ب ب. وشبه جزيرة العرب حتى عام 1990، مخطوط.

* * *

## نص الترجمة

تداخلت الروابط الاقتصادية في القرون الوسطى المبكرة في الشرق الأوسط مع المركز التجاري الضخم – القسطنطينية. هنا تشابكت الخيوط الاقتصادية الدولية والدبلوماسية، ومنها تفرعت الطرق في البر والبحر.

اكتسبت بيزنطة وضع دولة بحرية إلى حد كبير، بموانيها، مستعمراتها ومدنها التي تناثرت على شواطئ البر الأوروبي، الأسيوي والإفريقي في عدد كبير من الجزر والأنهار الكبرى على الدون، النيل، الفرات.

وكانت القسطنطينية بمثابة سوق تجاري عالمي ضخم له أفضلية في الطريق البحري إلى الهند، التي قربتها من الهند الصينية وجنوب الصين. توافد التجار البيزنطيون على السواحل الغربية للهند، وعلى جزيرة سيلان، كانوا يشترون البضائع الواصلة من هناك على السفن الأثيوبية.

وكان دور أثيوبيا في التجارة في القرنين الخامس – السادس الميلاديين كبيراً إلى حد ما، فنافست إيران، نازعتها السيطرة على الجنوب الغربي من شبه جزيرة العرب، وكان توجه الكوشيين نحو بيزنطة، توجها نحو مستهلك رئيسي في السوق المركزي. وكان طريق القوافل من سوريا إلى جنوب شبه جزير العرب معروفا منذ زمن سحيق، استخدمها العرب واليهود في الغالب. وتحت ضربات الأسلحة الرومانية سقطت بترا وبلمير، وحينئذ سقط جزء من طريق القوافل في شبه جزيرة العرب بيد الإمبراطورية فقط، إلا أن القبائل العربية أشرفت على طول امتداد الطريق كالسابق، حيث كان رجال القبائل السواق الأساسيين للقوافل، وكانوا حراسها، وشاركوا في الاتفاقيات والعمليات التجارية.

وإذا كان الحرير قد وصل إلى القسطنطينية، عبر آسيا الوسطى وإيران بالدرجة الأولى، فإن الطريق الممتدة على طول الشواطئ الغربية من شبه جزيرة العرب قد اشتهرت بأنها "طريق البخور"[1]. وكانت معروفة جيدا في الأنجيل وفي أخبار الكتاب الإغريق القدماء. وعلى كل حال، كان الطريق البحري إلى الهند معروفا قبل الميلاد، وكانت العربية الجنوبية وأثيوبيا قد اجتذبتا إلى التبادل التجاري، وكانت رواسب الذهب معروفة لملك فلسطين في سواحل أفريقيا الشرقية. وانتقل مجال نظر هذه الدول القوية في عهد السيطرة الرومانية، أينما انتشرت الدول الهيلينية. وخلف الكتاب الرومان المؤلفات الزاخرة بمعلومات قيمة عن الدول الشرقية.

كانت دول العربية الجنوبية مشهورة، مثل دولة معين بعاصمتها قرنو، ودولة سبأ، ودولة قتبان ليس على أساس النقوش الكثيرة العدد فقط، بل وطبقا للمعلومات التي أتى بها ارتسفن (المتوفى عام 196 قبل الميلاد)، كما ألف المؤرخون الرومان ذلك الأثر التاريخي "الطواف في شواطئ البحر الارتيري"، الذي كتب فيما يقارب عام 9 ميلادية[2].

أصبح الحميريون (حميرم) يلعبون دورا في شبه جزيرة العرب في وقت متأخر نسبيا. ظهرت أسماء حميرم في النقوش حين تحول لقب "ملك سبأ" وسيد ريدان "إلى لقب "ملك سبأ وحمير". لقد دخل بليني الكبير إلى قبائل الحميريين بين مملكة سبأ والبحر. وقد أخضع الحميريون بالتالي قتبان سبأ، ريدان، وأطلقوا على أنفسهم ملوك حضرموت ويمنت، أي كل اليمن. يرجع هذا الحدث إلى منتصف القرن الثالث الميلادي، أي ما يقارب عام 350م[3] حين أصبحت العربية الجنوبية خاضعة للكوشيين، أي للدولة الأثيوبية التي كان مركزها أكسوم[4]. وقد أصبح الغزو الأثيوبي لشبه جزيرة العرب ممكنا فقط بفضل اختفاء دولة الأنباط، التي دمرتها روما في بداية القرن

الثاني للميلاد. احتل الأثيوبيون من ليك قم المرفأ العربي في البحر الأحمر حتى رأس باب المندب من سواحل جنوب شبه جزيرة العرب. وقد أمكن تحقيق الضربة الثانية بقوة أكثر بعد توحيد سواحل أثيوبيا التي مركزها أدوليس، مع دولة أكسوم الأثيوبية في الداخل[5]. قدمت السياسة الفعالة للأكسوميين بيد الدولة التي كان مركزها أدوليس، فأدت إلى تعزيز قوتها في شبه جزيرة العرب. وقد وضع أيذن، ملك أكسوم نهاية دولة "ملك سبأ وريدان". وهذا ما يتحدث عنه نقش مكتوب باللغتين الإغريقية والسبئية في عهد ذلك الملك. وتبرهن على اسم أيذن وشقيقه شعذن رسالة الامبراطور قسطنطين المؤرخة بعام 356م، كما يتحدث عن ذلك المدافع عنه استاسيا العظيم[6].

لقد بقي النقش من عهد أيذن، يتحدث فيه عن فتوحاته، ويطلق على نفسه لقب ملك أكسوم، حمير، ريدان،... الخ[7]. وقد قدم واحد من النقوش صيغة توحيدية، إلا أن الأكاديمي ب. أ. تواريف قد كان من الصعب عليه أن يعتبرها صيغة مسيحية وذلك على العكس من ي. ليتمن[8].

يمكن الحكم على العلاقات بين أكسوم وشبه جزيرة العرب من المعطيات الإيبوغرافية. لقد كان شكل الخضوع هكذا، احتفظ الحكام المحليون الذين عينهم الأثيوبيون بألقابهم كحكام. وإن كان هذا اللقب قد تكرر لدى ملك أكسوم، الذي أطلق على نفسه لقب ملك سبأ، ريدان، حضرموت، ويمنت. تستحق الانتباه بهذا الصدد التسمية التي أطلقها الدبلوماسيون البيزنطيون على هؤلاء الملوك، لقد روى فلستورج عن السفارة التي قام بها فيوفل إلى أثيوبيا، حيث أطلق الملك الأكسومي أيذن على نفسه (Tupavvoc). في حين لقب الحميريون في شبه جزيرة العرب بلقب أتنرخ. يجب إرجاع هذه السفارة إلى الفترة ما بين عام 340 و 346م، أي إلى الفترة فيما بين أناستاسيا العظيم وعودته إلى الأسكندرية.[9]

لقد انطلقت الأمبراطورية منذ أن تحولت عاصمتها إلى القسطنطينية من أن ترتبط نفسها بالشرق على أسس كبيرة، فأصبحت متطلعة إلى أن تربط نفسها بالشرق. وكان توجه دبلوماسيتها إلى الشرق في ترابط داخلي عميق مع السياسة السابقة للأمبراطورية الرومانية. لقد أصبحت الكنيسة منذ القرن الرابع الميلادي السند الكبير للدولة التي تقوم بتنفيذ عدد من الوظائف. سواء في مجال السياسة الداخلية أو في مجال السياسة الخارجية. وكان لا بد أن تكون أثيوبيا قد انجذبت إلى نفوذها حتما.

ومعروف أن فرومنتي قد قام بالتبشير بالمسيحية بأثيوبيا في منتصف القرن الرابع وحصل على لقب أسقف في 355 – 356[10].

إلا أن الديانة المسيحية لم تنتشر إنتشارا واسعا في القرن الخامس، إذ ظلت المعتقدات الوثنية في أثيوبيا هي المسيطرة[11]. لقد كانت رواية روفين المصدر الأساسي لذلك، ثم رددها كل من سكرات، وسوزمين، وفيدرت، ونيكفر كاليست. وقد فند ف. ف. بولوتوف معلومات روفين بنقد شامل محكم، واعتبرها بعيدة عن جادة الصواب، وغير موثوق بها. وارجع التبشير بالمسيحية في أثيوبيا إلى الأقباط والسوريين والإغريق أيضا[12].

لقد اتجه كالب إلى الحرب ضد الحميريين في القرن السادس، حينها فقد وعد بأن يعتنق الديانة المسيحية.

إن الأخبار الأكثر جوهرية عن فرومنتي هي دعم العلاقات التجارية الحية بين الإمبراطورية وبين الدول الأفريقية، وتعرف الدول الأخيرة على أيدولوجية جديدة. لقد كان يوجد هناك تأثير قوي للغة الإغريقية منذ العهد الهيليني، وهذا ما تشهد عليه نقوش الملوك الأثيوبيين المكتوبة باللغتين.

وهناك سبب آخر أيضا جعل القسطنطينية تهتم بأثيوبيا أنها قد انتصرت على الحميريين. لقد كانت الطريق البحري إلى الهند ذات أهمية خاصة لكل من روما وبيزنطة. يكفي أن نذكر "الطواف حول البحر الأرتيري" – المصدر الذي استندت عليه الرسالة العلمية الروسية الرائعة التي كتبها خنوتوف[13]، وقد استخدمت بكثافة في الكتاب الإنجليزي الذي ألفه وار منجبتون (War Mington).

لم تكن الهند مصدرة للبخور فقط، بل وللمصنوعات القطنية، والحرير الذي كان عليه إقبال كبير في بيزنطة.

وقد حملت البضائع القادمة من الهند على البواخر على طول سواحل البحر الأحمر، وكان في عداد هذه البضائع – الديباج والمنسوجات الحريرية.

لم يجذب النص التالي انتباها إليه حتى الآن.

يؤكد ابن خلدون، أنه في عهد الملك الحميري ذي عيل،قد كان أول من أدخل الحرير والديباج إلى اليمن[14]، وقد كان ذو عيل واحدا من الملوك المتقدمين من حيث التقويم الزمني على أحمد، المعاصر للملك الساساني شابور الثاني (309 – 379). وقد حدث في الفترة التي بين الملكين تتويج أربعة ملوك، شكل عهد اثنين منهما مدة 14 عاما. والحالة كهذه يمكن إرجاع تولي ذي عيل العرش باحتمال نسبي إلى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، إذ أن حكم الملكين الآخرين مجهول. والمهم ليس في أن ذا عيل قد كان الأول من ملوك اليمن قام بالحرب على روما[15]. ومع الأخذ بعين الاعتبار أن ابن خلدون – قد كان كاتبا متأخرا عن ذلك العهد، إلا أنه يمكن الجزم بأن روايته قد كانت صائبةمن غير ريب، ولا داعي للحذر ما دامت هناك شهادات أخرى تجعلنا نفترض احتمال تلك الرواية تماما. حيث إن محاولات روما في أن تستولي بيدها على طرق التجارة إلى الشرق معروفة للجميع. وقد كانت تجارة الحرير عبر الأثيوبيين في منأى عن الفرس أحد أفكار الدبلوماسية البيزنطية في عهد جستنيان.

ترجع محاولات إيران الساسانية بإخضاع الحميريين إلى القرن الرابع الميلادي، أولئك الحميريون الذين لعبوا دورا في التجارة. يحدثنا ابن خلدون أيضا، أن الملك أحمد باريدع أنل قام بحرب ضد شهبور الثاني[16]، وإذا قارنا هذه المعلومات بما هو معروف عن تنصر أثيوبيا في القرن الرابع، فإنه بالتالي يقربها من بيزنطة وسياستها النشيطة في شواطئ شبه جزير العرب، فيكون الاحتمال كبيرا بأن تقوم إيران بمحاولات جعل منطقة حمير تحت نفوذها. هكذا قامت بيزنطة وإيران بصراع خفي فيما بينهما من أجل السيطرة على الطرق البحرية والبرية إلى الهند قبل 200 عام من الحروب الحميرية – الأثيوبية.

إن تجارة الفرس في المحيط الهندي قد أدت إلى أن تصطدم مصالحهم مع مصالح الحميريين والكوشيين. لم يكن بمقدور إيران أن تضع في حسبانها استعمار شبه جزيرة العرب وتغلغل تجارتها فيها، حيث كان النبطيون أقوياء للغاية ثم اليهود، وأثيوبيا فيما بعد. وكانت تجارة المناطق الواقعة في أقصى شمال غرب آسيا في أيدي الإمارات الآرامية الوثنية – تلمير واسرين، وظهر بعدها أنها في أيدي الإمبراطورية. بيد أن الفرس قد وجدوا إمكانية أن يرتبطوا بالمستوطنات اليهودية، وأن يدعموا تجارتهم ضد التجار الرومان. واستطاعوا في عهد خسروف انشروان ممارستها بالسلاح والاستيلاء بأيديهم على العربية الجنوبية[17].

ومنذ أن قام مورد تمن بمؤلفه النقدي، الذي فند فيه بعمق التحليل المقارن للمصادر الإغريقية عن الحروب الكوشية – الحميرية، تلك الشهادات التي تعتبر متناقضة، لا يمكن أن يحتمل منها استنتاجات حاسمة، إلا أنها وفقا لوجهات نظر العلماء المرموقين أنفسهم، تخلط بين مختلف الحقائق في أزمان متباينة، مثال ذلك، السفارة المرسلة إلى أثيوبيا في عهد أغسطين الأول وفي عهد جستنيان حملة الأثيوبيين ضد الحميريين (522 – 523) والحملة الأثيوبية المتأخرة أكثر ضد الحميريين.. الخ. لقد لخص موردتمن وجهة نظر دلمن وتلديك، وتكرر تحليل المصادر الإغريقية في مؤلف هالفي فيما بعد[19]، وقد ظهر بعدها "تاريخ استشهاد النجرانيين" الذي اصدره بيرير دحض بنجاح موقف الشك والريبة لدى هالفي الذي اعتبر أنه لم يوجد ملك يهودي في حمير في أي وقت من الأوقات وأن أول من أخترع ذلك هو شمعون بطرس الأرشامي[20]. ومع ذلك يجب أن نوافق على ملاحظات نقدية منفردة أوردها هالفي، حيث إنها صائبة من دون شك. على الرغم من أن المؤلف السرياني "كتاب الحميريين" الذي صدر عام 1924 م لأول مرة، لم يصل إلينا بالكامل، إلا أنه نندم أسسا جديدة تماما سواء نقده الكتاب الإغريق او في تقرير حقائق جديدة. وعن معلومات موضوعه في عدد من المصادر تكتسب فكرة جديدة حتى نتمكن حل مسألة مستعصية باحتمال كبير هي مسألة التقويم الزمني.

لقد كانت الدول الأثيوبية دول سواحل افريقيا الشرقية عبارة عن ممالك صغيرة منفردة. "ثلاث ممالك

هندوسية وأربع ممالك أثيوبية" تلك الدول المعروفة ليس لملالا فقط، بل ويتحدث عن ذلك الكتاب المتقدمون عليه مثل أندكويلف[22]. انتهى الصراع بين الدولتين الأثيوبيتين بانتصار دولة أكسوم، الواقعة في عمق اليابسة. وقد ضم ملكها إلى دولته مملكة ملك أدوليس الواقعة على الشريط الساحلي. لقد أورد هذه المعلومات يوحنا الأفيسي، وادرجت في نص ديونسيا تلمهر الكاذب بأن "الملك الذي اسمه أكسندون" الذي يجب أن يقرأ "ملك الأكسوميين"، حيث يوجد تلف في النص السرياني. لقد كان هالفي موفقا للغاية في تصويب آخر، إذ قرأها عدول[23]. وتفسير للنص كهذا مفهوم تماما، إذ يتحدث عن الاستيلاء على أدوليس – دولة الكوشيين الصغيرة نسبيا، يشهد النقش المعروف بأدول – أدوليس أنها قد أصبحت جزءا من دولة أكسوم. لم تكن أدوليس مركز الدولة مستقلة لدى أندكويلف في عام 522م، وإنما كانت حديثة ومرفأ ساحليا لدولة أكسوم[24]. كان ملك أدوليس وثنيا، حسبما يؤكد هذا يوحنا الأفيسي[25]. لا توجد أية إمكانية للتأكيد على فرضية هالفي بتهود – وإيرانية ملك أكسوم. يجب تصحيح نص فيوفن التالف من نص نيكفور كاليشت وفهمه هكذا: "في السنة الرابعة من اعتلاء (الامبراطور جستنيان) على العرش قام ملك الهندوس الهلنيين بالصراع ضد الحميريين – الهندوس المتهودون. وكان سبب الحرب مرتبطا بالروم"[26]. وبالتالي، فإن مقارنة هذا ترجع إلى روايات متأخرة، إلى فترة صراع الأكسوميين ضد الحميريين في عهد متأخر أكثر. وبعد توحيد الدولة الكوشية، تمركزت قوتها واستطاعت أن توجه ضرباتها على جنوب شبه جزيرة العرب. إن النصوص الإغريقية التالفة والغامضة التي كتبها ملالا وفيوفن ويوحنا الأفيسي المتعلقة بموقع الاكسوميين المتفرد أكثر من الحميريين وعن مصر لا تتحدث عن عدم استخدام الطريق البري عبر النيل الأعلى فقط، بل إن المؤلفين لم يكن لديهم تصورا واضحا عن طرق القوافل التي تذهب من سوريا إلى دولة الحميريين. أما ما يخص الطريق إلى أكسوم من مصر وفيتاتدي، المذكورة في النصوص[27]، فيحتمل أن يكون هذا خطأ، وما يتعلق بشرح الحركة من مصر بحرا إلى هذه المناطق بالذات لأن الطريق في البر الافريقي تمثل صعوبة كبيرة للغاية. وأكثر الاحتمال أن هذا الخطأ قد ولد من وضع صادق تماما وهو أن "التجار الرومان قد كانوا يمرون عبر حمير إلى أكسوم وفي داخل دولة الهند"[28]. لقد كان دونيسا تتوس أحد مصادر ملالا، وعلى أساس هذا المصدر كتب ملالا صفحات 432، 433، 459، والصفحة التالية لها من هذه المدونة التاريخية[29]. وقد تحدث النص الموازي الذي كتبه يوحنا الأفيسي حول هذا نفسه: "وصل التجار الرومان إلى مناطق الحميريين داخل ما يسمى أدوليس الهندية. بعد ذلك إلى منطقة الهندوس الكوشيين"[30]. الواقعة بعيدة عنها. بيد أن تسمية "أدوليس الهندية"، أو"الهندوس" لا يمكن أن تكون مرتبطة باسم أي من المدن الحميرية المعروفة، من المحتمل للغاية أن هذه التسمية المقلوبة بعض الشيء لادوليس: حين كانت مدينة المرفأ، وصل إليها التجار الرومان.

إن شرح الكاتب السرياني التالي أكثر وضوحا: "الممالك الهندية والكوشية – سبعة : منها ثلاث ممالك هندية، وأربع ممالك كوشية. كانت تقع في المناطق الخارجية والداخلية من الأراضي الجنوبية، وعلى سواحل البحر العظيم، وكل ما يحيط بالخط المسمى باخيط العظيم"[31]. لم تعتبر أكسوم من الدول الكوشية فقط، بل أنها معروفة لكوزما الدكويلف بإسم بربرة وأراضي سامو[32]. ويحتمل أن الثلاث الممالك للهندوسية هي في الهند ذاتها "بعد المحيط في الأراضي الجنوبية وفي سواحل البحر العظيم".

لقد أصبح الوضع الجغرافي للدولة الحميرية في جنوب شبه جزيرة العرب مرتبطا بالتجارة بين الكوشيين وبين بيزنطة. وكان "التجار الرومان" يرحلون إلى أكسوم "عبر حمير" بغرض "القيام بممارسة التجارة". غير أن دمن ملك الحميريين قتلهم وسلب ما كان بحوزتهم. لقد تكرر هذا الفعل "هكذا قتل الكثيرون، وبهذا عم الرعب والهلع، فامتنع الكثيرون عن السفر والترحال وتوقفت تجارة الممالك الداخلية للهندوس والكوشيين"[33]. إن انخفاض التجارة وضعف العلاقات التجارية، لم يكن بمقدوره أن لا ينعكس على المنافع والأرباح التي حصل

عليها الملوك الأثيوبيين من التجارة. لقد بعث ملك الأكسوميين برسالة (حسب مدونة ملالا) أو الكوشيين (حسب وجهة نظر يوحنا الأفيسي عند ديونسيا) إلى ملك حمير يقول له فيها: "قمت بفعل قبيح حين قتلت التجار المسيحيين والرومان، أنت حطمت التجار وامتنعت عن ضرائب مملكتي والممالك الأخرى، فالحقت الضرر بمملكتي خاصة"[34]. إن هذا السبب الاقتصادي قد خلق "العداوة الكبيرة" بين أكسوم وحمير، والذي تحول فيما بعد إلى "حرب فيما بينهما"[35]. وللإجابة على سؤال – كيف تجرأ ملك حمير، أي ملك المناطق الجنوبية الغربية من شبه جزيرة العرب، التي حملت لها دخلا وفيرا – تقدم المصادر إجابة شافية، ذلك أن التجار البيزنطيين في الدولة الحميرية قد نافسهم تجار آخرون هم اليهود والفرس، الذين كانوا يستندون على دولة إيران الساسانية القوية.

كانت المستوطنات في منطقة شبه جزيرة العرب، الممتدة على طول طرق القوافل في الساحل الغربي منها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمصالح تجار فلسطين. وكانت المستوطنات اليهودية إلى جانب المستوطنات النبطية معروفة في شبه جزيرة العرب منذ غابر الزمن، لقد تناثرت المستوطنات اليهودية منذ تاريخ سحيق في القدم على بعض جزر الخليج الفارسي والبحر الأحمر ومن أمثلة ذلك جزيرة تيران[36].

إن السمة المميزة لتاريخ العهد القديم والقرون الوسطى، يمكن الإشارة إليها في هذه الحالة بأنها قد كانت تجلب الديانة الجديدة بواسطة الطرق التجارية البرية والبحرية. وفعلت اللغة المشتركة والعقيدة المشتركة فعلها في العلاقات الاقتصادية ذات الارتباط الوثيق للمشتركين في تبادل البيع والشراء وجعلتها ذات اواصر أكثر عمقاً. وكان التجار اليهود والمستوطنات اليهودية معروفة للدولة السبئية. وانتقلت الروابط التقليدية ومعها إلى الدولة الحميرية. تتحدث العديد من المصادر التي لا ريب في مصداقيتها عن اعتناق الحميريين للديانة اليهودية. وأول هذه المصادر هي النقوش الحميرية، التي تنتمي إلى عدد كثير من النقوش التوحيدية[37] ويمكن أن نورد على سبيل المثال نقشا من قتبان، المنحوت على صخرة قرب نصاب، والذي يتحدث عن الأعمال الكبيرة التي قام بها كتاب النقش والتي تشير إلى إكمالها بمساعدة ((الرحمن رب السماء والأرض))[38]. تنتمي هذه الكلمة إلى التوحيدية الإلهية من دون ريب، لأن النقش يذكر كلمة "الرحمن"[39]، كما يمكن أن نورد أمثلة أخرى. البناء الذي قام به عبد كلال "بمساعدة الرحمن" (بردا الرحمن – السطر الثالث من النقش رقم 153)، كما أشار النقش المؤرخ بعام 573 بالتقويم الحميري (الموافق 458م). تنبغي الإشارة إلى أن هذا النقش توحيدي، إلا إنه نقش غير مسيحي. لقد أشار ناشرو النقش إلى أن كلال الثاني قد تكاتب مع "النبي" وكان معتنقا للمسيحية سرا[40]. وقد ثبت في الوقت الراهن بدون نقاش وجود عدد كبير من اليهود في مدن جنوب غرب شبه جزيرة العرب. لقد كان أغلب سكان يثرب من اليهود، والعرب الوثنيين من عشيرتي الأوس والخزرج – وقام صراع بينهما من أجل الطموح إلى احتلال وضع مسيطر فيها[41]. وكانت مستوطنات اليهود ذات بنية تنظيمية في وسط الفوضى العامة للقبائل العربية المبعثرة، وقد تميزت هذه المستوطنات بهذا التنظيم من دون ريب[42]. كما كانت المستوطنة اليهودية العامة في الطائف مرتبطة بالعمل الزراعي، وكانت صناعة النبيذ وتسويقه في أيدي اليهود[43].

ينبغي أن نشير إلى بعض المعلومات، المرتبطة بوجود اليهودية لدى صفوة المجتمع الحميري ويمكن إرجاعها إلى عهد مبكر إلى حد ما، أكثر من الحروب الكوشية - الحميرية في الربع الأول من القرن السادس الميلادي. ومثلما تشهد النقوش التوحيدية به على المعلومات عن ذلك في مئات السنين السابقة لذلك الوقت[44]. لقد كان بحوزة المؤرخين العرب المتأخرين – حمزة الأصفهاني – أبو الفدا قوائم بأسماء ملوك اليمن[45]. وقد تحدثنا أن أحد ملوك اليمن قد اتجه نحو الديانة اليهودية في عهد بعيد نسبيا قبل ذي نواس، الملك الحميري الذي حدث في عهده الصراع مع الملك الأثيوبي. يورد أبو الفدا قائمة الملوك الحميريين وأن ذي نواس احتل الخانة الثامنة بعد

الملك حارث بن عمرو، الذي تولى الملك بصفته ابن أخت الملك السابق... قد اعتنق اليهودية[46]. إن اعتناق الملك الحميري لليهودية لا يمكن أن يحدث إلا في حالة أن هذه الديانة قد انتشرت بقدر كاف فقط في الفئات العليا من المجتمع الحميري، كما لبث ذلك، وبالتالي في عهد بعيد قبل اضطهاد ذي نواس للمسيحيين. بيد أن اعتناق حارث لليهودية لم يكن بدون صعوبات للدولة الحميرية. حيث بعد أن تولى خلفه الملك مرثد ابن كلال "تجزأت الدولة الحميرية"[47]، أي تفسخت، وهو ما يجب أن نرجعه إلى الصراع الداخلي وعدم الاستقرار، ويمكن أن يعزى السبب إلى الإدخال الحازم للديانة اليهودية إلى البلاد. إن تحلل الدولة إلى إمارات صغيرة يمكن أن يكون قد حدث على إثر عدم الموافقة مع الملك الذي كان من الواضح أنه قد ضمن التجارة اليهودية وتجارة قوافل الترانزيت التي كانت تمثل أهم مصدر من مصادر دخل تلك الدولة. وذو نواس الذي يرجع تاريخ توليه الملك إلى النصف الأول من القرن السادس الميلادي يحتل المكان الثامن بعد حارث بن عمرو في خانة ترتيب الملوك، يمكن إرجاع عهد الملك حارث هذا إلى منتصف القرن الخامس الميلادي. وإلى جانب ما تقدم، يمكن أن نضيف شهادة "كتاب الحميريين"، الذي كرس"الفصلان الأول والثاني منه لمسائل ظهور الديانتين اليهودية والمسيحية في حمير. لم يصل إلينا هذان البابان، وإن كان عنوانهما قد بقي[48]. وعنوان الباب الأول، حكاية مختصرة عن اليهود وشر عقيدتهم. وعنوان الباب الثاني، حكاية عن الحميريين وكيف اعتنقوا اليهودية منذ البداية. وعنوان الباب الثالث، شرح يخبرنا كيف بدأ تسرب المسيحية إلى أرض "الحميريين". وعلى هذا الأساس، فإن الأثر التاريخي الذي يقف كليا على وجهة النظر المسيحية يعترف بانتشار الديانة اليهودية في حمير في الأول.

وإضافة إلى ذلك فإن "كتاب الحميريين" بأن مسروق ذي نواس الملك الظالم قد الف حوله، وكان في خدمته رجال دين سابقين "أحبار يهود من طبرية"[49]. لقد أشار شمعون بطرس الأرشامي إلى هذه الصلات بين مدن شبه جزيرة العرب وبين طبرية مركز اليهود بعد خراب أورشليم. ومع ذلك فإن شمعون قد عبر عن استيائه بحماس لأن "اليهود القاطنين في طبرية قد كانوا يرسلون الأحبار من لديهم عاما بعدعام ومن وقت إلى آخر وكانوا يرفعون لواء التمرد على الشعب المسيحي الحميري"[50]. وقد برزت الصلات الدينية على أرضية العلاقات التجارية والاقتصادية. ولم يكن من باب الصدفة أن يفسر كتاب التلمود (Midlasch) – سفر التكوين (Bereschit) – الذي يعرف ظفار عاصمة الحميريين، والمكتوبة باللغة الإغريقية (T oppn)، وقد أكد أكثر من مرة على هذه الصلات التي لا يمكن دحض وجودها[51].

لقد وجدت التجارة اليهودية سندا في إيران، وقد تحدثت عنها عدد من الحقائق، وكانت تحت حماية الساسانيين في العربية الجنوبية من دون ريب. وهنا اصطدمت الدبلوماسية الفارسية بالسياسة البيزنطية بشكل دوري حسبما أشير إلى ذلك[52]. وكان هذا الصراع على شكل حوادث كثيرة، على مر عصور عديدة ليس في شبه جزيرة العرب فقط، بل وفيما بين النهرين والقوقاز وآسيا الوسطى.

تبتغي الإشارة في هذه الناحية إلى المعطيات التي لم ينجذب إليها الباحثون من قبل، لقد أرسل الملك الحميري مسروق ذو نواس سفرائه إلى المنذر في الحيرة يلح عليه بأن يقضي على المسيحيين في دولته، وقد وعده مسروق بإعطائه "ثلاثة ألف دينار" مقابل القضاء عليهم[53]. وبكلام آخر، قد كان لمسروق مصلحة اقتصادية في إضعاف مسيحي عرب الحيرة.لم يكن ممثلو المسيحية على رأي واحد في مساندة إخوانهم في الدين. لقد ثبت المذهب النسطوري وضعه في إيران، هذا المذهب الذي اضطهد أنصاره في بيزنطة، حيث اعتبر مرتدا عن المسيحية، وقد اتخذ موقفا مدافعا عن إيران وقد حاجج "سيلا الأسقف النسطوري في إيران" الأرثوذكسيين الروم والفرس، وكان هدفه من ذلك مداهنة الوثنيين واليهود[54].

يتحدث فعل هذا الأسقف أكثر من مرة عن قوة التجمعات وعن تناسبها مع المصالح السياسية، ظهرت المسيحية في غرب وجنوب شبه جزيرة العرب في وقت متأخر عن اليهودية، حسبما يتحدث عن هذا "كتاب الحميريين". وكان الأحباش قاعدة الدوائر المسيحية فيها،

كما يشار إلى ذلك باستمرار[55]. وقد ارتبط وجود التأثير المسيحي في مكة لمدة قرون كثيرة بالمستوطنات الأثيوبية[56]. وكان صائبا تماما بالنسبة للقرنين السادس - السابع الميلاديين. يمكن مناقشة من أين أتت المسيحية إلى شبه جزيرة العرب لأول مرة، وعلى أساس معطيات المصادر العربية، السريانية، والإغريقية،صدر اتجاهان لصلة شبه جزيرة العرب بالمسيحية، سوريا الساحلية وحيرة النعمان إضافة إلى الحبشة.

لقد ظهرت المسيحية لدى الحميريين ارتباطا بروايات ذات طبيعة أسطورية بعض الشيء، هكذا استخدم الطبري الأثر التاريخي المسيحي الأجيولوجي. إن فيمن المسيحي (تالف nehnr) من سوريا الساحلية، الذي قام بحرفة بناء الأسوار من اللبن، وقد جذب إلى نمط حياته إنسانا من عشائر شبه جزيرة العرب، فأصبح تلميذه. وبعد ذلك وقع فيمن في الأسر من قبل قافلة تجار من منطقة حميرية، واصبح عبدا. اشترى هذا العبد أحد النبلاء، وهناك استطاع العبد أن يغرس التعاليم الجديدة[57]. إن انتشار التعاليم المسيحية في نجران وفقا لما جاء في "كتاب الحميريين" قد كان مرتبطا باسم جد الشهيدة حفصة[58]. لقد كان حيان الكبير رجلا ذا علاقات تجارية نقلته بعيدا عن مدينته الأم، غير أن القسم المفقود من هذا الأثر التاريخي لا يعطينا إمكانية الإفاضة بالتفصيل، لأن المدونة التاريخية العربية التي ألفها سرت. قد استقت معلوماتها عن نجران من "كتاب الحميريين" هذا[59]. تعطينا إمكانية إعادة وضع المعلومات الناقصة.

سافر حيان الكبير بمهمة تجارية إلى القسطنطينية، وعاد منها إلى الوطن، ومنه توجه من جديد إلى إيران، وبقي في حيرة النعمان، أينما كانت عشائر المسيحيين. وفي الحيرة تم تعميده بالمعمودية ثم عاد إلى بلاده واعتنقت أسرته المسيحية. ومن بعدها اعتنقها ناس آخرون من "شعب بلاد حمير" وأشخاص آخرون حلوا في الطريق في حمير ومناطق الحبشة[60]. كان حيان في القسطنطينية " في يوم يزدجرد أي الأول من ملوك الساسانيين الذين حملوا هذا الاسم، والذي توج ملكا من عام 399 إلى 420م. وبعد مائة عامة أتت حفصة وأصبحت شهيدة. لا توجد أي ضرورة لاعتبارها حفيدة حيان، كما فعل موبرج هكذا. لقد انحدرت حفصة من عشيرته فقط أو من فخذه، كما يتحدث عنها النص وعن أبيها: كانوا من عشيرة حيان الكبيرة". ولا يوجد شك في أنه قد تنصرت الفئات العليا من مجتمع نجران مع الزمن وكذلك في المدن الحميرية الأخرى، ظفار، وقوته تأثير العلاقات التجارية وانتعاشها مع البيزنطيين والأثيوبيين. ومن الحتمي أن يكون هناك تناقض بين الحميريين، المناصرين لهذا الاتجاه، والمناصرين للاتجاه الآخر، أي القسم الذي بقي على المعتقدات الوثنية والديانة اليهودية. وقد أشعل هذا التناقض النـزاع المستمر. وبعد مائة عام مرت من نشاط حيان (من عام 420 إلى 520) والحروب الكوشية - الحميرية حيث حدثت عدة صدامات.

وكان حيان "أب حفصة " من عشيرة حيان الكبيرة، الذي قام بإحراق المعبد اليهودي بنجران في زمانه[62]. يؤكد الطبري، على أن الملك ذو نواس انتقم من المسيحيين واضطهدهم وثار لمقتل اليهود بنجران[63]. منع الحميريون تجارة التجار الروم من العبور في أراضيهم وقتلوا عددا منهم[64].

ينبغي وضع هذه الظاهرة المرتبطة بوضع السياسة الخارجية الحميرية. لقد احتلت اليهودية وضعا معروفا بين الحميريين، ولونت المصالح التاريخية لليهود باللون الأخضر وتطلعوا في نفس الوقت إلى التخلص من سيطرة الكوشيين، الذين استندوا على الجماعات المسيحية. لقد ارتبطت بكل من المذهب الأرثوذكسي، أو المذهب النسطوري عند الحميريين الذين أثر عليهم العرب السوريون، والذي أتى جنبا إلى جنب مع قوافل التجارة من سوريا وما بين النهرين، أدسيا والحيرة. وكان لأثيوبيا دور لا يستهان به[65]. وكان تنظيم الكنيسة الأثيوبية خاضعا لبطريرك الأسكندرية، الذي كان يعين أساقفتهم. وكان التأثير الآخر المندفع إلى المناطق الجنوبية من شبه جزيرة العرب نابعاً من الأسكندرية- أكسوم. لقد أخذت بالحسبان كل هذه المعطيات الدبلوماسية البيزنطية وتمكنت من استخدامها، وتطلعت إلى تقوية قاعدة التجارة البيزنطية[66]. وكانت الجماعات المسيحية من مختلف فئات

المجتمع الحميري سنداً للكوشيين والروم. في حين تطلعت الجماعات الوثنية واليهودية الحميرية إلى الانعتاق من تاثير الأليوبين، ووجدت دعما فعالا من جانب إيران التي طمحت إلى أن تصبح لها قدم صلب في شبه جزيرة العرب.

لقد ولد الصراع في العربية الجنوبية من المصالح الاقتصادية والسياسية وتعقد بعمق بالنـــزاع الديني. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد، أن النسطورية دعمت سياسة إيران في حمير، وكان لها علاقات دقيقة مع مسروق. لقد جادل الأخير الرقي وطلب منه الخضوع ولامه قائلا: لستم افضل من النسطوريين، الذين يوجدون بيننا الآن"(67). وعلى هذا الأساس أشار مسروق إلى أن النسطوريين هم مسيحيو المستقبل، وأنهم قد حافظوا على العلاقة معه "حتى الآن". بالصلات مع الحميريين، الذين دعمتهم إيران وكان معهم الأسقف سيلا النسطوري، وغيره من أصحاب هذا المذهب بما فيهم عدد من الفرس والسوريين. لقد تحسر شمعون بطرس الأرشامي المعتنق مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح على هذا السلوك ووبخ النسطوريين. وسماهم "مسيحيين بالاسم". وحين نكب أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح أصدر الإمبراطور أغسطين والبطريرك يوحنا بطريرك القسطنطينية. اللذان أصدرا أمرا بالقبض على الرهبان القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح. هرب الأخيرون إلى سوريا وحيرة النعمان. بيد أن الأسقف سيلا المذكور أعلاه وضع لهم شرطا، إما التحول إلى النسطورية أو النفي. لقد دعم أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح من قبل الحجاج بن قس الراهب (صاحب) المنذر ابن النعمان ملك العرب. وإن كان المنذر لم يجد بدا من الإذعان لطلب أغسطين في تشتيت شمل أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح وقد هرب بعضهم إلى نجران، أينما درسوا "تعاليم يوليان، معلم الشمال" الانطاكي(68).

وعلى هذا الأساس، حمي وطيس الصراع بين التجمعات السياسية في الشرق الأوسط بأجمعه.

**للموضوع تتمة**

المصــــادر

1- Fcac. Saba, 8 , Kuctur, Handel, Reichtum. Pauly-Wissowa, Real- Encyclopadie der classischen Actertumswissenschaft (1920), 2 Reiche, 2 Habband, col. 1418-1420, 1426- N. Rhodotanakis. Das offentliche Yeben in den alter suidaratischen staaten Ditlef Nielsen. Handbuch der altarabischer Altertumstunde, Kopenhayen, 1927, I Band, PP. 110-112.

2- Henning, Ferrae incognitae. Yeiden, 1936, I.I, PP. 321.
before Muhammad. London, 1927, PP. 93, 105.- Nallin Raccolta di Scritti editi e indeiti, V. III. Roma, 1941, P. 19.

3- Mordtmannund Mittwoch. Sabasche Inschriften Hamburg, 1931, P.10.

4-
Handfuch, PP. 104, 114-115.

5- Winkler. Fur Alten Yeschichte Femens und Abessiniens, Orientalische Skizzen, B.1, P. 312.

6-

7- Fittmann, Enno. Sabaische, griechische und altafessinische Inschriften. Deutsche Aksum Expedition, B. 4, Berlin, 1913, NN 8,9, 10l, 11, PP. 18-20, 24-25, 32-36.

8- ب.ا. تورايف، تاريخ الشرق القديم. المجلد الثاني، سان بطرس برج عام 1914، صفحات 354-355. قارن ليتمن صفحة 32-35.

9- Winkler, Fur alten Yeschichte.., B.I, PP.312-314.

10- ف. ف بولوتون. محاضرات في تاريخ الكنائس القديمة المجلد الثاني سان بطرس برج عام 1910 صفحات 271.

11- نفس المرجع صفحة 274.

12- ف. ف. بولوتوف. محاضرات في تاريخ الكنائس القديمة. صفحات 266-272، 275-276، Dieemann 7ur Yeschichte des Axumitischen Reichs im Iv fis Zum Vi Fahrhundert. Berlin, 1880, PP. 6-13-Ylaser, Skizza, PP. 528-532. F. Hommel

لقد اعتبر هومل خطأ أن الأميد انتقل إلى المسيحية في عام 350م وانه مخضع حمير Nielsen Handfuch, P. 104.

13- خفسوف. تاريخ التجارة الشرقية الاغريق ومصر الرومانية. كانتران 1917. Warmington. The Commerce 13 Between the Roman Empire and India. Cambridge, 1928.

14- Ibn-Khaldun. Uiszellen Zur Himjarische Altertumstunde. Itschr. D. Deutsch. Morgl, Yes, B. 31, PP. 71, 80.

15- Ibn- Khaldun, P. 71.

16- Ibn- Khaldun, PP. 77-80.

17- Tabari-Noldeke , PP. 230, 237-Tabari, Textus arabicus, P. 902.

18- Mordtmann, Tie himjarische-athiopische Friege noch einmal. Itschr, D. Deutsch.Morgl. Yes., B. 35/1891) P.P 693-710.

19- Hallivy, Examen critigue des sources relat

par le roi juif des Himyarites. Revue des etudes Juives, 1889, T. 18, PP. 16-42, 161-178.

20- راجع هاليفي نفس المرجع ص178.

Pereira. Historia dos martyres de Negran Yisboa 1899, PP. IVII-XXV.

21- Malalas. Chronographia, P. 433.

22- Cosmas Indicopleustes, PP. 69-70.

23-

24- نفس المرجع صفحة Part, Yr., 88, col., 101.72

25- Chronicon Pseudo Dionysianum, ed. Chabot. C.S.C.O. Scriptores Syri. Series Tertia. Paris, 1933.

Textus, t. II, p 54.

26- Mordtmann. Die Himyarisch-athiopische Friefe noch einmal. Ztschr. D. Deutsch. Morgl. Yes., 1881, B. 35, P. 703.

27- Malalas, P. 433-Ps. Dionysicus. Chronicon, P. 54.

28- Malalas, P. 433.

29- Nonnosius, F.H.Y., PP. 178-179.

30- Ps. Donysius, Chronicon, PP. 54-55.

31- Ps. Dionysius. Chronion, P: 55.

32- Consmas Indicopleustes, PP. 70-71-Malalas, P. 433.

33- Ps. Dionysius, Chronicon, P. 55.

34- نفس المرجع صفحة Malalas, P. 433.55

35- نفس المرجع صفحة 434

36- Excerpta de Legationibus Constantini Porphyrog, ed. C.de Boor. Berolini, 1903, Pars II, Excerpta e. Malcho, PP. 568-569.

37- Y. Ryckmans. Inscriptions sud-arabes. Ye Museon, 1932, t. 45, P. 290-Mordtmann u. Mittwoch. Sabaische Inschriften, P. 3, Note 2.

38- نفس المرجع صفحة 290و295

39- Mordtmann u. Miiller. Sine monotheisisc he Sabaische Inschrift Wien. Z.f. d Kunde d.Morgl, 1896, B. 10, PP. 285-292.

40- Mordtmann U. Mittwoch. Sabaische Inschriften. Hamburg, 1931, PP. 192-193.

41- des arabes. Paris, 1847, T.I, P. 122.

42-

43- نفس المرجع صفحة 55.

Beiruth, 1924, P. 23/119).

44- Petropoli 1844, P. 132-137. Alulfeda. Historia anteislamica aralice.

45- نفس المرجع صفحة 118

46- نفس المرجع صفحة 118

47- A.Moberg. The Look of Ylimyarites. Und, 1924. P. 3. Fragm. 1, transl., P.Cl.

48- نفس المرجع صفحة 7-أ

49- Yuidi. La Lettera di Simeone vescoro di Beth Arsam. R. accad. Dei Lincei. Memor.D.cl. sci morali. Series 3, V.VII, Roma, 1881, P. 7.

50- Halery, Examen critigue, P. 163-Pereira Historia dos martyres de Negran, P. 29-F. Tcatsch. Zafar. Encydopedie de Islam, V. 4, PP. 1251-1257.

51- E. Ylaser. Die Abessinier in Arabien and Afrika. Miinchen, 1895, PP. 181-Nallino Raceolta di scritti editi e inediti, V. III. Storia dell Arabia preislamica. Roma 1941, PP. 108,111,114.

52- Martyrium Arethae, P. 742.

53-

54- The Book of Himyarites, PP. 1, 411.

55- 0-11.

56- Tabari-Noldeke, PP. 178, 181.

57- The Book of Himyarites, PP. 31 a.

58- Chronique de Scert, Pars I, P . 218, Patrologia orientalis, T. 4.

59- Mayyan (Abhandl. D. Preuss. Akad d. Wissensch. 1919, Phil, Kl., I, 1).

60- A. Moberg. The book of Mimyarites, P. L.

61- The book of Himyarites, P326.

62- Labari- Noldeke. PP. 175-178.

63- Joanes Malalas. Chronogrphio, P. 433.

64- The book of Mimyarites, cap. Xxxix, XL, XXV.

65- Malalas. P. 434.

66- Martyrium Arethae, P. 728.

67- Addai. Scher Seconde partie, XXII. Patrologia Orientalism vol. 7, PP. 142-144, Paris, 1911.

68- Malalas, P. 433.

# الهمداني وأعراف أهل اليمن في (الجمالة) وتسيير القوافل التجارية

محمد عبد الرحيم جازم*

عند ما تواجه مشكلة ما أي مجتمع حضري يسعى إلى البحث عن حلول عملية لها والتقليل من آثارها، وتتحول هذه الحلول إلى قوانين أو أعراف يستمر العمل بها مادام لا يوجد خيارات أخرى غيرها، ومن ثم ترث الأجيال هذه الأعراف والقوانين وتصبح جزءا من سلوكياتها التي تحكم حياتها اليومية. فمن المسلم به قدرة اليمنيين منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام على تنظيم وتقنين حياتهم وإيجاد حلول شبه دائمة للعديد من المشاكل التي تمس مجتمعهم بأكمله مثل عمليات (التقاسم والتحكم بمصادر المياه) سواء كانت آبارا أو غيولا أو مياه سيول موسمية تتدفق في الأودية، أو بركا وحواجز وسدودا مائية. وربما دونت في البداية هذه القوانين والأعراف المحددة لكيفية التعامل مع مصادر المياه المذكورة آنفاً، ولكنها غدت فيما بعد وإلى يومنا هذا سلوكيات دائمة لا يحيد عنها أحد، وكذلك هو الأمر بالنسبة للمرعى وأعراف (رعي الحيوانات) ومسئولية الرعاة تجاه الحيوانات وتجاه أصحاب الحيوانات وتجاه أصحاب الملكيات المختلفة ومسئولية الأخيرين عنهم. وتوجد العديد من الأعراف والتقنينات القديمة تمس مجالات عدة،ولكن أهمها من وجهة نظري ما يمس الحياة المشتركة لأكبر عدد من الناس الذين لابد أن يحصلوا على حقوق متساوية ماداموا يعملون في حقل واحد مثل (الزراعة) و(التجارة) وهما أكبر حقلين عمل بهما اليمنيون منذ القدم إلى يومنا هذا.

وإذ كنا نعرف ربما كل شيئ بالنسبة لعملية التحكم بمصادر المياه وبنظم العمل الزراعي في اليمن إلا أننا لا نعرف الكثير عن قوانين وأعراف التجارة ونقل البضائع داخل اليمن ومنها إلى مختلف البلدان مع أن التجارة مثلت العصب الثاني لحياة المجتمع اليمني منذ القدم،

صحيح أننا نعرف ما ذكره بعض المؤرخين عن وجود قوانين مكتوبة على أعمدة منصوبة في الأسواق العامة في أكثر من مكان داخل اليمن ولكنا لا نعرف أي شيء مؤكد عنها،كما أننا نعرف أن في مرحلة ازدهار الحضارة اليمنية أنشأ اليمنيون على طول خطوط التجارة في جزيرة العرب محطات عديدة تتوقف فيها القوافل التجارية للراحة وتحولت مع الزمن إلى أسواق ومن ثم إلى

* المركز الفرنسي للدراسات اليمنية.

مدن يؤمها الناس والتجار من كل مكان، إلا أننا مع هذا لا نعرف الكثير بل ونجهل الكيفية التي كان أهل اليمن يتبعونها في تسيير القوافل التجارية وأعرافهم في ذلك.

ومما لاشك فيه أن مخاطر السفر لمسافات طويلة في خطوط التجارة المعتادة من بلاد اليمن إلى مكة. ومن ثم إلى بلاد العراق أو نحو بلاد الشام ومصر يتطلب إستعدادات مختلفة بما فيها أن يسافر عدد كبير من المسافرين والتجار مع بعضهم من أجل مواجهة مشاق السفر وأخطاره، بمعنى آخر أن السفر والتجارة الفردية كانت شبه مستحيلة في تلك العصور لأن غارات قطاع الطرق والبدو على القوافل التي تتحرك ببطء مرحلة بعد أخرى كان أمراً في حكم المؤكد. كما أن تحميل (قطار) من الجمال بالبضائع وإنزالها عن ظهورها بعد يوم شاق من السفر يتطلب تآزر الجماعة المسافرة من التجار وأصحاب الجمال، ومن نظرة مدققة لحركة سير الجمل المحمل بالبضائع. نجد أن أقصى مسافة يمكن أن يقطعها من الصباح الباكر وحتى المساء دون توقف، إذا كان الطريق مستوياً، قد تصل إلى (مرحلة واحدة) حوالي ستة وخمسين كيلومتراً، ولنا أن نتصور حركة قافلة تجارية يبلغ عدد جمالها ألف جمل. ترى كيف تتمكن هذه القافلة من تنظيم تحركاتها ومواجهة إحتياجاتها من علف للحيوانات وطعام للبشر وماء، إلى جانب القدرة على التحكم بسير القافلة وحمايتها، وتوخي مفهوم العدالة التي تقتضيها رفقة السفر، إذ لا يعقل أن يحصل من يتحرك في مقدمة القافلة على كل شيء بينما يتعرض من يكون في ساقتها إلى الأخطار ويحرم من الحصول على مقادير كافية من الغذاء والماء والعلف، وعلينا التفكير أيضا عند تسيير الألف بعير بطبيعة الطرق التي ستتحرك فيها القافلة، فالسهول والقيعان المحدودة الاتساع في الهضبة اليمنية والطبيعة الجبلية الوعرة، والملكيات الزراعية تحول دون تدفق القافلة على هواها، ولذا يقتضي الأمر أن تتحرك الجمال وحراس القافلة والرجالة واحدا وراء الآخر مما يجعل قطار القافلة يمتد على حبل الطريق لمسافة طويلة تقدر بعدة كيلومترات.

لقد تحدث (الحسن بن أحمد الهمداني) قبل ألف سنة وعدد من السنين* عن عمل أفراد من أسرته بما فيهم هو في مهنة (الجمالة) وتسيير القوافل من اليمن إلى مكة والبصرة والكوفة وبغداد وبلاد الشام ومصر. ومع أن أهم أعماله في موضوعنا وهو كتاب (أخبار الإبل) و(الحيوان) مفقودان، إلا أننا نستطيع أن نستخلص من النـزر اليسير من كتاباته في كل من (الصفة) و(الإكليل) و(الجوهرتين) معلومات في غاية الأهمية تخدم موضوعنا وتفسر لنا العديد من الأمور التي لم يتطرق إليها الباحثون في مجال تنظيم ونقل البضائع التجارية وتسيير القوافل من اليمن إلى مختلف البلدان.

فحديث الهمداني في (صفة جزيرة العرب) ليس حديثاً مقصوراً على المعالم الجغرافية في بلاد اليمن والجزيرة بل حديث يتناول هذه المعالم وفقاً لاتجاهات الطرق التي تعبرها القوافل ويسلكها المسافرون في كل الاتجاهات داخل اليمن وخارجها، وقد تناول الهمداني الطرق الرئيسية التي تطرقها القوافل التجارية والمسافرون بصورة دائمة تحت مسمى (المحجة) جمع (محجات) وهي (محجة حضرموت) وتنطلق منها القوافل من العبر إلى الجوف وصعدة مرورا بمارب وبيحان والسرين ومرخة. ويوجد طريق آخر من حضرموت يوصل مباشرة من العبر خلال أطراف صحراء صيهد إلى نجران ووادي حبونن في بلاديام. و (محجة عدن) إلى تهامة وتسير عبر السهل الساحلي وتنتهي بمدينة عثر في بلاد جازان. ويوجد طريق آخر يوصل بين عدن وصنعاء وكان يطلق عليه (محجة عدن على طريق صنعاء) وكانت تتجه من عدن عبر الجهة الشرقية من الهضبة اليمنية وصولاً إلى مدينة صنعاء، وطريق ثالث ينطلق من عدن ويتجه عبر منتصف الهضبة الجبلية إلى أن يصل مدينة الجند ومنها يتجه إلى صنعاء عبر بلاد السُّحُول وحقل قتاب وذمار وصولاً إلى خدار فصنعاء. أما (محجة صنعاء إلى مكة) فتفترق إلى طريقين طريق يتجه عبر الجبال شمالاً إلى صعدة ومنها يستمر حبل الطريق ممتداً بين جبال ووديان

---

* بل قبل حوالي ألف سنة وستة عقود من السنين.

وقرى مخترقاً بلاد عسير حتى يصل إلى مكة، أما الطريق الآخر، الموصل إلى مكة من صنعاء، فينحرف غرباً من قاع البون مخترقاً بلاد حجة حتى يقع في حرض من بلاد تهامة ومنها يمتد إلى الخصوف من جيزان ومنه يتجه عبر السهل الساحلي التهامي إلى يلملم ثم مكة. ومن مكة يتجه الطريق إلى بلاد العراق عبر ما أسماه الهمداني (محجة العراق) وهي الطريق الموصل بين مكة وعدد من المواضع التي تمر عبر سهول ووهاد بلاد نجد وتنفذ إلى البصرة ومنها يتم التوجه إلى داخل بلاد العراق ومدنها.[1]

إن وصف الهمداني للطرق التجارية داخل اليمن وخارجها يعتبر دقيقاً لكونه هو وأفراد أسرته، منذ عهد جده (يوسف بن داود) يعلمون في مجال العناية بالإبل ونقل البضائع والمسافرين، فقد ذكر في الجزء العاشر من الإكليل أن أجداده "كان لهم بصر بالإبل لم يكن لأحد من العرب"[2] ودفع هذا القول للهمداني، محب الدين الخطيب إلى إستنتاج أن ".. سليمان ذا الدمنة - جد جد الهمداني - كان يتجر بالإبل ولعله اقتطع لاعطائها أرضاً في المراشي كان يسميها (الدمنة) فعرف بها......"[3]

ومارس (أحمد بن يعقوب) أبو لسان اليمن الحسن الهمداني الاتجار بالذهب واشتغل بأعمال التعدين وعرف كرحالة يجوب الآفاق فدخل الكوفة والبصرة وبغداد وعمان ومصر[4]. وذكر الشيخ حمد الجاسر أن صلة آله - الحسن بن أحمد الهمداني - بالعراق البلد المتحضر كانت قديمة، فقد كان محمد بن يعقوب يعرف بالبصري وهذا عم الهمداني الذي تزوج الهمداني إبنته[5]. كما أشار الهمداني في الصفة إلى تواجد والده في بغداد عندما ذكر "قال أبي رحمه الله : سألني رجل ببغداد بماذا تأدمون في أسفاركم ؟ قلت: بالسمن..."[6]، وذكر أيضاً في صفة جزيرة العرب، ص361 "قال أبي رحمه الله تعالى : قد دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومكة، وأكثر بلاد النخل وطعمت التُمْرَان مارأيت مثل مدبس نجران جودةً وعظم تمره خاصة تملأ الكفَّ التمرة...".

وعمل لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني في (الجمالة) وحمل التجار من صعدة إلى مكة مشاركاً أهله عملهم فقد ذكر في الصفة "وكنت أنظر إلى التجار إذا حملناهم إلى مكة يأكلون سفرهم طرية إلى نصف الطريق، ويابسة تدق وتطرأ إلى مكة، وكنا نستعمل في أسفارنا خبز الملة والسمن واللحم والكشك والمهاد"[7]

وعند تعليقه على ذكر موضع (الربضات) الذي وصفه أحمد بن عيسى الرداعي في ارجوزته قال "والربضات موضع بين جبال به رضالم عظام كالآطام الكبار، وهي من صخر مرتضم بعضه على بعض، وبها سمي الموضع، وهي مذعرة للإبل... وقد سرتها غير مرة ليلاً ما آنست بها ذاعرة...."[8]

وذكر القفطي أن الحسن بن أحمد الهمداني ".... أقام بمكة دهراً طويلا، وسار إلى العراق، واجتمع بالعلماء واجتمعوا به فيما قيل."[9].

وقد نبه محمود الصغيري إلى أنفراد القفطي بذكر مسير الهمداني إلى بغداد مشيراً إلى عدم وجود ما يثبت ذلك[10] ولعل حديث الهمداني في (الصفة) ص360 عن السكر الذي ينـزل من الهواء وهو (المن والسلوى) الذي ينـزل في بعض بلاد اليمن في أوقات معينة من السنة ويتجمع على أوراق شجر العشر فيجمع منها ويوضع في قوالب، وإهدائه قالبا منها لصديق له في العراق تعجب من رآه مع صديقه[11]، وهو حديث ذو دلالة هامة تشير إلى أن عملية الإهداء ربما تمت أثناء تواجد الهمداني في العراق أو في رحلة إليها، وهو ما يتوافق مع ما ذكره القفطي.

وقد تتبع الهمداني كعالم وصاحب خبرة في تسيير القوافل (أرجوزة الحج) لأحمد بن عيسى الرداعي حتى حققها وأثبتها في نهاية كتابه (صفة جزيرة العرب) معتبراً إياها، عن خبرة، بأنها أفضل ما كتب عن (وصف البلاد من رداع إلى مكة على محجة صنعاء في أرض نجد العليا)، ومن هذا المنطلق عني بها كوثيقة هامة يستطيع (الجمَّالة) إذا حفظوها إستخدامها كخارطة متكاملة للاستدلال على الطريق التي يسلكونها من اليمن إلى مكة إلى جانب إفادتهم منها في معرفة صفات الإبل والفلوات وموارد المياه، وقد عدها الهمداني شعراً أصيلاً ونادراً يصف، وربما للمرة الأولى، مسافة تقطع بمدة تصل إلى أربعة وعشرين يوما مشيداً بشاعرها وبقدرته الإبداعية.

ولكون الهمداني صاحب خبرة بالإبل وأنواعها نجده يذكر في الصفة ص362، ,,وباليمن من كرام الإبل الأرحبية لأرحب بن الدعام من همدان، والمهرية ثم من المهرية العيدية تنسب إلى العيد قبيلة من مهرة، والصدفية، والجرمية، والداعرية تنسب إلى داعر من بلحارث، والمجيدية ومنها الإبل المهرية المعنبرة,, وعند ذكره لقبيلة السكاسك قال ,,... ومازالوا مشاقين للملوك لقاحاً لا يدينون، ولهم إبل هي السكسكية للحمل والمجيدية من أكرم الإبل وأنجبها بعد المهرية...,,*

ونصل من ما سبق من معلومات إلى أن الحسن بن أحمد الهمداني كان خبيراً بالجمال وبالأنواع الجيدة منها، وخبيراً بأعمال الجمالة وقيادة القوافل التجارية، كما كان خبيراً مدققاً في معرفة البلدان والطرق التي تسلكها هذه القوافل بما في ذلك معرفته بالأنواء والنجوم ومقدار المسافات بين المواضع والأماكن التي تكون فيها مناهل المياه والآبار داخل اليمن وخارجها، وهي أمور لا بد أن يلم بها من كانت حرفته ومهنته تقتضي ذلك يدل على هذا دلالة بليغة كتابه العظيم ,,صفة جزيرة العرب,, الذي يرسم لشبه جزيرة العرب خارطة شديدة التفصيل والدقة.

ويقدم لنا ,,الهمداني,, معلومات تفصيلية دقيقة عن أعراف أهل اليمن وتصرفهم في تسيير القوافل التجارية، وفي الأسباب الموجبة لما تواضعوا عليه من قواعد لسفرهم وذلك في كتاب ,,الجوهرتين العتيقتين من الصفراء والبيضاء،فعند تناوله ,,ترتيب صف العيار,, بالنسبة للدينار من أجل ضبطه عند سكّه عملةً قال بأن ترتيب وصف العيار يشابه ترتيب ,,مقاطرةَ أهل اليمن في أسفارهم,,[12] والمقاطرة معناها ترتيب وصف العيْر أو الجمَال بنظام معين أثناء السفر. وقال إن مقتضياتَ هذا النظام الذي اتبعه أهل اليمن أو جبته ضرورات جغرافية ,,لأن طرقهم في قيعان كثيرة الدغل والخمائل والمزارع والخَمَر والغَلَل أو حَزْن كثيرة الوَعْث والمضايق فلا يقدرون على صف القطرات كما يفعل سفراء العراق إلى مكة وسفراء الشام، فحملوهم - أهل اليمن - أبداً مقطر بعير خلف بعير...,,[13].

وتبين لنا الفقرة السابقة أن الطبيعة الجغرافية وأعمال الإنسان في الزراعة في اليمن لا تسمح بحرية القافلة التجارية كما هو الحال في قوافل بلاد العراق والشام فالسهول المفتوحة أمامها وكذلك الصحارى تتيح لأصحاب القافلة أن يتحركوا بسهولة وحرية أكبر فقد يصفون القافلة بالعرض لما مقداره ما بين خمسين ومائة جمل بجانب بعضها بعضا لعرض المسالك مما يجعل المسافة التي تشغلها قافلة مؤلفة من ألف جمل بين من يسير في مقدمتها ومن يكون في مؤخرها أو ساقتها ضيقة (قريبة) جداً، فيسيرون جميعاً معاً، بينما تتسع (تطول) المسافة في قوافل أهل اليمن لأن الطبيعة الجغرافية للبلاد تجعل سفر ألف جمل وراء بعضها البعض يمتد بين مقدمتها وساقتها عدة كيلومترات، ويتسبب هذا في عدم تساوي فرص الحصول على العلف والطعام والماء، وتعرض من يكون في المؤخرة إلى السراق وقطاع الطرق، يقول الهمداني ,,... فربما كان طول المقطر - القافلة - أربعة أميال وستة على قدر كثرة الناس والركاب، وكل ألف بعير يأخذ ما بينها من فرج الخطم وفرج مابين مقاطر الرجال قدر ميلين، والألفان أربعة أميال، والثلاثة الآلاف ستة أميال، فلما كان طول القطار يتأدى إلى هذا فكان الأول يقع في المنزل والآخر يسير إليه كسير مرحلة، فإن صبّح الأول المنزل أتاه الآخر مُظْهِراً، وإن مسّاه أتاه الآخر مُعْتِماً، فلا يلحق من المياه إلا الرَّنْقُ ولا من العلوفات إلا الخَفِيل وربما لا يلحق شيئاً من ذلك مع ما يناله من مقاساة سراق الطريق وعماريطها وساريت العرب الذين يهتبلون الغدوة في أعقاب الرفاق وساقتها...,,[14].

ومن هنا اقتضى الأمر من أهل اليمن البحث عن حل لإيجاد ما يعدل بين الناس ويساوي بين المسافرين في القافلة التجارية في أحقية حصول الجميع على فرص متساوية سواء في مسألة الإعاشة أو مواجهة الأخطار والسراق، و ,,لم يجدوا بداً من التماس ما يسوي بين الناس أو يعدل بين أحوالهم,,[15] وهداهم التفكير إلى التواضع على قاعدة دائمة يتبعونها جميعاً في أسفارهم

---

* صفة جزيرة العرب، ط دار اليمامة، الرياض1974م، ص 210.

داخل اليمن وخارجها „فجعلوا القطار أربعة أرباع فذلك ضرب أربعة في أربعة، وجعلوا ذلك على عدد الإبل، وقدموا كل ربع يوماً، ثم تقدم الساقة – المؤخرة – في اليوم الثاني، وصار الأول بالأمس ثانياً، والثاني ثالثاً، والثالث ساقة وهو سائق يوم ثان فصار أولاً، والأول بالأمس وهو ساقة أول يوم ثانياً، والأول في أول يوم ثالثاً والثاني رابعاً ساقة، ثم تقدم هذا السائق يوم رابع فصار أولاً وكان في الأصل ثانياً، وكذلك يقسم كل ربع من هذه الأرباع على هذه القسمة„[16].

إن القاعدة السابقة التي أوضحها الهمداني تتلخص ببساطة في تقسيم القافلة التجارية المسافرة إلى أربعة أرباع متساوية أياً كان عدد الجمال فيها، وإذا كانت القافلة كبيرة العدد يصل عدد الجمال فيها إلى ألف أو ثلاثة آلاف فرضاً يقسم كل ربع فيها إلى أربعة أرباع أيضاً، ويقتضي نظام الأرباع هذا أن يأخذ ترتيب الأول فالثاني فالثالث فالأخير وهو الرابع أو الساقة. ويبدأ الربع الأول بالانطلاق أولاً، وبعد فترة من الزمن يتحرك الربع الثاني، ثم يتلوه بعد زمن الربع الثالث، وأخيراً يتحرك الربع الرابع أو الساقة، ويحددون موضعاً أو محطة لتوقفهم، وعندما تصل كل الأرباع إلى المحطة في أوقات زمنية مختلفة، فقد يكون الربع الأول وصل إلى المحطة عند الغروب والربع الأخير أو الساقة وصل إليها في منتصف الليل، وعندما يبدأ ون رحلتهم اليوم التالي ينطلق في المقدمة الربع الأخير فيصبح الأول، ويتلوه من كان بالأمس الأول، ويصبح الثاني بالأمس الثالث، ويغدو من كان الثالث الأخير أو الساق، وهكذا يكون الأخير في كل مرة الأول، وعلى هذا النظام يتحركون إلى مقاصدهم بانتظام حتى يبلغوها، ويحقق هذا النظام ليس فقط مفهوم العدل بين المسافرين، ولكن في نفس الوقت يجعل القافلة تتحرك بيسر وسلاسة عبر المسالك الضيقة، ويحول دون تزاحم الجمال وحدوث مضايقات كبيرة.

وعملية تقسيم القافلة إلى أرباع لا تتم إعتباطاً، بل لها نظام وقاعدة تحكمها أيضاً، فيجتمع قادة أو مرشدو الأرباع الذين يقودون كل ربع من أرباع القافلة وهم بلا شك من أصحاب الخبرة بالمسالك والطرق أمثال „الحسن بن أحمد الهمداني وأفراد أسرته„ ويقترعون فيما بينهم على من يكون الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع والأخير „ومثال ذلك: إن كان في الرفقة ألف وستمائة بعير الربع أربعمائة، وربع الربع مائة، وربع ربع الربع خمسة وعشرون، ثم اجتمع أصحاب الأرباع فاقترعوا، فمن طارت له القرعة الأولى فهو الأول، ثم اقترع الباقون فمن طارت له الأولى فهو الثاني، ثم اقترع أصحاب الربعين الأخيرين فأيهما طارت له صار ثالثاً وساقة الرابع„[17] أما القرعة فيقول الهمداني: إن من المقترعين من يكتب على أربع حصيات أو على أربع أقداح من أقداح الزند – وهي حصيات قدح النار – أو النبل وهي عيدان السهام، فيكتب على إحداها (قد) وهي علامة من يكون في المقدمة وعلى الثاني (ثن) وهي علامة الثاني، وعلى الثالث (ثل) وهي علامة الثالث، وعلى الرابع (سق) وهي علامة الساقة أو الأخير، وربما أخذوا حصيات أربع مختلفة لكل واحدة منها علامة تميزها أو أخرج أهل كل ربع سهماً من برية معروفة، وتجمع أدوات القرعة هذه وتعطى إلى (المُقَرِّع) وهو شخص مختص بإجراء القرعة، فأخذ القدح أو قلقل الحصى وهو مقنع الرأس شاخص البصر، ثم أخرج أحدها ويقول : هذا الأول فعرف، ثم أخرج وقال : هذا الثاني فعرف. ثم أخرج فقال : هذا الثالث فعرف، وصار الرابع للسائق أو الأخير، ويقسم كل ربع على هذه الصورة أرباعاً„[18].

وقد دقق الهمداني في شرح عملية القسمة والقرعة وأتى بعدد من الأمثلة بما في ذلك جدول إيضاحي[19] بالمراحل التي تقطعها القافلة التجارية المسافرة وحركة الأربعة الأرباع في كل مرحلة، وكان حريصاً في ذلك ليوفي الموضوع حقه لأهميته وليوثقه كما وثق العديد من الأشياء في كتبه لتعرفها الأجيال من بعده وتُلِمَّ بها إلماماً تاماً.

إن حديث الحسن بن أحمد الهمداني السابق وتوليفه لحركة القافلة المسافرة ووصفه تقسيمها إلى أرباع ووصفه لكيفية إجراء القرعة التي يقوم بها قادة القافلة يدل على أن هذا النظام أو العرف لم يكن وليد عصر الهمداني أو فترة ما بعد ظهور الإسلام بل كان نظاماً

وعرفاً معمولاً به عند أهل اليمن منذ عصور قديمة سابقة لظهور المسيح عليه السلام، وقد غدا جزءاً من سلوك أهل اليمن في أسفارهم بصورة دائمة لكونه النظام العملي الوحيد الذي يقلل من الصعوبات والمشاكل ويحقق العدالة بصورة مؤكدة بين مختلف أطراف القافلة المسافرة بالمتاجر والركاب إلى مختلف الآفاق.

قائمة المصادر والهوامش

1. لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالي، طبع دار اليمامة. الرياض، 1394هـ - 1974م، ص 335 - 344.
2. أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، الكتاب العاشر من الإكليل، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب، القاهرة 1368 هـ. ص199
3. المصدر السابق، تصدير الجزء العاشر من الإكليل، حياة المؤلف - يج.
4. محمود إبراهيم الصغيري، الهمداني مصادره وآفاقه العلمية. مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ن ط دمشق بدون تاريخ، ص 5.
5. المصدر السابق، ص5.
6. نفسه، ص 14.
7. نفسه، ص 14
8. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 427.
9. محمود الصغيري، الهمداني. ص 29
10. المصدر نفسه. هامش ص 29.
11. الهمداني، صفة جزيرة العرب. ص 360.
12. أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني. كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء. حققه الدكتور كريستوفر تول. وزارة الإعلام والثقافة. مشروع الكتاب 3/16. طبعة ثانية. 1985. ص 172
13. المصدر السابق. ص 172.
14. نفسه. ص 172
15. نفسه. ص 172
16. نفسه، ص 172، ص 173.
17. نفسه، ص 173.
18. نفسه. ص 173، 174
19. انظر في المصدر نفسه، ص 175

# جماليات الملابس والحلي اليمنية التقليدية

أ/أمة الرزاق يحيى جحاف

جرت العادة أن تطلق كلمة صانع على أي منتج ينتج من عمله ما يحتاج إليه الناس سواء كان ما ينتجه بناءً أو أثاثاً أو ملابس أو حلي.

وهو عندما ينتج هذه المنتجات لا يكررها، ولكنه يطورها في كل مرحلة جديدة ويتطور معها.

وبالتالي فهي تخرج عن كونها منتجات عادية تم إنتاجها لإشباع ضرورات مادية، ولكنها تصبح منتجات متقنة الصنع جميلة الشكل، أنيقة المظهر، وهي إضافة إلى ضرورتها المادية تدخل البهجة إلى النفس، والسرور إلى القلب وكلما مهر الصانع في أساليبه وطور منها، وتفنن في طرقه وأتقنها، تكون النتائج أعمالاً تدعو إلى الإعجاب.

وقد برع اليمنيون في كثير من الصناعات التقليدية وأصبح لهم فيها باع طويل فاشتهرت منتجاتهم وذاع صيتها، خارج بلادهم لنفاستها وجودة صناعتها ولعل أشهرها، صناعة المنسوجات والملابس التقليدية والحلي الذهبية والفضية وهما محور هذه الدراسة لما كان لهما من أهمية في حياة الإنسان اليمني رجلاً وامرأة كما أنهما شكلا محوراً هاماً في موروثنا الثقافي.

## أولاً: الملابس التقليدية:

تعتبر الملابس التقليدية لأي شعب من الشعوب تعبيراً حقيقياً عن كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وفلسفته السياسية وقد تنوعت الملابس التقليدية في اليمن بسبب تنوع الأقاليم الجغرافية التي آدت إلى تنوع في المواد الخام النباتية والحيوانية وتنوع المعرفة بطرق الحياكة والغزل بالإضافة إلى استخدام مجموعة متنوعة من المواد الأولية لصباغة منسوجاته وتلوينها وقد ورد في المصادر التاريخية تنوع كبير للملابس والمنسوجات اليمنية مما يصعب على الباحث تصنيفها لعدم وجود أوصاف دقيقة لها أو دراسات عنها.

### أنواع الخامات ومصادرها:

كانت الخامات الطبيعية هي أكثر الخامات استخداماً في اليمن وأهمها القطن والكتان والصوف والحرير.

#### القطن والكتان:

وكان يتم الحصول عليهما من غزل ألياف القطن والكتان وتنسج على المنسج اليدوي ثم تستخدم في صنع

أغطية الرأس والأحفة والمعاجر والمقاطب والمعاوز والملابس الداخلية والخارجية.

الأصواف:

كان يتم الحصول عليها من غزل أصواف الأغنام والماعز ثم نسجها على المنسج اليدوي وتصنع منها العباءات والشميل والفريد والبرود الجيشانية.

الحرير:

وكان يتم الحصول عليه عن طريق استيراده وكان استخدامه قاصراً على صناعة ملابس الولاة والحكام والموسرين وتصنع منه القمصان والصايات والشالات والأقمشة الخفيفة.

وقد أدى التحول الاجتماعي للمجتمع من مجتمع زراعي بسيط إلى مجتمع حديث إلى اختفاء الكثير من خصوصيات الأزياء اليمنية وأندثار معظمها وجهل الكثير من شباب الجيل الجديد بأهميتها وهذه قضية لها خطورتها الكبيرة لأن الأمة التي تعرف تاريخها وتتضح أصالتها من طراز أزيائها هي أمة صادقة مع نفسها وهو ما يدفعها إلى المضي قدماً لتحقيق الرفعة والتقدم أما الأمة التي تتناقض صورة أزيائها مع سلوكها ومعيشتها وتظهر أزياؤها منقطعة الصلة بما قبلها فهي أمة تعيش في غربة تمنع أبنائها من تحقيق ذاتهم وبناء وطن لا يشعرون بانتمائهم إليه.

وسأحاول في هذه العجالة أن أورد بعض السمات الأساسية والخصوصيات الفنية التي تميز الأزياء التقليدية اليمنية بناء على انتمائها لأقاليم جغرافية مختلفة يتوزع فيها الوطن اليمني .

أ- المرتفعات الجبلية:

السمات الأساسية لأزيائها:

1- فخامة المادة النسيجية ودقة نسجها.

2- استخدام منسوجات الأصواف المغزولة إلى جانب القطن والكتان والحرير إلى جانب الأقمشة المستوردة من الهند.

3- حرص الملابس على تغطية كامل أجزاء الجسم، فتحة الصدر مقفلة بأزرار، الأكمام طويلة قد تنتهي بياقة مقفلة مثل كم الزنة العربية أو أكمام واسعة جداً ويصل طولها إلى منتصف الساق مثل قميص العرس أو يغطي الرسغ مثل القميص العادي يلتصق بالجسم من أعلى ويتسع باتجاه الأسفل.

4- استخدام السروال النسائي وهو طويل ساتر يتصف بالاتساع الشديد من أعلى ويضيق تدريجياً عند الساق حتى يصل إلى القدم ولكن على نحو يسمح بخلعه بسهولة ويربط من الحقو بتك. (وهو خيوط من القطن مفتول ومحبوك كان يستخدم عوضاً عن البلاستيك).

5- ارتداء الملابس المتعددة فوق بعضها ولكل منها وصيفة مختلفة.

6- السروال الرجالي يصل طوله إلى تحت الركبة.

7- غطاء الوجه بالنسبة للنساء (في مدينة صنعاء تحديد مغموق) أو قماش أسود في بقية المرتفعات قناع تزجه سماطة طاس.

8- غطاء الرأس بالنسبة للرجال عمامة كوفية شال سماطة رشوان وبالنسبة للنساء تزجه سماطة طاس وشاح حرير (قناع) مصر طالعي فرادي.

9- شال صوف مسيم يوضع على الكتف.

10- ملاءات ودثارات ملونة ستارة، مصون .

11- عباءة منسوجة من صوف الماعز للرجال.

12- جرم (بالطو) يصنع من جلود الحيوانات بعد دباغتها.

13- مآزر ومقاطب ومعاوز وهي منسوجات غير مخيطة تلف على الجزء الأسفل من الجسد.

ب- السهول الساحلية:

السمات الأساسية لأزيائها:

1- رقة المنسوجات ونعومتها.

2- استخدام منسوجات القطن والكتان.

3- تظهر الملابس أجزاء من الجسم، فتحة الصدر واسعة مربعة أو مستطيلة.

4- ارتداء قميص إضافي فوق الثوب عند الخروج وهو عبارة عن قميص من القطن المخلوط بكتان ويصمم كقطعة مربعة بدون تحديد معالم يتسدل على الجسم أكمامه واسعة جداً وتبدأ من بداية القميص إلى نهايته.

5- غطاء الرأس النسائي / قماش قطني مصبوغ بلونين احمر وأسود.

6- غطاء الرأس الرجالي / كوفية قطنية، كوفية خيزران وقد يلف حولها عصابة قطنية بيضاء، ظلة من سعف النخيل مخروطية الشكل، سماطة من حرير الهند.

7- أزار قطني أبيض، فوطة ملونة، لحفه توضع على الكتف أو تلف على الجسم.

ج- الهضاب:

السمات الأساسية لأزيائها:

1- ام الحرير والقطن والمخمل المستورد.

2- الثوب النسائي قصير من الأمام إلى ما تحت الركبة طويل من الخلف إلى الأرض.

3- ارتداء الوشاحات الحريرية الملونة.

4- معاوز قطنية ملونة منسوجة تزين أطرافها ذوائب.

د- الصحراء:

السمات الأساسية لأزيائها:

1- ثوب عربي أبيض أو أصفر أو رمادي.

2- قميص طويل له أكمام واسعة نسبياً طولها يقارب طول القميص تنتهي بشكل مخروطي يشبه نصف المثلث. ويربط إلى الخلف.

3- الثوب النسائي أسود.

4- غطاء الرأس النسائي/ ستارة وخمار لتغطية الوجه. غطاء الرأس الرجالي / سماطة تلف حول كوفية ويلبس معها عقال.

الخصائص الفنية:

تتميز الأزياء اليمنية بأناقتها وحشمتها والاهتمام بتطريزها فماذا تعني كلمة تطريز؟ إنها زخرفة القماش بعد أن يتم نسجه بمادة أغلى من مادة النسيج أما كلمة نقش فإن أصلها فارسي. ثم أصبحت بعد ذلك تدل على الرداء المزين بأشغال التطريز. والتطريز يتم عادة بالمواد التالية:

1. الخيوط المعدنية:

استخدمت خيوط الذهب والفضة في تطريز ثياب الزينة والملابس، ويتميز التطريز في هذا النوع من الملابس بالكثافة خصوصاً حول فتحت الرقبة وأطراف الأكمام وواجهة الفستان.

2. الخيوط الحريرية :

استخدمت الخيوط الحريرية الملونة إما بمفردها أو مع كمية بسيطة من الخيوط المعدنية. وتختلف كمية التطريز حسب اختلاف زي المناسبة.

3. الخيوط القطنية:

استخدم هذا النوع بكثرة في الملابس اليومية وملابس الأفراد من ذوي الدخل المحدود وقد كان يتم الحصول عليها بتنسيلها من أقمشة مخالفة للون الثوب المراد تطريزه.

طرق التطريز:

التطريز اليدوي/ باستخدام الخيط والإبرة المعدنية.

التطريز الآلي/ وبدأ ظهوره مع بداية استخدام المكينة.

الزخارف والرسوم المستخدمة:

كانت عملية التطريز تتم بطريقة بدائية تلقائية تقوم بها المرأة باستخدام الغرز والألوان فتحصل على الزخارف المطلوبة بشكل منظم الألوان منتظم الغرز يتميز بدقة هندسية وإبداع فني متكامل.

أنواع التطريزات:

أشكال مستوحاة من البيئة النباتية.

أشكال هندسية مستوحاة من البيئة الجغرافية.

ومن هذا المنطلق نوجز الخصائص الفنية لأزياء كل إقليم جغرافي على حدة

● الخصوصية الفنية لأزياء المرتفعات:

1- مهارة عالية في استخدام الخيوط القطنية والحريرية والذهبية والفضية واعتماد الألوان الأساسية

وبذات اللون الأحمر والأخضر والأزرق والأصفر مع تداخلات جميلة بسيطة للون الأبيض الذي يمنحها توشية خاصة مضيئة.

2- استخدام الخرز الأحمر والترتر والقطع المعدنية قد تكون لعملات أو ما شابه ذلك. بالإضافة إلى استخدام الأحجار الكريمة وشبه الكريمة مثل المرجان وقشر اللؤلؤ الأصلي في زخرفة المطرزات.

3- غناء الزخرفة وتنوع الوحدات الزخرفية ما بين هندسية ونباتية وموروث إسلامي.

4- تطريز واجهة الزي فقط ونهاية الأكمام في المرتفعات الجبلية العالية.

وكلما انحدرنا باتجاه المرتفعات الوسطى نلاحظ كثافة المساحة المطرزة حتى تشمل معظم مساحة الفستان كما نلاحظ تبسيطا في الوحدات الزخرفية حتى تصبح مجرد خطوط مستقيمة متجاورة واقتصار التطريز فيها على الخيوط القطنية والحريرية.

● الخصوصية الفنية لأزياء السهول الساحلية والتهامية:

1- مهارة عالية في التطريز باستخدام الشرائط المنسوجة بخيوط فضية وقطنية.

2- الاهتمام بتطريز أكبر مساحة من الأزياء النسائية في خطوط مستقيمة متجاورة وأشكال هندسية كبيرة.

3- اختصار التطريز على زخرفة الملابس النسائية وتزخرف نهاية المعوز أو اللحفة بزخرفة نسيجية وتنتهي أطرافها بذوائب مفتولة.

4- استخدام الألوان الفاتحة وبالذات اللون الأبيض.

5- تطريز واجهة الفستان وخلفيته.

● الخصوصية الفنية لأزياء الهضاب:

1- مهارة عالية في التطريز بالخيوط الفضية مع تداخلات بسيطة لخيوط لامعة تمنحها بريقاً هادئ وجميلاً.

2- تطريز فتحة الفستان بشرائط معدنية تطريزا تركيا في مستقيمات متجاورة حول فتحة العنق على شكل مربع.

3- تطرير نهاية الكم بنفس طريقة تطرير الصدر.

4- تحديد منتصف مساحة الفستان بشكل دائري تنطلق منه مستقيمات متنوعة على شكل أغصان متشابكة في كل الاتجاهات.

5- استخدام الترتر والأصداف في زخرفة الملابس وأحياناً العملات الفضية الصغيرة.

6- الاهتمام بزخرفة خلفية الفستان بشكل يبدو أكثر كثافة وأكبر مساحة.

7- قص شرائط قماشية ملونة وتركيبها على الثوب بأشكال مختلفة التفرعات.

8- مهارة عالية في تطرير المنسوجات القطنية وبالذات المعاوز الرجالية.

● الخصوصية الفنية لأزياء الصحاري:

1- ندرة استخدام التطريز والزخرفة.

2- اقتصار الزخرفة على استخدام الأصداف لتزيين خمار الرأس (المكحنة) المرأة .

3- ندرة استخدام الألوان.

ثانياً جماليات الحلي اليمنية :

تعتبر الحلي مؤشراً هاماً على تطور الإنسان وعاداته وثقافته وانتشار نوع من أنواعها في أي مجتمع يشير إلى ماهية هذا المجتمع لأنها تخضع لعادات المجتمع وتقاليده. وكما أنها وسيلة تجميلية فإنها مجال لإظهار الثراء والمباهاة ووسيلة من وسائل الاحتفاظ بالمال. كما أنها أحياناً تشير إلى بعض المعتقدات الدينية، وقد استخدمت المرأة اليمنية أنواعاً متعددة من الحلي التي كانت مكملاً هاماً لملابسها وزينتها، وجزءاً هاماً في موروثها الشعبي .

ولذلك نجدها لم تترك مكاناً في جسمها يمكن تزيينه إلا وزينته إبتداء من رأسها وذراعيها ورقبتها وصدرها وخصرها وقدميها.

وقد برع اليمنيون في صناعة الحلي واستخدموها منذ أقدم العصور، ويحضرني هنا مثال بسيط أورده الأستاذ عبد الله الثور (في كتاب اليمن قبل الإسلام) حيث ذكر أن إمبراطور القسطنطينية في القرن السادس

الميلادي أرسل وفداً لمقابلة الملك الحميري وحينما قابله وجده يقف على عربة تجرها أربعة أفيال وهو يرتدي في معصمه أساور من الذهب، وقد بلغت الحلي في اليمن أوج ازدهارها في العصر الإسلامي.

ويمكن لنا أن نرجع إلى وصيه (السيدة أروى بنت أحمد الصليحي) التي ذكرت فيها بالتفصيل الحلي التي كانت تمتلكها مع وصف دقيق لكل قطعة ومسمياتها ومن أوصافها نجدها تنطبق على نفس مسميات الحلي التي لا تزال معروفة إلى يومنا هذا، مثل العصبة، الدقة، الدمالج، الشميليات، والجدايل...الخ.

والفرق أنها كانت تصنع من الذهب ثم أصبحت تصنع من الفضة وأشارت الوصية إلى بعض الحلي بأنها هندية، وهما تحديداً حليتان دلالة على أن بقيتها صناعة محلية ولكن للأسف الشديد لم يتبق من حلي ذهبية تقليدية متوارثة اجتماعياً سوى لما تمت صياغته في الخمسينات وبدورها بدأت في طريقها إلى الاندثار وقد أشتهر في اليمن نوعان من صياغة الفضة هما:

الفضة البوسانية:

وقد أشتهر بها كل من هارون البوساني الذي تخصص في أشغال الفضة وخاصة عمل التوز إضافة إلى يحيى البوساني الذي تخصص في عمل الحلي الفضية التي يتم صناعتها بالأسلاك أو ما يسمى بالشبك الذي يتم عقده بطريقة فنية معقدة وتسمى هذه الطريقة (شعيرية بوساني) تضاف إليها منمنمات صغيرة من الفضة تسمى (ذرور) تستخدم لتزيين سطح الحلية مع سلك مفتول من الفضة يستخدم لتشكيل المساحات الزخرفية.

الفضة البديحية:

وتأتي في المرتبة الثانية بعد الحلي البوسانية وقد اختلفت الروايات التي رجعت إليها في سبب تسميتها بهذا الاسم: الرواية الأولى تنسبها إلى قرية في اليمن تسمى بدح كان بها عدد من الصائغين من اليهود اليمنيين الماهرين والرواية الثانية تنسبها إلى صائغ يهودي يمني يسمى (بدح) اشتهر بجودة صياغته والحلي البديحية وان كانت تستخدم سلك الفضة المفتول في التشكيل والمنمنمات الصغيرة (الذرور) في التزيين إلا أنها اشتهرت باستخدام أسلوب الطرق لتثبيت القطع الزخرفية على سطح الحلية.

أما بالنسبة للصاغه المسلمون فقد اشتهروا في صياغة المشغولات الفضية الخاصة بالسيوف والجنابي سواء الأغمدة أو المقابض الموشاة بنقشات وزخارف بديعة جميلة الشكل وتظهر فيها الآيات القرآنية ولفظ الجلالة واسم النبي صلى الله عليه وسلم وأشهرها نوعان هما:

الفضة المنصورية والأكوعية:

ويشتغلها مجموعة من الصاغة اليمنيين الذين تخصصوا في صياغة (التوم). وهي أغمدة الجنابي التي يستخدمها القضاة ويصنعونها من الفضة المطعمة (باللاز) مع ملحقاتها من المكاحل والحروز والمحافظ وجميعها قطع مشغولة من الفضة يتم تعليقها في حزام التومة.

الفضة الزيدية :

وسميت كذلك نسبة إلى الزيدية (مدينة في محافظة الحديدة). وقد اشتهر صاغتها في صنع أغمدة السيوف والخناجر ومقابض الجنابي المصنوعة من الفضة وقد تميزت باستخدام الزخرفة النباتية وخاصة (زهرة اللوتس) التي تظهر كثيراً في الزخارف اليمنية بالإضافة إلى استخدام أسلوب التخريم الذي يعطي أناقة جمالية للصياغة الزيدية.

وحققت المشغولات الفضية اليمنية شهرة كبيرة تجاوزت اليمن إلى غيرها من دول العالم وأصبح الإقبال على اقتنائها شديداً ولم يكن ذلك إلا لأنها استمدت تصميماتها من كنوز تراثية إضافة إلى جودتها التي حققت بفضل الضوابط التي تم وضعها لضمان [illegible] من الغش.. ومنها القوانين التي أوردها (قانون [illegible]) الذي أمر بوضعه الإمام القاسم بن الحسين مثل [illegible] نصه ( بأن الفضة المبتاعة المشتراة من الذميين [illegible] كانت قرش حجر أو مصري أو بحاري على [illegible] ثلث، فيكون مصلحتها لصاحب رأس المال [illegible] سبع كبار وما عدا هذه كسرت وتكون [illegible] بالنسبة لتحديد عيارها.

كما ورد نص [illegible] يمنع الدلالين للفضة من تعميل الفضة لأنفسهم [illegible] بالغرامة المالية في حال

المخالفة، وبالإضافة إلى تحديد القانون أجرة الصياغة المستحقة للصائغين على كل قطعة بشكل دقيق فإنه ألزمهم أيضاً بوضع أسمائهم على كل قطعة يصنعونها وذلك بإشراف شخص تم تعيينه لذلك).

وهي ما نحتاج إليه الآن لمنع ما يحدث من غش في صياغة الفضة والمجوهرات لغياب الضوابط.

وتختلف مسميات الحلي عادة باختلاف المناطق ولكنها في معظمها تتميز بدقة العمل اليدوي، وجمال الزخرفة وهي في غالبها إما زخرفة نباتية أو هندسية مستمدة من الموروث التاريخي للحضارة اليمنية أو من التراث الإسلامي وهي تتشابه مع بعض الحلي في البلدان العربية.

وتزين بالفصوص والأحجار المختلفة الكريمة وشبه الكريمة مثل المرجان والعقيق والياقوت واللؤلؤ والكهرمان والزمرد ومعظمها يتم استخراجه من مناجم يمنية. ويمكن الرجوع في هذا إلى كتاب أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني (الجوهرتين العتيقتين) ويمكن أن نسمي ونصف بعضا من نماذج الحلي الفضية المشهورة ومنها:

الدقة:
عبارة عن كرات من الفضة مفرغة من الداخل ومخرومة من الجانبين ترص فوق بعضها في خيط قطني وتتناثر على سطحها زخارف وأشكال صغيرة بارزة يتوسطها حرز. وقد تتدلى منها عملات فضية (فرانصي) أو تختلط بها حبات من الكهرمان (الكرب) أو المرجان أو العنبر.

الحرز:
عبارة عن اسطوانة من الفضة مفرغة من الداخل تختلف من حيث الحجم والشكل والأحرف وقد تزين جانبيها مشغولات فضية صغيرة تتدلى منها.

المشاقر:
شكل نصف كروي مفتوح ومفرغ مخروم من الوسط ويثبت فيه خطاف يتم تثبيته على جانب الرأس وتتدلى منه سلاسل فضية مزينة ببعض المشغولات الفضية صغيرة الحجم على شكل أوراق شجر.

السلس:
سلسلة من الفضة وتسمى (العنابش) تعلق منها قطعة فضية مشغولة.

اللبه:
وهي أنواع كثيرة منها:

لبة تتألف من أربعة أو خمسة صفوف من المرجان وتتوسطها حلية مستطيلة وفي الطرفين قفلان مثلثا الشكل ويتدلى منهما ثلاثة حروز صغيرة وسبع حبات فضية لوزية الشكل تتدلى منها الجناجل..لكن أشهرها لبة تسمى أبو طير وهي تتكون من أربعة صفوف تتدلى منها طيور كثيرة.

العصبة:
وهي فضة تزين جبهة الرأس. وتتميز بجناجل تتدلى على الجبين وتزين ببعض فصوص العقيق وقد تكون عبارة عن عملات فضية تثبت بشكل متجاور على قماش ثم تربط على الرأس وأشهرها العصبة الحرازية. أما العصبة الصنعانية فهي عبارة عن صفين من الجنيهات الذهبية يتم تثبيتها بشكل متجاور ومتداخل على قطعة قماش غالية الثمن ومطرزة بأسلاك الفضة. ثم يتم ربطها على الجبين ولا بد من إضافة الفرادي والتزجه إليها.

الشميلات – (الحداود):
أساور من الفضة عريضة مفتوح لها قفل عبارة عن ساق معدنية يتم بواسطتها تثبيت الجانبين، قد تكون على شكل قباب أو على شكل زخارف دقيقة الصنع وأشهرها شميلة تسمى قبور العشاق حيث يزين سطحها أشكال تمثل قبور الدمالج وأساور من الفضة مبروقة الشكل تلبس في الزنة. وهي غالباً مفرغة من الداخل.

الحجول:
خلاخيل من الفضة تلبس أسفل الساق وقد تكون عريضة وتتدلى منها كرات صغيرة تحيط بأسفل الساق وتصدر رنيناً كبيراً عند المشي وقد تتدلى منها منمنمات صغيرة يكون صوتها أقل رنينا.

الأخراص: وهي مشغولات فضية متعددة الأشكال.

عقد الكرب ( الكهرب) :

وهو عبارة عن مربعات من حجر الكهرمان الصفراء قد يصل عددها إلى ثمان مربعات كبيرة وقد يفصل بين كل حبة وأخرى حبة من التوت البوساني إذا كانت حبات العقد كبيرة أو من التوت البديجي إذا كانت الحبات صغيرة .

الجدايل:

وهي مجموعة من حلي الشعر حيث تثبت بعض القطع والمشغولات الفضية أو العملات الذهبية مع بعض حبات المرجان في نهاية ثلاث خيوط قطنية أو صوفية ثم تظفر مع الشعر تتدلى من أطرافه.

أحزمة الفضة:

وهي أنواع كثيرة منها الحزام المارِبي وهو عبارة عن أسلاك من الفضة المظفورة ترص بأشكال متجاورة ومتداخلة قد تشكل ثمانية أو عشرة من الصفوف يصلها بعضها مماسك أو فواصل من الفضة على شكل صفائح مزخرفة أما مستطيلة الشكل تثبت فيها ثلاث حبات من المرجان وأما مربعة الشكل يتوسط كل منها فص من الياقوت الأحمر أو من العقيق كما يضاف إلى أسفل الحزام خيط من القطن المفتول يثبت في الصفائح وتشك فيه عراوي تتدلى منها منمنمات صغيرة من الفضة.

أما الحزام الخاص بمدينة شبوة فيمتاز بأنه عبارة عن صفائح سميكة من الفضة تشبه السبائك الذهبية بشكل أكبر يتزين سطحها بنتوءات فضية صغيرة وتثبت بشكل متجاور في خيط قوي من القطن المفتول وتتدلى في نهايتها سلاسل فضية تترابط فيما بينها في شكل أنصاف دوائر وكل دائرتين تصل بينهما عروة تتدلى منها كرة فضية صغيرة، وهناك أيضاً الحزام الذي يتكون من مجموعة كبيرة من ريالات الفرانصي (ريال ماري تريزا) ترص بشكل متداخل لتغطي منطقة الخصر وهو مشهور في معظم مناطق اليمن.

وهناك الكثير من الجزئيات الفضية الصغيرة التي تستخدم للتزيين منها حبات التوت التي تفصل بين مكونات العقد سواء كانت من المرجان أو الكهرمان أو العنبر والمنمنمات التي تزين سطح الحلية والدنادش التي تزين أطرافها وغيرها مما لا يتسع المجال لذكرها.

الخواتم :

وقد تفنن الصائغون في تشكيلها وتزيينها بمختلف الأحجار الكريمة وبالذات العقيق والياقوت والمرجان.

هذه الدراسة جزء من بحث قيد العمل عن الملابس والحلي اليمنية التقليدية بجهد فردي حتى الآن.....!!!

أتمنى من الله التوفيق والسداد

المراجع :


1. الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، د. حسين العمري.
2. بحث ميداني قيد العمل عن التراث التقليدي للملابس والحلي اليمنية أ. أمة الرزاق جحاف .
3. مجلة الإكليل، وزارة الإعلام الثقافة، صنعاء العددان الثاني والثالث 1983م.
4. التراث التقليدي للملابس والحلي في نجد د. ليلى البسام.
5. التنوع الجغرافي تنوع في الأزياء اليمنية التقليدية أ. أمة الرزاق جحاف.
6. مقابلات ميدانية ضمن خطة الدراسة.




# التفاعل الثقافي

## بين المغرب والصحراء الكبرى وجنوب الجزيرة العربية

### خلال العصور القديمة: المعتقد الديني نموذجاً•

أ. د. عفراء الخطيب*

في البداية تجب الإشارة إلى أن التطرق إلى علاقة المغرب بجنوب الجزيرة العربية ليس بالأمر الجديد من حيث المبدأ، لكن الأهداف والدوافع وراء طرح هذه الإشكالية تختلف كثيراً بين القديم واليوم. حيث كانت الأبحاث بشكل عام تدور حول أصل سكان شمال إفريقيا والجهة التي ينتمون إليها. وكذلك، يلاحظ أن معظم هذه الأبحاث كتبت من طرف المؤرخين الأجانب الذين كتبوا لنا تاريخنا وقدموا ما شاؤوا من النظريات والأفكار التي قد لا تطابق الواقع في كثير من الأحيان. وكانت غالبية هذه الدراسات، ونقصد الدراسات ذات الطابع الأكاديمي، محكومة بتوجه معين لا يخلو من الانحياز، على نحو ما نجده عند ستيفان كزيل (Stephanne Gsell) الذي كان يعد المرجع الأساسي في تاريخ شمال إفريقيا. فقد كتب في أحد مؤلفاته ما يلي: «إن التاريخ حدد لنا أيضا واجباتنا، فعلينا أن نتسلح بإرادة لا تقهر في أن نكون أسيادا وإلى الأبد ...»[1].

ووفقاً لهذا المنهج فقد اعتبرت منطقة المغرب الكبير جزءاً من أوربا، وكانت هناك إرادة متعمدة في تكييف تاريخها وفق ما تطمح إليه سياسة الإلحاق والإدماج، واعتبر تاريخ هذه المنطقة في فترة الاحتلال جزءاً من تاريخ فرنسا الحديث[2]، وتاريخها القديم جزءاً من تاريخ روما التي يرى بعض المؤرخين أنه يعود إليها الفضل في نشر المدنية في شمال إفريقيا. وبقدر ما رفع من شأن العهد الروماني في كتابات هؤلاء، بقدر ما انهالت حملات الطعن على العهد الفينيقي، مع أن الحضارة الفينيقية – القرطاجية كانت أبعد أثرا في حياة السكان الأصليين المادية والروحية، وظل تأثيرها متواصلاً طوال العهد الروماني، حيث كانت اللغة البونية تستعمل أثناء هذا العصر مكتوبة بأحرف إغريقية أو لا تينية[3]، وهو أمر لم يحققه الرومان الذين احتلوا المنطقة عدة قرون.

ونادرا ما كان البعض من الدراسات يقر بوجود سكان أصليين في شمال إفريقيا، تفاعلوا واختلطوا على

---

• بحث قدم في المؤتمر الدولي "اللغة والثقافة في إفريقيا – 27 – 28 أكتوبر 2001" قسم اللغات – معهد البحوث والدراسات الإفريقية– جامعة القاهرة

* أستاذة باحثة في التاريخ القديم وعلم الآثار ، جامعة محمد الخامس ، المغرب .

مرور حقب طويلة من الزمان مع مختلف الشعوب من خلال الهجرات والحروب والكوارث الطبيعية والقليل من الدراسات تلك التي اهتمت بالتفاعلات التي حصلت، وتساءلت أي من هذه التأثيرات كانت الأقوى والأبقى؟ وهل أتى البعض منها من الشرق؟ وإذا كان الأمر كذلك فمتى وكيف وصلت إلى منطقة المغرب؟

إن كل ذلك كان حافزا لنا على اختيار البحث في هذا الميدان الصعب، علّنا نستطيع إلقاء ضوء ولو خافت على جانب من جوانب الأصول الحقيقية لسكان المغرب القديم، وأن نقدم بعض الإثباتات المادية التي تساهم بدورها في إزاحة التهم التي ألصقت بهم، أنهم كانوا عند مجيء العناصر الفينيقية غارقين في بدائية ما قبل التاريخ، وأنهم تلقوا الحضارة جاهزة دون أن يقوموا بأي دور يذكر في بلورتها. وقد نسيت أو تناست أغلب الدراسات حقيقة تاريخية مهمة، ألا وهي،أن المنطقة كانت منذ أقدم العصور على اتصال بالجزر الأوربية من جهة والأراضي الممتدة من المحيط الأطلسي حتى البحر الأحمر من جهة ثانية، أي عبر الصحراء الكبرى.

ومن أجل العثور على بعض الإثباتات كان علينا أن نبحث في ما حصل من تداخلات وتفاعلات بين شمال إفريقيا والمناطق المجاورة لها أثناء العصور القديمة، علّنا نجد شيئاً مشتركا، يوضح بدوره بعض جوانب هذه العلاقات. وفعلا تمكنا من خلال اهتمامنا الطويل بالفكر الديني والمادة الأثرية للحضارات القديمة، أن نعثر على رموز مشتركة تمثلت في الهلال والقرص والنجمة، أي رموز إله القمر وإله الشمس وإله الزهرة. ولا حظنا أن هذه الرموز (شكل رقم 1) أي رموز الثالوث الكوكبي، كانت تنتشر في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى والشاطئ الشرقي لإفريقيا وجنوب الجزيرة العربية وأراضي الرافدين وبلاد الشام وجميع الجزر والأراضي المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط. وتبين لنا من خلال انتشار هذه الرموز أنها كانت تتوزع في اتجاهين أساسيين: الأول يتمحور في الشمال، ويضم جميع المناطق الواقعة ما بين أراضي الرافدين وأقصى شمال إفريقيا. أما الاتجاه الثاني، فيتمحور في الجنوب ويضم جنوب الجزيرة العربية والشاطئ الشرقي لإفريقيا (النوبة والحبشة)، والصحراء الكبرى وأراضي المغرب القديم.[4]

وقد أدى ظهور «المحور الجنوبي» إلى طرح بعض التساؤلات، مثلاً ما هو سبب تواجد هذه الرموز في جميع هذه المناطق؟ وهل هذا يعني حصول الاتصال والتفاعل بينها في العصور القديمة؟ ومتى وكيف حصل ذلك؟

يبدو أن توضيح بعض جوانب العلاقات والتفاعلات التي حصلت في العصور القديمة بين مناطق ما سميناه بـ «المحور الجنوبي»، يتطلب دارسة ومقارنة الفكر الديني والمادة الأثرية في جميع هذه المناطق. وفي الحقيقة أن الخوض في هذا المجال هو مغامرة محفوفة بالكثير من المخاطر والصعوبات، لأنها من الدراسات الأولى التي تبحث في هذا الميدان المجهول.

ويلاحظ من خلال دارسة المادة الأثرية في المغرب القديم أن الشواهد التي صورت عليها آلهة الثالوث الكوكبي: القمر، والشمس، والزهرة، ممثلة برموزها الهلال والقرص والنجمة، وجدت بصورة خاصة على الآثار الفينيقية _ البونية، والتي أرخ أقدمها بالقرنين السابع والسادس قبل الميلاد. أما الأغلبية المتبقية من هذه المادة، وهي في أغلب الأحيان كانت مستعملة مرة ثانية، فأرخت على عجالة بالقرن الثالث والثاني قبل الميلاد(شكل رقم 2). ومن ناحية ثانية،فقد وجدت هذه الرموز ممثلة كذلك على رسوم ونقوش صخرية من عصور ما قبل التاريخ، تنتشر من أقصى غرب إفريقيا إلى أقصى شرقها (شكل رقم 3).

إن وجود هذه الرموز الخاصة بالفكر الديني السامي، على المادتين الفينيقية _ البونية أي في شمال إفريقيا من جهة، والرسوم والنقوش الصخرية على طول الصحراء الكبرى من جهة ثانية، والتفاوت الزمني الكبير بينهما، جعلنا نتساءل عن سر وجودها في جنوب المغرب القديم، وعن سبب وكيفية وصولها إلى المنطقة ؟ وهل يعني ذلك أن الأهالي كانوا على اتصال بالصحراء الكبرى وبالعناصر السامية في عصر ما قبل التاريخ، أي ماقبل مجيء البحارة الفينيقيين إلى المنطقة؟ وكيف وصلت عبادة

الثالوث الكوكبي إلى هنا؟ مع العلم أن الفكر الديني والآلهة لا تنتقل مثل السلع التجارية، إنما تنتقل بعد الاتصال والتفاعل بين السكان.

## الصحراء الكبرى وتحديد بعض مسالك الاتصال في أراضيها

للوهلة الأولى، تبدو فكرة الاتصال بين المغرب القديم والصحراء الكبرى، غريبة وغير قابلة للاستيعاب، ولكن كما يقول كـــ. كامبس (G. Camps) «علينا قبل كل شيء أن نتحرر من التصور الضيق المرتبط بمفهوم الحدود والدولة في العصور القديمة...»[5] أي أن المنطقة كانت في العصور القديمة مفتوحة للتواصل والتفاعل والتأثر والتأثير... فعندما نقول " اتصال "، فإن هذا لا يعني أنه كان يتم عن طريق معبد يمتد من أقصى شرق إفريقيا إلى أقصى غربها، بل كان يتم بالانتقال من منطقة إلى أخرى ومن جماعة إلى أخرى، بواسطة الهجرات والتنقلات والتجارة خلال قرون عديدة من الزمان.

وفي عملية التواصل هذه، لعبت الصحراء الكبرى دوراً أساسياً، لأنها كانت تختلف عما هي الآن، حيث كانت تنتشر فيها الأنهار والبحيرات والغابات، وآهلة بالسكان.[6] ومن العوامل الاخرى التي ساعدت الصحراء الكبرى على القيام بهذا الدور الهام هو الشاطئ الشرقي لإفريقيا، الذي تميز بسهولة الوصول إليه ليس فقط من الداخل ولكن أيضاً من البحر. أي أنه كان بمثابة بوابة على البحر الأحمر والمحيط الهندي، وأخضع المنطقة لتاريخ طويل من تحركات السكان والصلات البشرية والتجارية والتفاعل بين مختلف التيارات الثقافية.

وقد أكدت الأعمال الأثرية في السنوات الأخيرة أن الاتصال الفعلي بين سكان منطقة. الصحراء يرجع إلى النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد، وكان على حد سواء، غير مباشر كالذي تميه آثار البداوة، ومباشرا كالذي ينشأ عن طريق الاتصال التجاري واستعمال المعادن.[7]

وأشار بيير سلامة في دراسته حول الصحراء، أن التنقيبات الأثرية الحديثة أثبتت أن الكثير من الطرق كانت تتطابق مع تلك التي ذكرتها النصوص الكلاسيكية في فجر التاريخ.[8] وبناء على ذلك أصبح من الممكن، بكثير من التروي والحذر، وضع الخطوط العريضة للشبكة أو بالأحرى مجموعة شبكات المسالك التي كانت تنتشر في المنطقة وتستعمل للتبادل بين جنوب وشمال وشرق وغرب إفريقيا.[9]

وأوضح دليل على وجود شبكات للمواصلات، الرسوم والنقوش الصخرية التي تحتوي على مختلف أنواع العربات ذات العجلات[10] التي تجرها الثيران والخيول (الشكل رقم 4،5). وتتوزع هذه الأدلة في الصحراء الكبرى،من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب. (خريطة رقم 1)

ويستدل من وجود الثيران والخيول على أن قلة موارد المياه لم تكن قد بلغت بعد حد الدمار للإنسان و الحيوان. فكانت الحيوانات تقوم بجر عربات التجارة عبر مختلف أنحاء الصحراء، وكان الأهالي، وخاصة منهم الأدلاء، يقومون بتسييرها ونقلها على مراحل من منطقة إلى أخرى، حيث كما يقول R. Mauny «لم تكن هناك طرق طويلة مخططة ومرصفة، ولم يكن على التجار قطع الصحراء طولا وعرضا، بل كانت البضائع تنتقل من جماعة إلى أخرى ( de proch en proche)، باستعمال شبكات عديدة للمواصلات.[11]

وبالإضافة إلى ماذكر، فإن قوائم الجرد التصنيفية للقطع الأثرية[12] جعلت من الممكن إعادة رسم الخطوط العريضة لأهم مسالك عربات النقل في الصحراء (خريطة رقم 2). ففي أقصى شرق إفريقيا، كانت أبرز تلك الطرق تنتشر في منطقة النوبة التي تتوفر على عدة منافذ إلى المرتفعات الإثيوبية والبحر الأحمر والجزيرة العربية، مما جعلها مركزاً مهماً تنتقل عبره مختلف أنواع التجارة. وهناك أرض البطانة التي تقطعها شبكة طرقية، يتجه البعض منها نحو البحر الأحمر، والبعض الآخر إلى الداخل نحو كردفان ودارفور. وإلى جانب ذلك اكتشفت التنقيبات مؤخراً طريقاً آخر قد يكون أكثر أهمية، وهو الطريق البري الذي يربط سلسلة الواحات «الليبية» بواحة «سليمة» والأودية والمنخفضات المؤدية إلى إينيلري وتيبستي وكردفان ودارفور وبحيرة تشاد.[13] وكان من

الممكن الوصول من جرامة (جرمة) إلى وادي النيل سواء بالطريق الشمالي من خلال واحات زويلة وزلة أوجلة وسيواء أو عن طريق أبعد جنوباً عند «الكفرة»[14] التي تقع على مفترق الطرق، كلها مواقع معروفة لكتاب العصر القديم. ويلاحظ في هذه الأقاليم الشرقية من الصحراء، التركيز القوي على شبكة المواصلات الممتدة بين تيبستي والهكار (Hoggar) ودارفور وإفوغاس (Iforas)، حيث تميزت تيبستي بموقعها كمحطة تجمّع وانطلاق منذ عصور ما قبل التاريخ. هذا بالإضافة إلى أن أكثرية الخطوط كانت تتجه نحو الشمال والشمال الشرقي وإلى الموانئ على البحر الأبيض المتوسط، مثل صبراتة وأويا وليبتيس، المدن التي كانت تسيطر على الطريق الجر مانتي إلى منطقة فزان.[15]

وفي الداخل، كانت الظروف المناخية تسمح بالانتقال نحو غرب إفريقيا بسهولة عبر الصحراء الكبرى بين الخرطوم ووادي ازواك (يرجح أنه كان رافداً من روافد النيجر) باتباع المجاري المائية المنتشرة آنذاك، والجاف معظمها الآن، فكان الطريق ينطلق من منطقة الخرطوم إلى وادي هوار في شمال دارفور وبحر الغزال الغربي الذي يصب في بحيرة تشاد في الجانب الشمالي الشرقي، ووادي تافساست (Tafassasset) الذي يصب في البحيرة نفسها من جانب الشمال الغربي، بعد أن ينبع من مرتفعات الأحجار. وهكذا كاد أن يكون هذا الطريق متصلاً من شرق الصحراء الكبري إلى غربها .[16] ويقول واي آنداه: «قد جاء البحث بأدلة تشير إلى عناصر التجارة عبر مسافات بعيدة في فترة ما قبل التاريخ بين شعوب الصحارى وبين شمال إفريقيا».[17]

أما في المناطق الغربية للصحراء فقد كان لـ "الطريق الغربي " أهمية كبيرة نظراً لوجود صناعة النحاس في موريطانيا والنيجر.[18] هذا بالإضافة إلى ما وجد في مقابر السنغال من أدلة وفيرة للنفوذ المغربي، يستخلص منها أن الصلات التجارية في المنطقة ترجع إلى الألف الثانية والألف الأولى قبل الميلاد.[19] وأن المسالك التجارية كانت في أغلب الأحيان تتطابق مع تلك التي نشطت خلال القرون الوسطى، وأنها بشكل عام كانت تتجه نحو منطقة المغرب.

وهكذا، استنادا على ما سبق، من إشارات حول التغيرات المناخية والتحركات البشرية، ووجود منافذ ودروب ومسالك ملائمة لتداول التجارة، وقربها من المواقع التي انتشرت فيها رسوم المركبات ذات العجلات، يمكن القول إن الصحراء الكبرى لم تكن أبداً عائقاً وخالية من السكان، بل كانت أكبر قوة موحدة في التاريخ الإفريقي، وأن الاتصال كان على أشده عبر أراضيها. وأن الروابط والعلاقات لم تنقطع أبدا منذ عصور ما قبل التاريخ، فهي تتضح أحياناً وتختفي أحياناً أخرى، باختفاء الشواهد التي تلقي الأضواء عليها. أي أن التسربات الحضارية كانت مسترسلة مع استمرار التحركات البشرية. ولعل هذه الروابط والعلاقات تصبح أكثر وضوحاً بما قد تكشف عنه الحفائر والأبحاث في المستقبل.

## جنوب الجزيرة العربية كأحد أهم مراكز الهجرة في جنوب غرب آسيا

وإلى جانب هذا الكيان الحيوي (الصحراء الكبرى)، كان هناك كيان آخر، مثلته جنوب الجزيرة العربية، بحكم موقعها المتوسط بين الحضارات القديمة: مصر والشاطئ الشرقي لإفريقيا وأراضي الرافدين والهلال الخصيب وبلاد فارس والهند وجزرها. وكذلك بوصولها إلى الاستقرار والإنتاج الزراعي والدخول في العصر التاريخي في مرحلة باكرة نسبياً. مما مكنها من السيطرة على العديد من الشبكات والمحطات والمراكز التجارية البحرية والنهرية والبرية، وجعلها تقوم بدور الوساطة في التجارة العالمية. هذا بالإضافة إلى ثرواتها المعدنية والزراعية المميزة. وقد شجعت جميع هذه العوامل حركة الاستيطان والتكاثر السريع وحولتها على حد تعبير فيليب حتي إلى «خزان بشري هائل»، أعتبر من طرف غالبية العلماء أنه الموطن الأصلي للعناصر السامية. وأصبح ذلك «الخزان» في وقت من الأوقات يقذف بموجات الهجرة الواحدة تلو الأخرى نحو أراضي الرافدين والهلال الخصيب، وبشكل خاص نحو الغرب، حيث كانت توجد عدة معابر طبيعية إلى الشاطئ الشرقي لإفريقيا ومنه إلى الصحراء الكبرى ومنطقة المغرب، وكانت تلك الموجات ضخمة ومتتابعة، وبلغت الفترة بين

الواحدة والأخرى حوالي ألف عام.[20] أما العوامل الرئيسية التي دفعت بالأهالي إلى الهجرة فكانت مناخية وسكانية واقتصادية.

إن هذه التحركات والهجرات أدت بدورها إلى الاحتكاك والإندماج بين سكان جميع هذه المناطق، وتأثرت جنوب الجزيرة العربية بدورها بتلك الثقافات التي كانت في الغالب قد انحدرت من أراضيها وهاجرت مع الأهالي، لترجع بعد ذلك بثوب جديد إليها، إلى بلاد الأم، وتساهم في وضع أسس اللغة والمعتقدات الدينية والمؤسسات الاجتماعية والتقاليد الفنية.

لذلك يمكن القول إن التحركات والهجرة أدت إلى الاحتكاك والاندماج وإلى نوع من القرابة الإثنية والثقافية بين جميع سكان هذه المناطق. وقد تمثلت هذه الثقافة بالدرجة الأولى، في الفكر الديني السامي الذي تشعب إلى الفكر الديني الأكادي والبابلي والعربي القديم والحبشي والكنعاني والأموري والفينيقي، فنتج عن ذلك فكر ديني مشترك في بعض الجوانب، ومستقل تبعا للتطورات الفكرية المحلية.[21]

### وقد تمثلت خصوصيات الفكر الديني السامي:

أولاً، في التثليث، أي في عبادة مجموعات إلهية ثلاثية تكونت في الغالب من الإله الأب والإلهة الأم العظمى، والإله الابن الذي كان يمثل انبثاق الحياة السنوية الجديدة. أي كان الفكر الديني هذا، قائما بالأساس على عقيدة الخصوبة والإنتاج.

ثانياً، من أبرز هذه المجموعات الثلاثية كانت السيارات الفلكية وخاصة منها القمر والشمس والزهرة.

ثالثاً، فقد خصصت لكل إله من الآلهة السامية العديد من الشارات والرموز وذلك تجنبا لقوة المقدس التي يتضمنها الاسم الإلهي. فكانت رموز إله القمر، الهلال والثور والكبش والماعز، وكذلك قرون هذه الحيوانات التي شُبهت بهلال القمر. وكانت أهمية هذه الحيوانات تكمن في كونها تجسد العنصر المذكر وقوة التوالد والتكاثر في الطبيعة. أما إله الشمس فَرُمِز إليه بالقرص، وإله الزهرة بالنجمة.

وهكذا، أدى انتشار الفكر الديني السامي إلى انتشار عبادة الثالوث الكوكبي التي وجدت رموز آلهتها مصورة على الآثار منذ عصور ما قبل التاريخ والتي اكتشف أقدمها مؤخرا في أراضي الرافدين على لوحات حجرية ترجع إلى الألف السادسة قبل الميلاد.[22] أما الأدلة الأخرى فهي موزعة بين أراضي الرافدين والهلال الخصيب والجزيرة العربية والحبشة والصحراء الكبرى وجنوب منطقة المغرب القديم. وقد مُثلت هذه الرموز، بشكل عام، بواسطة الثيران والأكباش والماعز، تلك الحيوانات[23] التي كانت تحمل على رأسها هلال القمر وقرص الشمس معاً، والتي أطلقنا عليها اسم «الحيوانات المتوّجة»، نظراً لوجود إلهين كبيرين على رأسها (شكل رقم 3). ولكن يلاحظ أن هذا النوع من التصوير ساد في مراحل زمنية معينة، وبعد ذلك بقي وحيدا، ولم يتطور بحكم التضاؤل التدريجي لدور الصحراء الكبرى، التي أصابها الجفاف وخف فيها التنقل والتفاعل والتطور...

بالرغم من ذلك، استمرت هذه الرموز في الحضور أثناء العصور التاريخية في جميع الأراضي المعنية، بأشكال شيئاً ما متطورة، أي لم تعد تصور بواسطة «الحيوانات المتوجة»، بل بهلال في داخله قرص الشمس وإلى جانبهما النجمة[24]، أو برمز واحد مثل «رمز تنيت» أو أصح «شعار قرطاجة»[25]، وذلك من أجل مقاومة أكبر عدد ممكن من الأرواح الشريرة.

### خلاصة الجداول التي وضعت نتيجة مقارنة رموز وأسماء آلهة الثالوث الكوكبي

إن جميع هذه المعطيات المشتركة، جعلتنا نقوم بجمعها وتصنيفها في جداول خاصة، وأن نقارن فيما بينها من أجل معرفة أوجه التشابه والاختلاف.

وهكذا، يتضح من جدول الرموز (جدول رقم 1) أن إله القمر كان في جميع الأراضي التي عبد فيها، يمثل الإله الأب (ماعدا المغرب حيث مثل بواسطة إلهة القمر تنيت)، وأنه كان الضلع الأول والأخطر في الثالوث الكوكبي. وأن الرموز المشتركة التي اختص بها، بدون استثناء، كانت الهلال والثور والكبش والماعز، هذا

بالإضافة إلى قرون وأظلاف وحوافر هذه الحيوانات. تلك الحيوانات التي كانت منذ أقدم العصور تجسد العنصر المذكر في الطبيعة وترمز إلى الخصب والتكاثر وقوة التوالد.[26]

ويستخلص من نفس الجدول أن إلهة الشمس كانت الضلع الثاني في الثالوث، (ما عدا المغرب حيث مثلث بواسطة الإله بعل حمون)، وكانت تعتبر «الإلهة الأم» و«الإلهة الكبرى»، وأن رموزها الأساسية، بدون استثناء، كانت الدائرة والقرص والكرة المجنَّحة والأسد والفرس وسنبل القمح وسعف النخيل والزهرة.

أما كوكب الزهرة الذي كان الضلع الثالث، واعتبر ابن أو بنت إله القمر، فقد رمز إليه بنجمة بثمانية خطوط، أو العمود المقدس، أو الأسد في الحالات التي كانت إلهة الزهرة «عشتار» تمثل إلهة الحرب.[27]

وإضافة إلى ذلك، فقد تميزت هذه الآلهة بنعوت وصفات عديدة، استمدها الأهالي من خلال رصدهم للمراحل التي تمر بها كواكب الثالوث المقدس خلال مختلف فصول السنة والشهور والأيام. وعلى هذا الأساس نُعت إله القمر بـــ «إله الأيام» و «إله الشهر»، وصور عند طلوعه في هيئة ثور صغير ذي قرون ضخمة، سُمي «المركب المضيء»، وشبِّه عند اقترابه من الزوال بشيخ مسن، وعرف في هذه المرحلة بـــ «سيد المعرفة»، و«سيد الحكمة»، و «إله النبوءات». وسمي أيضاً بـــ «سيد السماء» و «العليم»، و«الرحيم»، و«المحب»، و«سيد الثور». واعتبر القمر خلال المدة التي يغيب فيها لثلاث ليال إلهاً للموت، ولكن ليس الموت النهائي، لأن القمر لا يعرف هذا النوع من الموت، بل «يولد» من جديد في اليوم الرابع.[28]

نفس الشيء طبق على كوكب الشمس، فخصصت له العديد من النعوت، منها ما كان يشير إلى الشمس خلال مختلف فصول السنة، مثل «ذات حمن» و «ذات حمم» أثناء الصيف، و«ذات بعدن» أثناء الشتاء. والبعض الآخر من الأسماء كان مخصصا للمراحل التي تمر بها الشمس منذ الشروق حتى الغروب، تلك الرحلة التي رمز إليها بكرة مجنَّحة. واعتبر الشروق خلقاً جديدا ورمز إليه بسعف النخيل وسنبلة القمح. وكان إله الشمس «بابار» بمعنى الشمس المشرقة، و«تنف» بمعنى الأسمى والأعظم،

**1– جدول مقارن لرموز آلهة الثالوث الكوكبي المقدس**

| المنطقة | إله القمر | إله الشمس | إله الزهرة |
|---|---|---|---|
| بين النهرين | الهلال، الثور، قرون الثور، أظلاف الثور، الصاعقة، رقم 30 | القرص، العجلة بأربعة مفارق أو أشعة تتموج بينها، الدائرة، الأسد،الشجرة، سنبلة القمح، سعفة النخيل،الزهرة، الكرة المجنحة، رقم 20 | النجمة، النجمية بثمانية خطوط شعاعية، حزمة القصب، العمود المقدس، الأسد (إلهة الحرب)، رقم 15 |
| جنوب الجزيرة العربية | الهلال، الثور، قرون الثور والعنـــز، النسر، الحية (الإله المحب)، الهراوة، العمودين المتصلين بخطين أفقيين | القرص، العجلة، الدائرة، الفرس، الأسد، النسر | النجمة، النجمية بثمانية خطوط شعاعية، دقاقات الباب، الدوائر الصغيرة |
| الهلال الخصيب | الهلال، الثور، قرون الثور، الصاعقة | القرص العجلة بأربعة أشعة، الكرة المجنحة، الدائرة، الأسد، الزهرة | النجمة، النجمية بثمانية خطوط شعاعية، العمود [illegible]، الأفعى |
| الحبشة | الهلال، الثور، قرون الثور، حوافر وأظلاف الثيران والعنـــز | القرص، العجلة، الدائرة، الكرة المجنحة، الأسد | النجمة، النجمية بثمانية خطوط [illegible] |
| الصحراء الكبرى | الهلال، قرون الثيران والأكباش والعنـــز | القرص ، الدائرة، الكرة المغروسة بخطوط متناسقة ومتموجة | |
| المغرب القديم | الهلال، الثور، قرون الثيران والأكباش | القرص، الدائرة، الكرة المجنحة، الفرس،سنبلة الحنطة، الأسد، الزهرة سعف النخيل | النجمة. الاسد (إلهة الحرب) |

يعتبر في هذه المرحلة إلها للعدالة والحق والقانون. ولكن عند الظهر، عندما تصبح الشمس محرقة، كان دور إله الشمس يتبدل من إله العدالة إلى إله الجحيم «نركال» وفي المرحلة الأخيرة، الغروب، كان إله الشمس يسمى «تدن» بمعنى يتضاءل ويتصاغر، يصبح إلها للموت. واعتبرت الزهرة (بمعنى زهور) من الرموز الأساسية التي كانت تمثل مختلف أوضاع الشمس أثناء رحلتها من الشروق حتى الغروب.

أما كوكب الزهرة[29]، فقد اعتبر في جميع الأحوال، ابنا أو بنتاً لإله القمر. وعرف بالازدواجية، كنجم الصباح ونجم المساء، ولذلك كان يسمى «شرقن» و«غربن». ويلاحظ، أن في الغالب، كان هذا الكوكب يعتبر إلهة أنثى تجسد الخصب (بالمعنى الواسع لهذه الكلمة)، والعطاء والميلاد المتجدد للمحصول. وكذلك كانت إلهة للحب والجمال، وسميت «كوكب الحسن» و«الكوكب اللامع» و«سحرن» بمعنى الكوكب الساحر.[30] وأيضاً كانت تعتبر إلهة الحرب والبحر وحامية للبحارين.

أما من خلال مقارنة أسماء آلهة الثالوث الكوكبي في جميع المناطق التي شملها البحث (جدول رقم 2)، فيلاحظ وجود التشابه، بل وفي كثير من الأحيان، التطابق التام بينها. ففي الأراضي الممتدة بين جنوب الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والهلال الخصيب، كانت الأسماء المشتركة التي تخصّ إله القمر هي: «سين» و «ود» و «ورخ» و«سهر» و«شهر».

2. جدول – مقارن لأسماء ألهه الثالوث الكوكبي المقدس

| المنطقة | إله القمر | اله الشمس | إلة الزهرة |
|---|---|---|---|
| بين النهرين | ننا: ننار، انوم، سين، ود، إن – سو، سهر | أوتو، ببار،شمش، شماش، سامسو، نيركال | إنانا، عشتر، عشتار، عستار، عشتارتو |
| جنوب الجزيرة العربية | ود، عم، المقه، المقاه، سين، ذسموي، ثور بعلم هلل، ورخ، عمن، هوبس، نهى، حكم، رحمن، حرمن، ذ قبلم، ذ مشور، ذ حلسم، ذ مضيم، ذ أم، شهر | شمش، شمس، اللات، ذات حمم، ذات حميم، ذات حمن، ذات زهرن، ذات صحرت، ذات بعدن، ذات صنتم، ذات مسولم، تنف، إثرة، نكرح، ذات ظهرن، ذات رحبن، ذات جردن، ذات غصون، ذات برن، تدن | عثتر، عثتر سحرن، عثتر نورو، عثتر حجر، عثتر بأس، عثتر جربم، عثتر شرقن، عثتر غربن |
| الهلال الخصيب | سين،ورخ، يرخ، يوخي، يرحى، عجلي بعل، عجل بعل، سهر، بعل شمين | شمش، شمس، سبس، شبش، سمسو، شماش، اللات | إنات، عنات، عاشر، عشتار، عشتارت، عشتروت، عشترت، أستار، إستارت، عثتر، عثرعثة، عتاه ، عتار |
| الهلال الخصيب اللغة العبرية | يرخ، ورخ | إل حمون، بعل حمون | عشتروت، استار |
| الحبشة | المقة، المقاة، حرمن، محرم، سحرت، هوبس | ذات حميم، ذات بعدن | عشتر، عستر، عثتر، إستار نرو، شيرى – شارن |
| الصحراء الكبرى | مثل بواسطة قرون الثيران والأكباش، «الحيوانات المتوجة» | مثل بواسطة الشكل الكروي على رؤوس الأكباش والثيران والماعز، «الحيوانات المتوجة» | |
| المغرب القديم | – الآلهة «تنيت» قمرية<br>_ هلال القمر أحد عناصر ««رمز تنيت»<br>_ وعرف أيضا بالاسم الليبي «أيور» | مثل بواسطة الشكل الكروي على رؤوس ((الحيوانات المتوجة))<br>– بعل حمون<br>– شماش<br>– شمس | عشتار، عشتارت، استارتي |

أما أسماء إلهة الشمس فكانت: «شماش» و «شماس» و«شمش» و«شمس» و«اللات».

وعرفت إلهة الزهرة بالأسماء المشتركة: «عشتار» و «عستار» و«عشتر» و«استار» و«عثتر».

وكذلك، يتبين من نفس الجدول أن هناك أسماء مشتركة أخرى للثالوث الكوكبي، انتشرت بشكل خاص في أراضي «المحور الجنوبي» الممتد بين جنوب الجزيرة العربية والشاطئ الشرقي لإفريقيا (الحبشة) والصحراء الكبرى والمغرب القديم. حيث عرف إله القمر باسم «المقة» و «حرمن» و«محرم» و«هوبس».(31)

وعُرف إله الشمس باسم «حمن» و «حميم» و «حمم» و «آمون» و «حمون» و«بعْدن».

أما إلهة كوكب الزهرة فعرفت باسم «نرو» و «نورو» و «عشتار» و «عشتر» و«عثتر» و «إستار».

وهكذا يمكن القول إن عملية تصنيف أسماء الهة الثالوث الكوكبي، قد أظهرت إلى الوجود مجموعتين من الأسماء المتشابهة: الأولى تنتشر بين جنوب الجزيرة العربية والمناطق الواقعة في الشمال والشمال الغربي منها، والمجموعة الثانية تخص جنوب الجزيرة والأراضي الممتدة إلي الغرب منها. ويتضح من خلال مقارنة الأسماء، في كل مجموعة على حدة، أنها كانت تتشابه إلى حد بعيد بل وفي أغلب الأحيان يبدو أنها كانت تنتمي إلى أصل واحد. أما الاختلاف البسيط الذي يوجد بينها، فربما كان يرجع أساسا إلى تنقلها من منطقة إلى أخرى وإلى الاختلاف في اللهجات المحلية.

إن هذا الأمر بدوره، يكشف لنا عن محورين رئيسيين كان يتم عبرهما الاتصال الحضاري بين جنوب الجزيرة العربية وجيرانها. فكان الأول، «المحور الشمالي والشمالي الغربي» يربط جنوب الجزيرة بأراضي الرافدين والهلال الخصيب، أما الثاني، «المحور الجنوبي»، فكان يربطها بالشاطئ الشرقي لإفريقيا، والصحراء الكبرى والمغرب القديم.

واستنادا إلى جميع هذه المعطيات، يمكن القول إن جنوب الجزيرة العربية كانت في وقت من الاوقات حلقة وصل أساسية، لعبت دورا مهما في التواصل الحضاري بين جميع هذه المناطق. مما أدى بدوره إلى نشر ثقافة متقاربة بل ومشتركة في بعض الجوانب، كان الفكر الديني السامي، وخاصة منه عبادة الثالوث الكوكبي، من أهم مكوناتها.

وهكذا يمكن القول إن وجود رموز الآلهة – الكواكب على الرسوم والنقوش الصخرية، يشير إلى تواصل وتفاعل سكان الصحراء الكبرى ومنطقة جنوب المغرب القديم مع العناصر السامية خلال عصور ماقبل التاريخ. مما يلغي الاعتقاد السائد بأن منطقة المغرب القديم كانت غارقة في «الظلمات» قبل مجيء الفينيقيين إليها. وكذلك يقودنا إلى الافتراض بأن هذا التفاعل والتأثير المتبادل كان هو السبب في تقبل سكان المنطقة، التجار الفينيقيين – الساميين دون مقاومة تذكر. وفي هذا الصدد يقول كـ كامبس (G. Camps) «وإذا كان بالفعل هناك عدوان حقيقي، كما يدعي س. كزيل (St. Gsell) الذي وضع لائحة بالحروب والتمرد والعصيان، التي استخلصها من الكتابات الكلاسيكية(*)، وهذا أمر صعب التصديق، لأنه لا يعقل أن تنتشر المحطات والمراكز التجارية وأماكن التخزين، بل وتزدهر، في جو كهذا، وهي محاطة بالنوميديين.(32) وبالاضافة إلى ذلك، أشار أ. جودن. (A.J odin) إلى أن هذه العناصر الأجنبية الفينيقية لم تكن غريبة عن السكان المحليين وأنها تغلغلت سلميا وامتدت تدريجيا مثل «بقعة الزيت» من الشاطئ إلى الداخل.(33)

لذلك من المحتمل أن يكون التواصل والتفاعل الذي حصل بين سكان المغرب والعناصر السامية أثناء عصور ما قبل التاريخ عن طريق الصحراء الكبرى، قد خلّف تراكمات ثقافية كان لها بعد ذلك الدور الأساسي في تقبل العناصر الفينيقية السامية، الآتية عن طريق البحر الأبيض المتوسط والتي لم تكن غريبة عن السكان المحليين على الاقل بمعتقداتها الدينية. الأمر الذي ولّد الاستعداد عند الطرفين لإقامة الحوار الثقافي والسياسي والتجاري.

* تجب الإشارة إلى أن هذه المصادر، أي الإغريقية والرومانية، قد تميزت بالتحيز لشعورها ضد الوجود الفينيقي في المنطقة، وذلك نظرا للتنافس السياسي والاقتصادي.

وبناء على ما سبق يمكن القول، بحذر شديد، إن منطقة المغرب القديم تلقت مبادئ الثالوث الكوكبي عن طريقين أساسيين: الأول الصحراء الكبرى، عبر التحركات والهجرات البشرية التي حصلت خلال عصور ما قبل التاريخ، وخاصة خلال العصر الحجري الحديث. أما الطريق الثاني فهو البحر الأبيض المتوسط أي مع مجيء العناصر الفينيقية إلى شمال إفريقيا في بداية العصر التاريخي وما نتج عن ذلك من احتكاك وتفاعل وتأثير متبادل بينهم وبين سكان المنطقة. هذا مع اعتبار الخصوصيات المحلية التي تشكلت على المدى الطويل وكان لها الدور الأساسي في بلورة عبادة الثالوث الكوكبي في أراضي المغرب القديم.

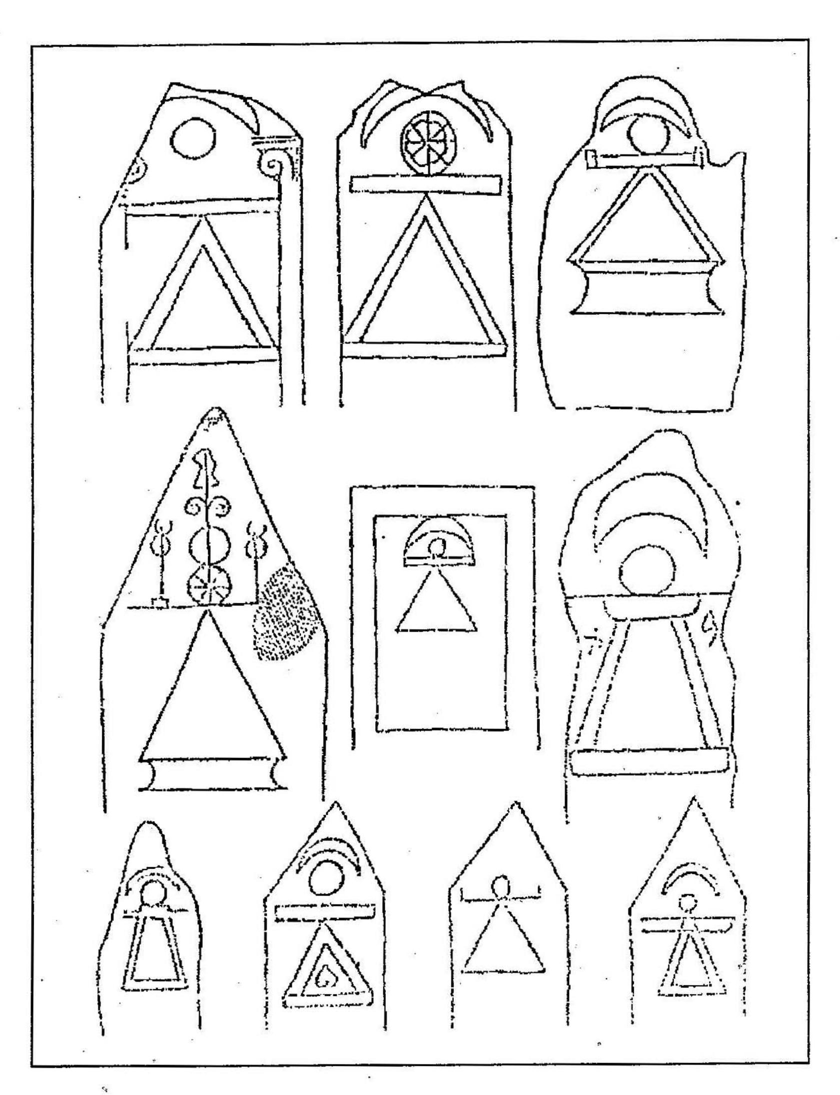
ويبدو أن كل ذلك كان سببا في أن تظل الحضارة الفينيقية – البونية بجميع مكوناتها – لغة وديانة وأساليب دفن وبناء معابد، قائمة في منطقة المغرب إلى وقت طويل بعد زوال قرطاجة. هذا بالإضافة إلى استمرار عبادة الكواكب واستعمال رموزها في العهود الأولى من انتشار الحضارة الإسلامية. تلك الرموز التي مازالت موجودة حتى في الوقت الحاضر، في المناطق النائية، كعنصر زخرفي في الطرز والحلي والوشم... الخ.

وفي الأخير تجب الإشارة إلى أن دراسة هذا الموضوع وبشموليته هذه، يتطلب كمية كبيرة من المعلومات لم يتمكن علم الآثار من توفيرها حتى الآن. لذلك من الواجب علينا أن نظل نعتبر الاستنتاجات التي توصلنا إليها مجرد افتراضات إلى أن يتوفر المزيد من الأدلة المادية التي هي أساس كل دراسة علمية في هذا الميدان. وكيف ما كان الأمر، فالمهم أننا وضعنا بداية لدراسة علاقات منطقة المغرب بجنوب الجزيرة العربية عبر الشاطئ الشرقي لإفريقيا والصحراء الكبرى، خلال العصور القديمة.



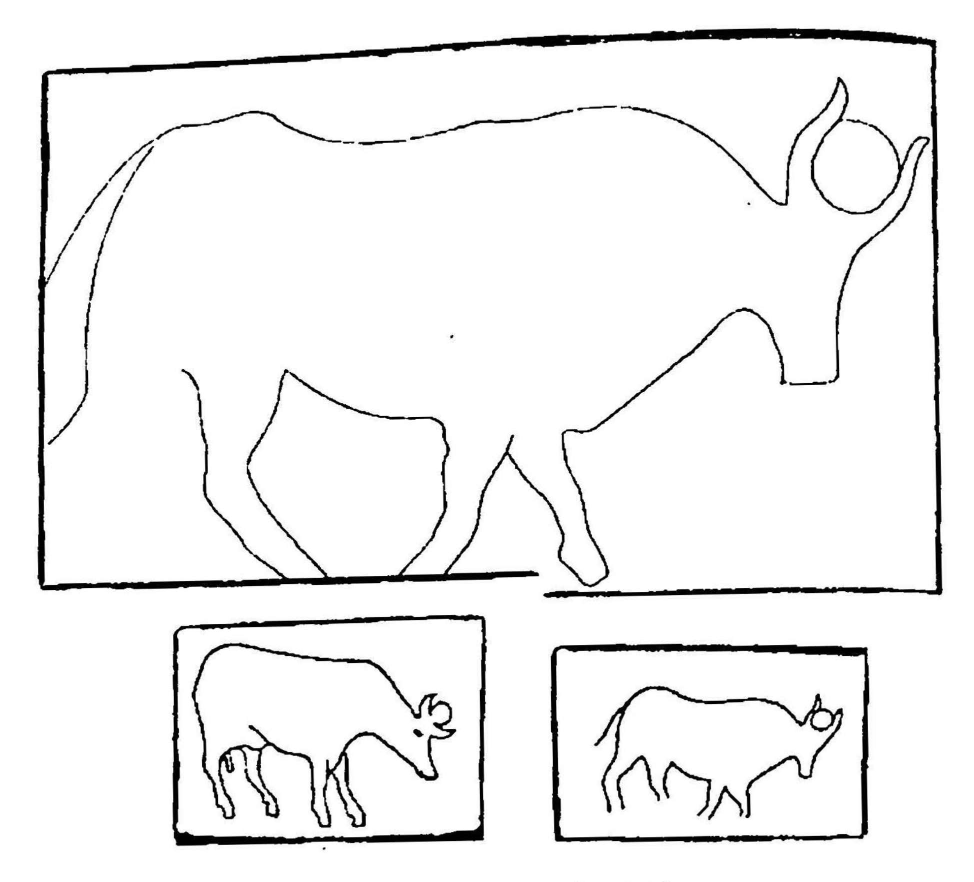
شكل رقم (1) رموز القمر والشمس والزهرة

(س. لانكدون – 1947)



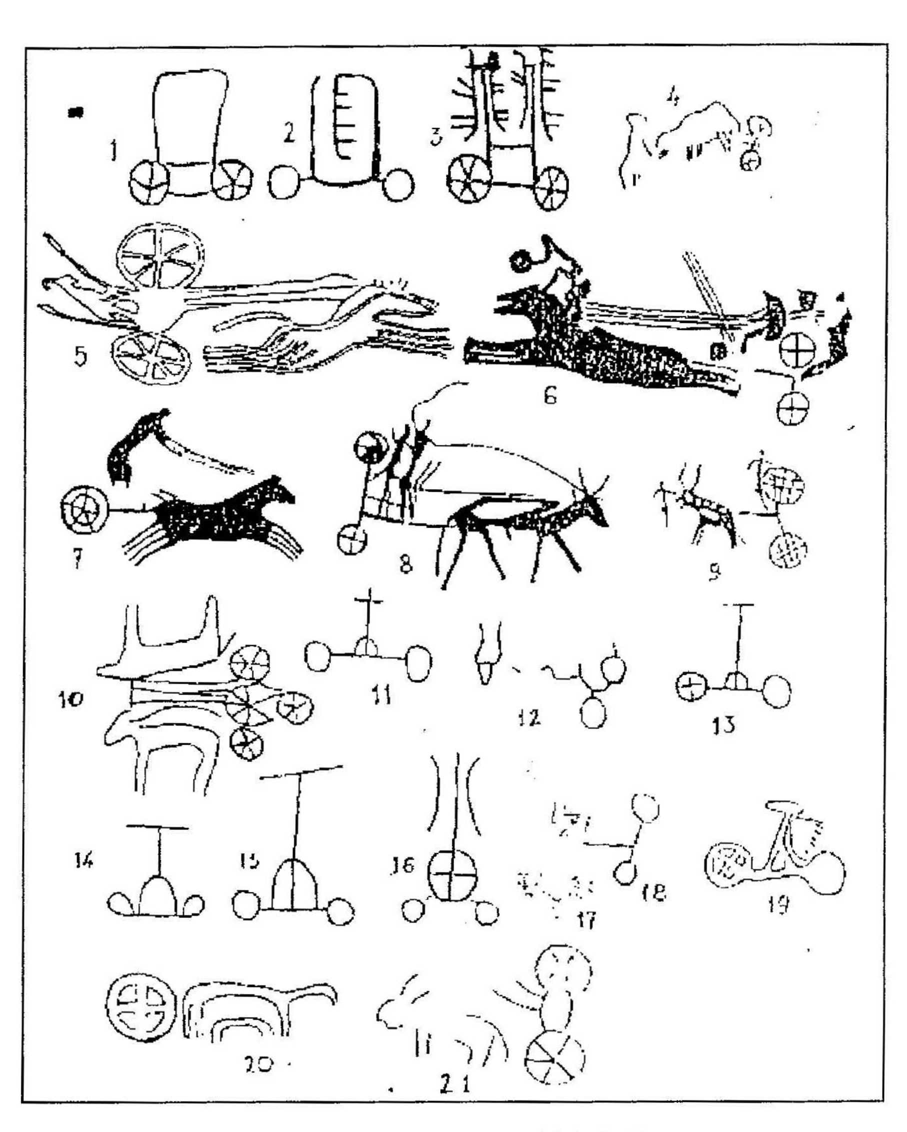
شكل رقم (2) الآله «تنيت» ورموز الثالوث الكوكبي في المغرب القديم

(م. هورس – ميدن – 1950 – 1951)

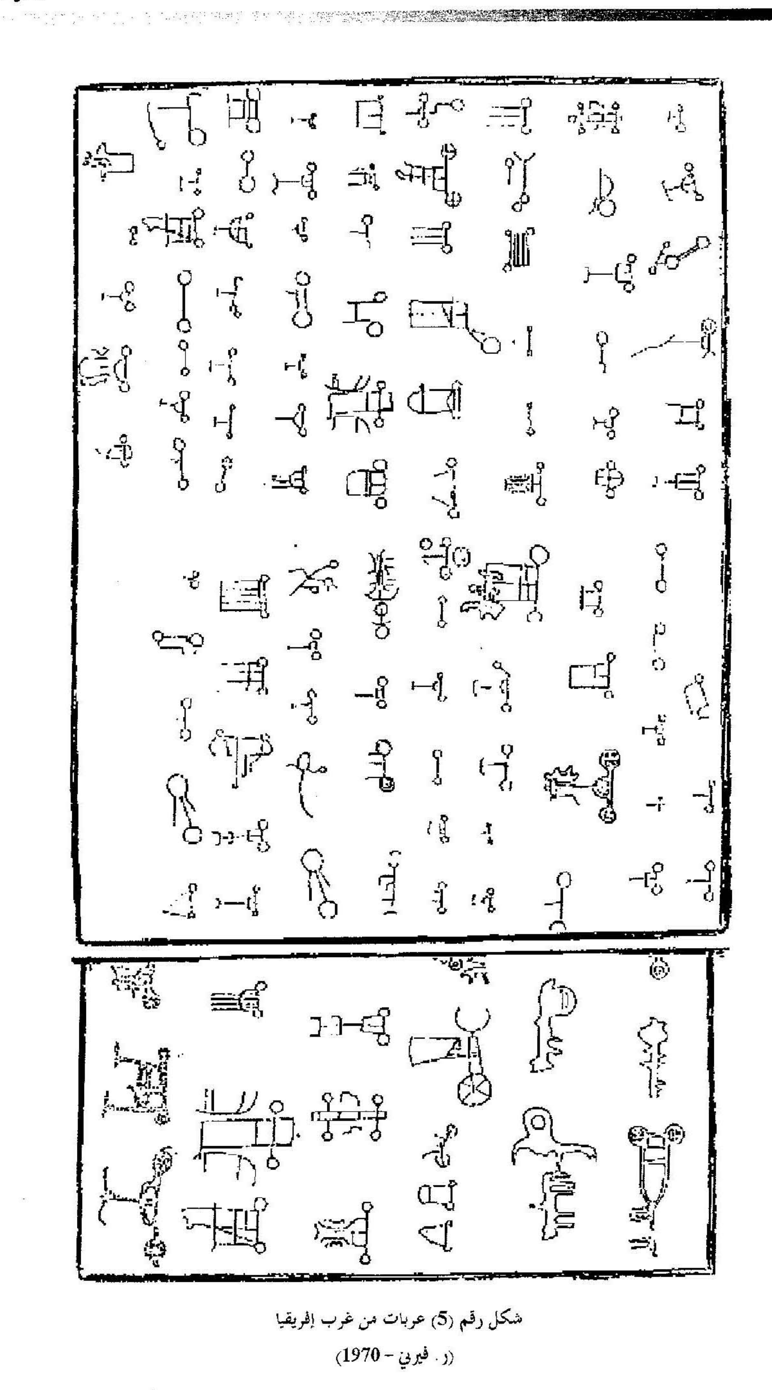


شكل رقم (3) أبقار وثيران ,, متوجة,, من الصحراء الليبية

(محمد مصطفى بازاما - 1973)

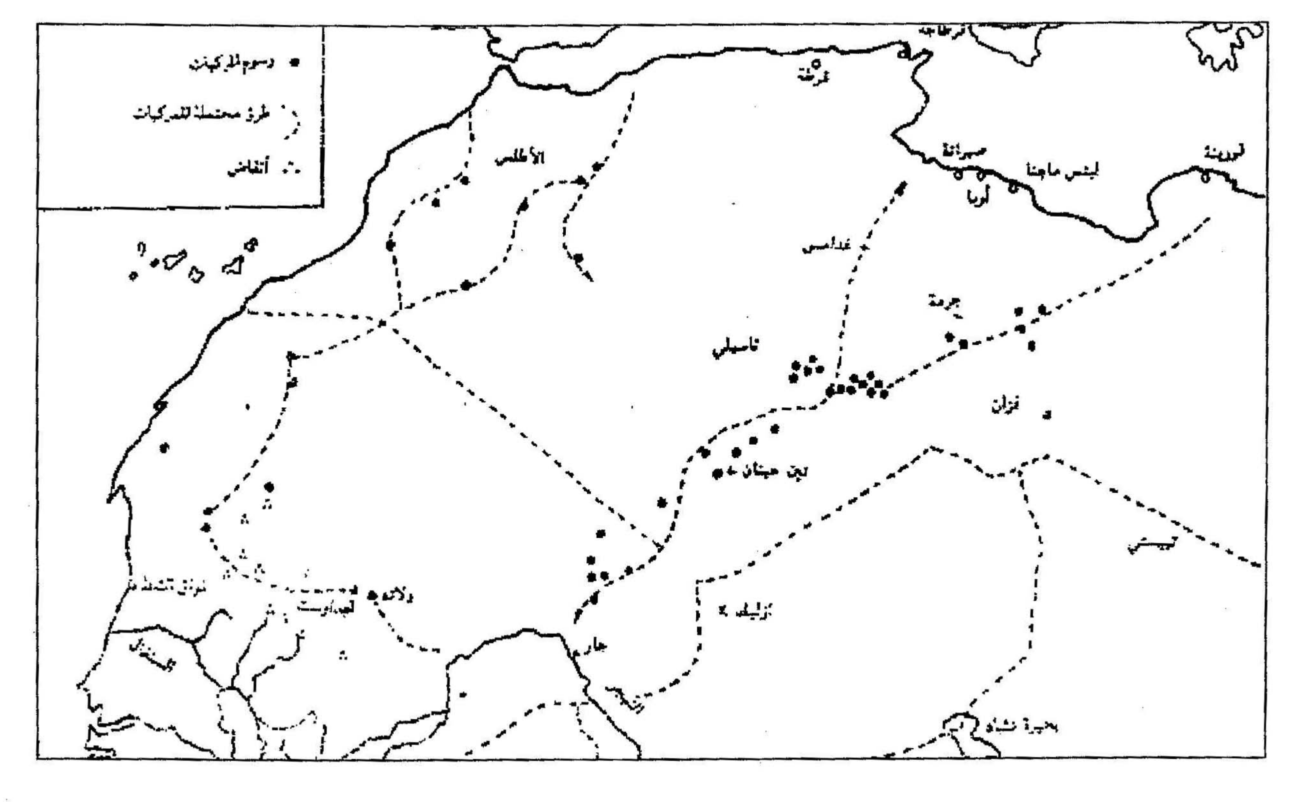



شكل رقم (4) نماذج من عربات النقوش الصخرية – 1 – 4 فزان ؛
5 – 9 تاسيلس؛ 10 – 16 هكار؛ 17 – 20 جاود (ر. موني – 1970)

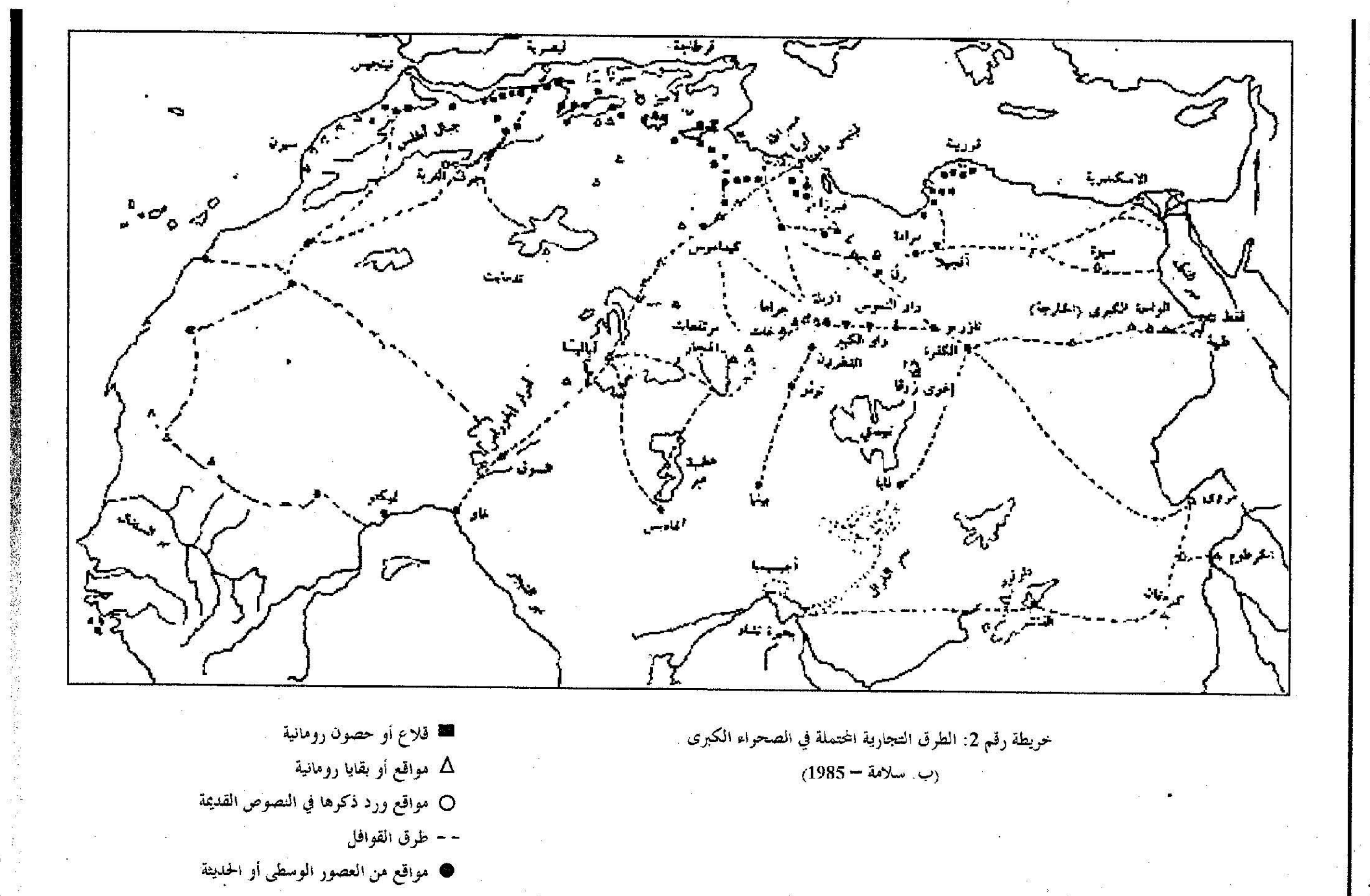


شكل رقم (5) عربات من غرب إفريقيا

(ر. فيرني - 1970)




خريطة رقم 1: مواقع نقوش العربات والطرق المحتملة
(م. بوسنانسكي – 1985)




خريطة رقم 2: الطرق التجارية المحتملة في الصحراء الكبرى .

(ب. سلامة – 1985)

الهوامش

1. نقلاً عن محمد الميلي، الجزائر ومسألة الثقافة، مدخل تاريخي. مجلة المستقبل العربي، 1982، 41، ص 55.

2. Robert Ch. , politiques colonials au M aghreb. paris. 1972 , p. 114 ; ID و Les algeriens musulmans et la France. Pares. 1968 , T. I , p. 270.

3. Camps G., Les Berberes, memoire et identite. Paris. 1987, p. 113

4. أما مصر فيمكن أن نعتبرها من ضمن ((المحور الشمالي)) لأنها، منذ أن بدأت الهجرات البشرية تهدد أراضيها أقامت الحاميات والحصون وأصبحت حاجزا منيعا في وجههم، وأجبرتهم على التوجه نحو الغرب، مما أدى بدوره إلى انفصال مصر عن بيئتها الغربية والجنوبية. انظر: نجم الدين محمد شريف، النوبة قبل نباتا (3100–750 قبل الميلاد). تاريخ إفريقيا العام، يونسكو، 1985، ص. 247 – 280.

5.

6. رشدي سعيد، فور هـــ، الإطار الزمني للمرحلة المطرية والجمودية بإفريقيا. تاريخ إفريقيا العام، يونسكو، 1983، ج. I ص.395 __ 434.

Adam W.Y. , post pharaonic Nubia in the Light of Archaeology. J.E.A., lomkom, 1964 , 50, p. 20 120; Close A.E., Wondorf F., patterned Use of a Middle palaeolithic Landsape: -34 ; B

ordes F., Le paleolithique hor -77 , p. 186.

7. سلامة بيير، الصحراء في التاريخ القديم. تاريخ إفريقيا العام، مجلد II يونسكو، 1985، ص. 544، بوسنانسكي ميريك، مقدمة لإفريقيا المجاورة للصحراء في ما قبل التاريخ المتأخر. تاريخ إفريقيا العام. مجلد II ، يونسكو، 1985، ص. 562. ويؤكد بوسنانسكي أن الأدوات الحجرية والخرافية، وطريق حفر الآبار وأساليب الحصول على المياه، والرسوم والنقوش الصخرية في شمال إفريقيا تتشابه مع نظيرتها في الصحراء وحوض النيل إلى درجة تجعل الباحثين يعترفون بالصلات التي كانت قائمة بين هذه المناطق منذ العصر الحجري الحديث.

Lambert N ,, Les Industri
West African jal of Achaeolgy, Ibad;n. vol. I, 1971 , p. 9 21

8. سلامة ب، المرجع السابقة، ص. 544

Carpenter R., A Trans-Saharien Caravan Route in Herodotus. A.J.A. 1965 p.47 48.

9. ues dans la plaine tchadienne. Sahara 1995, 7 , p. 26.

10. أن هذه العربات ومجال استعمالها أثارت جدلا بين الباحثين مازال قائما حتى اليوم. فهناك من استبعد استعمالها لنقل البضائع واعتبر أنها عربات احتفال موكبية صنعت من الخشب والجلد،

Camps G., Les civilosations
Nord et du Sahara. Dion 1974 , p. 160 261 , Spruytt J.,

oeuvres rupestres sahariennes. Colloque Les chars prehistoripues. Aix-ne-provence, 1982, p, p.163-172.

وهناك من أعتبرها عربات خفيفة لنقل البضائع على مسافات قصيرة مستندا في ذلك أولا – على العدد الكبير للرسومات التي تمثل العربات، وعلى انتشارها الواسع على طول الصحراء الكبرى، ثانيا–التغيب الكلي للمشاهد الاحتفالية في هذه الرسوم. ثالثا – إن استعمال الثيران في جر العربات يؤكد مدى ارتباطها بالهجوم معيشية للجماعات.

p. 62 65 ; Vernet R., La prehistoire de la Mauritanie. Nouakvhott 1993 , p. 320

11. 63 ; Lhote H.; Le sahara desert mysterieux , paris 1937 , p. 6 15.

12.
africain. I.F.A.N. 1965, pp. 61 65;

شحاتة آدم، أهمية النوبة، حلقة اتصال بين إفريقيا الوسطى والبحر المتوسط، تاريخ إفريقيا العام II، يونسكو 1985، ص. 229 – 246، نجم الدين الشريف، نفس المرجع، ص. 247 – 280.

13. Huard p. , Leclant J; problemes archeologiques entre le Nil et le Sahara-Caire 1972, p. 380; Bonner Ch., Kerma, point de

1990, p. 83- 88,

أ. شحاتة، نفس المرجع، ص. 239، بوسنانسكي ميريك، نفس المرجع، ص. 549 – 565.

14. سلامة ب، نفس المرجع، ص. 541،

VI-VII , 1970, p.7
Interieur. Studi Maghribini. Napoli, 1970, p. I - 20

15. - 63 ; camps G., Les relations du monke miderterraneen et le monde et monde sud-saharien Durant laprehistoire et protohistoire. Aix-en-de prehistoire Occidentale. 1978 , p. I 18 ; Beck p., Tibesti carrefour de la prehistore saharienne. Paris 1969.

16. Arkell AJ., History of the Soudan. London 1961, p. 34; Holl

tchadienne. Sahara, 7, 1995, p. 17
rupestre du Sahara central. Paris 1983, p. 318 355;

واي آنداه، غرب إفريقيا قبل القرن السابع قبل الميلاد. تاريخ إفريقيا العام.مجلد II، يونسكو، 1985، ص. 607 – 634.

17. واي آنداه، نفس المرجع، ص 633.

18. Crebenart D., Les premiers metallurgists en Afrique occidentale. Paris 1998, pp. 107 139 ; Lembert N., Ibidem ; Vernet R., Ibid. pp. 327 339 ;

19. بوسناتسكي م. نفس المرجع، ص 562.

20. فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، بيروت، 1958، ج. I ص. 66 – 69.

21. رشيد الناضوري، جنوب غرب إسيا وشمال إفريقيا، مدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، 1976، ص 124.

22. Dufour H.p., Il y a onze mille ans en mille ans en -9

Decembre 19966, p. 19.

23. L
Alger 1984, p. 41, 177, 181; G., Le culte du belier en Afrique du Nord. Hesperis XXX V , 1948, p. 93 124; Le Belier a spheroide. Encyclopedie Berbere. T. IV, 1987 ,p. 596 ; Conrad J.R., Le culte du taureau. Paris 1961.

24. Morestin H., Le temple B de Volubilis. paris 1980.pl. III, fig.25 ,pl. XXVII, fig.370 ,379, pl. XIII, fig. 623 ; Hour - Miedan M., Les representations figes des steses de Carthage. Cahiers de Byrsa. I, 1950-1951,p,15-64,pl.VI,fig2,3,5,6.

25. Hour-Miedan M., Ibidem, p. 29Cintas p., Le signe de

1968-69, volo. I,n 2. pm4-10; fantar M., pavimenta punca et signe dit de Tanit dans les habitations de kerkouane. Studi Maghribini. Naplli. 1960, Ip.62-65.

26. Choffray T., Culte du Taureau. Dictionnaere des Religions (dir. P.- poupard). paris 1984 p. 1663- 1665; Chevalire J., Taureau. Dictionnaire des symbols. Pares 1982, p. 927-934.

27. Ruckmans G., Les relihions arabes preislamiques. Histoere Genele des Religions (dir. M. Gorce et R. Mortier), t. III

sud-arabes decouverts sur le site Haouiti (Ethiopie) en 1959. Syria, 1962. 39. p. 64 87 ; Khrome E., Dussaud R., Les anciennes religions orientales. paris 1949.

سيد محمود القمني، الأسطورة والتراث. القاهرة 1993، ص. 15.

28. جان صدقة، رموز وطقوس. لندن 1989.

الهوامش 29– 33 سقطت من الأصل المطبوع منه البحث المحرر.



# إشكاليات نشر الكتاب في اليمن

د. محمد أحمد السنباني*

المستخلص

الكتاب كان وما يزال الوعاء الأساسي الذي يحتل مكانة مرموقة بين أوعية المعلومات المختلفة باعتباره مصدراً مناسباً للحصول على المعلومة. وبالرغم من التنبوءات والتكهنات بقرب نهاية الكتاب وتقليصه أمام المنافسة الشديدة التي فرضتها التطورات المتلاحقة في أوعية المعلومات بدءاً من المصغرات الفيلمية وانتهاء بالنشر الإلكتروني على الأوساط الممغنطة وأجهزة الحاسوب إلا أن الكتاب سيظل هو الوعاء الذي يلجأ إليه الباحث المتخصص أو القارئ العادي الذي يسعى لتنمية ثقافته وتوسيع مداركه، كما يستعين به الطالب في مراحل تعليمه المختلفة.

وحيث إن النشر هو عملية متكاملة الجوانب تنهض بها المؤسسة بغرض تحقيق الانتفاع من المطبوع وجعله معروفاً ومتداولاً، وللوصول إلى ذلك ينبغي التعاون وتنسيق العمل بين أطراف عديدة منها المؤلف والناشر والطباع والمسوق...

وسنناقش العديد من الإشكاليات ذات العلاقة بنشر الكتاب الجامعي، الناشر والطابع، المؤلف، القارئ، الإشكاليات المادية والبشرية وانتهاء بالإشكاليات القانونية والتنظيمية. كما اشتملت الورقة على مجموعة من المقترحات والتوصيات التي من شأنها المساعدة في حل بعض الإشكاليات والعمل على تطوير واقع النشر في اليمن وتحسين إنتاج الكتاب وتوزيعه وتيسير الحصول عليه، بحيث يؤدي الفائدة المتوخاة منه.

## تمهيد:

منذ قديم الزمان والكتاب يحظى بأهمية خاصة ويعتبر من المصادر الأساسية في العملية التعليمية، إلى جانب كونه الملاذ الأول للاستزادة والإطلاع والصاحب الذي لا تمل صحبته.

وبالرغم من تعدد أوعية المعلومات التي ظهرت نتيجة للتطورات التكنولوجية المتلاحقة فلا يزال الكتاب يحتل مكانة مرموقة باعتباره مصدراً أساسياً للحصول على المعلومة يلجأ إليه الباحث المتخصص، والقارئ

* أستاذ مساعد بقسم المكتبات وعلم المعلومات - جامعة صنعاء

العادي الذي يسعى لتنمية ثقافته وتوسيع مداركه، كما يستعين به الطالب في مراحل تعليمه المختلفة.

ولا يزال الكتاب هو الوسيلة الأساسية لحفظ تراث الإنسانية وثقافتها، كما أننا لا نبالغ حين نقول إن أكثر الحضارات رسوخا وأطولها عمرا هي تلك الحضارات التي اعتمدت على الكتاب ويسرت تداوله وجعلته في متناول أكبر عدد ممكن من الأفراد... فالكتاب هو الوسط الطبيعي للأفكار العظيمة التي تلعب دورا بارزا في نمو ثقافة الأفراد ويكون لها إسهام أصيل في تقدم وتطور المجتمعات.

ولقد تطور شكل الكتاب عبر العصور من الشكل البدائي على الطين والخشب وأوراق البردى، إلى الكتب المطبوعة على الورق العادي والتي لا نزال نستخدمها في عصرنا الحالي، إلى الكتب الإلكترونية الحديثة والتي نجدها مسجلة على الشرائط الممغنطة أو الأقراص الإلكترونية، أو محفوظة في ذاكرة الحاسوب.

إلا أنه وبالرغم من الثورة الجديدة التي أحدثتها التطورات المستمرة في مجال النشر الإلكتروني، فإن الشكلين الأخيرين للكتاب (المطبوع والإلكتروني) سيظلان معاً لفترة طويلة منظورة، وذلك وفقاً لرأي العديد من الباحثين المتخصصين في الميدان.

## ما هو المقصود بالكتاب:

لقد تعددت التعاريف للكتاب بحيث تأخذ كل دولة بالتعريف الذي تراه مناسباً لها، فهناك من يعرف الكتاب بأنه " أي مطبوع مجلد أو قابل للتجليد " وهناك من يرى بأنه "أي مطبوع بغلاف أو بدون غلاف يشتمل على أكثر من مائة صفحة " أما منظمة اليونسكو فقد عرفت الكتاب بأنه " أي مطبوع تزيد صفحاته عن 49 صفحة من دون صفحات الغلاف "ويرى الدكتور/ حشمت قاسم بأن الكتاب " أحد أجزاء عمل أدبي، ينشر مستقلا وله كيان مادي مستقل ".

من التعاريف السابقة يمكن القول إن الكتاب هو عبارة عن نتاج فكري مطبوع يشتمل على موضوع أو أكثر وتزيد صفحاته عن خمسين صفحة.

وتأسيسا على ما سبق لا يسعنا إلا القول إن الكتاب كان ولا يزال وسيستمر لفترة طويلة الوعاء الأساسي بين أوعية المعلومات المختلفة الأشكال بالرغم من التنبؤات والتكهنات بقرب نهاية الكتاب وتقلصه أمام المنافسة الشديدة التي تشهدها التطورات المتلاحقة في أوعية المعلومات بدءا من المصغرات الفيلمية وانتهاء بالنشر الإلكتروني على الأوساط الممغنطة، وخير دليل على ذلك الاعتقاد الذي خامر العديد من المفكرين بأن المصغرات الفيلمية ستحل محل الكتاب لقلة كلفتها المالية، وسهولة الاحتفاظ بها وصغر الحيز الذي تشغله، وبالرغم من ذلك فلم تكن المصغرات الفيلمية منافساً للكتاب إلا أنها ساعدت العديد من المكتبات في تخزين كميات هائلة من الدوريات والتقارير الرسمية والخرائط في مساحات صغيرة جداً.

وبنفس التفاؤل نشعر بأن التطورات الحديثة في مجال النشر الإلكتروني لن تلغي الكتاب ولن تؤدي إلى تقلصه وخصوصاً في البلدان النامية وذلك لأن الكتاب المطبوع لا يزال يحتفظ بمميزات وخصائص عديدة أهمها:

1. إرتباط الكتاب بالحضارات الإنسانية منذ القدم وحتى الآن.
2. سهولة حمل الكتاب وسهولة التنقل به من مكان إلى آخر.
3. إمكانية الإطلاع عليه في أوقات وأوضاع مختلفة.
4. لا يحتاج المستفيد (القارئ) إلى مهارات فنية معينة للإطلاع عليه.
5. تكلفة الكتاب لا تزال معقولة نسبياً مقارنة بتكلفة الأوعية العلمية الأخرى.
6. لا يتطلب وجود أجهزة خاصة للإطلاع عليه.
7. طريقة الإخراج واستخدام التأثيرات الجمالية والألوان تمنح المطبوع نكهة خاصة.

وسنناقش في هذا الموضوع " إشكاليات نشر الكتاب في اليمن " كتأكيداً على أهمية الكتاب وتعبر صادقاً على أن الموضوع مهم وأساسي في تنمية ونشر الوعي الثقافي لدى الأفراد والمجتمعات وخصوصاً أن العالم من حولنا يعيش التطورات التكنولوجية الحديثة التي جعلت العالم قرية صغيرة وأصبح بمقدور الأفراد والمؤسسات الحصول على المعلومة التي يريدونها في زمن وجيز جداً. إلا أن هذه

الإمكانية تتطلب شروطاً ومواصفات لا تتوفر في مجتمعنا اليمني كما أننا لسنا بصدد الحديث عنها لابتعادها عن موضوعنا "إشكاليات نشر الكتاب في اليمن" والذي نجد أن من المهم أن يسبق حديثنا عنه نبذة موجزة عن تطور النشر ونشأة الطباعة في اليمن.

## نشأة الطباعة وتطورها في اليمن

إن المعلومات المتوفرة والمدونة عن ظهور الطباعة في اليمن لا تقدم لنا صورة دقيقة ووافية، غير أنه يمكن التأكيد على أن اليمن لم تعرف الطباعة إلا في نهاية القرن التاسع عشر حين أسس العثمانيون في صنعاء عام (1289هـ – 1872م) أول مطبعة عرفتها الجزيرة العربية وكانت تسمى "مطبعة الولاية".

ومطبعة الولاية هذه كانت عبارة عن مطبعة صغيرة يتم السحب فيها باليد ولا تطبع أكثر من صفحتين صغيرتين بحجم 32×50سم وحروفها تجمع وترتب باليد. ولقد ظلت مطبعة الولاية هذه هي المطبعة الوحيدة في صنعاء حتى تم استبدالها بالمطابع الصينية التي قدمت كهدية من جمهورية الصين الشعبية عام 1968م وباختصار شديد نستطيع القول إن اليمن لم تدخل مجال نشر الكتاب إلا في وقت متأخر مقارنة بغيرها من الدول العربية، وإن غالبية دور النشر في اليمن حديثة جداً في تاريخها وقليلة جداً في عددها، ومعظمها في الواقع عبارة عن مكتبات تجارية هدفها الرئيسي هو بيع وتسويق الكتب بينما يأتي النشر كهدف ثانوي.

وعلى الرغم من المحاولات الجادة التي تبذل من قبل بعض الهيئات لنشر الكتاب اليمني (الهيئة العامة للكتاب. مؤسسة العفيف الثقافية. اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين) إلا أن هذه المحاولات لا تزال متواضعة ولم يكتب لها النجاح المنشود بسبب شحة الموارد المالية، قلة التأليف وركود الحركة الفكرية والثقافية.

وللتعرف على مستوى النشر في اليمن قمنا بمراجعة الببليوغرافيا الوطنية اليمنية لعام 1998م، وقد تبين لنا أنها قد احتوت المطبوعات الصادرة في اليمن وعن اليمن، واشتملت على الكتب والمطبوعات الرسمية، الرسائل الجامعية ماجستير ودكتوراه إضافة إلى الصحف والمجلات الصادرة لأول مرة في نفس العام 1998م.

بلغ عدد العناوين التي وردت في الببليوغرافية اليمنية 228 عنواناً باللغة العربية و17 عنواناً باللغة الإنجليزية، وتوزعت على النحو التالي:

39 رسالة ماجستير. 14 رسالة دكتوراه. 3 دوريات و189 عنواناً من الكتب والمطبوعات الرسمية.

وبتوزيعها في الموضوعات العشرة الرئيسية حسب تقسيمات نظام تصنيف ديوي العشري، وكما هو موضح بالجدول يتضح أن أكثر المطبوعات المنتجة كانت في العلوم الاجتماعية. والآداب وفي مقدمتها كتب الشعر والقصة والتي بلغت 48 عنواناً أي بنسبة 21% كما تبين أن المعارف العامة كانت الأقل حظاً حيث بلغ عدد العناوين المنشورة منها 3 عناوين فقط أي ما يساوي 1% تقريباً.

عناوين الكتب باللغة العربية حسب الموضوعات

| الموضوع | العدد | النسبة المئوية | الموضوع | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|---|---|---|
| المعارف العامة | 3 | %1 | العلوم الطبيعية | 14 | %6 |
| الفلسفة وعلم النفس | 10 | %4 | العلوم التطبيقية | 15 | %7 |
| الديانات | 31 | %14 | الفنون | 6 | %3 |
| العلوم الاجتماعية | 68 | %30 | الآداب | 48 | %21 |
| اللغات | 5 | %2 | التاريخ والجغرافيا | 28 | %12 |
| | | | المجموع | 228 | %100 |

كما اتضح أيضاً أن واحدة من دور النشر التجارية قد حازت المقام الأول حيث بلغ عدد الكتب التي قامت بنشرها هو 52 كتاباً وهو ما يساوي 21٪ من إجمالي الكتب المنتجة على مستوى اليمن.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن المعدل العالمي لنشر الكتب هو 160 عنوانا لكل مليون نسمة من السكان في العام الواحد. أما المتوسط الأوربي فيزيد عن 800 عنوان لكل مليون نسمة في العام الواحد.

وفي بلدنا اليمن واستناداً إلى إحصائيات الببليوغرافية الوطنية اليمنية للعام 98 نجد أن إجمالي المطبوعات المنتجة خلال ذلك العام هو( 245) عنوانا وبقسمة ذلك على عدد سكان اليمن نجد أن معدل النشر قد بلغ فقط (13,6) عنوان لكل مليون نسمة وهذه نسبة ضيلة جداً تدل على النقص الحاد في مجال نشر الكتب. يضاف إلى ماسبق أن أحد المؤشرات العالمية التي يقاس بها درجة تداول المعلومات يتعلق بوزن الورق (بالطن ) المستخدم سنوياً في الطباعة والكتابة والنشر لكل ألف مواطن، ونظراً لعدم توفر إحصائيات دقيقة لدراسة هذا المؤشر في وضع اليمن، فقد تم الاعتماد على الإحصائيات المتوفرة لبيانات العام 1994م واتضح أن كمية الورق المستخدمة من قبل كل ألف مواطن كانت على النحو التالي:

الدول الصناعية 74 طناً، المعدل الوسطي للدول المتقدمة 5,8 طناً الدول الأقل نمو0.5 طناً، وكانت نسبة الألف المواطن اليمني 0.5 طناً، لذلك ووفقاً لهذا المعيار العالمي يمكن القول إن درجة تداول المعلومات في اليمن أقل بكثير من الوسطي العالمي، وأعلى قليلاً من وسطي الدول الأقل نمواً.

نخلص مما سبق إلى القول إجمالاً إن حركة التأليف والنشر في اليمن هي حركة متواضعة جداً ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب لعل أهمها:

- قلة دور النشر المتخصصة وصاحبة الخبرة في هذا المجال.
- غياب الدعم المادي والمعنوي من قبل الدولة يؤدي إلى عدم انتعاش الحركة الفكرية ولا يشجع المبدعين على نشر إنتاجهم.
- نقص الكوادر البشرية الكفؤة، كالمحررين والطباعين والمصممين أصحاب الخبرات الكافية يؤدي إلى كثرة الأخطاء اللغوية والطباعية.
- الظروف الاقتصادية الصعبة التي تؤدي إلى إحجام العديد من المؤلفين عن نشر كتبهم على نفقتهم الخاصة.

وبعد هذه العجالة التي أردنا من خلالها إعطاء فكرة موجزة عن مستوى النشر في اليمن سنحاول في السطور التالية مناقشة مجموعة من الإشكاليات التي نعتقد بأن لها أثراً فاعلاً في عرقلة نمو وتطور حركة النشر في اليمن.

## تعريف عملية النشر:

عملية النشر هي الوسيلة التي بواسطتها يتم القيام بنشر المعرفة العلمية والتي من خلالها يتم انتقال المعارف الإنسانية والأعمال الفكرية من منتجيها (المؤلفين) إلى المستهلكين (القراء)، وعلى الرغم من أن عملية النشر هي عملية فنية إلا أنها تتأثر بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إضافة إلى الظروف والاتجاهات المحلية والدولية. كما أنها أيضاً تخضع لقوانين العرض والطلب كغيرها من السلع التجارية وتتأثر سلباً وإيجاباً بالمناخ الثقافي للمجتمع، ومعدلات الأمية وقوانين حقوق التأليف والنشر وظروف المكتبات ونوعية الناشرين ومؤهلاتهم واتجاهاتهم.

كما أن توفر التسهيلات الطباعية، ووسائل الاتصال والمواصلات، وتوافر الأسواق المحلية أو الدولية تلعب دوراً رئيسياً في نمو وتطور حركة النشر.

وللناشر دور رئيس في إنتاج وتوزيع المعرفة وتحديد الاحتياجات النوعية والكمية من المعلومات والأفكار لجمهور القراء، ومراقبة عمليات النشر وتوجيهها وإنتاجها وتوزيعها.

والنشر كأحد العمليات المرتبطة بتبادل المعلومات وبث المعرفة، هو بمثابة سلسلة متتابعة من الأنشطة تبدأ بعملية تسلم المخطوط وتنتهي بعملية نشره وتوزيعه. أي أن النشر هو عملية متكاملة الجوانب تقوم بها المؤسسة بهدف تحقيق الانتفاع من المطبوع وجعله معروفاً ومتداولاً بين جمهور القراء، ولكي يتم ذلك من الضروري وجود نوع من التعاون والتنسيق بين الأطراف المختلفة مثل المؤلف، الناشر، الطباع، المسوق...الخ

وسنتناول مشكلات النشر في اليمن بدءاً من المشكلات المتعلقة بنشر الكتاب الجامعي مروراً بالمشكلات المادية والبشرية وانتهاء بالإشكاليات القانونية والتنظيمية التي تعرقل نمو وتطور حركة النشر في اليمن.

## إشكالية نشر الكتاب الجامعي في اليمن

توجد في اليمن حالياً سبع جامعات حكومية ومثلها من الجامعات الأهلية، فضلاً عن عدد من المعاهد العليا، وفي هذه المؤسسات الأكاديمية أكثر من (170000) طالب وطالبة، وهؤلاء جميعهم ووفقاً للسياسة التعليمية القائمة بحاجة للحصول على الكتاب الجامعي (الأكاديمي) الذي من شأنه المساعدة في توفير المادة العلمية التي يحتاجونها لمتابعة دراساتهم وتنمية مواهبهم وقدراتهم في تخصصاتهم المختلفة.

فالكتاب الجامعي إذاً هو ذلك المطبوع الذي يقوم بإعداده واحد أو أكثر من أعضاء الهيئة التدريسية أو الباحثين الأكاديميين في موضوع له علاقة بمفردات المواد والمقررات الدراسية في الجامعات والمعاهد العليا، وذلك يعني أن الكتاب الجامعي يسد فراغاً في مجال متميز هو الدراسة الجامعية والبحث العلمي.

ونظراً لعدم وجود جهة معينة تتحمل على عاتقها مسئولية نشر الكتاب الأكاديمي ودعمه وتوزيعه على كافة فئات المستفيدين وفي كافة محافظات الجمهورية، ونظراً لعدم وجود سياسة واضحة تعتمدها الجامعات اليمنية في التزود بالكتاب الجامعي نجد أن الجامعات اليمنية تسعى للحصول على الكتب اللازمة لتلبية احتياجات طلابها بالطريقة التي تلائم ظروف كل منها.

وعلى اعتبار أن جامعة صنعاء هي أقدم الجامعات اليمنية وتتولى مسئولية إعداد وتعليم حوالي (70000) ألف طالب وطالبة فسنعمل على مناقشة الموضوع انطلاقاً من تجربة جامعة صنعاء مع الكتاب الجامعي وذلك لعدة أسباب أهمها:

1. أن جامعة صنعاء هي أول جامعة يمنية.
2. أن جامعة صنعاء قد أولت الكتاب الجامعي اهتماماً خاصاً منذ السنوات الأولى لإنشائها.
3. أن جامعة صنعاء تضم أكبر تجمع طلابي وبها أكبر عدد من أعضاء هيئة التدريس.

### تجربة جامعة صنعاء:

لقد سعت جامعة صنعاء منذ بداية تأسيسها إلى الاهتمام بالكتاب الجامعي ودعمه وتوفيره لجميع طلاب الجامعة وفي مختلف الكليات وأنشئت لذلك إدارة خاصة سميت إدارة الكتاب الجامعي.

ففي نهاية كل عام دراسي كانت الأقسام العلمية المختلفة وعبر الكليات المعنية توافي إدارة المكتبات باحتياجاتها من الكتب الدراسية وفقا لأعداد الطلاب المقيدين بكل قسم من أقسامها المختلفة.

بعد وصول طلبات الكليات المشتملة لاحتياجات أقسامها المختلفة من الكتب الدراسية والمراجع العلمية، تتولى إدارة المكتبات تفريغ تلك الطلبات في نماذج خاصة وتعمل على توفيرها بوسائل متعددة وعلى النحو التالي:

- الكتاب الدراسي المقرر الذي يكون مؤلفه ضمن الهيئة التدريسية في هذه الحالة يقوم عضو هيئة التدريس بتقديم النسخة الأصلية مكتوبة أو مطبوعة إلى إدارة المكتبات التي تتولى القيام بما يلي:

1. صرف المكافأة المالية المقررة آنذاك والتي كانت محددة بمبلغ 15 ألف ريال أي ما يعادل حوالي 3330 دولاراً.
2. الاتفاق مع الطابع أو الناشر على طباعة الكتاب خلال فترة زمنية محددة سلفاً وبحيث تضمن وصول الكتاب في الوقت المناسب.
3. استلام النسخ المطبوعة مع نهاية العطلة الصيفية إن كان الكتاب مقرراً في الفصل الدراسي الأول أو مع نهاية

الفصل الدراسي الأول إن كان مقرراً للفصل الدراسي الثاني، ويتم تحديد ثمنه وفقاً للسياسة المعمول بها وإحالة الكتاب إلى الفرع المختص بالبيع داخل الكلية المعنية.

- الكتاب الدراسي المقرر والمطبوع سلفاً يتم الاتفاق مع الناشر لتوفير الكتاب وبالكميات المطلوبة. وعند وصول الكتاب يتم تحديد ثمنه وبيعه للطلاب بنفس الأسلوب السابق.
- في حالة عدم وجود كتاب دراسي معتمد لمادة من المواد ولا يوجد له بديل يتم التالي:

يتولى عضو هيئة التدريس المنوط به تدريس تلك المادة إعداد النسخة الأولية للملزمة أو الملازم المناسبة لتغطية المفردات المطلوبة لذلك المقرر.

تقوم إدارة الكتاب الجامعي بطباعة الملازم وتجهيزها وسحب الأعداد المناسبة لأعداد الطلاب.

تحديد أسعار رمزية لكل ملزمة وإحالتها إلى الفرع المختص في الكلية المعنية لبيعها للطلاب.

كانت السياسة المتبعة في الجامعة أن يتم تحديد سعر البيع للطلاب بعد حسم نسبة الدعم المقررة التي كانت تتحملها الجامعة والمحددة بنسبة 50% من سعر التكلفة بالنسبة للكتب العلمية و25% بالنسبة للكتب الأخرى.

وقد استمر الوضع على هذا الحال حتى بداية التسعينيات وبدأت الأمور تتراجع وتناقصت أعداد العناوين التي توفرها الجامعة حتى وصلت إلى درجة الصفر، ويرجع ذلك لعدة أسباب أهمها:

1. الزيادة الكبيرة في أعداد الطلاب وعدم نمو ميزانية الجامعة بنفس الوتيرة أدى إلى عدم تمكن الجامعة من الاستمرار في دعم الكتاب الجامعي
2. الارتفاع المتزايد في أسعار الكتب نتيجة للارتفاع العالمي في أسعار الورق وعدم توفر موارد إضافية لمواجهة ذلك.
3. مبلغ المكافأة الذي كان يمنح للمؤلفين أصبح ضئيلاً نتيجة للتضخم المالي وانهيار سعر الصرف، مما لم يعد مشجعاً لأعضاء هيئة التدريس لتقديم مؤلفاتهم للإدارة المختصة بالرغم من ارتفاع مبلغ المكافأة المالية إلى 35 ألف ريال كحد أقصى.
4. الظروف الاقتصادية الصعبة وارتفاع تكاليف المعيشة دعت العديد من المؤلفين إلى الاتفاق مع ناشرين تجاريين لطبع كتبهم أو القيام بطبعها على النفقة الخاصة وبيعها مباشرة للطلاب. وبصفة خاصة البعض منهم الذين تمكنوا من تحقيق أرباح كبيرة نتيجة لارتفاع أعداد الطلاب في بعض الكليات.
5. الروتين المالي المعقد وضعف الأداء الإداري، إضافة إلى دخول عناصر جديدة ذات نظرة سطحية، وتريد أن تتعامل مع الكتاب أسوة بغيره من المستلزمات والكماليات.

ونتيجة للأسباب السالفة الذكر ابتعدت الجامعة تدريجياً عن توفير الكتاب الجامعي وأصبح الطلاب في الفترة الأخيرة يحصلون على الكتب الدراسية التي يحتاجونها إما عن طريق بعض دور النشر التجارية التي نشطت في الآونة الأخيرة وصارت تتعاقد مباشرة مع أعضاء هيئة التدريس لتقوم بطبع مؤلفاتهم وبيعها للطلاب. أو عن طريق وكلاء البعض الآخر من أعضاء هيئة التدريس والذين يطبعون على نفقتهم الخاصة.

وقد أدى هذا الوضع إلى وجود مجموعة من الكتب الجامعية التي لا تصلح لأن تدرس في الجامعة لضعف مستواها العلمي، إلا أن الطلاب لا يجدون مناصاً من شرائها كونها تمثل الطريق إلى النجاح والحصول على الشهادة الجامعية الهدف الأساس لوجودهم بالجامعة.

وفي اعتقادنا أن هذه النتيجة تعتبر منطقية نظراً لأن الكثير من الكتب الدراسية يتم إعدادها وإقرارها من قبل شخص واحد هو مدرس المادة، وليس كما هو مفترض أو معمول به في الجامعات العالمية التي تشترط لقبول أي كتاب كمقرر دراسي أن يتم اعتماده من قبل لجان علمية متخصصة.

ونتيجة للوضع الحالي للكتاب الجامعي، المتدهور في مجمله فقد برزت مجموعة من مظاهر الخلل في منظومة النشر الجامعي لعل أهمها:

1. على مستوى التأليف، عدم الالتزام بالمقاييس والمواصفات الدولية في عرض المطبوعات وإخراجها من قبل المؤلفين والناشرين للكتب الجامعية.

2. عدم وجود قنوات وأساليب توزيع منظمة لتصريف هذه المؤلفات وبصفة خاصة ما يتعلق بالمطبوعات التي يقل الإقبال الجماهيري عليها مثل الرسائل الجامعية. التقارير والأبحاث العلمية.

3. عدم وجود تسجيل ببليوغرافي منظم للإنتاج الأكاديمي الوطني وذلك لعدم فاعلية الإيداع القانوني القائم وضعف التنسيق بين المكتبات الجامعية وبين الأقسام العلمية والمكتبات المركزية.

4. عدم وجود جهة أو هيئة مسئولة تهتم بنشر الكتاب العلمي وتعمل على إعداد وتجهيز الكتاب الجامعي وتوزيعه على المستفيدين وفقا لبرنامج علمي مدروس يراعي فيه تقليل نفقات سعر الكتاب وضرورة وصوله إلى كافة المستفيدين.

مما سبق يتضح جلياً الظروف والملابسات التي أدت إلى التخلي المؤقت لجامعة صنعاء عن الاستمرار في القيام بواجباتها حيال توفير الكتاب الجامعي وكذا الصورة القائمة للوضع الحالي الذي كان له أثر سيئ على نوعية الكتاب الجامعي وساعد على ظهور تلك المجموعة من مظاهر الخلل التي اعترت النشر الأكاديمي.

ولتقويم الخلل الكائن وللأهمية البالغة للنشر الأكاديمي، نرى أن على جامعة صنعاء وغيرها من الجامعات اليمنية إيلاء اهتمام خاص بالنشر الأكاديمي على اعتبار أن ذلك يمثل جزءاً هاماً من وظائف الجامعة الأساسية ونستند في ذلك إلى رأي السيد دانيال كويت جلمان (Daniel Gilman Colt) أول رئيس لجامعة جو نز هو بكنز الأمريكية الذي يرى بأن الجامعة العظيمة تملك ثلاث وظائف رئيسية هي:- التدريس والبحث والنشر، ولقد قيل " إن أحد أنبل الواجبات الملقاة على عاتق الجامعة هي العمل على تقديم المعرفة ونشرها وليس فقط إلقاء الدروس اليومية "

ومن البديهي جداً القول إن المعرفة لا يمكن أن تتقدم تقدماً حقيقياً إذا بقيت الأفكار في رؤوس الأساتذة فقط ولم تتجاوز الملاحظات التي يطرحونها أثناء المحاضرات. فالأفكار الجيدة يجب نشرها وتمكين الآخرين من الإطلاع عليها، والنشر يمكن أن يكون على شكل كتاب أو مجلة أو ميكروفيلم أو عبر الحاسوب أو أية وسيلة أخرى تحقق الانتشار.

ومن هذا المنطلق نرى أن من المنطقي والضروري بالنسبة للجامعات اليمنية الاهتمام بالنشر الأكاديمي وإعطائه نفس الاهتمام الذي توليه لمجالي التدريس والبحث وذلك للأسباب التالية:

1. إن على الجامعة أن تسعى لنشر أفضل الكتب وتسويقها بأقل كلفة ممكنة وفقاً لنظام توزيع دقيق ومدروس.

2. الاهتمام بنشر الكتب العلمية الجيدة والتي يقوم بتأليفها أعضاء هيئة التدريس فيها.

3. الاهتمام بنشر الكتاب الجامعي الجيد الذي تتفرر صلاحيته لمساندة العملية التعليمية.

4. إن النشر الجامعي سيكون له أثر إيجابي في مجال العلاقات العامة كونه سينقل اسم الجامعة عبر العالم كله.

5. إن الإعلان عن الكتب المنشورة هو في الوقت نفسه إعلان عن الجامعة نفسها.

6. إن أي كتاب يحصل على جائزة أدبية أو مديح مراجعي الكتب ينعكس إيجاباً على سمعة الجامعة.

7. إن اهتمام الجامعة بالنشر سيهدف بالمقام الأول إلى توفير الكتاب العلمي الجيد للطلاب والباحثين بأسعار مناسبة.

8. وأخيراً فإن النشر في أي مؤسسة أكاديمية يعتبر من أهم الأنشطة الأساسية والفاعلة والتي تساهم في تحقيق الهدف الذي من أجله أنشئت المؤسسة باعتباره مرآة صادقة تعكس ما تنتجه عقول أبناء المؤسسة من أبحاث علمية رصينة وإبداعات أدبية متميزة.

لذلك كله نرى أن المنطق السليم يؤكد على ضرورة اهتمام الجامعة بالنشر الأكاديمي والاستمرار في دعم الكتاب الجامعي ونشره وتوزيعه شريطة أن تتولى لجان علمية متخصصة الإطلاع على ما يؤلف من كتب، واقتراح وإقرار الكتب العلمية الرصينة والتي تثبت صلاحيتها وملاءمتها لدعم المقررات الدراسية، وسواء كانت تلك الكتب من إنتاج أعضاء الهيئة التدريسية أو غيرهم من الباحثين، وعدم ترك ذلك لتقدير الأشخاص منفردين، ذلك لأن ترك الأمر على المنوال الحالي سيكون له تأثير سلبي على مجرى العملية التعليمية برمتها.

لاحظنا بصورة موجزة ما يعاني الكتاب الجامعي من إشكاليات تتعلق بتأليفه ونشره وتوزيعه، وفيما يلي يجدر بنا الإشارة إلى مشكلات أخرى تواجه نشر الكتاب في اليمن وتتمثل في مجموعة من الإشكاليات المادية والبشرية إضافة إلى بعض من الإشكاليات القانونية والتنظيمية.

## أولاً: المشكلات المادية والبشرية.

لقد دعمت الدولة القطاع العام بجميع الوسائل المادية اللازمة التي يحتاجها لإقامة دعائم نشر متطورة ومتقدمة لتلبية العديد من الاحتياجات ويتمثل ذلك في المطابع الحديثة الموجودة في هيئة الكتاب المدرسي، مطابع التوجيه المعنوي، ومطابع مؤسسة الثورة للصحافة... إلا أن هذه المطابع باستثناء مطابع الكتاب المدرسي، تسعى لتأدية المهام والواجبات الملقاة عليها ويبقى اهتمامها بالكتاب ثانوياً.

أما مطابع الكتاب المدرسي فقد حرصت على توفير وطباعة أكبر كمية ممكنة من الكتاب المدرسي وتقديمه لأبنائنا الطلاب والطالبات في المراحل الأساسية والثانوية والذين يبلغ عددهم (3627445) طالباً وطالبة وبأسعار رمزية، وذلك دلالة على الدعم السخي الذي توفره الدولة لمثل هذه المؤسسات لاستيراد ما تحتاجه من مواد أولية وتجهيزات وقطع غيار وغير ذلك.

كما أن هنالك بعض المطابع الخاصة التي تشتمل على تجهيزات متطورة ولديها إمكانيات مناسبة، وتجدر الإشارة إلى أن غالبية المطابع تعاني من النقص الكبير في الأيادي العاملة المؤهلة تأهيلا مناسباً، مما يؤثر سلباً على تطور قطاع النشر في اليمن وذلك لأن العنصر البشري هو العنصر الأهم في تطوير قطاع النشر، إذ مهما كانت الإمكانيات المادية متاحة والموارد متوفرة فإنها ستظل قليلة الجدوى ما لم توضع تحت إشراف كوادر بشرية متخصصة ولديها الخبرة الكافية لتسيير القطاع والعمل على تطويره، ذلك لأن دور النشر في الغالب يفترض أن تكون من مجموعة من الأقسام والإدارات والتي تشتمل فيما بينها على سبيل المثال لا الحصر هيئة تحرير، مراجعين، مسئولي مبيعات وتسويق، قسم مالي وإداري، مصممين وغير ذلك. أما بالنسبة لدور النشر والمطابع الصغيرة في القطاع الخاص والتي تولي اهتماما بنشر الكتاب في اليمن فإن معظمهم قد بدأوا حياتهم كموزعين للكتب ومواد الطباعة ومع مرور الأيام تبين لهم أن العمل في نشر بعض الكتب يعتبر حرفة جيدة تدر عليهم أرباحاً مناسبة وتصلح مجالاً موائما لتشغيل أموالهم. وفي الغالب تهتم هذه الفئة بنشر الكتب المقررة على طلاب الجامعة، وبعض كتب التراث والكتب الدينية ذات التوزيع الواسع. وفي الصفحات التالية سنتناول بقليل من التفصيل الإشكاليات المتعلقة بكل من الناشر والمؤلف والمستهلك.

### الناشر والطابع:

الناشر هو المدير والمخطط والمنظم لسير عملية النشر وحسبما هو معروف ومألوف توجد فئتان من الناشرين في اليمن، الفئة الأولى وتشمل الناشر الذي ينتمي إلى القطاع العام مثل الهيئة العامة للكتاب، هيئة مطابع الكتاب المدرسي...إلخ، والناشر ضمن هذه الفئة إما محدود الإمكانيات المادية وغير مزود بالتجهيزات الأساسية اللازمة للقيام بأعمال الطباعة والنشر على الوجه الأكمل، أو أنه يمتلك التجهيزات الطباعية الحديثة ولكنه ملتزم بواجبات محددة وبالكاد يستطيع القيام بالمهام والواجبات المنوطة به.

الفئة الثانية من الناشرين وتشمل شركات النشر التجارية الخاصة، وهذا النوع من الناشرين وكما هو معلوم يبحث عادة عن الربح السريع، ونظراً لعدم وجود سياسة واضحة في ميدان صناعة ونشر الكتاب وغياب الدراسات العلمية الدقيقة التي تمكن من معرفة الاحتياجات الحالية للقارئ اليمني نجد أن الفئة الأخيرة من الناشرين تهتم بنشر المطبوع الذي يلقى رواجاً في الأسواق ولا تعير إهتماماً للنواحي العلمية وقد نتج عن ذلك ما يلي:

- أن عددا كبيرا من الناشرين يدور همهم الأول والأخير على الربح السريع وهذا ما يدفعهم إلى الإقبال

على نشر كتب التراث بغض النظر عن موضوعاتها. وفي الغالب يسعى الناشر إلى:

1. فرض أسعار مضاعفة على الكلفة الحقيقية لضمان استعادة المال وتحقيق أرباح عالية جداً.

2. إستخدام أنواع رخيصة من الورق وأدوات الطباعة قليلة الكلفة.

3. التوجه نحو نشر الكتب التي تحقق توزيعاً ورواجاً والابتعاد عن نشر الكتب العلمية الجادة التي يكون توزيعها قاصراً على فئات محددة من القراء.

- المستوى الثقافي لأغلب أصحاب دور النشر ليس على الوجه المطلوب فضلاً عن أن مؤهلاتهم لا تمكنهم من اتخاذ القرارات السليمة حيال الكتب التي ينشرونها. ولذا نجد أن هنالك عدداً من الكتب قد صدرت لكثير من المؤلفين وهي محشوة بالأخطاء المطبعية وغير المطبعية.

- العلاقة التي تجمع بين الناشر والمؤلف عند النشر تفتقر في بعض الأحيان إلى المصداقية، وذلك حين يسعى الناشر إلى هضم حقوق المؤلف ومنحه نسبة ضئيلة من عائدات المؤلف والتي تصل في أفضل الأحيان إلى 12%.

كما أن هنالك من الناشرين من يدعي بأنه طبع كمية أقل من الكمية الفعلية، ومنهم من يدعي أحياناً أن الكتاب لم تنفذ بعد نسخ طبعته الأولى، مثل هذه الأعمال وغيرها تلحق الضرر بسمعة الناشرين بصفة عامة. وتحدث إحباطاً لدى العديد من المؤلفين يؤدي في بعض الأحيان إلى انقطاع البعض عن الكتابة والتأليف والإبداع.

- التزوير أو الاعتداء على حقوق الملكية الأدبية، حيث درج العديد من الناشرين على تزوير بعض الكتب الأصلية وإصدارها مطابقة للطبعة الشرعية الأولى وباسم مؤلفها و ناشرها الأصلي، وفي العملية ضرر بالغ يؤدي من ناحية إلى حرمان المؤلف من المردود المالي المنتظر لقاء الوقت والجهد والعلم والخبرة والإبداع، ومن ناحية أخرى يسبب ضرراً للناشر الأصلي بسبب توفر الكتاب في الأسواق بأسعار أقل بكثير من السعر المحدد للطبعة الأصلية.

- في معظم الأحيان يقوم الناشر بدور الموزع، وينتج عن ذلك مشكلات نشر تسويقية يعاني الناشر منها تتمثل في عدم استيفاء الناشر لثمن كتبه وذلك بسبب تلكؤ المشترين في دفع المستحقات المالية المتعلقة بذمتهم للناشرين وفي هذا الصدد أخبرني قبل فترة أحد الناشرين بأن له مبالغ مالية قيمة كتب لدى إحدى المكتبات اليمنية منذ سنوات. وأن صاحب المكتبة يشكو دوما من سوء الأحوال وعدم تمكنه من السداد. وكانت المفاجأة كبيرة على الناشر حين أخذه صاحب تلك المكتبة ليريه فرعا جديداً دفع فيه أكثر من مليون ريال حلوا.

المؤلف.

تعاني البلدان النامية ومن بينها اليمن من ندرة المؤلفين المحليين في معظم حقول المعرفة. وبصفة خاصة في مجال الكتب العلمية. ويرجع ذلك لعدة أسباب وهي:

1. غالباً ما يجد المؤلف نفسه مضطرا لمتابعة مهام الطبع والنشر والتوزيع إضافة إلى قيامه بمهمته الأساسية وهي التأليف وهذا الدور يضيف عليه أعباءً مالية وجهوداً كبيرة تشغله عن التأليف ( المهمة الأساسية ).

2. تخوف المؤلف من استغلال الناشرين ومخادعتهم في سرقة جهوده.

3. غياب قوانين حق التأليف أو عدم صرامتها يؤدي إلى تخوف المؤلفين من سرقة حقوقهم الفكرية.

4. الظروف الاقتصادية الصعبة التي تواجه المؤلفين أكاديميين ومفكرين والمتمثلة في قلة الدخل الذي يعود عليهم من مؤلفاتهم ومن ضآلة المكافآت المالية التي تمنح لهم.

5. بسبب الظروف الاقتصادية والدخول التي لا تضمن الحياة الكريمة نجد العديد من الأكاديميين والمفكرين يقضون أوقاتهم في القيام بأعمال أخرى بحثاً وراء لقمة العيش، مما أدى إلى قلة أوقات الفراغ التي يمكن استثمارها في الكتابة العلمية والبحث الجاد.

ونتيجة للأسباب السالفة الذكر نجد أن بعض المؤلفين وبصفة خاصة البعض من أعضاء هيئة التدريس قد فضل النشر على النفقة الخاصة وذلك لما يلي:

أ- أن بعض أعضاء هيئة التدريس يرغب في الترقية ويجد أن أسرع وسيلة للنشر هي النشر على النفقة

الخاصة لكي يتمكن من تقديم نتاجه العلمي في الوقت المناسب.

ب- أن بعضهم الآخر لا يجد من ينشر له فيضطر للنشر على نفقته الخاصة.

ج- أما الفئة الثالثة من أعضاء الهيئة التدريسية فقد يسعى لنشر كتبه على نفقته الخاصة لواحد أو أكثر من الأسباب التالية:

- أن المكافأة التي كانت تمنح للمؤلف من قبل الجامعة لم تعد مجزية ولا تشجع بأي حال من الأحوال على تقديم مجهوده العلمي.
- أن بعض الناشرين يسعون إلى استغلال عضو هيئة التدريس ولا يقدمون له إلا نسبة ضئيلة لا تفي بالغرض المطلوب.
- أن البعض وخصوصاً في الكليات التي يكثر فيها عدد الطلاب قد وجد أن الطبع على النفقة الخاصة يدر عليه أرباحاً جيدة تمكنه من تحسين وضعه الاقتصادي والاستمرار في إنتاج كتب أخرى.

وفي هذا الصدد ولغرض النهوض بعملية نشر الكتاب وتطويره في اليمن لا بد من اعتماد أساليب مقبولة تساعد على تحفيز وتشجيع المفكرين والمؤلفين على الكتابة الرصينة وذلك عن طريق تشجيع التفرغ العلمي و استثماره في إنتاج أبحاث علمية دقيقة، وإرساء مبدأ الجوائز الأدبية والزمالات والمنح وتكريم المبدعين واعتماد ذلك كتقليد دائم.

وبهذه المناسبة يجدر بنا الإشارة إلى البادرتين الطيبتين في هذا المجال والمتمثلتين في جوائز الأخ/ رئيس الجمهورية للمبدعين من الشباب وكذا جوائز المرحوم هائل سعيد الأدبية والتي كان لهما أثر بالغ في دعم العديد من الباحثين في مجال الثقافة والعلوم وتمكينهم من تقديم إنتاج فكري مميز.

## المستهلك أو القارئ

القارئ هو المستهلك الذي من أجله يتم نشر الكتاب وله الدور الفاعل في تنمية وتطوير حركة النشر.

ومن البديهي هنا الإشارة إلى أن الظروف الاقتصادية تلعب دوراً فاعلا في حدة الإشكاليات المتعلقة بنشر الكتاب، فالبطالة وتضخم الأسعار يؤديان إلى ضعف القوة الشرائية مما يدفع الكثير من أفراد المجتمع إلى الإحجام عن شراء الكتب والسعي لإشباع حاجاتهم الضرورية اللازمة للمعيشة في المقام الأول، وهذا الوضع ينعكس سلباً على واقع النشر ويؤدي إلى ارتفاع أسعار الكتب لقلة عدد النسخ التي تطبع من كل كتاب مما يؤدي إلى تضاعف نفقات طباعته، يضاف إلى ذلك الركود القائم في سوق الكتاب بسبب عزوف الغالبية العظمى من أفراد المجتمع عن شراء الكتب واقتصار ذلك على شريحة صغيرة تتمثل في المنتسبين إلى الجامعات والمؤسسات العلمية وقلة قليلة من أفراد المجتمع.

كما أن هنالك ملاحظة هامة تجدر الإشارة إليها وهي أن عادة الإقبال على المطالعة والقراءة في اليمن ضعيفة جداً حتى بين طلبة المدارس والجامعات، وهذه الحالة تعتبر من أهم العوائق أمام حركة النشر كونها تؤدي إلى حالة كساد وتجعل الإقبال على شراء الكتب ضعيفاً.

وضعف الإقبال على القراءة والإطلاع ليس إلا نتاجاً لمجموعة من العوامل والأسباب والمتمثلة في:

1. تدني المستوى الثقافي للأسرة اليمنية لا يساعد على تنمية عادة القراءة التي نجدها في المجتمعات المتقدمة، كما أن ارتفاع نسبة الأمية بين أفراد المجتمع وانتشار أشباه المثقفين بين الآباء والأمهات والذي يمثل غالبية المجتمع اليمني، وعادة مثل هؤلاء لا يشجعون أبناءهم وبناتهم على الإطلاع والقراءة خارج الكتب المقررة، بل إن هنالك من يمنع أبناءه من القراءة و شراء الكتب الثقافية، ويعتبر أن ذلك مضيعة للوقت ولا يفيد في شيء وقد تشغلهم عن النجاح في الامتحانات التي تعتمد بصفة أساسية على استظهار الكتب المدرسية ودونما حاجة إلى مطالعة كتب خارج هذا الإطار.
2. النقص الكبير في المكتبات العامة ومكتبات الأطفال والتي يفترض أن تنتشر في جميع المدن والقرى والأحياء يلعب دوراً أساسياً في عدم تنمية عادة القراءة لدى أفراد المجتمع وفي مقدمتهم الأطفال الذين يصل البعض منهم إلى المرحلة الإعدادية أو الثانوية ولم يكن قد رأى كتابا خارج المنهج الدراسي.

3. الغالبية العظمى من مدارسنا لا تزال بدون مكتبات مدرسية، وإن حدث واحتوت بعض المدارس على مكتبة، فإنها تظل على هامش الحياة التربوية التثقيفية للمدرسة ولا تسند مهمة إدارتها و الإشراف عليها إلى متخصص في مجال المكتبات والمعلومات يهتم بإقامة العديد من الأنشطة والفعاليات الثقافية المدرسية، كالمحاضرات العامة، الندوات، المسابقات الثقافية، النشاطات المسرحية، حلقات قراءة القصة وغير ذلك من الأنشطة والفعاليات التي من شأنها إيجاد نوع من التآلف بين التلميذ والكتاب، وتعويد التلميذ على أن يجد في المكتبة المدرسية المكان المناسب لشغل وقته وتنمية مواهبه الثقافية والإبداعية.

## ثانياً: الإشكاليات القانونية والتنظيمية:

منذ مطلع القرن الحالي وبالتحديد منذ عام 1909 م صدرت عدد من القوانين تنظم عمل الصحافة والمطبوعات في اليمن وفيها أشارت إلي مسألة الإيداع القانوني و حماية حق المؤلف ومراقبة المطبوعات.

ومن أبرز القوانين التي يمكن الإشارة إليها بهذا الصدد قانون المطبوعات العثماني الصادر في 13يوليو 1909م وقانون النشر وتسجيل الكتب في (مستعمرة عدن ) رقم (27) لعام 1939م .

وبعد قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962م وانطلاق ثورة الرابع عشر من أكتوبر عام 1963م شهدت الساحة اليمنية مجموعة من المتغيرات في كافة مجالات الحياة ومن بينها القوانين المنظمة للمطبوعات والصحافة.

ففي 18 نوفمبر عام 1968م صدر بصنعاء قانون مطبوعات العهد الجمهوري واهتمت المادة السابعة منه بالإيداع القانوني وكان نصها كما يلي: (يجب عند إصدار أي مطبوع إيداع عشر نسخ منه في كل من وزارة الإعلام أو المحافظة التي يقع الإصدار في دائرتها وخمس نسخ بالمكتبة العامة بصنعاء ويعطى إيصال عن هذا الإيداع).

وفي عام 1990م صدر في عدن قانون الصحافة والمطبوعات رقم (7) والذي نصت المادة (81) منه على (تودع لدى جهة الإيداع نسخ من المطبوعات والصحف والمجلات والكتب والأعمال الأدبية والفنية على اختلاف أنواعها والتي تزيد على ما أعد للنشر عن خمسين نسخة)

وفي العام نفسه بعد قيام الوحدة صدر بصنعاء القانون رقم (25) لسنة 1990م بشأن الصحافة والمطبوعات، وقد خصص هذا القانون الفصل الرابع من الباب الرابع منه للإيداع القانوني.

إلا أنه ومن الدراسات المتعمقة للقانون المشار إليه نجد ما يلي:

1. أن القانون المذكور لم يول الإيداع القانوني الاهتمام الكافي حيث خصص له فقط (4) مواد من مجموع مواد القانون البالغة 116 مادة.

2. لم يحدد القانون بصورة دقيقة وواضحة المواد التي يجب إيداعها بل جاء النص عاما ويكتنفه الغموض "تودع لدى جهة الإيداع نسخ من المطبوعات والصحف والمجلات والكتب والأعمال الأدبية والفنية على اختلاف أنواعها".

3. لم يشر القانون صراحة ولم يحدد على من تقع مسئولية إيداع النسخ ولم يحدد المهلة اللازمة لإيداع النسخ.

4. لا توجد أية إشارة إلى ماهية العقوبات التي ستقع على الأشخاص الذين يمتنعون عن إيداع النسخ.

ونتيجة لهذا الفراغ القانوني برزت مجموعة من المشاكل أهمها:

أ- عدم تمكن الجهة المختصة "المكتبة الوطنية" من إصدار ببليوغرافيا شاملة للإنتاج الفكري الوطني كاملاً، مما يؤدي إلى حرمان المستفيدين من معلومات كثيرة تساعدهم في إعداد واختيار الأبحاث المناسبة.

ب- عدم تمكن الجهات الخارجية عربية وأجنبية من التعرف على النتاج الفكري اليمني.

ج- أن هنالك مجموعة من الناشرين يقومون بالتسجيل لكتبهم بدار الكتب ويأخذون رقم الإيداع، ولا يلتزمون بإيصال الكتب إلى الدار بعد النشر.

د- أن هنالك عدداً من المؤلفين ممن ينشرون كتبهم على نفقتهم الخاصة لا يودعون كتبهم بالدار.

ه. إن الكتب اليمنية التي تنشر في الخارج لا تصل نسخ منها إلى دار الكتب وبالتالي لا تدخل بياناتها ضمن البيليوغرافيا الوطنية، وذلك لأن وزارة الثقافة تأخذ مجموعة من النسخ لصالحها وفقا للقانون إلا أنه في الغالب لا تصل نسخ من تلك المطبوعات إلى الدار لعدم وجود آلية جيدة لتوزيع تلك النسخ.

لذلك نرى أن من الضروري الاهتمام باستصدار قانون خاص بالإيداع يتناول المواد التي ينبغي إيداعها وعلى من يتوجب إيداع النسخ والمهلة المحددة لإيداع النسخ، إضافة إلى توضيح الوسائل والإجراءات القانونية التي يفترضها إيداع النسخ مع تحديد واضح للمخالفات والعقوبات ووسائل المتابعة اللازم اتخاذها.

ويمكن في كافة الأحوال الاستعانة بالتشريعات الخاصة بالإيداع القانوني والمعمول بها حالياً في بعض الأقطار العربية، وذلك بغرض إعداد قانون للإيداع يكون أكثر شمولية وتركيزاً، وتكون له فاعلية في الميدان. كما أن من الضروري الاهتمام بإصدار قانون التأليف شاملاً لجميع أوعية المعلومات وأشكالها، مع توضيح شامل لحقوق التأليف وغيرها من الحقوق المشابهة كحقوق الفنانين، والإنتاج السمعي والبصري، والبث الإذاعي والتلفزيوني إضافة إلى توضيح العلاقة القانونية بين المؤلفين والناشرين، ونقل الحقوق وعقود النشر، وغير ذلك مما له علاقة بحماية الحقوق الفكرية وتحديد درجاتها وضمان عدم المساس بها.

## المقترحات والتوصيات:

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول إجمالاً إن عملية نشر الكتاب في اليمن لا تزال دون المستوى المطلوب كما وكيفاً، وإن هنالك العديد من الإشكاليات والمصاعب التي تواجه حركة النشر وتعرقل نموها وتطورها في اليمن. مما يدعو إلى ضرورة الاهتمام بحل تلك الإشكاليات والسعي لتطوير عملية النشر بصورة علمية مدروسة وعلى كافة الأصعدة سواء تلك التي لها علاقة مباشرة أو التي ليست لها علاقة مباشرة بنشر الكتاب ولكنها لا تساعد على تطوره، وذلك حتى نستطيع تخليص الكتاب من العديد من الإشكاليات التي تعرقل تطوره وتحد من انتشاره وتؤثر سلباً على العديد من جوانب الحياة الثقافية والتربوية والإبداعية.

وفي هذه العجالة لا يسعني إلا الإسهام ببعض التوصيات والمقترحات التي أعتقد أنها قد تساعد على تخليص الكتاب اليمني من الركود الذي يعانيه إضافة إلى المساهمة في العمل على تطوير نشره والأخذ به إلى واقع أفضل.

1. يجب تمكين الجامعات اليمنية من العمل في مجال النشر ودعمها وتمكينها من مواصلة الاهتمام بنشر الكتاب الجامعي ودعمه وتوزيعه بطريقة علمية مدروسة، وسواء كان ذلك في إطار مستقل أو ضمن هيئة عامة تتولى مسؤولية نشر الكتاب الأكاديمي بشكل عام.
2. من الضروري أن تتولى لجان علمية متخصصة الإطلاع على ما يؤلف من كتب وتقرير مدى صلاحيتها لمساندة المقررات الدراسية.
3. على اللجان العلمية في كل كلية تحمل مسئولية اقتراح وإقرار الكتب الجامعية التي تثبت رصانتها ومكانتها العلمية، سواء كانت من تأليف أعضاء هيئة التدريس أو تأليف آخرين.
4. الاهتمام بتوفير أجواء البحث العلمي وأدواته الأساسية وتقديم الدعم المادي الملائم لتشجيع الباحثين وأعضاء هيئة التدريس على إنتاج أبحاث علمية رصينة.
5. الاهتمام بأعمال الترجمة للكتب العلمية ذات الفائدة العامة، ودعم الجهات المعنية بأعمال الترجمة وتقديم كافة التسهيلات والمكافآت المجزية للمترجمين.
6. دعم وتشجيع النشر الوطني والعمل على تشجيع الكتاب والمؤلفين المبدعين ومنحهم المكافآت والجوائز النقدية المجزية.
7. تنظيم وعقد المزيد من اللقاءات والحلقات الدراسية التي تضم المؤلفين وناشري الكتب وعينات من المستفيدين بغرض تطوير وتنمية المهارات والقدرات النشرية المحلية.
8. السعي لتخفيض تكاليف النشر، والحد من بعض القيود المالية العقيمة إضافة إلى ضرورة استمرار الدولة في تقديم المزيد من الدعم والتمويل.



9. الاهتمام بالدعاية والإعلان والتعريف بالكتب والدراسات العلمية من خلال الأحاديث واللقاءات وبالتعاون مع وسائل الإعلام المختلفة.

10. الاهتمام بتوعية الأسرة بأهمية المطالعة في تنمية ثقافة الأطفال ودعمها لتكوين عادة القراءة وتنميتها لدى الأجيال الصاعدة، والتي أصبح لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية سيطرة كبيرة في حياتهم.

11. التشجيع على قيام المعارض المحلية للكتب وعلى مستوى جميع محافظات الجمهورية.

12. الاهتمام بإعداد ونشر البيليوغرافيات الوطنية والمتخصصة لتمكين المستفيدين من الحصول على المعلومات التي يحتاجونها بسهولة ويسر.

13. الدعوة لإجراء دراسات علمية ميدانية حول أسباب تراجع عادة القراءة عند الشباب بغرض معالجتها والتعرف على أنواع الكتب والموضوعات التي تثير اهتمام الشباب وتشبع احتياجاتهم.

14. دعوة وسائل الإعلام المختلفة إلى الإسهام في ترسيخ عادة القراءة وتشجيعها وذلك عن طريق تخصيص برامج للتعريف بالكتب حديثة الصدور ونقدها وعقد اللقاءات مع المؤلفين نظرا للدور الفاعل الذي يمكن أن تلعبه هذه الوسائل في دعم تداول الكتاب وعلى نطاق واسع.

15. الاهتمام بعملية تسويق وتوزيع المطبوعات من شبكة منظمة تضم المؤسسات الحكومية والناشرين، ومؤسسات المعلومات واعتماد الوسائل الكفيلة بإيصال الكتاب إلى مراكز البيع في جميع المدن والمناطق الريفية والنائية.

16. الاهتمام بإنشاء المكتبات المدرسية ورفدها بالإمكانات اللازمة لجعلها أحد العوامل الهامة في تربية الأجيال للمستقبل، وإدخال مادة النشاط المكتبي رسميا في البرامج التربوية التعليمية لكي تصبح قادرة على القيام بالدور المنوط بها في تنمية ثقافة الأطفال وتوسيع مداركهم.

17. الاهتمام بإنشاء المكتبات العامة، ونشرها في جميع أرجاء البلاد وحث المكتبات على تضمين برامجها العديد من الأنشطة الثقافية التي من شأنها تشجيع الأفراد على ارتياد المكتبات والتعود عليها. ويجب أن تلعب وسائل الإعلام الجماهيرية كالراديو والتلفزيون والصحف دورا بارزا في التعريف ببرامج المكتبة.

18. دعوة الجهات ذات العلاقة إلى بذل الجهود والتخطيط لنشر كتب الأطفال في اليمن وتوجيه عناية خاصة لنشرها وإنتاجها على أسس علمية تربوية هادفة وذلك لأنه لاغنى عن مثل هذه الكتب في غرس عادة القراءة في نفوس الأطفال وتنمية ثقافتهم والتعرف على مهاراتهم المختلفة.

19. أهمية استمرار إسهام الدولة في توفير التجهيزات الطباعية الحديثة والمواد الأولية اللازمة للطباعة وتقديم المزيد من التسهيلات.

20. ضرورة استمرار دعم الدولة لسعر الكتاب بهدف تسهيل اقتنائه وفق خطة مدروسة تنسجم مع أنواع الكتب المنشورة ومدى حاجة الناس إليها. وذلك لأن الارتفاع الذي طرأ على أسعار الكتب خلال السنوات القليلة الماضية كان كبيراً وفاق قدرات الناس المادية بحيث لم تعد الغالبية العظمى قادرة على اقتناء الكتب التي يريدونها.

21. دعوة الجهات ذات العلاقة إلى العمل على استصدار قانون خاص بالإيداع بحيث يكون شاملا لجميع القضايا المتعلقة بعملية الإيداع. وأيضا الاهتمام بإصدار قانون التأليف والحقوق الفكرية.

المراجع


1. الأخرس، محمود: مقالات في علوم المكتبات. ط2. الأردن: مكتبة المنار، 1985م 304ص.

2. البيليوغرافية الوطنية اليمنية، إعداد جاسم محمد جرجيس، محمد أحمد السنباني، خالد عتيق. - صنعاء: الهيئة العامة للكتاب، 2000م.

3. بدر، أحمد ، المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات، الرياض: دار المريخ للنشر، ( د. ن ) ص 448.

4. بديري، ظاهر أبو القاسم "الكتاب الأكاديمي ومستقبل المطابع الجامعية" في وقائع الندوة العربية السابعة للمعلومات: النشر والضبط البيليوغرافي للنتاج الفكري العربي. عمان 2-6 تشرين الثاني 1996م. ص 277 - 282.

5. جرجيس، جاسم والسنباني، محمد أحمد " البيلوغرافيا الوطنية اليمنية: الضرورة والمستلزمات " مجلة كلية الآداب، العدد (21) لسنة م من ص 76 - 105.

6. السنباني، محمد أحمد: مراكز المعلومات الجامعية. مجلة متابعات إعلامية، ع (55) يوليو - أغسطس 1997م.

7. صوفي، عبد اللطيف " نشر الكتاب في الجزائر واقعه ومشكلاته " في وقائع الندوة العربية السابعة للمعلومات النشر والضبط البيليوغرافي للنتاج الفكري العربي عمان 2 - 6 تشرين الثاني 1996م. ص 149 - 166.

8. قانون رقم (42) لسنة 1982م، بشأن تنظيم الصحافة، الجريدة الرسمية، العدد الثامن 30 أغسطس 1982م، ص 4- 22.

9. قانون رقم (25) لسنة 1990م، بشأن الصحافة والمطبوعات، الجريدة الرسمية، العدد الخامس عشر، 3 ديسمبر، 199م، ص8-22.

10. كتاب الإحصاء السنوي لعام 2000م. صنعاء: الجهاز المركزي للإحصاء،2001م.

11. المالكي، مجبل لازم: " مشكلات النشر في الدول النامية " في المجلة العربية للمعلومات، مج 17. ع 1، 1996م، ص 18 - 44.

12. المتوكل، محمد عبد الملك: الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها. - القاهرة: مطابع الطوبجي التجارية، 1983م - 401 ص.

13. نصير، عايدة: "النشر الأكاديمي بالجامعة الأمريكية في القاهرة " في وقائع الندوة العربية السابعة للمعلومات: النشر والضبط البيليوغرافي للنتاج الفكري العربي. عمان 2 - 6 تشرين الثاني 1996م، ص 113 - 118.

# دور المكتبـــات الجامعيــــة في تطوير البحث العلمي وتلبية احتياجات الباحثين والدارسين

د. مجبل لازم مسلم المالكي *

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالمكتبات الجامعية وسماتها الرئيسية، وأنماط البحث العلمي، ويسلط الضوء على خدمات ونشاطات بعض المكتبات الجامعية الأجنبية والعربية في ميدان البحث العلمي، كما يوضح سلوك الباحثين وحاجتهم للمعلومات. ودور المكتبيين في هذه العملية، فضلاً عن استعراض المهام والمتطلبات الأساسية لهذه المكتبات في مجال تطوير البحث العلمي، وتقديم خدمات وبرامج تلبي احتياجات الباحثين والدارسين.

Abstract:

This paper aims at identifying the university Libraries ands its basic functions, types of Scientific Research, and highlight the services and activities in some foreign and Arabic university Libraries at the field of Scientific Research
and their information needs with the roles of Librarians in this cases. The fundumental works and duities of these Libraries for developing researches and achieving essential services and programming which

المقدمة

حظي البحث العلمي باهتمام العلماء والباحثين، وأصبحت له مكانة متميزة من خلال الدراسات في المجالات النظرية والتطبيقية وبخاصة في الجامعات والمراكز العلمية والبحثية المختلفة، وقد إهتمت دول العالم بإنشاء مراكزها العلمية والبحثية وتطويرها وتمويلها ودعم سياستها وبرامجها لما لها من أهمية في تعزيز حالة البحث العلمي، ودفع عجلة التنمية والرقي في المجتمع. وتنهض الجامعات بدور حيوي في تشجيع البحث العلمي ودعمه وتنشيط حركته من خلال دعم الأساتذة والباحثين للتفرغ لهذه المهمة بشكل جزئي أو كلي، وتوفير المستلزمات التي من شأنها الارتقاء بالبحث العلمي والإفادة من نتائجه وتطبيقاته.

وغني عن القول أن المكتبات الجامعية تشكل محورالعملية التعليمية والبحثية في الجامعات، وتمثل ركيزة أساسية للجامعات في تأديدية رسالتها وتحقيق أهدفها المتمثلة في التعليم والبحث العلمي، وخدمة المجتمع، نظراً للإمكانات التي تمتلكها هذه المؤسسات العلمية والثقافية

* أستاذ مشارك قسم المكتبات وعلم المعلومات - جامعة صنعاء

المتمثلة في توفير مصادر المعلومات المطلوبة من خلال استخدام المعلومات والاتصالات الحديثة، فضلاً عن المهام والواجبات وتقديم الإستشارات، وتسهيل مهمة الحصول على المعلومات بمختلف الطرق والوسائل ووضعها بين أيدي الباحثين والدارسين.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعريف بالمكتبات الجامعية وسماقا ووظائفها الأساسية.
2. تبيان ماهية البحث العلمي وأنماط البحوث.
3. تسليط الضوء على أهمية البحث العلمي ودوره في التنمية.
4. تقصي بعض خدمات ونشاطات المكتبات الجامعية الأجنبية والعربية في مجال البحث العلمي.
5. توضيح سلوك الباحثين وحاجاتهم للمعلومات ودور المكتبي.
6. استعراض مهام ومتطلبات المكتبات الجامعية في مجال تطوير البحث العلمي وتلبية احتياجات الباحثين والدارسين.

أولاً: التعريف بالمكتبات الجامعية وسماقا ووظائفها الأساسية:

المكتبات الجامعية هي تلك المؤسسات العلمية الثقافية التي تهدف إلى خدمة الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية وموظفي الجامعة وعموم الباحثين، وتشمل مكتبات الكليات والجامعات والمعاهد العليا والمكتبات الأخرى الملحقة بمؤسسات التعليم العالي.

وهي بذلك تمثل أحد نماذج المكتبات الأكاديمية، ووجودها قديم قدم تأسيس الجامعات نفسها، وقد ظهرت في أنماط متعددة من بينها المكتبة المركزية أو الرئيسة التي تخدم الجامعة بكلياتها وأقسامها المختلفة أو في نمط مجموعة من المكتبات دون وجود للمكتبة المركزية، وقد تجمع بين النمطين السابقين، وقد تطورت بمرور الزمن لتشكل شبكات معلومات متطورة في بعض الدول المتقدمة لأهمية تشاطر مصادر المعلومات والخدمات في مختلف المجالات، وتحقيق أقصى قدر من المنفعة المتبادلة بين المكتبات.[1]

ويمكن تحديد الأنماط الآتية لتنظيم تشكيلات المكتبة الجامعية وهي[2]:

1. مكتبة مركزية ومجموعة من المكتبات الفرعية.
2. إدارة مركزية تشرف على مجموعة من المكتبات الفرعية.
3. مجموعة من المكتبات القطاعية المركزية (في الغالب تتكون من ثلاث مكتبات إحداها للعلوم الطبيعية والتقنية، والثانية للعلوم الاجتماعية، والثالثة للإنسانيات).
4. المكتبات التي تخدم طلبة المرحلة الجامعية الأولى والعملية التعليمية بشكل عام، والمكتبات التي تخدم طلبة الدراسات العليا وأغراض البحث بوجه عام.

ومهما كانت طبيعة ونوعية أنماط التشكيلات لهذا النوع من المكتبات فإن بعض السمات التي تتميز بها المكتبة الجامعية وهي[3]:

1. ضخامة حجم المجموعات المكتبية: وهناك العديد من المكتبات الجامعية التي تخطت المليون مجلد وهي تأتي بعد المكتبة الوطنية من حيث الحجم إن لم تكن تتفوق عليها في بعض الأحيان.
2. تنوع مصادر المعلومات التي تقتنيها بين مصادر تقليدية وإلكترونية.
3. تعدد الموضوعات: فالمكتبة المركزية تقتني مصادر معلومات في مختلف موضوعات المعرفة البشرية، ومكتبات الكليات والمعاهد تضم المصادر المختلفة وفقاً لتخصصات تلك الكليات والمعاهد.
4. تنوع أغراض الاستخدام: فقد أدى تعدد فئات المستفيدين فيها (طلبة المرحلة الجامعية الأولى/ الدراسات العليا/ أعضاء هيئة التدريس/ الموظفون) إلى التنوع في غرض الاستخدام، فهي بذلك تعمل على خدمة الأغراض التعليمية والبحثية، فضلاً عن الغرض الثقافي العام.

أهداف المكتبات الجامعية ووظائفها:

تستمد المكتبة الجامعية وجودها وأهدافها من الجامعة ذاتها، ورسالتها هي جزء لا يتجزأ من رسالة الجامعة، وهذه الأهداف تتمثل في مساندة العملية التعليمية في الجامعة، وتشجيع البحث العلمي ودعمه، وتنمية التعليم





الذاتي للطلبة، وخدمة المجتمع. ويمكن تحقيق هذه الأهداف من خلال قيامها بالوظائف والنشاطات الآتية[4]:

1. توفير مجموعة شاملة وحديثة ومتوازنة من مصادر المعلومات التي تعزز المناهج الدراسية وتدعم البرامج الأكاديمية والبحوث العلمية في الجامعة.
2. تنظيم هذه المصادر من خلال الإجراءات الفنية الخاصة بعمليات الفهرسة والتصنيف والتكشيف والاستخلاص وعمل البيليوغرافيات.
3. تقديم الخدمات المكتبية والمعلوماتية لمجتمع المستفيدين بما يعزز العملية التعليمية والتربوية والبحث العلمي في الجامعة.
4. تدريب جمهور المستفيدين على استخدام المكتبة.
5. تجميع البحوث والدراسات العلمية والكتب الأكاديمية وتوزيعها والإعلام عنها، والعمل على إهدائها وتبادلها، ويتم ذلك من خلال إعداد النشرات وقوائم المؤلفات وإقامة معارض الكتب وغيرها.
6. تدريب العاملين في مجال المكتبات والمعلومات من خلال عقد الدورات التدريبية والمحاضرات والندوات وورش العمل لغرض تأمين خدمات متطورة لصالح الباحثين والدارسين.
7. بناء علاقات تعاون مع المكتبات الأخرى بشكل عام ومع المكتبات الجامعية بشكل خاص للإفادة من مصادر المعلومات الوطنية.

وهناك بعض العوامل التي تسهم في تزايد أهمية وقيمة الدور الذي تنهض به المكتبات الجامعية، ومنها[5]:

1. التوسع في التعليم الجامعي سواء في المرحلة الجامعية الأولى أم في مرحلة الدراسات العليا.
2. التوسع في إنشاء المراكز العلمية بتلك الجامعات التي تسهم في تنمية البحث العلمي وتطبيقه في خدمة المجتمع.
3. عدم قدرة الأفراد بالاعتماد على مكتباتهم الشخصية أو جهودهم الذاتية بسبب ضخامة حجم ما ينشر أو ما ينتج من معلومات.
4. تنوع طرق التدريس وأساليبه.
5. تطور تكنولوجيا التعليم والمعلومات والاتصال.

## ثانياً: ماهية البحث العلمي وأنماط البحوث:

### أ- ماهية البحث العلمي:

تتجه البحوث العلمية لتسجيل أو رصد حالة خاصة أو الإجابة على أسئلة معينة، وتحاول أن تكشف عن أسباب مشكلة ما من خلال تجميع وتحليل المعلومات والبيانات بهدف الوصول إلى تعميمات أو قوانين وحلول للمشكلة المراد بحثها. وهناك تعريفات متعددة للبحث العلمي، منها:

إن البحث العلمي هو "وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث لغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلاً. على أن يتبع هذا الفحص والاستعلام الدقيق خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات"[6].

والبحث العلمي هو وسيلة للدراسة يمكن الوصول من خلاله لحل المشكلات المختلفة عن طريق الاستقصاء الشامل الدقيق لجمل الظواهر والمتغيرات والأدلة التي ترتبط بمشكلة البحث[7].

ومهما اختلفت التعريفات التي وضعها العلماء والباحثون للبحث العلمي إلا أنها تمثل طريق الباحث ونشاطه في اكتشاف الحقائق وتحليل الآراء وتفسيرها ومناقشتها وتقديم الحلول الصائبة لها.

وقد يكون البحث نظرياً، أو ميدانياً، وقد يعني التنقيب عن الحقائق أو التفسير النقدي لمختلف القضايا السياسية والاجتماعية وهناك أيضاً البحوث الأساسية التي تهدف إلى: "فهم الظواهر فهماً كاملاً دون النظر إلى كيفية تطبيق ما ينتهي إليه البحث من نتائج، والبحوث التطبيقية التي تكون أهدافها أكثر تحديداً وتركز على حل المشكلات العلمية وإن لم تكن هناك فواصل حادة بين البحوث الأساسية والتطبيقية لأن نتائج البحوث الأساسية يمكن استخدامها مستقبلاً في التطبيق فضلاً عن البحوث الأساسية نفسها والتي يمكن أن تكون بذرة للتطور والتحديث للأشياء المطبقة فعلاً"[8].

ومما لا شك فيه أن لكل باحث منهجه وأدواته ورؤيته وقدرته على تحليل المعلومات وتبويبها وتصنيفها وصولاً إلى وضع الحلول المناسبة للمشكلة موضوع الدراسة التي ينبغي اختيارها بشكل دقيق وبقناعة ذاتية بما يحقق الأصالة والتجديد والإضافة إلى المعرفة البشرية والعلمية.

ب- أنماط البحث العلمي:

تطور البحث العلمي بتطور المعرفة وحب الإنسان للبحث والتقصي واكتشاف السبل التي يمكن من خلالها تفسير الظواهر، وتحسين ظروف المجتمع وحل مشكلاته، والتطلع نحو إيجاد أفضل المناهج العلمية التي تقود لاكتشاف الحقيقة، واستخلاص الدلائل ووضع القوانين والتعميمات للظواهر المختلفة المراد بحثها، والتعرف على عناصرها وخصائصها. ويختلف الكتاب في مجال طرق البحث العلمي ومناهجه في تصنيف البحوث وتقسيماتها. ويمكن تصنيف البحوث بشكل عام إلى نوعين أساسيين وهما[9].

1- البحوث الأساسية وتسمى أحياناً (النظرية):

وهي دراسات تجرى بالدرجة الأساس من أجل الحصول على المعرفة بحد ذاتها وتعتمد على التأمل النظري والاستدلال العقلي الصرف وتشتق عادة من المشكلات الفكرية فهي إذاً ذات طبيعة نظرية إلا أن ذلك لا يمنع من تطبيق نتائجها فيما بعد على مشكلات قائمة بالفعل.

2- البحوث التطبيقية:

وتكون أهدافها محددة بشكل أدق من البحوث الأساسية النظرية وعادة ما تكون موجهة لحل مشكلة من المشكلات العملية أو لاكتشاف معارف جديدة يمكن تسخيرها والإفادة منها في واقع حقيقي وفعلي ضمن منطقة أو مؤسسة معينة أو لدى أفراد.

وتقسم البحوث من حيث مناهجها إلى:

- البحوث الوثائقية: التي تكون أدوات جمع المعلومات فيها معتمدة على المصادر والوثائق المطبوعة وغير المطبوعة كالكتب والدوريات والنشرات والتقارير والوثائق الإدارية والتاريخية، وكذلك المواد السمعية البصرية ومخرجات الحاسوب.

- البحوث الميدانية: والتي يزور فيها الباحث أو مجموعة من الباحثين التجمعات والأسر والمؤسسات والوحدات الإدارية ويكون جمع المعلومات بشكل مباشر من هذه الجهات عن طريق الاستبيان أو المقابلة أو الملاحظة المباشرة.

وهناك عدد من المناهج المتبعة في هذا النوع من البحوث أهمها:

1. البحوث التي تتبع المنهج المسحي (Survey)
2. البحوث التي تتبع منهج دراسة الحالة (Casestu)
3. البحوث الوصفية الأخرى (Descriptive)

3- البحوث التجريبية:

وهي البحوث التي تعتمد على الواقع والاستقراء العلمي وتجرى في المختبرات العلمية المختلفة الأغراض والأنواع سواء أكان ذلك على مستوى العلوم التطبيقية أو العلوم الصرفة، ويحتاج هذا النوع من البحوث إلى المواد الأولية التي تجرى عليها التجارب، والأجهزة والمعدات المطلوبة، وأخيراً الباحثين المتخصصين ومساعديهم.

أما أنواع البحوث من حيث جهات تنفيذها فتقسم إلى:

1- البحوث الأكاديمية: التي تجرى في الجامعات والمعاهد والمؤسسات الأكاديمية كالبحوث الجامعية الأولية، وبحوث طلبة الدراسات العليا، وبحوث أعضاء هيئة التدريس.

2- البحوث غير الأكاديمية: وهي بحوث متخصصة تنفذ في المؤسسات والدوائر المختلفة بغرض تطوير أعمالها أو معالجة المشكلات وكذلك الاختناقات التي تعترض طريقها فهي أقرب ما تكون إلى البحوث التطبيقية.

ثالثاً: أهمية البحث العلمي ودوره في التنمية:

تشكل الجامعة والبحث العلمي والتنمية ثلاثية مترابطة العناصر، ولا يمكن أن يستقيم لعنصر منها كيانه دون العنصرين الآخرين فالجامعة بهيئتها التدريسية وطلبتها ومكتباتها هي الإطار والمناخ، والبحث العلمي هو الأداة والوسيلة، والتنمية هي الغاية والهدف.[10]

ومما لا شك فيه أن الجامعات تؤدي دوراً متميزاً في تحقيق التنمية العلمية والثقافية والاقتصادية وخلق المناخ المناسب لتعزيز البحث العلمي وخدمة المجتمع، ويمكن القول أن البحث العلمي نشأ بنشوء الجامعات وارتقى برقيها إلا أن حجم الإقبال عليه والإفادة من نتائجه قد ازداد بشكل واضح في أعقاب الحرب العالمية الثانية لظهور ما يسمى بثقافة البحث (Research Culture) التي سادت الكثير من الدول المتقدمة، فضلاً عن التقدم العلمي والتكنولوجي في مجالات الحياة المختلفة واستخدام الأسلوب العلمي في دارسة العلوم الاجتماعية وتطويرها[11].

ونظراً لأهمية البحث العلمي فقد نهضت الجامعات بوضع الخطط العلمية لتطوير البحوث في ضوء إمكاناتها، وانسجامها مع خطط التنمية القومية آخذة بعين الاعتبار التركيز على البحوث الأساسية والتطبيقية وتشجيع البحوث التعاقدية ورصد المبالغ الكافية لها وتوفير مستلزمات نجاحها من حيث وجود المكتبات الحديثة والمراكز البحثية ومصادر المعلومات وإعداد الباحثين وتوفير الورش والمختبرات والمناخ العلمي المناسب لإنجاز البحوث بأشكالها المختلفة، ويمكن إجمال أهمية البحث العلمي ودوره في التنمية من خلال الآتي:

1. تمثل البحوث العلمية الدعامة الأساسية للتقدم العلمي والتكنولوجي وتطوير المشاريع التنموية والتغلب على مختلف المشاكل التي تقف عقبة بوجه الإنسان ورقي المجتمعات وتحول دون تحقيق إرادتها في استثمار التكنولوجيا وتطويعها لصالح التنمية في مجالات الحياة المختلفة.
2. من خلال البحوث يمكن التوصل إلى اكتشاف معارف وحقائق علمية جديدة ومعرفة خصائص المجتمع والظواهر الاجتماعية والثقافية التي تميزه عن المجتمعات الأخرى، فضلاً عن تطبيق بعض النظريات والإفادة من المخترعات العلمية وتسخيرها لخدمة المجتمع ورفاهية الإنسان.
3. يسهم البحث العلمي في الحصول على أفضل الطرق لإنتاج سلع أفضل مما هو متوافر من السلع الأخرى مما يشجع على التخلي عن السلع القديمة والإقبال على شراء السلع الجديدة ذات النوعية الأفضل والمواصفات الفاخرة.
4. يسهم التخطيط المنهجي السليم للبحث العلمي في استغلال الموارد والطاقات بالشكل الذي يؤدي إلى التغلب على الصعوبات والمشاكل التي يعاني منها المجتمع كالمشاكل الإنسانية والعلمية وغيرها من المشاكل التي تنشأ عن الظروف البيئية مثل قلة الرقعة الزراعية أو الجفاف أو التصحر أو الانفجار السكاني وتفشي بعض الأمراض وزيادة نسبة الإجرام في المدن الصناعية وقد تكون ناجمة عن التقدم العلمي والتكنولوجي مثل حالات تلوث بعض الأنهار والبحار والجو بالمواد والعناصر المختلفة[12].
5. يمثل البحث العلمي عنصراً أساسياً في النهوض بالعملية التعليمية في الجامعة وتطوير قدرات ومعارف أعضاء الهيئة التدريسية مما يدفع الجامعات لوضع الخطط الأساسية لتخطيط وتنمية وتطوير وتشجيع البحث العلمي.
6. للبحوث التطبيقية أهمية كبيرة في استثمار وتطويع نتائج البحوث الأساسية وتنمية القدرات في استثمار المشاريع وتشغيلها وصيانتها وإدخال التعديلات في التصاميم والمعدات بما يناسب البيئة المحلية[13].

ولكي يكون مردود البحث العلمي عالياً ويحقق الغرض المنشود من وجوده وبخاصة في ميدان التسريع بخطط التنمية فلابد من العمل على تخطي الأساليب التقليدية المتبعة في الجامعات والمؤسسات المختلفة في ميدان الإدارة وتطبيقاتها والتفرغ التام لأعضاء الهيئة التدريسية والرعاية الوطنية للبحث العلمي، وربط البحوث في الجامعات بأفق التنمية، وتوفير الورش والمختبرات، وتطوير خدمات المكتبات والمعلومات والعمل على تخطيط البحث العلمي وتحديد الأولويات وفق الخطة العامة للدولة.

وانطلاقا من هذه الأهمية الممنوحة للبحث العلمي ودوره في خطط التنمية الوطنية والقومية فقد أولت الدول المتقدمة البحث العلمي أهمية خاصة وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية حيث وصل إنفاقها على

البحث العلمي في عقد الستينات (24) بليون دولار وارتفعت إلى (40) بليون دولار في بداية عقد الثمانينات تسهم فيها الشركات الكبرى والمؤسسات العملاقة وبنسبة تقرب من (60%)، وهو رقم يعادل أربع مرات ما رصدته دول أوروبا الغربية مجتمعة في تلك الفترة نفسها وللغرض نفسه، وأن ما ينفقه الكيان الصهيوني على تطوير البحث العلمي يعادل ما تنفقه الأقطار العربية في هذا المجال[14].

وفي كل من فرنسا وروسيا يصل الإنفاق على البحث العلمي (1.4%، 3.7%) من الدخل القومي على التوالي[15]. أما اليابان فتركز باستمرار على دور مؤسسات الأعمال الخاصة في هذا المجال وتضطلع بدور رئيس في مجال الإنفاق على نشاطات البحث والتطوير. فنجد مثلاً شركة Matsushita Electric يعمل فيها أكثر من 15000 خبير في شئون البحث العلمي موزعين على (23) معملاً للبحوث كما أنها أنفقت خلال عام 1981م أكثر من (500) مليون دولار على البحوث[16].

وتركز هذه الدولة وجامعتها على إنجاز البحوث التطبيقية والتطويرية واستثمار نتائجها في الحقول والميادين الصناعية والإنتاجية وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية اتجهت هذه الدول إلى إنشاء مراكز علمية للتخطيط وتحليل السياسات العامة والتنبؤ بالمستقبل بغية التوصل إلى أفضل السبل للسياسات العامة باعتماد الأسلوب العلمي، وأن تزايد اهتمام المؤسسات العلمية ومراكز البحوث بالبحث العلمي في دول العالم جاء نتيجة للدعم السخي الذي حظيت به هذه المؤسسات والمراكز البحثية من قبل المؤسسات الخاصة والعامة على حد سواء[17].

أما على نطاق الوطن العربي فيلاحظ بشكل عام قلة الإنفاق على نشاط البحث والتطوير ولم يزد الإنفاق على (0.2%) ثم (0.5%) من إجمالي الإنفاق العالمي على ذلك النشاط لعامي 1970م و1980م على الترتيب[18].

فضلاً عن العديد من المشكلات والمعوقات الأخرى التي يواجهها البحث العلمي ومنها النقص في القوى البشرية من الباحثين المتخصصين وغياب التخطيط المبرمج وعدم ربط البحوث العلمية بخطط التنمية وضعف التعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحث العلمي في الوطن العربي، وتكرار الجهود، وضعف منافذ النشر وضعف المكافآت الممنوحة للباحثين وسواها.

رابعاً: المكتبات الجامعية والبحث العلمي:

تؤدي المكتبات الجامعية دوراً بارزاً في النهوض بالحركة الفكرية والثقافية وتعزيز البحث العلمي من خلال ما تقدم من خدمات وبرامج وأنشطة مكتبية لجمهورها المتمثل بالطلبة والمدرسين وموظفي الجامعة وعموم الباحثين معتمدة في ذلك على خبرات وإمكانات القوى العاملة المؤهلة وكمية ونوعية مصادر المعلومات التي تضمها والوسائل الإعلامية التي تستخدمها خدمة لأغراض الجامعة وجمهور المستفيدين.

ومما لاشك فيه أن النظرة إلى المكتبة الجامعية قد تغيرت وأصبحت المكتبات الجامعية أحد المعايير التي يمكن من خلالها تقويم الجامعة، ويمكن القول ليست هناك جامعة بدون مكتبة، وفي ظل ثورة المعلومات أو الانفجار المعرفي الذي يشهده العالم المعاصر والمتمثل بتدفق المعلومات وتزايد حجم المنشورات الثقافية وبمختلف اللغات أصبحت المكتبات الجامعية غير قادرة على تلبية حاجات الباحثين والعلماء من المعلومات فكان أن ظهرت الحاجة إلى تطويرها لتصبح مراكز المعلومات تهتم بعمليات جمع واختيار وتحليل واسترجاع المعلومات وفقاً لاحتياجات ومتطلبات الباحثين والدارسين ولا يمكن النهوض بمثل هذه المهمة وتحقيق حالة التقدم وبخاصة في الدول النامية ما لم تتوافر المكتبات المتطورة بخدماتها ومعلوماتها[19].

وبذلك فإن المعلومات تعد جوهرية لأي مجهود بحثي ناجح ليس لغرض تجنب التكرار في الجهود فحسب بل لخلق أفكار خصبة لبحوث أخرى لاحقة[20]، ففي إحدى التجارب لتطوير نقل المعلومات وفاعلية خدمات المعلومات والبحث والتطوير في الصناعة وجد أن:

1. تحسين الوصول إلى المعلومات المتوفرة كان له تأثير كبير على إنتاجية فرق البحث والتطوير.

2. تطوير إدارة العمليات المعلوماتية في المشاريع البحثية ونقل نتائج البحوث إلى المستفيدين له أثر كبير على إنتاجية فرق البحث والتطوير.

وفي هذا يمكن القول أن خدمات المكتبات الجامعية ليس لها تأثير على نشاطات البحث والتطوير فحسب، بل على نشر نتائجها إلى الجهات التي أجريت لها البحوث والتي ستنتفع باستثمار نتائجها، ونستطيع أن نرسم صورة للعلاقة بين المكتبات الجامعية والبحث العلمي من خلال الآتي:

1. لا يمكن لأي باحث أن يبدأ من الصفر وإنما لا بد له أن يبني بحثه على إنجازات الآخرين الذين سبقوه في هذا المضمار. ولا يمكن لعملية البناء أن تتم دون الرجوع إلى خزين أو منجم المعلومات والذي لا يمكن الوصول إليه إلا بوجود مكتبات تعنى بخزنه وتنظيمه وبثه للمستفيدين.

2. إن البحث العلمي يحتاج إلى المعلومات وينتج معلومات جديدة وفي هذا يتوجب وجود مؤسسة تعنى بتوفير المعلومات التي يحتاجها الباحث لغرض الإفادة منها في البحوث المستقبلية.

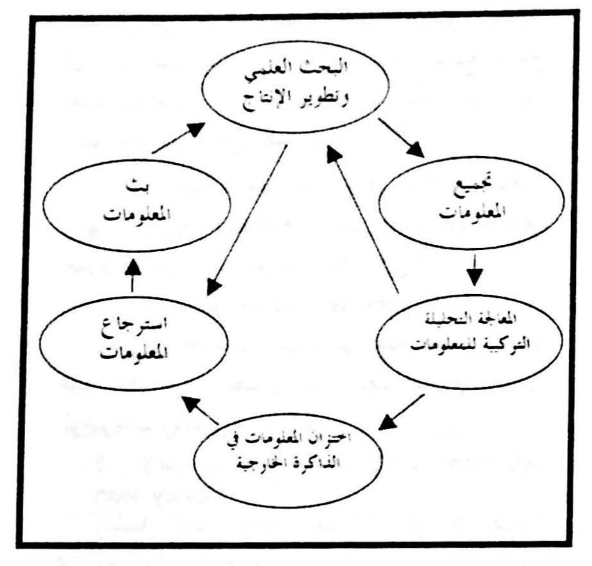
3. إن تحول الدول إلى مرتبة التقدم يعتمد على درجة توافر المكتبات ونوعية المعلومات والخدمات التي تسهل إيصال المعلومات إلى من يحتاجها.

4. إن الخدمات المكتبية تجنبنا التكرار في إجراء البحوث كما أنها تخلق لدينا أفكاراً جديدة باتجاه بحوث أخرى جديدة.

5. إن الاهتمام بخدمات وإدارة المعلومات يؤثر تأثيراً كبيراً على إنتاجية الفرق البحثية.

6. إن المكتبات هي المراكز التي تقوم ببث نتائج البحوث إلى الجهات التي يمكنها الإفادة من تلك النتائج وفي هذا تبرير لإجراء تلك البحوث وبعكسه فإن تلك النتائج ستكون مجرد حبر على ورق ومن هنا نستطيع القول أن للمكتبة وظيفة اتصالية بمعنى تسلم الرسالة (نتائج البحوث) وإرسالها إلى المستفيدين منها.

ويمكن تصوير حالة التعامل في نظام المعلومات كما هو مبين في الشكل التالي الذي يمثل التقارب الوثيق بين إنتاج المعلومات والإفادة منها بدءاً بعمليات تجميع المعلومات ثم معالجتها وتحليلها حتى عمليات بثها وتوزيعها[21] من خلال الخدمات والنشاطات المكتبية، كالخدمة المرجعية والإجابة على الاستفسارات المرجعية، والإحاطة الجارية والبث الانتقائي للمعلومات، والترجمة، والاستنساخ وسواها.




شكل رقم (1) الأنشطة والمراحل التي ينطوي عليها نظام المعلومات

وإيماناً بالدور الذي تؤديه هذه المكتبات في تعزيز البرامج التدريسية والبحثية في الجامعة فقد تنامت أعدادها في مختلف أرجاء العالم، واتسعت خدماتها وتزايد اهتمامها باستخدام الحواسيب وتقنيات الاتصال واستخدام المصغرات والمواد السمعية البصرية وخدمات الطباعة والتصوير و تبادل الإعارة مع المكتبات الأخرى فضلاً عن توفير التسهيلات والمناخ المناسب لإجراءات البحث العلمي، ويمكن التطرق إلى نشاط بعض مكتبات الجامعات الأجنبية والعربية في دعم وتطوير البحث العلمي من خلال الآتي:

أ- نشاط مكتبات الجامعات الأجنبية:

حققت مكتبات الجامعات الأمريكية والأوروبية شوطاً متميزاً في ميدان الخدمة المكتبية والتوثيقية وخدمات البحث العلمي والترجمة وتعليم استخدام المكتبة كما هو الحال في مكتبة جامعة (برادفورد) ومكتبة جامعة (سوث هامبتون) التي حققت دوراً رائداً في ميكنة العمليات المكتبية وقيامها بإجراء البحوث العلمية المشتركة مع جهات عديدة كمدرسة المكتبات في شمال لندن، كما تقوم المكتبة ببحث مشروع البحوث العلمية (بتفويض من المكتبة البريطانية، قسم البحوث والتطوير) في حين تتميز مكتبة جامعة (ساسكس) بوضع برامج تعليم المستفيدين لأنها مكلفة من قبل المكتبة البريطانية، قسم البحوث والتطوير بهذا الموضوع[22].

أما مكتبة جامعة بتسبرغ في الولايات المتحدة ومنها (Hillman library) فيمكن إجمال أهم خدماتها لعموم الباحثين والدارسين من خلال الآتي[23]:

1. الخدمة المرجعية Reference Service

وهي من الخدمات المتميزة التي تقدم للطلبة وأعضاء هيئة التدريس للحصول على المعلومات في مختلف الموضوعات وبأقصى سرعة ممكنة.

2. الإعارة المتبادلة مع المكتبات الأخرى ILL: Inter - Library loan

وتشمل توفير أوعية المعلومات التي لا تضمها مجموعات مكتبات جامعة بتسبرغ، ويستغرق توفيرها في ولاية بنسلفانيا (10– 14) يوماً، أما خارج حدود الولاية فيمكن توفيرها خلال أسبوعين أو ثلاثة.

3. شبكة استرجاع المعلومات المكتبية LIRN: Library Information Retrieval Network

التي تعتمد على استخدام الحواسيب والارتباط بقواعد المعلومات التي تبلغ أكثر من (200) قاعدة معدة للبحث بشكل منظم وسريع، ونظراً لا شتراك مكتبة هلمن (Hillman Lib.) بمركز مكتبات البحث ( cr.l: center for Research Libraries) فإن بإمكان جامعة بتسبرغ الحصول على المواد المكتبية عن طريق الإعارة المتبادلة، ومن أهم هذه المواد: الصحف المصورة على المايكروفيلم، رسائل الدكتوراه الأجنبية، الوثائق الحكومية، المواد الأرشفية، والدورات العلمية.

4. خدمات الوحدة البيلوغرافية المسماة (المصادر المكتبية Library Resources)

والمكتبيون العاملون فيها من الاختصاصين الموضوعين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والخدمة الأساسية التي يقدمونها هي تنمية وتطوير مجاميع المكتبة وخدمة المراجع المتخصصة والمساعدة البيلوغرافية إما بشكل انفرادي أو من خلال التعليم الرسمي النظامي.

فضلاً عن خدمات الاستنساخ والتصوير والمواد السمعية البصرية، والمصغرات والتسهيلات الخاصة بتوفير الأثاث المريح وغرف القراءة لمجاميع صغيرة من الدارسين ورواد المكتبة، وغرف القراءة للمكفوفين، وخدمات إرشاد المستفيدين للحصول على المعلومات وبحث النتاج الفكري.

وتشترك أيضاً مكتبة جامعة الينوي ( Illinois University) في عضوية مركز مكتبات البحوث لتوفير واستخدام أكبر عدد ممكن من المواد المكتبية بضمنها الدوريات العلمية والصحف باللغات الأوروبية والآسيوية، وتضم المكتبة مختلف أوعية المعلومات في العلوم والتكنولوجيا والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذلك تضم المجاميع الخاصة والمواد الأرشيفية والكتب النادرة المحفوظة في غرف خاصة تضم أكثر من (100.000) مجلد، و(17.000) من الأفلام المصغرة، وفي الآونة الأخيرة بذلت جهود كبيرة لتطوير خدماتها وتنمية مجاميعها في العلوم البيئية لدعم حركة البحث العلمي والتعليم في أقسام العلوم الاجتماعية والعلمية، فضلاً عن دعم برامج الدراسات البيئية الجديدة في الجامعة[24].

ولكي تستطيع هذه المكتبات أن تقدم خدمات أفضل إلى البحث العلمي فقد اتجهت إلى تكوين الاتحادات والجمعيات كما هو الحال في تجربة المكتبات البحثية في الولايات المتحدة الأمريكية Research Libraries Group التي أسست في عام 1974م من أربع مكتبات هي جامعات كولومبيا، هارفورد، يل، ومكتبة نيويورك العامة، وكان الغرض من تأسيسها المشاركة في المصادر المكتبية وتشجيع الاقتناء التعاوني وحفظ وتوفير المصادر البحثية واعتماد التقنيات الحديثة في خزن المعلومات وبثها للمستفيدين[25].

ويمكن الإشارة إلى الكثير من نماذج المكتبات الجامعية التي تقدم خدمات المعلومات والبحث الآلي وخدمات الترجمة والإعارة المتبادلة وخدمات الإعلام عن البحوث الجارية والبث الانتقائي للمعلومات كما هو الحال في مكتبة جامعة سرى في المملكة المتحدة والمكتبات الجامعية في رومانيا ومكتبة لوزان في سويسرا. ومكتبة الجامعة الوطنية في المكسيك.

ولا بد من الإشارة هنا إلى التطورات الحاصلة في اتجاه هذه المكتبات وتحولها إلى مكتبات إلكترونية متطورة تزيد من قدرة الباحثين والطلاب على خلق وإنشاء أعمال فكرية جديدة تحتوي على معلومات حديثة ومتنوعة وتتميز بطرق أكثر يسراً بالنسبة للوصول إلى المعلومات واكتسابها، ومن الأمثلة عن هذه المكتبات مكتبة مان بجامعة كورنيل حيث حدد مديرها أهدافها المتمثلة بالمعاونة في إعداد المواطن القادر على المشاركة الإيجابية في مجتمعه وذلك بتوليد المعرفة الجديدة التي تستجيب للاحتياجات العامة المختلفة، وتعتمد المكتبات الأكاديمية الحديثة في تحقيق أهدافها المستقبلية لا على المعلومات المطبوعة وحدها بل على المعلومات الإلكترونية بصفة أساسية، كما أن التوجه الجديد محوره المستفيد كمحطة عمل Workstation، وأن هذه الأخيرة تعني الحاسوب الشخصي للمستفيد المرتبط بالشبكة المحلية، وهذه بدورها ترتبط بالشبكات الإقليمية والوطنية والدولية. وفي إطار هذا التوجه المستقبلي فإن الباحث أو المستفيد يتوقع:

1- تجميع المعلومات الأساسية التي يحتاجها عمله الأكاديمي في الحاسوب الخاص به أياً كان مكانه أو موقعه.

2- دخول عالم المعلومات الإلكترونية من خلال منفذ واحد Single Gateway حيث يقوم هذا المنفذ بتنظيم المصادر المتعددة وتأمين الملاحة بينها،وربط المستفيدين بالمصادر.

3- يكون لدى المستفيد إمكانية الوصول إلى جميع أشكال المعلومات الببليوغرافية والرقمية والنصية والصور الثابتة والمتحركة والمصادر السمعية وغيرها وكذلك إمكانية استرجاعها بسهولة.

4- سيكون من اليسير على غير المتخصصين استخدام هذه المكتبات أيضاً.

وقد قامت مكتبة جامعة كورنيل بمشروعات عديدة لخدمة المكتبة الإلكترونية، ومن بين هذه المشروعات مشروع كور Core لوضع الدوريات الأولية على الخط المباشر. إذ يضم المشروع النصوص الكاملة لعشرين دورية علمية تصدرها الجمعية الأمريكية للكيمياء. فضلاً عن خدمات الاستخلاص والتكشيف لدوريات الجمعية الأمريكية للكيمياء، وتحقيق التعاون مع برامج النشر الإلكتروني للدوريات في برنامج Online Computer Library Center (OCLC) وتسهيل مهمات المستفيدين في هذا المجال[26].

ب- نشاط مكتبات الجامعات العربية:

على نطاق الوطن العربي تم إنشاء بعض مراكز البحوث ووحدات المعلومات في مكتبات جامعية مختلفة تنهض بتقديم الخدمة المرجعية والببليوغرافية والإحاطة الجارية والتكشيف والاستخلاص وخدمات البحث الآلي، وقامت مكتبات أخرى بتأمين الاتصال ببنوك وقواعد المعلومات على المستويين العربي والعالمي كما هو الحال في مكتبة جامعة وهران بالجزائر، ومكتبة جامعة بغداد، ومكتبة جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية[27]. وقد عملت هذه المكتبة على دعم برامج التعليم والبحث في الجامعة من خلال توفير مختلف مصادر المعلومات وحققت ارتباطها المباشر مع مؤسسة knight ridder Information Inc في الولايات المتحدة الأمريكية فمكنتها هذه العملية حرية الوصول إلى أكثر من (450) قاعدة بيانات في مختلف صنوف المعرفة. ونظراً لارتفاع تكاليف الاتصال المباشر من خلال هذه العملية ارتأت المكتبة في نهاية عام 1992م الاشتراك بعدد من قواعد البيانات المنشورة على الأقراص المكتنزة (CD- ROM) لتقليص التكاليف وتوفير قواعد البيانات المطلوبة فقط وبأيسر الطرق[28].

وكذلك عملت عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز على تأمين الاشتراك في أربع وعشرين قاعدة معلومات ببليوغرافية، فضلاً عن ذلك فقد أنشأت شبكة

محلية للأقراص المكتـــزة تحتوي على ثمان وعشرين قاعدة معلومات خدمة لأغراض البحث العلمي في الجامعة[29].

وتسعى مكتبات الجامعة اللبنانية إلى التقدم خطوات في مجال تفعيل دورها في خدمة البحث العلمي، ورغم كل الذي واجهته خلال الحرب فيهي مؤسسة حاضرة وبقوة بين مختلف المؤسسات الأكاديمية الأخرى من حيث عدد طلبتها أو من حيث عدد أفراد الهيئة التعليمية الذين أيضاً يمثلون أكثر من 50٪ من الأساتذة في لبنان. وقد اتخذت الجامعة اللبنانية مبنى خاصاً لمكتبة جامعية مركزية موحدة لكل الكليات تتطابق من حيث المساحة وهندسة البناء والمواصفات القياسية العالمية، واستطاعت بعض مكتبات الجامعات اللبنانية أن تحقق الاتصال ببنوك وقواعد المعلومات العالمية من خلال:

أ- المجلس الوطني للبحوث العلمية وهو المتصل بشبكة الإنترنت العالمية في شباط 1996م وقد وضع بتصرف كليات الجامعة اللبنانية أربع كليات، أما بقية الكليات فتتبع لاحقاً هذا الاتصال بالإنترنت.

ب- عن طريق خدمة AUPELF:

ويمكن من خلالها استعمال البريد الإلكتروني وأيضاً استشارة نحو (15) قاعدة معلومات في ميادين مختلفة، ولقد أفاد من هذه الخدمة حتى الآن عشر كليات، وتوفر هذه القواعد حوالي (25) مليون مرجع (إشارة ببليوغرافية) أما المراجع الأصلية فيمكن الحصول عليها بثمن يتروح بين (2-7) فرنك فرنسي للصفحة الواحدة بناء على طلب المستفيد[30].

أما بالنسبة لمكتبة جامعة البحرين التي أسست مع بداية الجامعة عام 1988م فتعد من المكتبات الكبيرة من حيث حجم المقتنيات والعاملين وأفضل مكتبة من حيث التنظيم وطبيعة الخدمات في دولة البحرين، وتتكون حالياً من مكتبتين هما:

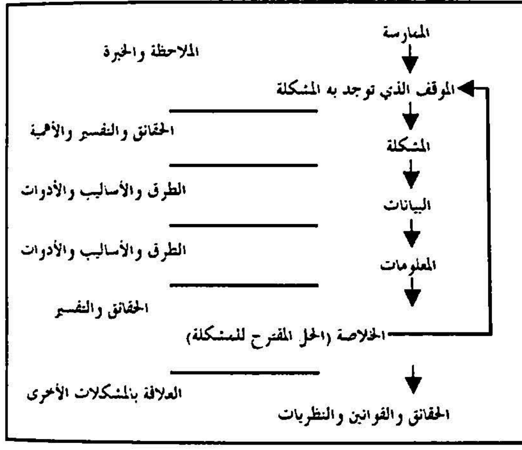
1. المكتبة الرئيسية: وهي مكتبة الحرم الجامعي في الصخير وتضم جميع المصادر والمقتنيات التي تخص كليات الآداب والتربية وإدارة الأعمال وتبلغ مساحتها حوالي خمسة آلاف متر مربع وتتسع لأكثر من ألف مستفيد.

2. المكتبة الفرعية: في مدينة عيسى، وتضم جميع المصادر والمقتنيات التي تخص كليات العلوم والهندسة، وتزيد مساحتها عن خمسة آلاف متر مربع، وتتسع لأكثر من 900 مستفيد.

وتقتني مكتبة جامعة البحرين حوالي 160 ألف مجلد. وتشترك في حوالي 1800 مطبوع دوري، وتشترك في 85 قاعدة معلومات مخزنة على أقراص (CD- ROM)، كما وضعت المكتبة نظاماً للاتصال بجهات تزويد المكتبة بالمعلومات لخدمة الإعارة بين المكتبات باستخدام البريد الإلكتروني عبر خدمة شبكة الإنترنت، حيث يتم طلب الوثائق والبحوث تجمع المستفيدين بسرعة وسهولة. وتعمل هذه المكتبة حالياً على دراسة مدى الإفادة من خدمات الإنترنت للتزود بالكتب والرسائل الجامعية بطرق أكثر فاعلية وجودة وأقل تكلفة من الطرق التقليدية المتبعة لخدمة أغراض البحث العلمي[31].

## خامساً: سلوك الباحثين وحاجتهم للمعلومات ودور المكتبي:

إن ما يشغل الباحث العلمي هو العمل على حل مشكلاته الفكرية التي لا تنقطع من خلال السعي الحثيث لجمع المعلومات عن الظاهرة المراد بحثها وبمختلف الوسائل واختيار المنهج العلمي المناسب وصياغة الفروض وتبويب المعلومات وفرزها وتحليلها واستخلاص النتائج. وباستخدام المصطلحات وبطريقة التحليل التي وضعها رافتس (Ravetz) يمكننا توضيح الخطوات الأساسية لأي مشروع بحث وكما هو موضح في الشكل الآتي[32] ويظهر من

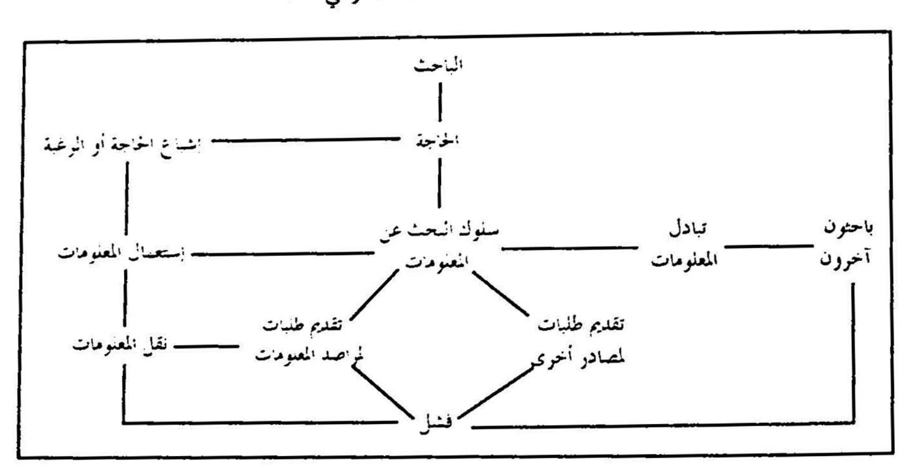



شكل رقم (2) خطوات البحث

خلال الشكل أن الملاحظة والخبرات المكتسبة من الحياة العملية أو التطور الداخلي للعلوم يؤدي إلى اكتشاف المواقف والحالات العملية التي تمثل مشكلات فكرية. ويقوم الباحث في هذه المرحلة بتحسس الحقائق والشواهد والأدلة لمعرفة ما إذا كان بالإمكان التوصل لوضع حل للمشكلة وتحديدها بشكل يمكن دراسته عمليا وتقدير مدى أهميتها بالنسبة للممارسة أو النشاط العلمي. وبمجرد تحديد المشكلة ينهض بعملية جمع البيانات. ولكي يخطط لدراسته يكون من الضروري الإلمام بالطرق والأساليب والأدوات. وعليه بعد جمع مادته القيام بتجهيزها بالتحليل فيما يسميه رافتس (المعلومات) وتتطلب هذه العملية أيضا اتباع بعض الطرق والأساليب الإحصائية واستخدام تقنيات المعلومات كبرامج الحاسوب الإحصائية على سبيل المثال، وللخروج بحل للمشكلات فإن الباحث يعتمد على تحليل المعلومات والمقارنة والتوصل إلى النتائج واختبارها واستخدامها كدليل إلى أن تحظى في نهاية المطاف بالقبول من جانب الأوساط العلمية على اعتبارها حقائق أو قوانين أو نظريات جوهرية.

ويتفاوت سلوك الباحثين في الوصول إلى المعلومات التي يحتاجونها في إجراء بحوثهم ودراساتهم. ويعود ذلك إلى خبرة الباحثين وتجاربهم في تقصي الحقائق والبحث عن المعلومات، فبعضهم مازال يستخدم الطرق التقليدية رغم معرفتهم بتوفر أساليب وتقنيات حديثة تسهل الوصول إلى المعلومات والإفادة منها. في حين يوظف البعض الآخر التكنولوجيا ويعدها عنصرا أساسيا في إجراء البحوث ومتابعة التطورات في مجال اختصاصه مما ينعكس على مجرى سير البحوث من حيث الدقة وسرعة الإنجاز وتنظيم وتبويب المعلومات والبيانات بما يتيح السيطرة الكاملة على عناصر البحث ومعالجة المشكلة المراد دراستها. وقد اهتمت الدراسات بالإتصال العلمي وسلوك الباحثين. ومن بين هذه الدراسات دراسة هافلك (Havelock) التي صور فيها سلوك الباحثين وسعيهم لسد حاجتهم من المعلومات على وفق دورة مستمرة الحركة لتحقيق حالة الإشباع لديهم نظرا لتجاوز المشكلة وإيجاد الحلول المناسبة لها. أما ولسن (Wilson) فيرى أن سلوك البحث عن المعلومات قد يتخذ أشكالا متنوعة. فقد يلجأ الباحث إلى أحد مراكز المعلومات أوقد يلجأ إلى أقرانه الباحثين الآخرين لتبادل المعلومات والخبرات معهم. وفي كلتا الحالتين قد لا يتوصل إلى ما يبتغيه مما يدعوه إلى تكرار البحث عبر قنوات عديدة في الوصول إلى المعلومات. ويوضح الشكل التالي سلوك البحث عن المعلومات كما يراها ولسن[33].

أما وليم جارفي وزملاؤه فقد أشاروا في دراسة لهم عن المستفيد الدينا ميكي من المعلومات العلمية إلى إختلاف احتياجات الباحثين من المعلومات في مختلف مراحل البحث من خلال تحديد ثلاث مراحل أساسية للبحث وهي[34]:




شكل رقم (3) سلوك البحث عن المعلومات

1. في المرحلة المبكرة لاي عمل علمي يحتاج الباحث إلى معلومات تساعده في تصور مشكلته وتحديد الإجراءات المناسبة لبحثه ، كما أنه يحرص على وضع بحثه في سياقه المناسب مع غيره من البحوث الجاريه التي انجزت حديثا، لذلك نراه يلجأ إلى الدوريات وبحوث المؤتمرات والمستلات والكتب.

2. في المرحله الوسطى تصبح احتياجات الباحث أكثر تحديدا فهو يحتاج على سبيل المثال إلى معلومات عن الأساليب والطرق والمناهج والتجهيزات وجمع البيانات، والتصاميم، وغيرها، ويلجأ الباحث في هذه المرحلة إلى التقارير الفنية والكتب والطبعات المبدئية وآراء الزملاء من داخل المؤسسة أو الحقل الذي ينتمي اليه.

3. أما المرحلة النهائية فإن احتياجات الباحث تتجه نحو الرصيد الكامل للمعرفة العلمية متوخيا الحرص على تفسير بياناته تفسيرا كاملا وربط نتائجه بالوضع الراهن للمعرفة العلمية لمجال تخصصه لذلك نراه يتجه إلى الدوريات وآراء ومقترحات الباحثين خارج المؤسسة التي يعمل بها.

نتيجة لهذه الإحتياجات والجهود المستمرة في ميدان البحث العلمي يأتي دور المتخصصين في مجال المعلومات والمكتبات وبخاصه العاملين منهم في المكتبات الأكاديمية والبحثية للمساهمة في تقديم المعلومات والتسهيلات من خلال دراسة أنماط وسلوك العلماء والباحثين، من أجل التعرف على احتياجاتهم واهتماماتهم في مراحل البحث المختلفة، ومن خلال التفاعل بين جهود هاتين الفئتين (المكتبين والباحثين العلميين) يمكن تقديم معلومات فعالة.. ويتجلى دور المكتبيين في ذلك من خلال الحصول على المعلومات عامة عن فئات الوسط العلمي والإحتفاظ بسجلات مفصلة عن أنشطتهم واهتماماتهم العلمية ومن خلال هذه النشاطات والتوجهات التي ينهض بها المكتبي تتحقق له أهداف عديدة منها[35]:

1. يتيح للمكتبي فرصة إعداد تقرير مبدئي لنطاق أنشطة الاتصال العلمي وتواتر حدوث هذه الأنشطة.

2. يلقي الضوء على العلاقة بين هذه الأنشطة والجهود العلمية لمن أحتفظوا بسجلات لأنشطتهم.

3. يتيح للمكتبي القدرة على صياغة الفروض العلمية حول طبيعة ما يصادفه هؤلاء العلماء من مشكلات في تبادل المعلومات العلمية.

4. يساعد في تحديد فئات أنشطة تبادل المعلومات كتمهيد لإجراء دراسات مسحية أكثر دقة للإتصال العلمي بين عينات كبيرة ومتنوعة من العلماء والباحثين.

وقد تناولت العديد من الدراسات الإحتياجات المعلوماتية للباحثين وتبين أن هناك أرتباطا وثيقا بين مفهوم استخدام المعلومات ومفهوم الحاجة اليها فقد أشار مورز (moores)[36] إلى أن احتياجات المستفيدين تختلف من شخص لآخر، ومن فئة لأخرى، وقد تتغير من وقت لآخر، كما تختلف هذه الحاجات تبعا للوقت والمستفيد، والغرض والمكان، ويرى أن نجاح المكتبات ومراكز المعلومات يعتمد على مدى توفر الخدمات التي تلبي مختلف احتياجات المستفيد، ويشير دير (derr)[37] إلى أن الحاجة المعلوماتية هي الحالة التي تستخدم فيها معلومات محددة لإنجاز هدف معلوماتي مقبول ويوضح أن هناك حالتين ينبغي توافرهما للدلالة على وجود حاجة معلوماتية وهما:

1. أن يتوافر هدف معلوماتي.
2. أن تؤدي المعلومات التي يبحث عنها إلى تحقيق الهدف.

وقد اظهرت الدراسات المختلفة أن الإحتياجات والدوافع لها أثر كبير في إستخدام الفئات المستفيدة للمعلومات وفي الوسط الأكاديمي تتعدد النشاطات البحثية لدى أعضاء هيئة التدريس بين تأليف كتاب أو أجراء دراسة ميدانية، أو الإشراف على رسالة علمية، أوتقديم بحث أو مراجعة علمية أو الإشتراك في لجان مناقشة الرسائل الجامعية أو في تحكيم ابحاث الترقيات أو تحكيم أبحاث الدوريات العلمية، وجميع هذه النشاطات من شأنها أن تؤدي إلى زيادة احتياجات هذه الفئة من الباحثين للمعلومات المتاحة، ويبدو من خلال معظم الدراسات التي أجريت في المؤسسات الأكاديمية أن دوافع استخدام أعضاء هيئة التدريس لمصادر المعلومات إما أن تكون دوافع تدريسية أو بحثية أو دوافع تدريسية

وبحثية معا، وقد تظهر دوافع أخرى كالاطلاع والثقافة العامة ومهما كانت هذه الدوافع والاحتياجات فإنه يتحتم على المكتبات الجامعية العمل على تحقيقها[38].

ويمكن القول بأن الدور الذي ينهض به المتخصصون في المكتبات والمعلومات سيكون كبيرا في إدراك أنماط الاتصال الخاصة بالباحثين والتعرف على فئاتهم والعوامل الديموغرافية الخاصة بهم والأوساط التي يعملون فيها وتعيين مصادر المعلومات الأكثر استخداما والباحثين الأكثر استخداما أيضا والأقل استخداما والذين لايستخدمون المكتبة وأسباب ذلك وتباين السبل التي يسلكها الباحثون في التوصل إلى المعلومات ومشكلاتهم البحثية وغير ذلك من العوامل التي تتراوح ما بين عوامل شخصية ونفسية وبيئية لغرض وضع خطط وسياسات معينة لتسويق الخدمات المكتبية والمعلوماتية ووضع البرامج التي تؤدي إلى الاستخدام الفعال للمكتبات ومصادر المعلومات في هذا النوع من المكتبات[39].

النتائج:

من خلال ما تقدم نستطيع إجمال نتائج الدراسة بالآتي:

1. تضطلع المكتبات الجامعية بدور متميز في النهوض بالعملية التعليمية والتربوية، وتعزيز البرامج التدريبية والبحثية في الجامعات لكونها مركز معلومات متطور يعنى بعمليات التجميع والاختيار والاختزان والتحليل والاسترجاع والنشر بما يتناسب واحتياجات ومتطلبات الباحثين المتخصصين وعموم المستفيدين.

2. حققت مكتبات الجامعات الأمريكية والأوربية تقدماً واضحاً في ميادين الخدمات المكتبية المعلوماتية، وإدخال البرامج التعليمية الخاصة بإستخدام المكتبة، واستثمار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة في توفير خدمات معلومات جديدة لدعم حركة البحث العلمي، وتسهيل مهمات الباحثين في الحصول على المعلومات بأقصى سرعة ممكنة، وبأقل جهد ممكن.

3. لكي يكون باستطاعة هذه المكتبات أن تقدم خدمات فضلى في مجال تطوير البحث العلمي في المؤسسات الأكاديمية فقد اتجهت إلى تكوين الجمعيات والاتحادات لاقتناء ثمار هذه المشروعات التعاونية كما هو الحال في مركز المكتبات المحوسبة على الخط المباشر (OCLC) وشبكة مكتبات ولاية واشنطن (WLN)، وشبكات المكتبات البحثية في الولايات المتحدة الأمريكية (RLG)، وكذلك مشروع مكتبات برمنغهام التعاوني في بريطانيا (PMCLB) وغيرها من المشروعات التي كان لها أهميتها في تشاطر مصادر المعرفة، والإعارة المتبادلة، وتقديم الخدمات المعلوماتية المتطورة، وإتاحة قواعد المعلومات المختزنة على الأقراص الليزرية المختلفة، أو المتوافرة من خلال خدمات البحث بالاتصال المباشر (Online).

4. يتفاوت سلوك الباحثين في الوصول إلى المعلومات التي تلبي رغباتهم واحتياجاتهم المتنوعة. كما تختلف الأساليب والطرق التي يتبعونها في جمع البيانات والاتجاه نحو الخزين المتنامي للمعرفة العلمية، ونتيجة لهذه الجهود يأتي دور المتخصصين في مجال المعلومات والمكتبات الأكاديمية والبحثية الذين يلقى على عاتقهم الدور الأكبر في تقديم العون وتسهيل مهمة البحث العلمي وذلك بدراسة أنماط وسلوك المستفيدين، والتعرف على فئاتهم واحتياجاتهم، وتبيان أفضل الطرق التي يمكن أن يسلكها الباحثون في الحصول على المعلومات، وتحقيق الاستخدام الأمثل للمكتبة.

5. اتجاه المكتبات الجامعية في مختلف أرجاء العالم وتحولها إلى مكتبات إلكترونية متطورة تستجيب للاحتياجات المعلوماتية المتنوعة وتوفير قنوات إلكترونية ومنافذ شتى سريعة للحصول على مختلف المعلومات الببليوغرافية والرقمية، والنصية، وإمكانية استرجاعها بسهولة، ووضعها في خدمة المستفيدين.

6. اتجهت بعض المكتبات الجامعية على نطاق الوطن العربي إلى الاهتمام بحوسبة أعمالها وإجراءاتها المكتبية، وتوفير قواعد البيانات المنشورة على أقراص (CD- ROM) وإدخال خدمات الإنترنت لتفعيل دورها في مساندة العملية التعليمية في الجامعة وتطوير آفاق البحث العلمي.

7. بالرغم من هذه التطورات التي شهدتها بعض المكتبات الجامعية في أرجاء مختلفة من الوطن العربي، إلا أن أغلب مكتباتنا الجامعية لا تزال تعاني من مشكلات عديدة يمكن إجمالها بالآتي:

أ. النقص الكبير في القوى العاملة المؤهلة.

ب. قلّة التقنيات والأجهزة الحديثة المستخدمة في إجراءات الأعمال المكتبية، وإنجاز وظائف المكتبة على الوجه الأمثل.

ج. ضعف البرامج التعاونية بين المكتبات الجامعية على مستوى المدينة أو الدولة، أو على النطاق العالمي.

د. عدم توافر المقومات الأساسية لأماكن ومباني هذه المكتبات ومطابقتها للمعايير العالمية.

ه. النقص الحاد في ميزانيات هذه المكتبات.

و. أغلب مقتنيات هذه المكتبات من المصادر التقليدية، فضلاً عن عدم كفايتها وتحديثها بما يتوافق مع إعداد الطلبة وتنامي الاحتياجات المعلوماتية المتنوعة للطلبة وأعضاء هيئة التدريس في الجامعة.

ز. نقص الثقافة المكتبية وضعف استخدام المكتبة لدى جمهور المكتبة الجامعية.

ح. لا توجد سياسات واضحة ومكتوبة لبناء وتنمية المجموعات المكتبية.

ط. اقتصارها على تقديم الخدمات التقليدية كالإعارة والإجابة على بعض الأسئلة والاستفسارات المرجعية.

ي. قلة استخدام وتطبيق النظم الآلية الحديثة.

## سادساً: مقترحات لتطوير المكتبات الجامعية وتعزيز دورها في تطوير البحث العلمي:

يمكن الإفادة من المقترحات والحلول الآتية لتطوير المكتبات الجامعية وبخاصة المكتبات الجامعية العربية وتعزيز دورها في تطوير البحث العلمي وتلبية احتياجات الباحثين والدارسين من خلال الآتي:

1. ضرورة توجه هذه المكتبات لمواجهة الانفجار المعرفي وتحقيق عنصر السيطرة على المعلومات من خلال التعاون بين المكتبات الجامعية:

سواء بين المكتبات المركزية ومكتبات الكليات في الجامعة الواحدة أو بين المكتبات الجامعية على المستوى القطري أو القومي أو العالمي من خلال ربط المكتبات والجامعات ببنوك وشبكات المعلومات العالمية والإفادة من أساليب الفهرسة والتعاونية والأعمال البليوغرافية والخدمات الأخرى التي توفرها بعض النظم التعاونية مثل مركز المكتبات المحوسبة على الخط المباشر (OCLC) في الولايات المتحدة الأمريكية ومجموعة مكتبات البحث (RLG) وهي من أصغر شبكات المعلومات في الولايات المتحدة في عدد الأعضاء ولكنها أكثر فاعلية وأداء وكذلك الحال في كندا التي تعد من الدول المتقدمة في مجال شبكات المعلومات... وربما كانت أو تلاس (UTLAS) وهي شبكات مكتبات جامعة تورنتو الآلية من أوسع هذه المكتبات فيها وترتبط بها ما لا يقل عن مائتي مكتبة[40].

ومن هذه النظم أيضاً مشروع مكتبات برمنغهام التعاوني في بريطانيا (PMCLB) الذي يضم في عضوية المكتبات الأكاديمية والعامة في منطقة برمنغهام، ومعظم هذه النظم التعاونية المؤتمتة كانت لها منافعها ومساهماتها الأساسية في إدراك أهمية المكتبة الإلكترونية في تقديم خدمات مكتبية ومعلوماتية متطورة مثل تبادل الإعارة مع المكتبات الأخرى وتقديم خدمات الإحاطة الجارية والبث الانتقائي للمعلومات وخدمات تسليم الوثائق الإلكترونية، وتسهيلات قواعد البيانات المختزنة على الأقراص المكتنزة مما يمهد الوصول السريع إلى مصادر وخدمات معلومات حديثة ومتنوعة[41].

2. اقتناء مجموعة غنية ومتكاملة من مصادر المعلومات المختلفة:

التي تخدم الأغراض التعليمية والدراسات العليا سواء كانت هذه المصادر تقليدية كالكتب والمراجع والدوريات والتقارير العلمية والرسائل الجامعية أو مصادر معلومات الكترونية متطورة مثل البحث الآلي (ON- Line) وتقنية الأقراص المكتنزة (CD- ROM) التي أصبحت منافساً قوياً للبحث المباشر، وتمثل المكتبات الجامعية في الوقت الحاضر أكبر مستخدم لهذه الأقراص، فقد أظهرت بعض الدراسات أن 80% من مستخدمي هذه التقنية في جميع أنحاء العالم هم المستفيدون من خدمات المكتبة الجامعية[42].

فضلاً عن توفير نظم استرجاع النصوص والأوعية الفائقة أو المترابطة مثل النص الفائق الهايبر تكست (Hypertext) والهايبر ميدياً (Hypermedia) والوسائط أو الأوعية المتعددة (Multi-Media) والتي تمثل أحدث أنواع نظم استرجاع المعلومات المترابطة. وهي التكنولوجيا التي تمزج النصوص بالأصوات والصور الثابتة والمتحركة فتمنحنا برامج شبيهة بالأفلام السينمائية أو تسجيلات الفيديو، ويبدو أن هناك ترادفاً في مفاهيم هذه المصطلحات وبخاصة بين مصطلحي (multi- media) و (hyrermedia) لا ستخدامها مع الحواسب وتطبيقاتها، ولم يكن ذلك مشتملاً على النصوص فحسب وإنما البث الصوري والصوتي وربط أجهزة الفيديو والتسجيلات الصوتية مع الحواسب الشخصية للدلالة على الطرق المتعددة لمخرجات سمعية وبصرية ثابتة ومتحركة ومتفاعلة مع بعضها الآخر ومعتمدة على تقنية الأقراص الضوئية (optical disks) أما بالنسبة لمصطلح (hypertext) فقد أرتبط كلياً مع الحواسيب وتطبيقاتها على النصوص المكتوبة فقط والنشر الإلكتروني[43].

وفي مجال بناء هذه المجموعة المكتبية يكون من الضروري وضع سياسة واضحة ومكتوبة تأخذ في الحسبان أنواع مصادر المعلومات وما يتعلق منها بالحداثة والتنقية المستمرة ولا بد لإدارة المكتبة التوجه إلى إجراء دراسات تقيميه منظمة ودقيقة لهذه المجموعات لتحديد نواحي القوة والضعف فيها وتحديد مستوى التغطية فيها وأن تلبي احتياجات المستفيدين والأهداف الخاصة بالمكتبة والجامعة.

وقد حددت بعض الدراسات معايير خاصة لذلك كالمعايير التي قام بإعدادها كل من كلاب (clapp) وجردان (gordan) وقد أوضحت هذه المعايير أن يكون الحجم المبدئي للمجموعات (70750) مجلداً يضاف لها أعداد أخرى حسب عدد أعضاء هيئة التدريس وعدد الطلبة والتخصصات وبرامج الدراسات العليا. أما معايير جمعية مكتبات الكليات الأمريكية فتقترح أن تبدأ المجموعة الأساسية بالمجموعة (850.000) مجلدا يضاف لها أعداد أخرى حسب التخصصات والدرجات العلمية وسواها. ورغم أهمية هذه المعايير في تقسيم مجموعات المكتبة الجامعية إلا أن هناك بعض المآخذ عليها كافتقارها إلى الدقة والوضوح واعتمادها على الرؤية الشخصية للقائمين بأعدادها كما أنها تركز على البيانات العددية دون إيضاح محتويات نوعية هذه المجموعات[44].

إلا أنه ينبغي التأكيد هنا على أن المكتبات الجامعية الحديثة لم تعد تفتخر بحجم مجموعاتها ولكنها تفتخر بإمكانية الوصول إلى مطبوع أو وسط إلكتروني من أي بقعة في مختلف أرجاء العالم.

3. العمل على تنظيم مجموعات هذه المكتبات من خلال إجراءات الفهرسة والتصنيف وإعداد الفهارس والكشافات وعمل المستخلصات والببليوغرافيات: التي تسهل مهمة الوصول إليها والإفادة منها. لأن عدم قدرة المكتبة على إعداد وتنظيم مجموعاتها وفق النظم والأساليب المتطورة يؤدي إلى تقليل استخدامها وتقليص فرص الإفادة منها في إجراءات البحوث والدراسات العليا في الجامعة.

4. الاهتمام بالإشراف على إعداد برنامج يهتم بشكل فعال بنشر الرسائل الجامعية القيمة وإصدار الدوريات المتخصصة وتحضير وتسهيل مهمات بحوث ومؤلفات أعضاء الهيئة التدريسية لما لهذه المطبوعات من أهمية بالغة في محتوياتها ونتائجها وحداثة معلوماتها كما أن بعضها يمثل العملة الصعبة التي تستخدمها المكتبات الجامعية في عملية تبادل المطبوعات مع المكتبات والمؤسسات الأخرى التي يصعب الحصول عليها عن طريق الشراء.

5. العمل على حوسبة المكتبات الجامعية وإعطاء ذلك الأولوية في خطط الجامعات وإدخال تقنيات المعلومات، والاتصالات الحديثة لإنشاء شبكات المكتبات الجامعية التي تشكل نقطة الانطلاق نحو الشبكة الوطنية للمعلومات على مستوى كل قطر أو دولة فضلاً عن التوجه لإدخال الإنترنت إلى المكتبات الجامعية وللإفادة من إمكاناتها الكبيرة في تقديم الخدمات المرجعية والمعلوماتية، ولغرض مواكبة التطورات العلمية والتقنية

التي يشهدها عالم المكتبات والمعلومات وبخاصة في مختلف أنواع التحولات الكبيرة في مجال النشر الإلكتروني.

ويمكن إضافة نقاط أخرى وهي[45]:

أ- تحتاج إجراءات المكتبات ومراكز المعلومات إلى استثمار تقنيات الاتصال الحديثة في إنجاز الأعمال الإدارية والفنية بالسرعة والكفاءة المطلوبتين مثل إجراءات التزويد والفهارس الموحدة وسواها.

ب-التعاون بين المكتبات ومراكز المعلومات يحتاج إلى تقنيات معلومات واتصالات مؤثرة ومتطورة لتبادل المعلومات وإنشاء شبكات المعلومات التعاونية الوطنية والإقليمية والعالمية.

وقد أدى ظهور هذه التقنيات إلى استخدامها وتوظيفها في مجالات وخدمات مختلفة في حقل المكتبات والمعلومات كاستخدامها في تسهيل مهمات الإعارة والخدمات المرجعية وضبط الدوريات، ووظائف وأعمال التزويد، وإعداد الفهارس وإخراج الكشافات والبث الانتقائي للمعلومات، وخدمات الإحاطة الجارية، وخزن المعلومات واسترجاعها وبثها للباحثين وعموم المستفيدين.

6. تحقيق التعاون الإيجابي بين أمين المكتبة الجامعية وأعضاء الهيئة التدريسية: والذي من شأنه أن يقود إلى تحقيق نتائج مثمرة بخصوص تشجيع الطلبة وحثهم على كتابة البحوث والتقارير في مختلف مجالات المعرفة وتوجيههم وراشادهم إلى الطرق الصحيحة لكتابة البحث مما يحفز فيهم حب العمل والاندفاع لاستخدام المكتبة والإفادة من مصادرها وخدماتها.

7. توفير الموقع والمبنى المناسب لإجراءات البحث العلمي وتقديم التسهيلات للباحثين والدارسين مثل (قاعات المطالعة، الرفوف المفتوحة، الكتب المحجوزة، الأثاث المريح، معارض لبيع الكتب) وغير ذلك من المستلزمات الضرورية التي تنمي حب القراءة والإطلاع وتوفر جهد ووقت المستفيدين.

8. تقديم خدمات معلومات جديدة ومتطورة مثل الإحاطة الجارية والبث الانتقائي للمعلومات، وإعداد البيليوغرافيات والمستخلصات والكشافات، والاهتمام بتعزيز الخدمات الإعلامية:مثل برامج خدمات المكتبات الجامعية وكسب جمهور المستفيدين.

ويمكن تحقيق ذلك من خلال تزويد أعضاء الهيئة التدريسية والباحثين الآخرين بنشرة الإحاطة الجارية بصفة مستمرة وتصوير قوائم محتويات الدوريات التي تلبي اهتماماته البحثية وتمرير أو تداول الدوريات العلمية ويتم ذلك من خلال تكوين ملفات خاصة لكل باحث تمثل اهتماماته ونوعية المعلومات التي يرغب الحصول عليها لغرض مضاهاة ذلك بملف الوثائق أو مصادر المعلومات التي تقتنيها المكتبة وتقديم ما يتفق واحتياجات كل باحث.

9. إعداد وتدريب المكتبيين لكي يكونوا على درجة من المهارة والتخصص، وقد تغيرت النظرة إلى المكتبي وتغيرت مهامه ووظائفه واصبح قادراً على التحكم بالمعلومات، وتنامي تقدير المجتمع لهذا المتخصص الذي أصبح يطلق عليه (اختصاصي المعلومات) و(ضابط المعلومات) و(مستشار المعلومات) وغير ذلك من التسميات.

10. تعليم الطلبة والباحثين كيفية استخدام المكتبة لتنمية قدراتهم ورفع كفاءتهم في الحصول على المعلومات وتقصي الحقائق وكذلك التركيز على خدمات التوجيه والإرشاد وكيفية استخدام كتب المراجع وبحث النتاج الفكري. ومن الجدير بالذكر أن البرامج التعليمية الخاصة باستخدام المكتبة أصبحت من أهم الموضوعات التي تحظى باهتمام كبير وبخاصة في المكتبات الجامعية لأسباب عديدة منها[46]:

أ- انفجار المعلومات وتدفقها وتنوع أوعية المعلومات.

ب- الجامعة الخفية (Invisible University) والتي تعني الحصول على المعلومات اللازمة للبحث العلمي عن طريق التبادل بين العلماء في مختلف أنحاء العالم، وتجميع المعلومات بطريقتهم الخاصة، وقد تزايد نمو هذه المجاميع والنشرات والمستلات التي تضم العديد من الحقائق العلمية التي لم يسبق نشرها.

جـ- الجهل بالمعلومات المنشورة وقد أثبتت العديد من الدراسات أن الكثير من العلماء والباحثين فشلوا في الحصول على المعلومات ولم يكن لديهم القدرة والسيطرة

التامة على النتاج الفكري في حقول تخصصاتهم وعدم معرفتهم باكتشاف المعرفة والحصول على المعلومات، وقد اهتمت الكثير من الجامعات في الدول المتقدمة بوضع البرامج التعليمية لغرض التعرف على المكتبة والإفادة من مصادر المعلومات في تنمية البحث العلمي لدى الطلبة والتدريسين متبعة في ذلك شتى الطرق والأساليب كالتوجيه والإرشاد والقاء المحاضرات وطبع الأدلة الإرشادية والتعليم بالوسائل السمعية البصرية، وتدريس المكتبة وأصول البحث كمادة مستقلة ضمن المنهج الدراسي.

11. إنشاء قواعد بيانات محلية لإبراز النشاطات والإسهامات العلمية للباحثين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعة، فعلى سبيل المثال يمكن إنشاء قواعد بيانات خاصة بالرسائل العلمية التي تجيزها الجامعات وكلياتها المختلفة، وقاعدة بيانات البحوث الجارية، وقاعدة بيانات المخطوطات والكتب النادرة، وقاعدة بيانات للدراسات المنشورة بالدوريات العلمية لكليات الجامعة ومعاهدها ومراكزها العلمية والبحثية.

12. إعطاء أهمية أكبر لأقسام المراجع في المكتبات الجامعية والبحثية ورفده بامهات المراجع الأساسية العربية والأجنبية وتوفير أمناء المراجع المؤهلين القادرين على أداء هذه الخدمة.

وتستدعي طبيعة العمل في هذا المجال وجود غرفة للعمل المرجعي References Work Room لإنجاز العديد من المهام والنشاطات التي يتطلبها أداء الخدمة المرجعية مثل بحث النتاج الفكري، وإعداد البيليوغرافيات والكشافات والمستخلصات وسواها من الوظائف الأخرى المتعلقة ببحوث واحتياجات الباحثين وينهض هذا القسم في المكتبات الجامعية والبحثية بتعليم الطلبة وأعضاء الهيئة التدريسية في كيفية استخدام المكتبة ومجموعاتها المرجعية، فعلى سبيل المثال، قامت المكتبات الجامعية في نورث كارولينا (Carolina North) وجامعة ريتشموند ((Richmond بولاية فرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية بتطوير نظام اتصالي يحقق حالة التعاون الجماعي بين فريق من أعضاء هيئة التدريس في التخصصات العلمية المختلفة واختصاصي المراجع في المكتبة والإفادة من مقتنياتها ومراجعها الأساسية. وعنت بعض مكتبات الجامعات أحد موظفي قسم المراجع للقيام بمهمة الترابط بين الخدمات المرجعية والبرامج التدريسية والبحثية واختيرت فترة العطلة الصيفية لتقديم برامج مكثفة لتجديد وتنشيط معلومات المستفيدين من الموظفين وأعضاء الهيئة التدريسية. وكذلك يستخدم المراجع في مكتبة معهد ماساشوستي للتكنولوجيا (MIT) In stitute of Technology Massachassets المواد السمعية في هذه البرامج التعليمية، فضلاً عن إلقاء المحاضرات، وإعداد الكتيبات والأدلة الإرشادية. وكان لهذه الاستخدامات نتائجها المثمرة والإيجابية (47).

ولغرض تفعيل هذه الخدمات وتطويرها ينبغي لأمين المراجع في المكتبات الجامعية تنمية مهارات الاتصال والعلاقات العامة لتحقيق التفاعل مع الأوساط الأكاديمية واضعاً نصب عينيه الأهداف الرئيسية للمكتبة، ومن ثم تقديم خدمات فعالة وكفوءة وهذا بحد ذاته يمثل اختباراً حقيقياً لقدراته وتطوير مهاراته في التعامل مع الطلبة وأعضاء هيئة التدريس والباحثين الآخرين (48).

13. العمل على زيادة ميزانيات المكتبات الجامعية لأن ذلك يشكل الحجر الأساسي الذي يحقق للمكتبات تطوير خدماتها وبرامجها وتيسير سبل الحصول على المطبوعات والأثاث والتقنيات الحديثة ومعظم الميزانيات المتاحة لهذه المكتبات في العديد من المكتبات الجامعية في الوطن العربي تكون منخفضة فعلى سبيل المثال، تشير إحدى الدراسات الحديثة أن نسبة ما يخص مكتبة (جامعة القاهرة) من ميزانية الجامعة في تناقص مستمر بالرغم من الارتفاع المطرد في أسعار الكتب والدوريات فبينما بلغت هذه النسبة 3% في عام 1981م / 1982م انخفضت إلى ما يقرب النصف تقريباً في عام 1985/1984م ثم ارتفعت بعض الشيء في عام 1985م / 1986م لتصل إلى 2.35% في حين توصي المعايير العالمية بحوالي 6% من ميزانية الجامعة. وهذا الانخفاض في الميزانية يؤدي إلى ضعف المجموعات. فقد ظهر أن نصيب الطالب من مقتنيات

مكتبات جامعة القاهرة (9.7) مجلداً وهو ضئيل إذا ما قورن بالمعايير العالمية التي توصي أن يكون نصيب الطالب (75) مجلداً(49).

14 تمثيل أمناء المكتبات في مجلس الجامعة أو في مجالس الشؤون العلمية لكي يكونوا على إطلاع تام على مسايرة التطورات والمستجدات في الجامعة ومعرفة القرارات المتخذة في مجال تطوير البرامج التعليمية والخطط المستقبلية.

المصادر حسب ظهورها في البحث:


1. عمر همشري. المرجع في علم المكتبات والمعلومات/ تأليف عمر أحمد همشري،ربحي مصطفى عليان . عمان: دار الشروق، 1979- ص 45- 46.
2. حشمت قاسم. مدخل لدراسة المكتبات وعلم المعلومات. القاهرة: مكتبة غريب (د. ت). ص 104 - 106.
3. محمد فتحي عبد الهادي. المكتبات والمعلومات العربية بين الواقع والمستقبل . القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، 1998 - ص 44- 45.
4. عمر احمد همشري، ربحي مصطفى عليان . مصدر سابق .ص 47 - 48.
5. محمد فتحي عبد الهادي . مصدر سابق . ص 45.
6. أحمد بدر. أصول البحث العلمي ومناهجه . الكويت: وكالة المطبوعات، 1975 - ص1.
7. محمد أزهر السماك (وآخرون) أصول البحث العلمي.- ط2.- أربيل: جامعة صلاح الدين، 1986. - ص 17.
8. أحمد بدر. مناهج البحث في علم المعلومات والمكتبات . الرياض دار المريخ، 1988- ص 17.
9. عامر إبراهيم قنديلجي. البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات.- بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1992- ص 37 - 40.
10. ناصر الدين الأسد: " الجامعات والبحث العلمي والتنمية " في الجامعة، البحث العلمي، والتنمية . الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1989- ص137.
11. عبد الرحمن عدس. " الجامعة والبحث العلمي: دراسة في الواقع والتوجهات المستقبلية " مجلة اتحاد الجامعات العربية " ع2 (تموز1989) - ص 353.
12. علي عبد المعطي محمد. أساليب البحث العلمي/ تأليف علي عبد المعطي محمد، محمد السرياقوسي.الكويت مكتبة فلاح، 1988- ص 89 – 90.
13. عادل زفقة عوض. البحث العلمي والتطبيقي في الجامعة ودروه في تكنولوجيا العربي" مجلة اتحاد الجامعات العربية. ع21 (آذار1986) - 106.
14. نادر أحمد أبو شيخة. إدارة البحث العلمي في الوطن العربي — عمان المنظمة العربية للعلوم الإدارية، 1986- ص 61.
15. محمد أزهر السماك (الاتجاهات المستقبلية لتخطيط البحث العلمي في الجامعات العراقية)." محمد أزهر السماك، جلال محمد النعيمي، مجلة اتحاد الجامعات العربية ع 24 (كانون الثاني 1989): ص 83.
16. أبو بكر مصطفى بعيرة. " البحث العلمي وأهميته في التنمية ". الإدارة العامة، ع 41 (1984). ص 56.
17. ناصر محمد العديبي. "دور البحوث في التنمية " الإدارة العامة ع 50ربوبيو 1986). ص 59.
18. نادر أحمد أبو شيخة. مصدر سابق .ص 63.
19. penna, c.v. The planning of library and documentation services. 2nd ed. Paris: unesco. 1970,p 39.
20. monge , f.,the role of specialized services in development In: International cooperative information system: proceeding of a seminar held in Vienna, austric, 9- 13 July 1979. Ottawa: International development research center , 1980. p 68.
21. حشمت قاسم . مصادر المعلومات: دراسة لمشكلات توفيرها بالمكتبات ومراكز التوثيق. القاهرة: مكتبة غريب، 1979، ص 9.
22. أحمد بدر. مقدمة في علم المكتبات والمعلومات. الكويت: مؤسسة الصباح، 1979 ص 196- 200.
23. Rhoten.A.Smith.university Libraries. Aguide, 1983-p2.
24. Encyclopedia of Library and Information sciences New Your: Marcel dekker, Inc, 1974. Vol. 11 p.184.
25. عماد عبد الوهاب الصباغ." الاستثمار في استحداث شبكة المكتبات البحثية العراقية ". في: وقائع وبحوث المؤتمر المكتبي الثامن للمعلومات. بغداد: الجامعة المستنصرية، 1989 ص 176- 177.
26. أحمد بدر. المكتبات الجامعية: تنظيمها وإدارتها ودروها في تطوير التعليم الجامعي والبحث العلمي / تأليف أحمد بدر. محمد فتحي عبد الهادي. القاهرة: دار غريب، 2001، ص 268 - 270.
27. باسل محمد الراوي. خدمات المعلومات في المكتبات المركزية للجامعات العراقية (رسالة ما جستير) الجامعة المستنصرية، 1989 م، ص 137، 146، 147، 149.
28. حسني المومني " مكتبة جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية : الواقع والطموحات " في: أبحاث المؤتمر الثالث للمكتبيين الأردنيين 9— 1995/9/10 م. عمان: جمعية المكتبات الأردنية، 1995، ص23.
29. عمادة شئون المكتبات: دليل خدمات المعلومات cd- dom. جدة: جامعة الملك عبد العزيز، 1995، ص 1.
30. حسانة محيي الدين "دور مكتبة الجامعة اللبنانية في البحث العلمي ". الوطنية للمعلومات. ع41 (حزيران 1999)، ص 85 — 87.
31. ربحي مصطفى عليان " استخدام شبكة الإنترنت في المكتبات الجامعية: دراسة حالة لمكتبة جامعة البحرين " ربحي عليان،منال القيسي. رسالة المكتبة مج 34، ع4 (كانون أول 1999)،ص 15— 17.
32. فيكري،براين كامبل. علم المعلومات بين النظرية والتطبيق / تأليف براين كامبل فيكري،الينا فيكري،ترجمة حشمت قاسم — القاهرة: مكتبة غريب (1991) ص 95 — 96

33. سليمان حسين مصطفى. " مراصد المعلومات ودورها في دعم الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعات العربية حتى العام 2000في ضوء التطورات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات. مجلة اتحاد الجامعات العربية. عدد متخصص، 2 (1988)، ص 701 - 901.

نقلا عن:
Wilson T. D. on user studies and information needs Journal of documentation. Vol. 37(1) Mavch. 1981.pp3-15.

34. جارفي، وليم (وآخرون) " المستفيد الديناميكي من المعلومات العلمية " في: وليم جارفي. الاتصال أساس النشاط العلمي. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1998 ص 396 - 398.

35. جارفي، وليم. الاتصال أساس النشاط العلمي / تأليف وليم جارفي، ترجمة حشمت قاسم، بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1983، ص 197 - 198.

36. Moores . paul. Information Users changing expectations of need s. Aslib proceedings. Vol. 3 no.3 (mar 1981) pp. 83 - 85.

37. Deer . Richard. Aconceptual analysis of information need s Information processing and Management vol. 19 no.5(1985) , p. 273.

38. سوسن طه ضليمي. " مراجعة الإنتاج الفكري في مجال دراسات الاستخدام والمستفيدين " مجلة مكتبة الملك فهد مج 4، ع1 (مايو - أكتوبر 1998) - ص 152 - 153.

39. المصدر نفسه.- ص 144 - 146.

40. شعبان عبد العزيز خليفة. أوراق الربيع في المكتبات والمعلومات.- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1983.- مج 3، ص128.

41. Rowley . Jennifer and frances Slack. New approach in library Networking: reflections on experiences in south Africa. Journal of Librarianship and info. science. Vol. 31.no. 1 (march 1999) P. 33.

42 حسن أحمد الومي "المكتبات الجامعية وتحديات تكنولوجيا المعلومات" رسالة المكتبة مج 30، ع2 (حزيران 1995) - ص 20.

43 إيماد فاضل السامرائي " الأوعية المتعددة وتطور الأقراص منذ عام 1992. " المجلة العربية للمعلومات مج 15، ع1 (1994) - ص 89 - 90.

44 فالح عبد الله الغامدي "طرق وأدوات تقييم مجموعات المكتبات" عالم الكتب. مج 18، ع6 (سبتمبر - أكتوبر 1997). -ص 500- 502.

45 زكي حسين الوردي. الاتصالات / تأليف زكي حسين الوردي، عامر إبراهيم قنديلجي. - البصرة: جامعة البصرة، 1990. - 202.

46 أحمد بدر. المكتبات الجامعية: تنظيمها وإدارتها وخدماتها ودورها في تطوير التعليم الجامعي والبحث العلمي / تأليف أحمد بدر، محمد فتحي عبد الهادي. القاهرة: دار غريب، 2001،ص 40–44.

47 محمد فتحي عبد الهادي. المصادر المرجعية المتخصصة / إعداد محمد فتحي عبد الهادي، نعمان سيد أحمد مصطفى، أسامة السيد محمود.- القاهرة: المكتبة الأكاديمية، 1991.- ص 35، 49 - 50.

48. Low . Katheen.the Role of Reference Librarians: Today and Tommrrow.- New York: The Haworth press , Inc.. 1996. - pp"25-26.

49 محمد فتحي عبد الهادي. المكتبات والمعلومات: دراسات في الإعداد المهني والببليوغرافيا والمعلومات – ط3،مزيدة ومنقحة.- القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، 1998. - ص 192.

دراسة لغوية حول:

# حـــرف ((الـتــاء))

خالد يحى الأهدل

## مقدمة

تطمح هذه الدراسة المتواضعة إلى رصد خصائص حرف "التاء" واستقصاء أشكاله وحالاته وتجلياته المختلفة، باعتباره صوتاً أساسيا وعنصراً مهما في الجهازين الصوتي والتركيبي للغة العربية الخالدة.

ولتحقيق هذه الغاية توزعت الدراسة على ثلاثة محاور:

اختص الأول منها برصد خصائص حرف "التاء" على المستوى الصوتي، ويسعى المحور الثاني إلى استقصاء حالات "التاء" كعلامة لغوية ومكون صرفي له نشاطه على المستوى الإشاري، بينما تناول المحور الثالث حرف "التاء" عنصرا بنيوياً له نشاطه الوظيفي على صعيد بنية الجملة العربية وعلاقاتها التركيبية.

## 1. مدخل:

"التاء" حرف أساسي من حروف المعجم العربي من فئة الصوامت، وهي اسم للحرف الثالث حسب الترتيب الشكلي (الألف بائي)، والحرف التاسع عشر في الترتيب الأبجدي والحرف التاسع عشر أيضا في الترتيب الصوتي للحروف العربية.

مؤنث يقال: (هذه تاء حسنة)، جمعها تاءات، وتصغيرها (تييتة)، والنسبة إليها تائي وتاوي يقال: (هذه قصيدة تائية وتاوية)، وهي في حساب الجمل عبارة عن أربعمائة (400).

و"التاء" حرف أصلي من حروف المباني في اللغة العربية تقع فاءً للكلمة نحو: تَمر، تِنّور، تَرَكَ، تَبَلَ، وتقع أيضاً عيناً للكلمة نحو: سِتْر، قَتْل، بَتَر، قَتَر، وتقع لاما للكلمة نحو: بَيْت، صَوْت، سَكَتَ، مات... الخ.

وكما تأتي "التاء" أصلية فقد تأتي (زائدة نحو: عنكبوت ورحموت ورهبوت، لأنك تقول عنكباء ورحم ورهب، فتشف منه ما تذهب فيه الزيادة، وهذه "التاء" هي حرف الإعراب تجري مجرى الحرف الأصلي في تعاقب حركات الإعراب عليها).[1]

وهناك – أيضاً – "التاء" (الملحقة نحو عفريت وزنه فِعْلِيت مأخوذ من العَفْر وهو ملحق بـ "شمليل" وقنديل)[2]

و"التاء" صوت لغوي (فونيم) له مخرجه الخاص وخصائصه وسماته الصوتية المميزة له في إطار التشكيل الصوتي لحروف المعجم العربي.

وحرف «التاء» – كوحدة صرفية (مورفيم) – له أشكاله ومواقعه وتجلياته المختلفة، فهناك التاء المتحركة في أول الأفعال، وهناك التاء الساكنة في آخر الفعل الماضي، وهناك التاء المفتوحة وهناك التاء المربوطة في أواخر الأسماء.

وكما أن لحرف «التاء» أشكاله ومواقعه المختلفة، له أيضاً وظائفه المتعددة على المستوى الإشاري «الدلالي» والمستوى التركيبي (النحوي).

وسوف نحاول الإلمام بكل هذه التفاصيل في الفقرات التالية:

2. المستوى الصوتي:

«التاء» وحدة صوتية لغوية صغرى ذات دلالة (phonime) تسهم في تشكيل المعنى المعجمي للمفردة وتوجيه دلالتها بحيث لو استبدلناها بصوت آخر لتغير معنى تلك المفردة، فمثلاً لو استبدلنا التاء في «مات» بالجيم، أو التاء في «بيت» بالنون، أو التاء في «بتَر» بالقاف، أو التاء في «سِتْر» بالعين، لأصبحت لدينا مفردات مختلفة (ماج، بين، بقر، سعر) وبالتالي دلالات أخرى جديدة.

فـ «التاء» – إذن – صوت لغوي وظيفي وعنصر هام في الجهاز الصوتي للغة العربية، لها – كما أسلفنا – مخرجها وخصائصها الصوتية المميزة لها عن غيرها من الأصوات اللغوية الأخرى.

2-1 مخرجها:

للغويين القدماء والمحدثين آراء – تتطابق حيناً وتتقارب حيناً آخر – حول مخرج صوت «التاء» والأصوات الأخرى التي تشترك معها في هذا المخرج.

فأبو الفتح عثمان بن جني يرى أن (بين طرف اللسان وأصول الثنايا يقع مخرج الطاء والدال والتاء)[3]، ويوافقه في ذلك الزمخشري في مُفَصَّله[4]، وإن كان الزمخشري يضيف في موضع آخر من الكتاب نفسه فيقول: (والطاء والدال والتاء نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى)[5].

وبعضهم يرى أن مخرج «التاء» من أصول الثنايا العليا إلى جهة الحنك الأعلى بعد الفاء والدال اللتين تشتركان معها في المخرج نفسه[6].

ويذهب الدكتور علي عبد الواحد وافي إلى أن ما هو (فوق طرف اللسان مع أصول الثنيتين العليين للتاء والدال والطاء)[7].

بينما يذهب الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن مخرجها من الأسنان واللثة مع طرف اللسان ومقدمه، ويسمى الصوت حينئذ أسنانياً لثوياً. ويتم في هذا المخرج – حسب رأيه – إنتاج سبعة أصوات تشكل نوعين من الأصوات:

أ- الدال والتاء والضاد والطاء (انفجارية)

ب- السين والزاي والصاد (استمرارية)

ويرى أيضاً أن الدال والتاء أختان يفرق بينهما جهر الأولى وهمس الثانية[8].

2-2 الخصائص الصوتية:

«التاء» صوت مهموس. والهمس في اللغة الإخفاء واصطلاحاً (جريان النفس عن النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج)[9]، والحروف المهموسة عشرة تجمعها عبارة (فحثه شخص سكت)، ويزيد عليها الدكتور أحمد مختار عمر حرفين هما:

الطاء والقاف، فهو يرى أن المهموس يشمل اثني عشر صوتاً هي:

أ- أربعة أصوات وقفية هي: التاء والطاء والكاف والقاف.

ب- ثمانية أصوات احتكاكية هي: الفاء والثاء والسين والصاد والشين والخاء والهاء والحاء[10].

والصوت المهموس (voiceless) في مفهومه الحديث (مالا يهتز بنطقه الوتران الصوتيان بغض النظر عن انحباس النفس أو جريانه)[11].

و«التاء» أيضاً حرف من حروف الانفتاح، والانفتاح ضد الإطباق، والمقصود بالانفتاح هو انفتاح مابين اللسان والحنك وخروج الريح من بينهما عند النطق بحروفه.[12] أو هو كما يرى الدكتور كمال بشر (عدم رفع مؤخر اللسان نحو الحنك الأقصى وتأخره نحو الجدار الخلفي للحلق عند النطق بالصوت)[13]. وحروف الانفتاح هي كل حروف المعجم ما عدا حروف الإطباق (ص،ض،ط، ظ) وللتاء خاصية صوتية أخرى هي الشدة، والشدة إصطلاحاً (انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف ساكناً لكمال الإعتماد على المخرج)[14]. فالصوت الشديد (حرف اشتد لزومه لموضعه وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به)[15]، والحروف الشديدة هي الحروف التي تجمعها عبارة (أجدك قطبت).

وقد انصرف المحدثون عن استخدام مصطلح (الشدة) انصرافاً شبه تام واستبدلوا مصطلحاً شائعاً الآن في كتب المحدثين وهو مصطلح (الانفجارية) وهي ترجمة للفظ الأجنبي (plosive)[16] فقد رأينا – في فقرة سابقة – الدكتور أحمد مختار عمر يعتبر التاء مع الدال والضاد والطاء أصوات انفجارية. ويذهب الدكتور إسماعيل عمايرة أيضاً إلى أن التاء (وكذلك الكاف) صوت انفجاري، ويترتب على صفة الانفجار فيها ذلك القدر من الخفاء الذي يحدث عادة لأصوات القلقة، ولذا كان لابد لها من الإظهار، قال ابن الجزري في التاء: «التاء حرف فيه ضعف وإذا سكن ضعف فلا بد من إظهاره لشدته»[17] وقد جاء إظهار هذا الصوت عند العرب على صورتين مغايرتين للإظهار في أصوات القلقة:

الصورة الأولى لإظهار «التاء»: وتتمثل في إنهاء الانفجار بشيء من الصفير المكتسب من قرب التاء مخرجا من السين، فكأنما تركب صوت التاء من تاء وسين، قال ابن الجزري «قال شريح في نهاية الإتقان: القراء قد يتفاضلون فيها (يعني التاء) فتلتبس في الفاظها بالسين لقرب مخرجها فيحدثون فيها رخاوة وصفيرا»[18] ويزداد التباسها بالسين إذا كانت ساكنة نحو (فتنة).

الصورة الثانية لإظهار التاء: وتتمثل في إنهاء الانفجار بصوت ناتج عن ارتداد اللسان في حركة انزلاقية خفيفة عن موضع التاء باتجاه الحنك[19].

و«التاء» من حروف الاستفال، والمقصود بالاستفال (انحطاط اللسان عند خروج حروفه من الحنك إلى قاع الفم)[20]، وحروف الاستفال هي كل الحروف عدا حروف الاستعلاء (ص،ض، ط، ظ، خ، غ، ق). و(التاء) أيضاً صوت يتسم بالخفة، فابن جني يرى أن حروف المعجم تنقسم على ضربين:

ضرب خفيف وضرب ثقيل: ويقول إن (أخف الحروف عندهم «أي العرب» وأقلها كلفة عليهم الحروف التي زادوها على أصول كلامهم، وتلك الحروف العشرة المسماة حروف الزيادة، وهي: الألف، والياء، والواو، والهمزة، والميم، والنون، والتاء، والهاء، والسين، واللام،ويجمعها في اللفظ قولك: «اليوم تنساه» وإن شئت قلت: «سألتمونيها» وإن شئت قلت «هويت السمان»[21]

هذه تقريباً أبرز السمات والخصائص الصوتية لحرف «التاء».

2-3 الإبدال (المماثلة):

ولأن صوت «التاء» يتقارب مع بعض الأصوات اللغوية في الكيفية والمخرج ويتباعد مع أصوات أخرى داخل إطار الجهاز الصوتيّ للغة العربية. وللهروب من التنافر الصوتيّ والنشاز الإيقاعي الذي قد يحدثه تجاور حرفين متباعدين في الخصائص الصوتية، فقد عمد العرب إلى آلية مهمة يتحقق من خلالها الانسجام في التشكيل الصوتيّ للمفردة العربية، هذه الآلية هي ما يسميها القدماء بـ «الإبدال» ويسميها المحدثون بـ «المماثلة». والإبدال (حذف حرف ووضع آخر مكانه بحيث يختفي الأول ويحل الآخر محله سواء كان الحرفان علة أو غير علة،ويدخل في الإبدال الإعلال بالقلب لأنه قلب حرف العلة إلى حرف آخر، وأحرف الإبدال تسعة جمعها قولهم «هدأت موطياً» ليس هناك حروف تبدل من بعضها إلا هذه التسعة)[22]

أما المماثلة عند المحدثين فهي كما عرفها بعضهم: التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى، وهي – أيضاً – كما عرفها بعض آخر: تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً جزئياً أوكلياً. والمماثلة قد تكون تقدمية (PROGRESSIVE) حين يكون التأثير من السابق على اللاحق مثل قلب تاء الافتعال دالا بعد الزي في نحو: ازدجر التي أصلها ازتجر. وقد تكون المماثلة رجعية (Regressive) حين يكون التأثير من اللاحق على السابق مثل تحويل فاء الافتعال إذا كانت واواً إلى تاء مثل اتعد من وعد.[23]

وفيما يتعلق بحرف التاء كصوت فإنه يخضع أحياناً لبعض التعديلات التكيفية لينسجم صوتياً مع ما قبله أو بعده من الحروف، فالتاء من الحروف التسعة _ كما أشرنا سابقاً – التي ينحصر فيها الإبدال. فهي تبدل من الواو، والياء، والطاء، والدال، والسين:

أ- إبدال "التاء" من الواو والياء: تقلب الواو تاءً إذا كانت فاء كلمة على وزن (افتعل)، وما تصرف منه (المضارع، الأمر،اسم الفاعل... الخ)،وذلك نحو (اتزن) أصله (أو تزن) فقلبت الواو تاءً وأدغمت في تاء الصيغة (افتعل) فصار اتزن ومثله اتعد واتصف... الخ.

(والعلة في قلب هذه الواو – في هذا الموضع – تاءً، أنهم لو لم يقلبوها تاءً لوجب أن يقلبوها، إذا انكسر ما قبلها، ياءً فيقولوا: ايتزن وايتعد وايتلج، فإذا انضم ما قبلها ردت إلى الواو فقالوا: موتعد وموتزن وموتلج، وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفاً فقالوا: ياتعد وياتزن وياتلج، فلما كانوا لو لم يقلبوها تاءً صائرين من قلبها مرة ياءً ومرة ألفاً ومرة واواً إلى ما أريناه، أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلداً تتغير أحوال ما قبله وهو باق على حاله، وكانت التاء قريبة المخرج من الواو، لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة،فأبدلوها تاءً وأدغموها في لفظ ما بعدها وهو التاء فقالوا اتعد واتزن)[24]

ويضيف ابن جني فيقول (وقد فعلوا هذا أيضاً في الياء وأجروها مجرى الواو فقالوا في افتعل من اليُبس واليُسر: اتَّبس واتَّسر، وذلك لأنهم كرهوا انقلابها واواً متى ما انضم ما قبلها في نحو موتبس وألفاً في نحو ياتبس، فأجروها مجرى الواو فقالوا اتبس واتسر)[25]

وقد ابدلت التاء من الواو والياء لامين فقالوا: أخت وبنت وكلتا.وأصل هذا كله أخوة وبنوة وكلة[26] وقالوا: كيت وكيت وذيت وذيت. وأصلها كية وذية فحذفوا الهاء وأبدلوا من الياء – التي هي لام الكلمة – تاءً

ب- إبدال الدال من التاء: تقلب التاء دالاً في وزن (افتعل) ومشتقاته إذا كان فاء الكلمة دالاً أو زاياً أو ذالاً[27]، نحو (ازدجر) التي أصلها ازتجر، فجهرت التاء تحت تأثير الزاي المجهورة فتحولت إلى مقابلها المجهور وهو الدال. وكذلك الحال في اذدخر من (ذخر) وادَّغم من(دغم).

جـ – إبدال الطاء من التاء: وذلك حين تقلب التاء في وزن (افتعل) طاءً بشرط أن تكون التاء في كلمة فاؤها حرف من حروف الإطباق (ص. ض. ط. ظ) نحو: اصطبر التي أصلها اصتبر من (الصبر) واضطغن التي أصلها اضتغن من (ضغن)[28]

وذلك لأن التاء صوت مهموس لا يتناسب صوتياً مع حروف الإطباق المجهورة فتم تكييفه بتحويله إلى صوت مجهور ويجوز في الحالتين السابقتين – إبدال الدال والطاء من التاء – العكس أي أن تبدل التاء من الطاء والدال، يقول ابن جني (وأما قولهم في فسطاط فستاط فالتاء فيه بدل من الطاء لتوهم في الجمع فساطيط ولم يقولوا فساتيط فالطاء إذن اعمُّ تصرفاً. وقالوا: أستاع يستيع أي أطاع يطيع (هكذا ورد الفعلان في المرجع والراجح انهما اسطاع يسطيع) فالتاء بدل من الطاء لا محالة. وقالوا: ناقة تربوت وأصلها دَرُبُوت وهي فعلوت من الدربة أي هي مذللة، فالتاء بدل من الدال)[29]

د – إبدال التاء من السين: وذلك في قولهم في العدد (ست) وأصلها سدس لأنها من التسديس كما أن الخمسة من التخميس ولذلك قالوا في تحقيرها سديسه، ولكنهم قلبوا السين الآخرة تاءً لتقرب من الدال التي قبلها، وهي مع ذلك حرف مهموس كما أن السين مهموسة فصار التقدير (سدت) فلما اجتمعت الدال

والتاء وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال تاءً لتوافقها في الهمس ثم أدغمت التاء في التاء فصارت (ست) كما ترى.[30]

3. المستوى الإشاري:

وكما أن „التاء" صوت لغوي وظيفي (فونيم)، فـ„التاء" أيضاً يمكننا التعامل معها على أنها أصغر وحدة صرفية (morphime) ذات دلالة ووظائف مختلفة على المستوى التركيبي والمستوى الإشاري، ويتحدد بُعْد „التاء" الإشاري خاصة، عندما تأتي على هيئة سوابق ولواحق (مورفيم مقيد) لوحدات صرفية أكبر منها كالأسماء والأفعال.

وبعبارة أخرى: يتحدد البعد الإشاري للتاء عندما تأتي حرفاً مجرداً عن الوظيفة التركيبية.

ويمكننا رصد نشاط حرف „التاء" على المستوى الإشاري – أي كعلامة – في الحالات التالية:

3-1 حرف مضارعة:

„التاء" حرف من الحروف الأربعة التي تسبق الفعل المضارع وتشكل إحدى علاماته التي تميزه عن الأفعال الأخرى، وهذه الحروف تجمعها كلمة (أنيت) وهي: الهمزة والنون والياء والتاء،

ويبدأ المضارع بحرف التاء للدلالة على أمرين هما:

أ- مخاطبة المفرد المذكر والمؤنث (أنت تكتب، أنت تكتبين)، ومثناهما (أنتما تكتبان) وجمعها (أنتم تكتبون، أنتن تكتبن).

ب- للدلالة على الغائبة المفردة ومثناها نحو: هي تكتب وهما تكتبان. يقول ابن جني (وتزاد – أي التاء – في أوائل المضارعة لخطاب المذكر نحو أنت تقوم وتقعد، ولخطاب المؤنث نحو أنت تقومين وتقعدين، وللمؤنثة الغائبة نحو هي تقوم وتقعد)[31]. ويضيف بعضهم للتاء في هذا الموضع دلالة ثالثة هي الدلالة على الاستقبال نحو:تقوم يا رجل وتقومين يا امرأة.[32]

3-2 حرف مطاوعة:

وهي تاء زائدة تأتيَ في أوائل الأفعال الماضية – خاصة ما كان منها على وزن فعل وتفعلل – للدلالة على المطاوعة، أي مطاوعة المفعول للفاعل الذي يفعله وقبول أثر فعله وذلك نحو: سرولته فتسرول أي ألبسته السراويل فلبسها. يقول ابن جني ! (وقد زيدت – أي التاء – في أوائل الأفعال الماضية للمطاوعة كقولك كَسَّرته فتكسَّر وقطَّعته فتقطَّع ودحرجته فتدحرج، ومن زيادتها في أوائل الأفعال الماضية قولهم: تغافل وتعاقل وتجاهل)[33]

3-3 حرف تأنيث:

وهي تاء التأنيث الساكنة التي تلحق بالفعل الماضي، وتأتي للدلالة على أن الفاعل مؤنث تأنيثاً حقيقياً أو مجازياً.

يقول الزمخشري في مفصَّله (ومن أصناف الحرف تاء التأنيث الساكنة، وهي التاء في نحو ضربتْ، ودخولها للإيذان من أول الأمر بأن الفاعل مؤنث، وحقها السكون)[34] ويقول ابن هشام الأنصاري (والتاء الساكنة في أواخر الأفعال حرف وضع علامة للتأنيث كقامت، وزعم الجلولي أنها اسم وهو خرق لإجماعهم... وربما وُصلَتْ هذه التاء بثمَّ وربَّ والأكثر تحريكها معها بالفتح)[35]

3-4 حرف خطاب:

وهي التاء التي تأتي في أواخر الضمائر المنفصلة للدلالة على خطاب المذكر والمؤنث ومثناهما وجمعهما. يقول ابن جني (واعلم أن التاء تكون اسماً مضمراً نحو تاء قمتُ وقمتَ وقمت، وتكون حرفاً للخطاب نحو تاء أنتَ وأنت)[36]. ويقول ابن هشام (والتاء المحركة في أواخرها (أي الأسماء) حرف خطاب نحو أنتَ وأنتِ)[37]

ويقول الزمخشري (ومن أصناف الحرف حرفاً الخطاب وهما الكاف والتاء اللاحقتان علامة للخطاب في نحو: ذاك وذلك وأولئك وأنت وأنت وتلحقهما التثنية والجمع والتذكير والتأنيث كما تلحق الضمائر)[38]

5-3 "التاء" المفتوحة في أواخر الأسماء:

وهي التاء المحركة المفتوحة التي تلحق بالأسماء للدلالة على التأنيث والجمع السالم للمؤنث نحو: مدرسات وطالبات وفاطمات وهندات. يقول الرماني (والتاءات سبع منها: تاء الجمع نحو: مسلمات صالحات في جمع المؤنث، وحكمها في النصب والجر أن تكون مكسورة نحو: رأيت مسلمات ومررت بمسلمات، وأما في الرفع فضمومة على الأصل نحو هؤلاء مسلمات.

وكل ما فيه هاء التأنيث فقياسه إذا جمعته بألف وتاء هذا القياس نحو: طلحة وطلحات وعلامة وعلامات وتمرة وتمرات وما أشبه ذلك)[39]

6-3 "التاء" المربوطة في أواخر الأسماء:

وهي التاء المربوطة التي تلحق بالأسماء لتميز المؤنث من المذكر، وأكثر ما يكون ذلك في الصفات فهي تختص بها من غيرها تفرقة بين المذكر منها والمؤنث نحو: بائع وبائعة وعالم وعالمة وخالد وخالدة. أما لحاقها بالأسماء فنادر، يقول الزمخشري في مفصله ودخولها (أي التاء المربوطة) على وجوه للفرق بين المذكر والمؤنث في الصفة: كضاربة ومضروبة وجميلة وهو الكثير الشائع.

وللفرق بينهما في الاسم كامرأة وشيخة وإنسانة وغلامة ورجلة وحمارة وأسدة وهو قليل)[40]

ولا تلحق التاء المربوطة الصفات الخاصة بالنساء إلا سماعاً، فلا يقال حائضة وطالقة وثيبة ومطفلة، بل حائض وطالق وثيب ومطفل إلا في القرآن الكريم فقد وردت مرضعة في قوله تعالي: (يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت)، يقول الزمخشري (وللبصريين في نحو حائض وطامث وطالق مذهبان، فعند الخليل أنها على معنى النسب كلابن وتامر كأنه قيل ذات حيض وذات طمث،وعند سيبويه أنه متأول بإنسان أو شيء حائض كقولهم غلام ربعة ويفعة على تأويل نفس وسلعه، وإنما يكون ذلك في الصفة الثابتة فأما الحادثة فلا بد لها من علامة التأنيث تقول حائضة وطالقة الآن أو غداً، ومذهب الكوفيين يبطله جري الضامر على الناقة والجمل والعاشق على المرأة والرجل)[41]

وإجمالاً نقول: إن للتاء المربوطة وظائف عديدة على المستوى الإشاري نوجزها في التالي:

1. تأتي التاء المربوطة علامة للتأنيث بدون تمييز بين نوع ونوع مثل: قرية، غرفة شقة، عمامة، نهاية، مدينة، بلدة...الخ وليس لواحدة منها مذكر تفرق بينه وبين مؤنثه.
2. للتمييز بين اسم الجنس والواحد منه، وتكثر في المخلوقات نحو: تمر وتمرة ونخل ونخلة وشجر وشجرة، وتقل في المصنوعات مثل: جر وجرة وسفين وسفينة... الخ.
3. تكون علامة للمذكر وسقوطها علامة للمؤنث كما في الأعداد نحو: جاء ثلاثة طلاب وثلاث طالبات.
4. للمبالغة في الوصف (مدح أو ذم) وتكون علامة للواحد مثل: علاّمة، نسّابة، لحّانة، رحّالة.
5. للتفريق بين الواحد والجمع فتؤكد الجمع وتكون علامة له نحو: جمال وجمالة، قشعم وقشاعمه.
6. تأتي علامة للنسب في الجمع بوزن مفاعل مثل: مشارقة ومغاربة ومهالبة وأشاعرة ومفردها مشرقي ومغربي ومهلّبي وأشعري، ويضيف الزمخشري أوزاناً أخرى فيقول: (وقولهم جمالة في جمع جمال بمعنى جماعة، وكذلك بغالة وحمارة وشاربة وواردة وسابلة، ومن ذلك البصرية والكوفية والمروانية والزبيرية، ومنه الحلوبة والقتوبة والركوبة، قال الله تعالى (فمنها ركوبهم) وقرىء ركوبتهم، وأما حلوبة للواحد وحلوب للجمع فكثمرة وثمر)[42]
7. تأتي لتبين عدد المرات في المصدر نحو: ضربت ضربةً وأكلت أكلةً.
8. تأتي للدلالة على التعريب كموازجة وجواربة.[43]

4. المستوى التركيبي:

"التاء" – وكما أسلفنا – وحدة صرفية صغرى ذات دلالة (مورفيم مقيد)، تأتي على هيئة سوابق ولواحق لوحدات صرفية أكبر منها كالأسماء والأفعال، وقد رأينا في الفقرة السابقة أنها تعمل على المستوى الإشاري – كعلاقة تشير إلى جملة من الأمور – حين تكون حرفاً مجرداً عن الوظيفة التركيبية.

ومن هنا فـ "التاء" أيضاً قد تأتي عنصراً بنيوياً له نشاطه الوظيفي على صعيد بنية الجملة العربية وعلاقاتها

التركيبية، وفي هذه الحالة تتجلى «التاء» في شكلين نحويين لكل منهما خصائصه ووظيفته ودلالاته، وبعبارة أخرى: حين تمارس «التاء» نشاطها على المستوى التركيبي للجملة العربية تكون إما (حرف جر) يفيد القسم أو (اسماً مضمراً)

4-1 حرف قسم:

تأتي «التاء» حرف جر معناه القسم، وجواب القسم بعدها غير استعطافي، أي ليس جملة إنشائية نحو(تالله لأفعلن الخير)، ويجوز حذفها وبقاء عملها نحو (الرحمن لأفعلن الخير)، وتختص «التاء» دون بقية حروف القسم بأن مجرورها أحد ثلاثة ألفاظ هي (الله، رب، الرحمن)، كما تتميز عن أخواتها من حروف القسم بأن فيها زيادة معنى التعجب، يقول ابن هشام الأنصاري عن «التاء»: (حرف جر معناه القسم وتختص بالتعجب وباسم الله تعالى وربما قالوا «تربي» و «ترب الكعبة» و «تالرحمن»(44)

ولأن الباء الإلصاقية هي أصل حروف القسم والواو نائبة ومبدلة منها والتاء مبدلة عن الواو، لذلك تقلصت صلاحيتها وانكمش دروها الوظيفي فاقتصر عملها على الدخول على الاسم الظاهر فقط فلا تجر إلا الاسم الظاهر ولا تجر الضمير، بل وتحدد عملها في الدخول على الاسم الظاهر بالاقتصار على ثلاثة ألفاظ فمجرورها واحد من ثلاثة هي (الله، رب، الرحمن) يقول الزمخشري (واو القسم مبدلة عن الباء الإلصاقية في أقسمت بالله، أبدلت عنها عند حذف الفعل، ثم التاء مبدلة عن الواو في تالله خاصة، وقد روى الأخفش «ترب الكعبة»، فالباء لأصالتها تدخل على المظهر والمضمر فتقول بالله وبك لأفعلن، والواو لا تدخل إلا على المظهر لنقصانها عن الباء، والتاء لا تدخل من المظهر إلا على واحد لنقصانها عن الواو).(45)

4-2 اسم مضمر:

وتكون «التاء» أيضاً اسماً مضمراً، وهي لا تتبدى على هذه الهيئة ولا تمارس وظيفتها المناطة بها في هذه الحالة إلا حين تأتي لاحقة للفعل الماضي وحينئذ تكون اسماً مضمراً يشغل وظيفة الفاعلية في الجملة فيدل على من قام بالفعل أو اتصف به، وعندئذ قد يبنى - أي الاسم المضمر - على الضم فيدل على المتكلم نحو (ضربتُ، أكلتُ، خجلتُ) وقديبنى على الفتح فيدل على خطاب المذكر نحو (قمتَ، قعدتَ، كبرتَ، صغرتَ) أو يبنى على الكسر فيدل على خطاب المؤنث نحو «ركبتِ، شربتِ، نحلتِ»، هذا في حالة الإفراد أما في حالة خَطاب المثنى والجمع فلا يبنى الضمير إلا على الضم فقط نحو (ضربتُما، ضربتُم، ضربتُن).

أما سبب بناء هذه الضمائر وعدم إعرابها فهو كما يقول ابن الحاجب: (وإنما بنيت المضمرات إما لشبهها بالحروف وضعاً على ما قيل، كالتاء في ضربت،.... وإما لشبهها بالحروف لا حتياجها إلى المفسر أعني الحضور في المتكلم والمخاطب)(46)

والغاية من وضع الضمائر عامة المتصلة منها والمنفصلة فهي رفع الالتباس، وفي الضمائر المتصلة - على وجه الخصوص - فيحصل مع رفع الالتباس الاختصار.(47)

ومن هنا كان الاستغناء عن الضمائر المنفصلة وإبدالها بالضمائر المتصلة بقصد الاختصار، ولذلك امتنع استبدال الضمائر المتصلة بالمنفصلة أو أن تحل محلها، فامتنع - كما يقول سيبويه - أن (يقع أنا في موضع التاء التي في فعلت، فلا يجوز أن تقول فعل أنا، لأنهم استغنوا بالتاء عن أنا)(48). ويقول في موضع آخر (واعلم أنه لا يقع أنتَ في موضع التاء التي في فعلتَ)(49).

5. الخاتمة:

«التاء» حرف أساسي من حروف المعجم العربي،يأتي حرفاً أصلياً يشكل جزءاً من بنية الكلمة فيكون في أولها أو وسطها أو آخرها (تمر، قتل، بيت)، ويأتي حرفاً زائداً (عنكبوت، رحموت) وقد يأتي حرفاً ملحقاً (عفريت).

و«التاء» صوت لغوي وظيفي (فونيم) يخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا، أو كما يرى بعضهم أن مخرجها من الأسنان واللثة مع طرف اللسان ومقدمه، ويرى بعض آخر أن مبدأها من نطع الغار الأعلى.

و«التاء» صوت لغوي يتسم بجملة من الخصائص والسمات الصوتية التي تميزه عن غيره من أصوات المعجم العربي، من هذه الخصائص: الهمس، والشدة (الانفجار)، والانفتاح، والاستفال، والخفة. وتخضع «التاء» – كصوت لغوي – أحياناً لبعض التعديلات التكيفية حتى لتتوافق صوتياً مع الأصوات الأخرى المجاورة لها ويتحقق بذلك الانسجام في التشكيل الصوتي للمفردة العربية، وتتم هذه التعديلات الصوتية من خلال آلية الإبدال – أو المماثلة كما يسميها المحدثون – فتتبدل التاء من الواو والياء والطاء والدال والسين.

وكما أن «التاء» صوت لغوي وظيفي، فـ «التاء» أيضاً حرف له أشكاله ومواقعه المختلفة وله وظائفه المتعددة، فهناك التاء المفتوحة والتاء المربوطة، وهناك التاء الساكنة والتاء المتحركة، وهناك تاء في أول الأفعال وتاء في أواخرها وتاء في آخر الأسماء، وهي في كل هذه التجليات والمواقع المختلفة حرف يشكل وحدة صرفية صغرى (مورفيم مقيد) ذات دلالة وقيمة وظيفية على المستويين الإشاري والتركيبي.

فهي قد تأتي حرفاً مجرداً عن الفاعلية التركيبية أو الوظيفة النحوية فيقتصر نشاطها على المستوى الإشاري الدلالي، وحينها تأتي «التاء» كعلامة تشير إلى جملة من الأمور كالمضارعة والمطاوعة والتأنيث وخطاب المذكر والمؤنث والمبالغة في الوصف وتبين عدد المرات في المصدر، كما تأتي أيضاً علامة تميز بين اسم الجنس والواحد منه وعلامة للنسب في الجمع... الخ.

وقد تأتي «التاء» حرفاً له فاعليته ونشاطه التركيبي على صعيد الجملة العربية. فهي – تارة – حرف جر – يفيد القسم – له خصائصه ووظائفه المحددة. وهي – تارة أخرى – اسم مضمر يلحق بالفعل الماضي ليشغل وظيفة الفاعلية ويدل على من قام بالفعل أو اتصف به. وفي هذه الحالة قد يبنى على الضم فيدل على المتكلم وقد يبنى على الفتح فيدل على خطاب المذكر أو على الكسر لخطاب المؤنث.

هذا أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة المتواضعة التي لا تدعي الابتكار أو الإتيان بالجديد فليس لها من فضل سوى تجميع ما تفرق في بطون كثير من المظان والمراجع اللغوية من معلومات حول حرف «التاء» ثم ترتيب المادة وتقديمها في أسلوب رأي الباحث أنه الأنسب والأفضل للقارئ الكريم، وسبحان الله المنزه عن النقص والعيوب، والله من وراء القصد.

**الهوامش:**

1. ينظر ص33 – من منازل الحروف ضمن كتاب((رسالتين في اللغة)) للرماني.
2. ص34 – المرجع السابق.
3. ص47 – سر صناعة الإعراب – لابن جني.
4. ص394 – المفصل – للزمخشري.
5. ص396 – المرجع السابق.
6. مادة (مخرج) في الشامل (معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها).
7. ص166 – فقه اللغة – د/ علي عبد الواحد وافي.
8. ص269–270 – دراسة الصوت اللغوي – أحمد مختار عمر
9. ص1002 – الشامل (مرجع سابق).
10. ص277 – دراسة الصوت اللغوي.
11. ص112 – (ظاهرة القلقلة والأصوات الانفجارية) لإسماعيل عمايرة – ضمن كتاب (أبحاث عربية).
12. ص212 – الشامل
13. ص102 – علم اللغة العام – الأصوات – الدكتور كمال بشر.
14. ص641 – الشامل
15. مكي بن أبي طالب (الرعاية) ص93 – وابن الجزري (التمهيد) ص87 – نقلاً عن أبحاث عربية ص144.
16. ص119 – المصطلح الصوتي في الدراسات العربية – عبد العزيز الصيغ
17. ابن الجزري (التمهيد) ص114 – نقلاً عن الدكتور عمايرة في (أبحاث عربية).
18. ابن الجزري ((التمهيد)) ص114 – نقلاً عن الدكتور إسماعيل عمايره (أبحاث عربية) ص123.
19. ص122 – 123 – ظاهرة القلقلة والأصوات الانفجارية – ضمن (أبحاث عربية).
20. ص93 – الشامل.
21. ص811 – ج 2 – سر صناعة الإعراب – ابن جني.
22. ص31 – الشامل
23. فيما يتعلق بالمماثلة راجع ص324 – 325 – دراسة الصوت اللغوي – أحمد مختار عمر.
24. ص148 – ج 1 سر صناعة الإعراب.
25. المرجع السابق.
26. انظر ص149 – المرجع السابق.
27. ص41 – الشامل وص477 – الموسوعة العربية الميسرة.

28. ص41 – الشامل.
29. ص167– ج ١– سر صناعة الإعراب.
30. ص166– سر صناعة الإعراب وص24 – منازل الحروف للرماني.
31. ص169– ج ١ – سر صناعة الإعراب.
32. ص234– شمس العلوم – لنشوان الحميري.
33. ص169– ج 1 – سر صناعة الإعراب.
34. ص328– المفصل في علم العربية – للزمخشري.
35. ص116– مغني اللبيب – لابن هشام.
36. ص170– سر صناعة الإعراب.
37. ص116 مغني اللبيب.
38. ص32–33 – منازل الحروف للرماني – ضمن كتاب (رسالتان في اللغة) تحقيق إبراهيم السامرائي.
39. ص311 – المفصل للزمخشري.
40. ص199 المفصل للزمخشري.
41. ص200 – المرجع السابق.
42. ص200 – المرجع السابق.
43. ص199 – المرجع السابق.
44. ص115– ج ١ – مغني اللبيب لابن هشام.
45. ص32 – ج 8 – المفصل لابن يعيش.
46. ص3– ج 2 – شرح الكافية (انظر المتن) للاستراباذي.
47. ص3– ج 2 – ينظر الشرح.
48. ص260– ج 2 – كتاب سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون .
49. ص261 – ج 2 – المرجع السابق.

المراجع المعتمدة في الدراسة:

1. أبحاث عربية (كتاب تكريمي للمستشرق الألماني فولف ديتريش فيشر) إعداد وإصدار هاشم الأيوبي.
2. دراسة الصوت اللغوي – د/ أحمد مختار عمر – ط 3 – 1985م – عالم الكتب – القاهرة.
3. سر صناعة الإعراب –أبو الفتح عثمان بن جني – ت حسن هنداوي – دار القلم – دمشق – ط 1– 1985م.
4. الشامل (معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها) – محمد سعيد إسبر وبلال الجندي – دار العودة – ط 1– 1981م
5. شرح كتاب كافية ابن الحاجب – لرضي الدين الاستراباذي – دار الكتب العلمية – بيروت – دون تاريخ
6. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم – نشوان بن سعيد الحميري – طبعه مصطفى البابي الحلبي – دون تاريخ
7. فقه اللغة – الدكتور: علي عبد الواحد وافي – دار النهضة – مصر – ط 8 دون تاريخ.
8. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية – عبد العزيز الصيغ – دار الفكر المعاصر – ط 1– 2000م.
9. المفصل في علوم العربية – للزمخشري – دار الجيل – الطبعه الثانية – دون تاريخ.
10. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ابن هشام الأنصاري – ت محمد محي الدين عبد الحميد – دار إحياء التراث العربي.
11. الموسوعة العربية الميسرة – صورة طبق الأصل من طبعة 1965م – دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للنشر.
12. منازل الحروف (ضمن كتاب ((رسالتان في اللغة))) – لأبي الحسن على بن عيسى الرماني – تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي – دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان – ط 1– 1984م.

# الرسالة الوصابية

## (في علم الحساب)*

تأليف/ حسين بن محمد الوصابي

تقديم محمد ثقف غالب

هذا المخطوط المنشور، في الصفحات التالية، مصورا عن الأصل الموجود لدي، وموضوعه علم الحساب. وننشر المخطوط مصورا كما هو دون تعليق أو تصحيح، ما عدا هذا التقديم. وبعنوانه كما ورد في بداية الصفحة الأولى من المخطوط "الرسالة الوصابية.. تأليف حسين بن محمد الوصابي" وقد وضعنا العنوان كما ورد. ونشير إلى أن اسم المخطوط الذي سمى به المؤلف كتابه هذا هو ((التحفة الوصابية في الأعمال الحسابية)) فقد جاء في مقدمة المخطوط ما يلي: ((...فجمعت ما يكون تذكرة لنفسي وتحفة لأبناء جنسي... وسميتها التحفة الوصابية في الأعمال الحسابية...)).

ويعد هذا المخطوط كتابا مكتملا اشتمل على مقدمة وعشرة أبواب ثم خاتمة الكتاب.

أشار المؤلف في المقدمة إلى الطرق القديمة في مسائل الحساب، التي كانت سائدة عند المتقدمين من علماء الحساب. والطرق الجديدة والمتطورة لدى العلماء المتأخرين منهم وأخذه الطرق الجديدة عن علماء عصره المشتغلين بعلم الحساب واستفادته من ذلك في تأليف كتابه هذا (المخطوط).

وأورد المؤلف في خاتمة كتابه ثلاث مسائل تتعلق بأحكام الفقه والفرائض أوضح في الأولى منها كيفية تقسيم تركة المفلس بين غرمائه (دائنيه) وفي الثانية كيفية تقسيم الأرباح التجارية بين الشركاء المتفاوتة حصصهم في رأسمال الشراكة. وفي الثالثة أورد كيفية تقسيم تركة من النقود بين ورثة المتوفى[1].

ويبدو من المصادر أن المؤلف رحمه الله ألف كتابه هذا، في منتصف العقد الخامس من القرن الرابع عشر الهجري، بعد عودته إلى زبيد عام ١٣٤٢هـ وقعوده للتدريس حيث ذكر في المقدمة (... طلب مني بعض الطلاب الصادقين قراءة علم الحساب ليكون لعلم الفرائض لهم أكبر معين...). فأعد المادة ودرسها طلابه وألف الكتاب وتلقفه الطلاب والمهتمون بعلم الحساب وتداولوه وانتقل من مكان إلى آخر واستفاد منه ((.. طلاب علم الفرائض والمعاملات من قسمة التركات وأرباح الشركات والخاصات..)) خاتمة الكتاب (المخطوط).

مؤلف الكتاب:

هو العلامة حسين بن محمد بن عبد الله الوصابي الزبيدي المدني، ولد بمدينة زبيد عام ١٣٠٢هـ.

تلقى العلوم والمعارف في مدينة زبيد ثم في المدينة المنورة ثم في دمشق. بدأ دراسته في مسقط رأسه في زبيد فقرأ القرآن الكريم ثم درس على يدي شيوخه الفقه والتفسير والحديث والفرائض وعلم اللغة (النحو والصرف والبلاغة (البيان والبديع) ومبادئ الحساب).

---

* عنوان المخطوط (هذه الرسالة الوصابية)... وقد حذفنا اسم الإشارة من بداية العنوان، كما ورد في خاتمة المخطوط.

1. والملاحظ أن المؤلف في هذه المسألة حينما بين كيفية الحل جعل العدد (١٢) الذي تصح منه أساساً لحلها، وليس ذلك أصلاً للمسألة، فأصل مخرجها (ستة) وهو أقل من العدد (١٢) الذي صححها منه لأن في المسألة سدس، وثلث، ونصف، وإن كان العدد (١٢) واحداً من أصول مخارج الفروض والسهام في مسائل الفرائض وتقسيم التركات. (رئيس التحرير)

سافر عام ١٣٣٢هـ[١] إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ثم زيارة المصطفى ﷺ وبعد فراغه من ذلك أقام في المدينة المنورة مجاورا ولطلب العلم فدرس الحديث وعلم الفلك والرصد والحساب على يد شيوخه.

وفي عام ١٣٣٨هـ سافر إلى دمشق واستقر في مدرسة الحديث بالجامع الأموي وعقد حلقتين لتدريس الطلاب الحديث والبلاغة والبيان والبديع. ودرس علوم الحساب والمساحة والهندسة حيث وجد هنالك تطورا في هذه العلوم فأخذ عن العلماء المشتغلين بتدريسها واستوعب الجديد واستزاد منها. (مقدمة المخطوط)... وبعد أن أمضى فيها ما يزيد عن ثلاث سنوات رحل من دمشق إلى بيروت ومنها إلى القاهرة ومر على الأزهر الشريف ثم عاد من القاهرة إلى المدينة المنورة ومنها عاد إلى مدينة زبيد. وبعد عودته درس في جامع الأشاعر وفي جامع البطاح ثم في منزله.. وتلقى العلوم على يديه كثير من طلاب العلم، كما عمل إلى جانب عمله في التدريس مديرا للمدرسة العلمية بزبيد حتى عام ١٣٨٤هـ.

عرفت عنه صراحته وصدوعه بالحق ومجاهدته الظلم: لا يخشى في الحق لومة لائم ولا يخاف سطوة ظالم... توفي بمدينة زبيد في ٧ جماد الثاني ١٣٩٣هـ.

مؤلفاته:

أورد الأستاذ المؤرخ عبد الرحمن الحضرمي، رحمه الله، في كتابه (زبيد.. مساجدها ومدارسها) مؤلفات المترجم وهي كالتالي:

- التحفة الوصابية في علم الحساب والجبر.
- النفحة الزبيدية في المسائل الرملية.
- الرحلة الشامية.
- الرحلة الصنعانية.

وأورد الباحث عبد الله الحبشي في كتابه (مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن) ((التحفة الوصابية في الأعمال الحسابية)) دون أن يذكر غيرها[٢].

الناسخ:

ناسخ المخطوط الذي بين أيدينا هو الوالد القاضي أحمد بن مجاهد بن غالب. المتوفى بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٩٨هـ (رحمه الله). وقد خلا المخطوط من اسمه في نهاية المخطوط كما جرت العادة أو في بدايته رغم أنه ذكر تاريخ نسخه والنسخة التي نقل منها بخط القاضي عبد الله عبد الحميد بن محمد المصنف رحمه الله (توفي في صفر سنة ١٣٩٨هـ). وقد اطلعت عليه أكثر من مرة في حياة الوالد القاضي أحمد أولى المرات في عام ١٣٨٧هـ وآخرها عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. واستفدنا منه في الحساب (كاتب هذه السطور) وأخي أحمد بن أحمد بن مجاهد بن غالب نجل الناسخ ورجل الأعمال المعروف.

وتنشر الإكليل المخطوط مصورا كما هو ليتمكن الباحثون والمهتمون من الإطلاع عليه والاستفادة منه والبحث عن نسخة أو نسخ أخرى منه ليتسنى تحقيقه ونشره.

---

١. جاء في كتاب (زبيد.. مساجدها ومدارسها) هكذا ([illegible]هـ) خطأ مطبعي وصححنا ما أثبتناه اعتمادا مما ورد في الكتاب نفسه، أن رحلة المؤلف استغرقت عشر سنوات منذ سفره من زبيد لأداء فريضة الحج فإقامته بالمدينة المنورة ثم بدمشق ورحلته إلى بيروت والقاهرة وإلى أن عاد إلى زبيد عام ([illegible]هـ).

٢. زبيد.. مساجدها ومدارسها للمؤرخ عبد الرحمن عبد الله الحضرمي (رحمه الله). مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. للباحث الأستاذ عبد الله محمد الحبشي. مقدمة مؤلف المخطوط.

# هذه الرسالة الوصابية تأليف حسين بن محمد الوصابي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل كتابه من
بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم
وجمع فيه ما تفرق في الكتب المنزلة من ضرب الامثال وتحليل
الاحكام وقسمه احسن تقسيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد
ابي القاسم الامين المنزل عليه قوله تعالى ولتعلموا عدد السنين
وعلى اله وصحبه ومن والاه الى يوم الدين اما بعد فيقول
العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير خادم العلم والعلماء رجاء
محرزا لثبات سيدنا محمد شفيع الشفعا حسين ابن محمد الوصابي
الزبيدي المهدي عامله الله بلطفه الخفي واغناه عن الغير طلب مني
بعض الطلبة الصادقين قراءة علم الحساب ليكون للعلم الفرضي
لهم اكبر معين وانه نسخة قديمة بيدنا ولها اكثر الطلبة
في زبيد ويتلقونها عن المشايخ الاجلا وهي تسمى بالتعبيد ولان
سرها من التطويل الا ان اعمالها مبنية على الطرح والتحويل ثم انه
وكنت قبل هجرتي للمدينة المنورة تلقيت بعضها عن شيخنا العلامة
السيد علي ابن محمد البطاح تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه
اعلى فراديس الجنان فلما هاجرت لتلك الديار مهبط الوحي و
منبع الاسرار ونزلت بجوار الرسول المختار حيث يترنم الزلال
وبجار الجبل وهو صلى الله عليه وسلم خير جار تلقيت
فيها خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي رحمه الله كثيرا وتبين
كثرة الفوائد جمعت من قواعد علم الحساب الشوارد ولكنها ايضا
بالنسبة الى ما دون في الكتب الجديدة لما فيها من الاعمال القديمة غير
مفيدة ولما خرج اهل المدينة من المدينة بسبب تلك الفتنة العظيمة
التي حصلت في ارض الحجاز خرجت معهم الى دمشق الشام حرسها الله
في ارضه وما حوى الابدال الكرام تلقيت فيها من علماء هذا العصر
مدرسي المدارس طرفا من علم الحساب واتقنتها والهندسة وسهل
به بصر الانسان لعلم الرياضة ممارستي فرأيت اعمالهم الحسابية الى

فاسرع تناولا من الاعمال القديمة لان الاعمال القديمة كلها مبنية
على الطمس والمحو والتطويل في الابواب واي كيف ينبسط بكل
احد في كل مكان لوح او تخت عليه تراب واما الاعمال الجديدة فهي لا
تحتاج لذلك وكلها مفيدة تجمعت من قواعدهم ما يكون تذكرة
لنفسي وتحفة لابنائي مما يسر به الخاطر وتقر به العين لو
طروا ان كانت المعاصرة حيا [illegible] وحرمان فعدم الانصاف من علامات
الطرد والخذلان وسميتها التحفة الوصابية في الاعمال الحسابية
والله اسال ان ينفعني بها والمحبين من الاخوان وان يجنبني الخطا
والزلل فالانسان محل النسيان وهو حسبي وعليه التكلان

**مقدمة في الاشكال الهندية للعدد ومنازلها فاشكالها**
تسعة وهذه صورتها ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ فاولها صورة
الواحد وثانيها صورة الاثنين وثالثها صورة الثلاثة وهكذا الى
التسعة ومنازل الاعداد الاصلية ثلاثة احاد وعشرات ومئات
فان وضع شكل من هذه الاشكال التسعة في المنزلة الاولى فهو
من الاحاد التي هي من واحد الى تسعة وان وضع في المنزلة الثا
نية فهو من منزلة العشرات التي هي من عشرة الى تسعين
وان وضع في المنزلة الثالثة فهو من منزلة المئين التي هي
من مائة الى تسعمائة ومجموع الثلاثة المنازل دور اصلي وما عدا
ذلك من المنازل فروع عنه كل ثلاثة منها دور واسامها اسامي
اصولها مقيدة بلفظ الالوف على سبيل الاضافة فاحاد الالوف
اول الدور الاول من الادوار الفرعية ومنزلتها الرابعة وعشرات
الالوف منزلتها الخامسة ومئات الالوف منزلتها السادسة
واحاد الوف الالوف منزلتها السابعة التي هي احاد الملايين
وهي الدور الثاني من الادوار الفرعية وهكذا او قد اصطلح المتا
خرون من اولي الحساب على جعل مراتب الاعداد اثني عشر فصلا
كل فصل ثلاث مراتب وسموا كل فصل من تلك الفصول باسم

مختصرنا الاول

مختصرا فالاول فصل الاحاد وفيه مراتب ثلاث احاد عشرات
مات والثاني فصل الالوف وفيه مراتب ثلاث كذالك و
الثالث فصل الملبون كذالك والرابع فصل البلبوت والخامس
فصل الترلبوث والسادس فصل كتربلبوث والسابع فصل سكلبوث
والثامن فصل سبيلبوث والتاسع فصل بيقلبوث والعاشر
فصل وبستلبوث والحادي عشر فصل نوفلبوث والثاني عشر
فصل ديتلبوث فكل عشر مايه من فصل تكون واحد من فصل
اخر اعلى منه مباشرة فعشر مايه من فصل الاحاد تكون
الفا وعشر مايه من فصل الالوف تكون مليون وهكذا ثم ان كان
العدد من منزلة فهو مفرد واذا كان من منزلتين فاكثر فهو مركب كاحد
عشر فانه مركب من مفردين وهما واحد وعشره فيرسم كل واحد منها
في منزلته هكذا ١١ فكتب الرقم الدال على العشرات وعلى يمينه الرقم
الدال على الاحاد فكتابة خمسه وعشرين هكذا ٢٥ وكتابة سبعه
وستين هكذا ٦٧ وكتابة مايه وخمسه وعشرين هكذا ١٢٥
وهكذا فتضع كل نوع في منزلته وتضع صفرا في المنزلة الخاليه حيث
كانت تكون علامة على خلوها من العدد وهو نقطة في اصطلاح الحساب
ولا قيمه له في نفسه الا انه يحفظ المنزلة التي عدم منها العدد فاذا ار
دت قراته اي عدد مركب من جملة ارقام فقسمه من اليمين الى اليسار
ثلاثا ثلاثا واجعل كل ثلاث مراتب بشرطه ثم ابتدء من اليسار الى
اليمين بقراته كل فصل على حدته منتهيا بما به ان كانت موجوده منتهيا
باحاده مثلا بقراته مثلا وانه هذه الارقام ٧٦٥٤٣٢١
وهو سبعه ملايين وستمايه واربعه وخمسون الفا وثلاثمايه
وواحد وعشرون واذا اردت كتابة اي عدد صحيح فاكتب الفصل الا
عظم جهة اليسار وعلى يمينه باقي الفصول والمنازل العدد فيه
تفصيله با صفار لكتابة خمسه وسبعين الفا واربعه هكذا
٧٥٠٠٤ واعلم باب الجمع الجمع هو ضم العدد الى عدد اخر او عدد
ليصير الجمع عدد واحدا يسمى حاصل الجمع فاذا اردت جمع

عددين او اكثر فضع الاعداد بسطور اصفيا دبه الاحاد تحت
الاحاد والاعشار تحت الاعشار والمئين تحت المئين وهكذا الكل
منزلة تحت نظيرتها ثم مد تحت ذلك خطا افقيا يفصلها عن حاصل
الجمع ثم ابدأ بجمع ما في المنزلة الاولى من جهة اليمين من السطرين
او الاسطر فان كانتا خاليه من العدد بان كان فيها اصفار فقط فاثبت
تحتها اسفل الخط صفر وان كان في احد السطرين او الاسطر عدد
والباقي خاليها فضع ذلك العدد وان كان في سطرين او اكثر
منها فاجمعه وضع الرقم الناتج منه على محاذاته اسفل الخط ان
كان مجموع ارقام ما في المنزلة لم يزد عن تسعة فان زاد فضع
اول الناتج سواء كان صفرا او احادا واحفظ ما بقي لنضيفه
بصورته الى ما في المنزلة التاليه ثم اجمع ما في المنزلة الثانيه كما عرفت
وهكذا الى الانتهاء وان زاد المجتمع عن تسعة في المنزلة الاخيرة
فضعه بتمامه اسفل الخط كما كان اسفل الخط فهو حاصل الجمع
فلو اردنا جمع هذه الصورة ٨٣٧٠٠ الى هذه الصورة
٩٧٢٥٠ ووضعناها منضدتين هكذا ووضعنا

٨٣٧٠٠
٩٧٢٥٠
١٨٠٩٥٠

في المنزلة الاولى اسفل الخط صفرا لخلوها في السطرين
من العدد ووضعنا الخمسة التي في الثانيه اسفل الخط لخلوها
عليا ها وجمعنا الاثنين والسبعة اللتين في المنزلة الثالثة فحصل
تسعة فاثبتها تحت الخط ووضعنا صفرا بعدها لان المجتمع
من السبعة والثلاثة عشرة وحفظنا باقي المجتمع بصورته وهو واحد
واضفناه الى ما في المنزلة الاخيرة فصار سبعة عشر فحصل
ثمانية عشر فوضعناها بتمامها اسفل الخط فكان حاصل الجمع
مائة وثمانين الفا وتسعمائة وخمسين واختبار صحة الجمع
ان تجمع الاعداد من اسفل الى اعلا فان كان الحاصل الثاني مساويا
للاول كان العمل صحيحا والا فلا باب الطرح هو



اسقاط عدد من عدد اكبر منه ليعرف الباقي وذلك ان تضع
المطروح منه في سطر وتضع تحته المطروح وتمد تحتهما خطا
افقيا ليفصلهما عن الباقي ثم تسقط كل عدد من السطر الاسفل مما فو
قه مبتدئا من اليمين الاحاد من الاحاد والعشرات من العشرات
وهكذا وتضع الباقي تحته اسفل الخط فان خلت المنزلة السفلى
من العدد فضع ما في العليا اسفل الخط وان خلت العليا فقط
وكان ما فيها اقل مما في السفلى فزد على ما في السفلى عشرة وهو وا
حد ماخوذ من المنزلة التالية واطرح ما في السفلى من العشرات
في الصورة الاولى من المجتمع في الصورة الثانية واثبت الباقي
اسفل الخط وحينئذ تعتبر ما في المنزلة التالية من السطر الاعلى
ناقصا واحدا او تعتبر [illegible] ما تحته فان كان الماخوذ منه الواحد
صفرا فاعتبره تسعة واعتبر ما بعده ناقصا واحدا وان خلتا
معا او تساوى ما فيهما من العدد فضع اسفل الخط صفرا وهكذا
فان كان اسفل الخط فهو الباقي المطلوب فلو قيل لك اطرح هذه الصورة
٤٥٧١٦٠٠ من هذه الصورة ٩٠٣٨٦٥٠ فضعهما هكذا

٩٠٣٨٦٥٠ ثم ضع صفرا في المنزلة الاولى اسفل الخط لخلوها في
٤٥٧١٦٠٠ السطرين ثم الخمسة التي بعليا الثانية لخلو سفلا
٤٤٦٧٠٥٠ ها ثم صفرا تحت الثالثة لتساوي عدديهما ثم سبعة
تحت الرابعة وهي الباقي بعد طرح الواحد من الثمانية ثم اطرح السبعة
التي بسفلى الخامسة من الثلاثة التي فوقها بعد ان تزيد عليها عشرة و
الستة باقي الطرح اسفل الخط ثم اطرح الخمسة من الصفر الذي اخذ له
واحد مما بعده فصار عشرة ثم اخذ منها واحدا كما قبله فصار تسعة
وضع الاربعة الباقية اسفل الخط ثم اطرح الاربعة التي في المنزلة الا
خيرة من التسعة التي صارت ثمانية بعد اخذ الواحد منها كما قبلها
وضع الاربعة الباقية اسفل الخط فيكون الباقي المطلوب اربعة ملا
يين واربعمائة وسبعة وستين الفا وخمسين واختبار صحة الطرح
ان تجمع الباقي الى المطروح فان حصل المطروح منه صح العمل والا فلا والله اعلم

باب الضرب وهو تضعيف احد العددين بعدد آحاد الآخر واحدهما
يسمى مضروبا والآخر يسمى مضروبا فيه والثالث هو حاصل الضرب وهو
اما ضرب عدد بسيط في مثله او ضرب بسيط في مركب او ضرب
مركب في مركب اما الاول فهو الجدول المتكفل به ينبغي حفظه عن ظهر
قلب وكيفية الدخول فيه ان تضع اصبعك اليمين على
المضروب واليسرى على المضروب فيه وتمر باليمين الى
داخل الجدول وتنزل باليسرى وعند التقاء الا
الاصبعين تجد حاصل الضرب وهناك
قاعدة اخرى مخصوصة في ضرب الستة
في الستة فما فوقها الى التسعة
في التسعة وهي اسرع للحساب
يستعان بها في ضرب
البسيط الذي يسمونه
بالتحبه وهي مركبة
على ضرب الاصابع
الخمس بعضها في بعض

| | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢ | ٤ | | | | | | | |
| ٣ | ٦ | ٩ | | | | | | |
| ٤ | ٨ | ١٢ | ١٦ | | | | | |
| ٥ | ١٠ | ١٥ | ٢٠ | ٢٥ | | | | |
| ٦ | ١٢ | ١٨ | ٢٤ | ٣٠ | ٣٦ | | | |
| ٧ | ١٤ | ٢١ | ٢٨ | ٣٥ | ٤٢ | ٤٩ | | |
| ٨ | ١٦ | ٢٤ | ٣٢ | ٤٠ | ٤٨ | ٥٦ | ٦٤ | |
| ٩ | ١٨ | ٢٧ | ٣٦ | ٤٥ | ٥٤ | ٦٣ | ٧٢ | ٨١ |

وتفصيلها ان الخنصرين للستة في الستة والبنصرين مع الخنصرين
للسبعة في السبعة والوسطاوين مع خنصر وبنصر كل يد
للثمانية في الثمانية والمسبحتين مع خنصر وبنصر ووسطى كل يد
للتسعة في التسعة فاذا اردت ان تعلم حاصل ضرب الستة
في مثلها فاطبق الخنصرين من اليدين فالمطبوقتان بعشرين
كل اصبع بعشرة واضرب الاصابع الباقية بعضها في بعض فتخرج
الاربعة في اربعة بستة عشر اضفها للعشرين يكون الحاصل ستة
وثلاثين واذا اردت حاصل ضرب السبعة في السبعة فاطبق
الخنصر والبنصر من اليدين فالمطبوقات باربعين واضرب
المفتوحات ثلاثة في ثلاثة بتسعة يكون الحاصل تسعا واربعين وهكذا

واما اذا اردت ضرب البسائط في المركب فنضع المركب ونضع
تحته العدد البسيط ونخط تحتهما خطا افقيا ثم نضربه في كل مرتبه
مرتبه ونضع حاصل كل مرتبة تحتها ان لم يزد عن التسعة والا
فضع التسعه او ما دونها واحفظ الزائد معك ثم اضرب
البسيط فيما بعد المرتبه التي معك واضف لها المحفوظ معك
وهكذا اذا كان تحت الخط فهو الجواب مثاله ضرب اثنين في
ستمائة واربعة وسبعين فضعه هكذا ٦٧٤ ثم اضرب
الاثنين في الاربعه بثمانيه ضعها اسفل الخط ثم الاثنين في ٢ ١٣٤٨ السبعه
باربعة عشر ضع الاربعه بعد الثمانيه واحفظ العشره بواحد ثم الاثنين
في الستة باثني عشر اضف لها الواحد المحفوظ تكون ثلاثة عشر
ضعها بتمامها [illegible] اسفل الخط وقد تم الجواب وهو الف وثلاثمائة
وثمانيه واربعون وهكذا واما الضرب المركب في مثله فهو ان
تضع المضروبين في سطرين متحاذيين ونمد تحتهما خطا افقيا ثم
تبتدي من جهة اليمين بضرب اول رقم من السطر الاسفل في كل رقم من ارقام
السطر الاعلا على التوالي وحاصل الضرب يسمى حاصلا جزئيا يوضع
اوله تحت الرقم الذي ضربته ثم نضرب ثاني رقم من السطر الاسفل
في كل رقم من ارقام السطر الاعلا كذلك وهكذا الى ان ننتهي فيتحصل
معك حواصل جزئيه يتأخر وضع كل حاصل منها عما قبلها بمرتبة
ومتى ضربت عددا في صفر فالخارج صفر او في واحد فهو العدد
بعينه واذا كان الناتج من ضرب رقم في اخر رقمين فضع اولهما
في منزلته اسفل الخط سواء كان صفرا او عددا واحفظ الثاني بصورة
الاحاد ثم اضفه الى حاصل الضرب في الرقم التالي له وحاصل الضرب
في الرقم الاخير يوضع بتمامه مع ما حفظته ان كان ثم تجمع الحو
اصل الجزئيه فالمجموع هو الحاصل المطلوب فلو قيل لك اضرب
هذه الصوره ٤٥٥٦ في هذه الصوره ٧٨٩ فضع العددين

منها ا بنى هكذا ٧٨٩ ثم اضرب الستة فى السبعة يحصل
اربعة وخمسون ٤٥٦ فتضع اسفل الخط اربعة فى المنزلة
الاولى وحفظ ٤ ٣ ٤ ٤ الخمسين تصوت الخمسة ثم اضرب
الستة فى الثمانية ٣ ٩ ٤ ٥ يحصل ثمانية واربعون اضف
لها الخمسة المحفوظ ٣ ١ ٥ ٦ فلم يحصل ثلاثة وخمسون
فضع الثلاثة ٣ ٥ ٩ ٧ ٨٤ بجانب الاربعة واحفظ
الخمسة ثم اضرب الستة فى السبعة واضف للحاصل الخمسة
المحفوظ يحصل سبعة واربعون فضعها بتمامها بجنب
الثلاثة وقد انتهى ضرب الستة ثم اضرب الخمسة فى كل عدد
من عداد السطر الاعلى على قياس ما تقدم ثم الاربعة كذلك
ثم اجمع ما تحت الخط تجد الجواب كما رأيته سابقا فيحصل الجواب
من ضرب سبعمائة وتسعة وثمانين فى اربعمائة وستة
وخمسين هو ثلاثمائة وتسعة وخمسون الفا وسبعمائة
واربعة وثمانون هكذا ٣٥٩٧٨٤ ولو قيل لك اضرب
هذه الصورة ٦٥٥٣٦ فى مثلها فضعها هكذا

٦٥٥٣٦ ثم اضرب الستة التى فى اول مراتب المضروب فى
٦٥٥٣٦ جميع مراتب المضروب فيه وتضع الحاصل تحت
الخط وهذا اول مضروب حصل ثم تضرب الثلاثة
٦ ١ ٢ ٣ ٩ ايضا فى جميع مراتب المضروب فيه كما فعلت
١٩٦٦٠٨ اولا غير انك تؤخر الحاصل الذى مرتبته
٣٢٧٦٨٠ على الحاصل الاول لجهة اليسار كما تقدم
٣٢٧٦٨٠ فيحصل معك سطر ايضا
٦ ١ ٢ ٢ ٣ وهكذا حتى تتم ضرب جميع مراتب
٤ المضروب فى جميع مراتب المضروب
٦ ٩ ٢ ٧ ٦ ٧ ٢ ٩ ٤ فيه ثم اجمع الى سطر كما تقدم فيحصل معك تحت الخط الجواب
وهو هنا اربعة ملايين ومائتين واربعة وتسعون الفا ~~الف~~ كذلك

مليونا

ملبونا وتسعمائه وسبعة وستون الفا ومائتان و
ستة وتسعون وقد نظم صاحب التيسير حاصل بقوله
اربعة ومائتان ثم وتسعة :: واربعة اخرى على عد تبني ::
وتسع تليها في حساب ستة :: وسبع تراها كالاثمار [illegible] ::
واثنان فاحسب ورا [illegible] تسعة :: وستة احفظ تستريح من الطرب ::
فافهم واذا كان العدد المضروب منه والمضروب فيه او احدهما اصفار من عدد
اخر كذلك او ليس كذلك فالاصل في ذلك ان تضرب احدهما في الا
خر مجردين عن الاصفار ثم تثبت قبل حاصل الضرب تلك الاصفار
فلو قيل لك اضرب هذه الصورة ٢١٠٠ في هذه الصورة ٣٠٠٠٠
مجردهما عن الاصفار فيرجعان الى احد وعشرين في ثلاثة وحاصل ضربهما
ثلاثة وستون وجملة الاصفار الموجودة في الطرفين ستة فاذا
اثبتها قبلها يكن الجواب ثلاثة وستين ملبونا هكذا ٦٣٠٠٠٠٠٠
واختبار صحة الضرب ان تطرح كل من المضروبين بالتسعة فان
فني احدهما او كلاهما فالميزان تسعة والا فان بقي شيء من المضروب
والمضروب فيه بعد طرحهما بالتسعة البقيتين في بعضهما واطرح
حاصل الضرب بالتسعة فالباقي هو الميزان ثم اطرح حاصل التسعة
ايضا فان بقي مثل الميزان فالعمل صحيح والا فلا والله اعلم واحكم

باب القسمة وهي حل المقسوم الى اجزاء متساوية عدتها
كعدة على احاد المقسوم عليه وهي على ثلاثة انواع قسمة عدد
على مساويه والخارج فيها واحد ابدا وقسمة قليل على كثير ويعبر عنها
بالنسبة كقسمة خمسه على عشرة وثلاثة على سبعة فان نسبت الخمسه
الى العشرة يكن الخارج لكل واحد من احاد المقسوم عليه نصفا وتو
ضع هكذا $\frac{1}{2}$ وان نسبت الثلاثة الى السبعة يكن الخارج لكل واحد
ثلاثة اسباع وتوضع هكذا $\frac{3}{7}$ على صورة الكسر في الصورتين و
قسمة كثير على قليل وطريقها ان تضع المقسوم في سطر عرضي و

والمقسوم عليه على يساره او يمينه مفصولا عنه بخط راس قايم
على خط افقي فاصل بين المقسوم عليه وخارج القسمة كما سنراه
ثم تاخذ من اجزا المقسوم من جهة اليسار اصغر عدد يحتوي
على المقسوم عليه مرة او اكثر وعلم عليه بشرطة وهذا العدد
يسمى بالمقسوم الجزئي الاول فنبحث عن عدد مرات احتوى
المقسوم عليه فيه وما وجدته من عدد مرات الاحتواء نضعه تحت
المقسوم عليه اسفل الخط ونضربه في المقسوم عليه وحاصل الضرب
نطرحه من المقسوم الجزئي المعلم عليه بالشرطة والباقي بعد الطرح ننزل
عليه الرقم الذي يلي الفكرة من جهة يمين المقسوم واعلم عليه
علامة اخرى فيتحصل معك ايضا مقسوم جزئي اخر ما بحث
فيه عن عدد مرات احتوائه على المقسوم عليه وضعه على يمين
الرقم السابق اسفل الخط واجر على هذا المنوال حتى ينتهي جميع
الارقام المقسوم واذا لم يحتوي اي مقسوم جزئي على المقسوم
عليه فضع صفر في خارج القسمة وننزل رقما اخر واذا لم يوجد
للمقسوم باقي كان ما تحت الخط هو خارج القسمة الصحيحة
وان بقي منه عدد ولو لا يكون الا اقل من المقسوم عليه فهو كسر من
المقسوم عليه فانسبه اليه وضمه الى خارج القسمة يكون صحيحا
وكسرا فاذا قيل اقسم هذه الصورة ٤٨٠٥٤ على ٦ فضع
المقسوم في سطر عرض والمقسوم عليه على يساره هكذا
٤٨٠٥٤ | ٦ ثم تاخذ من اخر المقسوم ٤٨ لانه اصغر عدد
في اخره يحتوي على الستة ثمان مرات فضع الثمانية اسفل الخط
واطرح حاصل ضربها في الستة من المقسوم الجزئي فلا يبقى شيء
فينزل الصفر من المقسوم وضع صفرا بجانب الثمانية في خارج القسمة
لانه اقل من المقسوم عليه ثم ننزل الاربعة فيكون الجزئي ٥٤ و
هو يحتوي على المقسوم عليه تسع مرات فضع التسعة واطرح
حاصل ضربها

حاصل ضربها في الحصة من المقسوم عليه فلا يبقى شيء وصفة
العمل هكذا ٤٨٠٥٤ | ٦ فتكون خارج القسمة حينئذ
ثمانية الوف وتسعة ٨٠٠٩ ولو قيل لك اقسم هذه الصورة
١٣٥٤ على هذه ٥٤ الصورة ١٣ فارسمها هكذا
هكذا ١٣٥٤ | ٥٤ وفعل كما فعلت اولا تكون خارج
القسمة ١٣ مائة واربعة وجزئين من ثلاثة عشرا
هكذا ١٠٤ و $\frac{٢}{١٣}$ ولو قيل لك اقسم هذه
الصورة ٦٦٦٦ على هذه الصورة ٥٥ فارسمها
هكذا ٦٦٦٦ | ٥٥ واعلم على مرتبتين
من يسار المقسوم
انظر كم يحتوي على ٥٥ واعتبره مقسوما جزئيا و
٦٦ يحتوي على ٥٥ مرة امثال المقسوم عليه فتجده
واحده فتضع الواحد تحت
المقسوم عليه وتطرحه منه يحصل بعد بينه ٥٥ اسقط من ٦٦
بيقى ١١ تنزل عليها ٦ تحصل ١١٦ اعتبره مقسوما جزئيا او
انظره تجده يحتوي على امثال المقسوم عليه مرتين فضع الـ
اثنين على يمين الواحد واطرحه في المقسوم عليه واطرح حاصل
الطرح والباقي منه تنزل عليه الرقم الباقي فتجده يحتوي على
المقسوم عليه مرة واحدة فضع الواحد على يمين الاثنين السابقة
واضرب واطرح تجده الباقي بعد الطرح احد عشر وهو كسر من خمسة
وخمسين فيكون الجواب مائة وواحد وعشرين واحد عشر وهو
كسر من خمسة وخمسين ولو قيل لك اقسم هذه الصورة
٢٩٤٩٦٧٢٩٦ على هذه الصورة ... فاعمل كما
فعلت بالقاعدة السابقة تجد لها خارج القسمة ستة
عشر مليون وثلاثمائة ... الفا و... مائة
وخمسة ... من ...

هكذا الصورة ... (هامش غير واضح)

٤٢٩٤٩٦٧٢٩٦ | ٩٥٢ تتمة

٢٥٩ | ٥ ٨ ٨ ٢ ٨ ٥ ٢ ٦ ١ في القسمة

في اختصارات بعض المواضع لسرعة العمل وهي اذا

يحتاج اليها في ١٧٠٤ ... كان المقسوم ١٥٥٤ عليه عشرة او مائة او الفا او نشبهه

مما هو مبدو ١٥٠٩ باصفار فصل من المقسوم اربعة نا با

بقدر ما ٢٠٢٩٥ على يمين الواحد من الاصفار فما كان

على يسار ٢١٤٦ الفاصل هو الخارج وما كان على يمينه

هو الباقي ٢٠٧٢ فخارج قسمة ٤٦٨٥ على ١٠ هو

٤٦٨ والبا ٧٤٧ ٥١٨ في ٥ هو الكسر وخارج قسمة ٧٨٦٧ ٩٧

على ١٠٠ هو ٧٨ والباقي ٦٧ هو الكسر من المائة

٣٢٩٤ وخارج قسمة ٧٨٥٠٠٠٠ على ١٠٠٠

٣٠٧٢ هو ٧٨٥٠ بلا كسر واذا كان المقسوم

٤٦٨ ٣٣٠٩ عليه منتهيا باصفار تحذفها منه و

٣٠٧٢ تحذف ارقام بقدرها من اليمين المقسوم

١٣٣٦ ثم تقسم الارقام الباقية من المقسوم على الا

١٢٩٥ رقام الباقية من المقسوم عليه ثم تضع الا

٨١ رقام المفصولة من يمين المقسوم على يمين

الباقيه فلقسمة ٧٦٠٨٧٦ على ٣٥٠٠ تحذ

ف الصفرين من يمين المقسوم وتقسم ٧٦٠٨ على ٣٥ فينتج

٢١٧ ويبقى ٣ فتضع على يمينه الرقمين المفصولين فيحدث

١٣٧٦ فيكون كسرا من المقسوم عليه ٣٥٠٠ ولقسمة ٤٦٠١٠٨

على ٤٣٠ تحذف صفرا من يمين المقسوم عليه وتحذف رقما

من يمين المقسوم وتقسم ٤٦٠١٠ على ٤٣ فينتج ١٠٧٠ ولا يبقى

شئ فيكون هذا العدد هو الخارج واما الباقي فهو رقم ٨ وهو كسر من

٤٣٠ هذا بيان القسمة وهو ان تضرب خارج القسمة

في المقسوم

في [illegible] المقسوم عليه و[illegible] [illegible] ان وجه فان [illegible]
مجموعها المقسوم كانت القسمة صحيحة والا فلا
قد يحتاج في قسمة [illegible] الى تحليل المقسوم عليه الى [illegible]
التي تتركب منها ان كانت مما يمكن تحليلها [illegible] المقسوم [illegible]
[illegible] و[illegible] عنه [illegible] الرقم [illegible] عليه لا يكون [illegible]
وان كان مركبا من اضلاع يحلل اليها فان كانت قسمته عليه [illegible]
كما [illegible] على الرقم و[illegible] [illegible] امثلته [illegible] وان [illegible]
الى اضلاعه التي [illegible] منها وهو المقصود في هذه [illegible]
فيضع [illegible] الاضلاع اسفل الخط في سطر مقدما الاصغر فالاكبر [illegible]
و[illegible] فوق [illegible] الاضلاع خطا افقيا [illegible] [illegible] ثم نقسم
العدد المطلوب قسمته على الاصغر من تلك الاضلاع على قياس [illegible]
[illegible] و[illegible] فوقه صفرا على خط ان لم [illegible] الا [illegible] عليه
والا [illegible] الكسر وهو الباقي فوقه ثم نقسم خارج القسمة
[illegible] على [illegible] الاضلاع الاخير [illegible] و[illegible] حتى
[illegible] الاضلاع [illegible] و[illegible] و[illegible] فوق [illegible]
هذا الكسر [illegible] كما [illegible] فوقها [illegible] [illegible]
عشرة [illegible] [illegible] و[illegible] [illegible] واربعة عشر و[illegible]
[illegible] ثم قسم الاثنين على الاربعة [illegible] [illegible] [illegible]
فاثبت فوق الاربعة صفرا على [illegible] [illegible] [illegible]
يخرج [illegible] و[illegible] واربعة اسداس [illegible] [illegible]
في قسمة الثقيل على الكسر [illegible] المقسوم عليه [illegible] [illegible]
اضلاعه وهي ستة واربعة او ثمانية وثلاثة وضع [illegible]
واشار الى المقسوم [illegible] واحد اكثره على الاربعة و[illegible]
واضف [illegible] الى [illegible] الواحد من الستة او ثمانية [illegible]
ربع سدس او [illegible] ثلث ثمن والموجود واحد [illegible]
وان كان المقسوم [illegible] [illegible] ثمن او نصف [illegible] واذا [illegible] و[illegible]
واحد [illegible] [illegible] وضع صفرا على ثلاثة [illegible] [illegible]

وعلى هذا القياس والاصغر من المتوافقين ان نرد ذكرا منهما الى
وفقه فمثلا فى قسمة ٢٥ على ٢١٠ بينهما توافق بالاخماس فوفق الخمسة
وعشرين خمسة ووفق المائتين اثنان واربعون فحل الاثنين
والاربعين الى ما لها تركبت منه وهو سبعة وستة وكسر وفق
السنة الخمسة ووفق الاول يكن هكذا $\frac{5}{7 \; 6}$ فيكون خارج
القسمة خمسة اسداس سبع وان شئت رسمته كرسم المضاف
هكذا $\frac{5}{6}$ من $\frac{1}{7}$ عبارة عن $\frac{5}{42}$ ثم للحل مقدمة وهي ان كل
عدد اوله صفر فله النصف والعشر والخمس وكل عدد اوله زوج فله
النصف وما افنته الثلاثة فله الثلث او الاربعة فله الربع وهكذا
وكيفية الحل ان تعرف ما لذلك العدد المطلوب حله من الكسور ثم
تاخذ مقام كسره الوفق فهو احد ضلعيه فاقسم
عليه جملة العدد يخرج ضلعه الاخر فان كان ذلك الضلع
ينحل ايضا واحتجت الى حله فحله كذلك وهلم جرا الى ان تصير جميع
اضلاعه احادا منطقا او ما لا ينحل فلو قيل لك حل ١٢٨ فاذا
كسر ظهر له الثمن ويقابله ثمانية فاقسم العدد عليها يخرج ستة
عشر فهو ضلعه الاخر فحله الى اثنين وثمانية او الى اربعة واربعة
تنبيه كل ما كان مخرج الكسر اكبر مما قبله فهو الادق واختبار
صحة الحل ان تضرب الاضلاع بعضها فى بعض فان حصل عدد ذو صح
العمل والا فلا والى هنا انتهى ما اردنا معه جمعه من الاعمال
الجمع والطرح والضرب والقسمة للاعداد الصحيحة فينبغي
لمن اراد نفع نفسه ان يتمرن على الاعمال السابقة حتى يكون لديه
حاضرا ولنشرع الان فى اعمال الكسور فما لا بد لكل طالب علم من
معرفته يستعين به فى قسمة المواريث وبالله الاستعانة و
الله اعلم باب اسماء الكسور وسطها اعلم ان الكسر اما منطق
او اصم فالمنطق هو النصف والثلث والربع والخمس والسدس
والسبع والثمن والتسع والعشر والاصم كواحد من احد

عشر وواحد

عشر وواحد من ثلاثة عشر ويعبر عنها بلفظ الجزء فيقال جزء من احد عشر
مثلا وهذه صورتها $\frac{1}{2}$ $\frac{1}{3}$ $\frac{1}{4}$ $\frac{1}{5}$ $\frac{1}{6}$ $\frac{1}{7}$ $\frac{1}{8}$ $\frac{1}{9}$ $\frac{1}{10}$ $\frac{1}{11}$ $\frac{1}{13}$ وكل
منهما اما مفرد او مكرر او معطوف او مضاف فالمفرد كسدس او ثلث
او ربع وكجزء من احد عشر وجزءا من ثلاثة عشر والمكرر كسدسين وربعين
وكجزئين من احد عشر وكل كسر مكرر الا النصف فانه متى تكرر انتقل الى
الصحيح ومنتهى تكرار كل كسر اقل من الواحد بجزء مثله ذلك الجزء
كثلثين في التكرار الثالث فانه اذا زاد جزء كان ثلاثة اثلاث فقد ساوى
مخرجه ومتى ساوى الكسر المكرر مخرجه فهو واحد صحيح وكل من المفرد
والمكررين بعددين احدهما فوقه والآخر تحته منفصلة عنه بشر
طة الخفيفة فالعدد الذي فوقها يسمى بسطا والذي تحتها يسمى
مقاما وحدها والبسط والمقام يبينان حد الكسر فاذا اريد كتا
بة ثلاثة اخماس تكتبها هكذا $\frac{3}{5}$ او اربعة اسداس هكذا
$\frac{4}{6}$ واما المضاف فهو ما تركب من كسرين فاكثر على سبيل الاضافة
وكل كسر منه جزء مما بعده كنصف سدس الربع $\frac{1}{2}|\frac{1}{6}|\frac{1}{4}$ او تقع
منفصلة من بعض وتميز بكلمة من هكذا $\frac{1}{2}$ من $\frac{1}{6}$ من $\frac{1}{4}$
واما المعطوف فهو ما تركب من كسرين فاكثر على سبيل العطف
نحو $\frac{1}{2}$ و $\frac{1}{4}$ ونحو $\frac{1}{6}$ و $\frac{1}{12}$ فبسط الكسر عبارة عن حقه اره
من مقامه النصف واحد هكذا $\frac{1}{2}$ وبسط ثلاثة اسباع هكذا
$\frac{3}{7}$ وقس على ذلك وبسط المضاف هو حاصل ضرب ما على المقا
مات بعضها في بعض وحاصل ضرب مقاماته في بعضها هو المقام
لبسط نصف السدس $\frac{1}{2}|\frac{1}{6}$ هو $\frac{1}{12}$ وبسط $\frac{1}{11}$ من $\frac{1}{12}$ يكون
$\frac{1}{132}$ واما المعطوف فحول مقاماته الى مقام مشترك واضرب فيه
المكسور بسط كل كسر واقسم الحاصل على المقام الخاص بذلك الكسر فالخارج
فهو بسط ذلك الكسر من المقام المشترك ولا يمكن تحصيل عمله الا بمعرفة
التجنيس ... جيده لتستعين على اعمال الكسور كلها والله اعلم

[illegible]

باب التجنيس هو تحويل عدة كسور الى اخرى فتجد ثم المقام وتكافئه
لها فالكسور المطلوب تجنيسها اما كسران او اكثر فان كان [illegible]
فاضرب كلا منهما في مقام الاخر فلو اردت تجنيس $\frac{7}{9}$ و $\frac{4}{5}$ فا
ضرب هذه الاول اعني السبعة والتسعة في الخمسة مقام الثاني
واضرب صورة الثاني اعني الاربعة والخمسة في مقام الاول فيجنس
معك الكسران ويتحولان الى ما وجدنا فيهما هكذا [illegible] و [illegible] فقد
اتحد الكسران في المخرج فان [illegible] فاضرب [illegible] وتساوي ذلك كله
واذا كانت الكسور اكثر من كسرين فانظر الى مقامي كسرين منها فان
[illegible] كخمسة [illegible] فاكتف باحدهما وان تداخلا [illegible] فاكتف [illegible]
الاكثر كاربعة وثمانية فاكتف باكبرهما وان توافقا [illegible]
هما عدد ثالث غير الواحد كاربعة وستة فانهما متوافقان بالنصف
فاضرب وفق احدهما في كامل الاخر وان تباينا [illegible] ثم يشترك في جزء
كخمسة وثمانية فاضرب احدهما في الاخر ثم انظر بين هذا الحاصل من ضرب
بعضهما في بعض اذا تباينا او وفق احدهما اذا توافقا مع
المقام [illegible] واعتبره الاعتبارات [illegible] من التوافق والتباين و
مقام [illegible]
التداخل [illegible] واضرب الحاصل فيما بعده [illegible] يحصل المقام
المشترك فاضرب فيه بسط كل كسر واقسم الحاصل على [illegible] لذلك
المقام الخاص بذلك الكسر فالخارج هو بسط ذلك الكسر من المقام
المشترك فاذا اردت تجنيس $\frac{3}{4}$ و $\frac{5}{6}$ و $\frac{5}{7}$ فانظر الى الاربعة
[illegible] في الستة فاكتف بالستة ثم انظر بين الستة والسبعة
[illegible] متباينة فاضرب احدهما في الاخر يحصل معك اثنان واربعون
وهو المقام المشترك للكسور [illegible] فاضرب فيه بسط كل كسر منها و
[illegible] الحاصل على المقام الخاص به وهو الثلاثة والستة والسبعة يحصل
معك هكذا $\frac{28}{42}$ [illegible] $\frac{24}{42}$ ولو قيل لك جنس $\frac{1}{3}$
و $\frac{1}{4}$ و [illegible] فانظر بين الثلاثة والاربعة تجد [illegible] متباينة فاضربها

في بعضها يحصل

في بعضها يحصل معك في ضربها اثنا عشر فانظر بينها وبين الخمسة تجدها متباينة
فاضربها في الخمسة يحصل معك ستون وهو المخرج المشترك فاضرب فيه بسط كل كسر
واقسم الحاصل على المقام الخاص به يحصل معك الكسر بعينه من المقام المشترك وهكذا $\frac{30}{60}$
و $\frac{15}{60}$ و $\frac{12}{60}$ وهو المطلوب فقد اتحد مخرجهم والكسور المتنوعة فوق المخرج ثم نعتبر
قيمتها فان الثلاثين بالنسبة للستين نصف وكذلك الخمسة عشر بالنسبة اليها ربع
وكذلك الاثنا عشر بالنسبة اليها ايضا خمس والله اعلم

## باب جمع الكسور

وطريق الجمع ان تحول الكسور المراد جمعها الى مقام مشترك وناخذ البسوط من المقام المشترك
عدة المتقدمة في الباب قبله ونجمعها فان زادت عن المقام المشترك فاقسمها عليه
ليخرج العدد الصحيح والباقي كسر منه فلو قيل لك اجمع ثلاثة ارباع الى خمسة اسداس
$\frac{3}{4}$ الى $\frac{5}{6}$ فجنسهما اولا بضرب حدي كل منهما في مقام الاخر فتضرب الثلاثة في الستة
الحاصل تجعله بسطا والاربعة في الستة يحصل معك اربعة وعشرون اجعلها مقاما
للبسط الاول ثم اضرب الخمسة في الاربعة واجعل الحاصل بسطا والستة في الاربعة و
اجعل الحاصل مقاما للثاني فقد صار الكسران من جنس واحد هكذا $\frac{18}{24}$ و $\frac{20}{24}$
ثم اجمع البسطين يحصل معك ثمانية وثلاثون تجعله على المقام المشترك $\frac{38}{24}$
هكذا ثم اقسم البسط على المقام يصير حاصل الجمع عبارة عن واحد ونصف ونصف سدس
ولو كان الكسور المراد جمعها اكثر من اثنين فالعمل فيه تجنيسها اولا ثم جمع البسوط
كما علمت اولا فاذا اريد جمع $\frac{7}{9}$ و $\frac{1}{3}$ و $\frac{3}{4}$ و $\frac{5}{12}$ تجنيسها اولا بالقاعدة
السابقة في باب التجنيس فانظر بين المقامات بعضها في بعض تجد الثلاثة داخلة
في التسعة فاكتف بالتسعة في النظر بين الاربعة والاثني عشر تجد الاربعة داخلة
في الاثني عشر فاكتف بالاثني عشر وانظر ايضا بين التسعة والاثني عشر تجد
ستة وثلاثين وهو المقام المشترك فاضرب فيه بسط كل واقسمه على المقام
الخاص بذلك الكسر يخرج البسوط من المقام المشترك فاجمعها يحصل المطلوب
هكذا $\frac{28}{36}$ و $\frac{12}{36}$ و $\frac{27}{36}$ و $\frac{15}{36}$ اجمع البسوط واكتبها على المقام المشترك
هكذا $\frac{82}{36}$ واقسمها على المقام المشترك يخرج اثنان وعشرة من ستة
وثلاثين وهي عبارة عن سدس واربعة اسداس السدس $2\frac{10}{36}$ وعلى
هذا المثال اجر بقية الاعمال الراحم عليك فهمه وحسها من الزوال

## باب طرح الكسور

وطريقه ان تجنس الكسرين ان لم يكونا متحدي
المقام ثم تطرح بسط كسر المطروح من بسط كسر المطروح منه وتجعل الناتج
بسطا على المقام المشترك مثال ما اذا كان الكسران متحدي المقام طرح هذه
الصورة $\frac{5}{25}$ من هذه الصورة $\frac{5}{25}$ وكيفية العمل ان تطرح بسط كسر المطروح

وهو خمسة من بسط كسر المطروح منه وهو عشرة فيبقى خمسة فنجعلها بسطا ومقامها المقام المشترك وهو خمسة عشر فيصير هكذا $\frac{5}{15}$ وهو عبارة عن الثلث وأما إذا كان الكسران مختلفي المقام كهذه الصورة مثلا $\frac{5}{8}$ من $\frac{3}{9}$ [illegible] نجنسهما أولا بالقاعدة السابقة بأن نضرب حدي كل منهما في مقام الآخر فيحصل معك $\frac{45}{72}$ من $\frac{56}{72}$ فنطرح خمسة وأربعين من ستة وخمسين يبقى احد عشر الكسرها على المخرج المشترك يكون هكذا $\frac{11}{72}$ وأما فهم الاحد عشر على الاصطلاح اثني وسبعين وهي ٩ و٨ بمخرج تسع وثلاثة اثمان تسع وهو الباقي من طرح $\frac{5}{8}$ من $\frac{7}{9}$ واجر على هذا المثال كلما يشاكله في جميع الاحوال

وأما لو اردت طرح كسر من واحد صحيح تحول الواحد الى كسر من هذا الكسر ثم اطرح الكسر من هذا الكسر اللفظي مثلا $\frac{5}{8}$ من واحد تحول الواحد الى كسر لفظي مقامه ثمانية فيخرج هكذا $\frac{5}{8}$ من $\frac{8}{8}$ طرح الخمسة من الثمانية يبقى ثلاثة اثمان وهو المطلوب $\frac{3}{8}$ وكذلك تفعل فيما إذا كان الصحيح عددا أكثر من الواحد فأخذ الواحد من العدد الصحيح وتفعل فيه ما تقدم وتضع بجوار الباقي من العدد الصحيح بعد أن تحذف منه واحدا مثلا $\frac{5}{8}$ من ثلاثة عشر نطرح ثلاثة اثمان من واحد صحيح بالعمل المتقدم فيبقى $\frac{3}{8}$ واثنا عشر وإذا اردت طرح عدد صحيح وكسر من عدد صحيح وكسر نطرح الكسر من الكسر ثم الصحيح من الصحيح فلطرح ثلاثة وخمسة اسباع من ثمانية وسبعة اثمان نجري العمل هكذا $3 \frac{5}{7}$ من $8 \frac{7}{8}$ نجنس الكسرين أولا كما تقدم فيخرج $\frac{40}{56}$ من $\frac{49}{56}$ فنطرح الاربعين من تسعة واربعين يبقى تسعة الكسرها على المخرج المشترك ونطرح الثلاثة من الثمانية يبقى خمسة فيكون الباقي $5$ و$\frac{9}{56}$ وهو المطلوب وهو عبارة عن خمسة وثمن وسبعي ثمن والثمن وأما عمل التجنيس حين أن يوضع كل عدد صحيح على يسار الكسر المصاحب له وأما إذا كان كسر المطروح أكبر من كسر المطروح منه نستعير واحدا من صحيح المطروح منه ونضيفه الى كسره ثم نطرح كسر المطروح من هذا الكسر والصحيح من الصحيح بعد نقصه واحدا فلطرح $\frac{3}{4}$ ١٣ من $\frac{3}{5}$ ٢٣ فالعمل فيه أن نجنس الكسرين فيحصل معك كسران تجنيسهما صورتهما $\frac{15}{20}$ من $\frac{12}{20}$ فنجد كسر المطروح اكبر من كسر المطروح منه فنستعير له ~~[illegible]~~ واحدا من الصحيح المطروح منه ونضربه في المخرج المشترك وهو العشرون في هذا المثال والحاصل نضيفه فنتج $\frac{32}{20}$ ثم نطرح $\frac{15}{20}$ من $\frac{32}{20}$ يبقى $\frac{17}{20}$ ثم اطرح الصحاح ثلاثة عشر من واحد وثلاثين الذي هو صحيح المطروح منه الذي فرغ احدنا منه واحدا [illegible]

فبقي ثمانية عشر فيكون الباقي من طرح الصورتين هو $\frac{18}{19}$

وأربعة أخماس وثلاثة أرباع خمس يصلح في طرح عدد $\frac{3}{4}$ هو ثمانية عشر

ان يضرب كل من المطروح والمطروح منه ثم يطرح الكسران الناتج $\frac{5}{4}$ صحيح وكسر من مثله

الطرق الذي هو تحويل عدد صحيح وكسر الى عدد كسري ان نضرب العدد الصحيح بعضهما من بعض وكيفية

ونضيف البسط الى الحاصل ونجعل الناتج بسطا على المقام الأصلي فلطرق خمسة وسبعة اثمان في مقام الكسر

ثمان نضرب خمسة في ثمانية ينتج اربعون نضيف اليه البسطه يسطا الثمانية ينتج

ينتج ٤٧ نجعله يسطا على المقام الأصلي الثمانية فينتج $\frac{47}{8}$ فاذا قسمت على مخرج الثمانية

يرجع العدد كما كان وهو معنى الرفع فالرفع عبارة عن تحويل عدد كسري الى عدد صحيح و

كسر وقاعدته ان تقسم البسط على المقام فالخارج هو العدد الصحيح والباقي نجعله بسطا

على المقام الأصلي فلو اردت رفع هذه الصورة $\frac{47}{8}$ تقسم السبعة والاربعين على الثمانية

فينتج خمسة ويبقى سبعة فالخارج الخمسة هو العدد الصحيح والباقي السبعة

هو الكسر يجعل بسطا ومقامه الثمانية فيكون هكذا ٥ و $\frac{7}{8}$ فافهم قاعدة الرفع

والرفع ينفعك في مواضع كثيرة والله اعلم باب ضرب الكسور وهو قسمين

ضرب كسر في كسر او عدة كسور بعضها في بعض او ضرب عدد صحيح في كسر او كسر في عدد

صحيح فالضرب كسر في كسر نضرب البسط في البسط والمقام في المقام ونجعل حاصل ضرب البسطين

بسطا وحاصل مقاماته له فضرب $\frac{3}{7}$ في $\frac{5}{9}$ هو ان نضرب ثلاثة في خمسة فينتج خمسة

عشر فنجعله بسطا ثم نضرب سبعة في تسعة ينتج ثلاثة وستين فنجعله مقاما

له فالحاصل يكون هكذا $\frac{15}{63}$ وهو عبارة عن ... وسبع تسع $\frac{1}{7}$ $\frac{2}{9}$

ولضرب عدة كسور هو ان نضرب البسوط بعضها في بعض وحاصل ضرب المقامات

كذلك ونجعل حاصل ضرب البسوط بسطا وحاصل ضرب المقامات مقاما له فلضرب

$\frac{5}{6}$ في $\frac{3}{4}$ في $\frac{3}{4}$ نضرب خمسة في ثلاثة بخمسة عشر والحاصل في ثلاثين فينتج

ثلاثين فنجعله بسطا ثم نضرب الستة في الاربعة بالاربعة وعشرين والحاصل

في الثلاثة باثنين وسبعين نجعله مقاما لذلك البسط هكذا $\frac{30}{72}$ وهو عبارة

عن ثلاثة اتساع وستة اثمان تسع ولضرب عدد $\frac{3}{4}$ صحيح في كسر او

كسر في عدد صحيح نضرب العدد الصحيح في بسط $\frac{2}{6}$ الكسر ونجعل الحاصل $\frac{5}{8}$

صل بسطا على المقام فاذا اردت ضرب اربعة في خمسة اثمان وهذه صورته ٤ في $\frac{5}{8}$

فنضرب الاربعة في الخمسة فينتج عشرين فنجعله بسطا ومقامه ثمانية فينتج هكذا

$\frac{20}{8}$ فاذا رفعناه بقاعدة الرفع السابقة فيحصل معك ٢ $\frac{4}{8}$ وهو المطلوب

واذا اردت ضرب $\frac{7}{9}$ في ٥ فاضرب سبعة في خمسة ينتج خمسة وثلاثين فنجعله

بسطا ومقامه تسعة ينتج $\frac{35}{9}$ فنرفعه ينتج ٣ $\frac{8}{9}$ تنبيه قد ثبت

هذا في ضرب الاعداد الصحيحة ان حاصل الضرب اكبر من كل من المضروب والمضروب

فيه ولكن ضرب الكسور لا يكون كذلك فانه متى كان احد المضروبين

وكلاهما مركبان من عدد صحيح وكسر فنصرف العدد الصحيح والكسر فيكون
[illegible] احدى الحالتين السابقتين مثاله اذا اردت ضرب [illegible] ٣ في
نصرف المضروب فيبلغ [illegible] ٢٦ ثم نضرب في الاربعة فيبلغ ٨ فارفعه فيكون
الخارج عبارة عن [illegible] واذا اردت ضرب اربعة وربع في خمسة وثلثين
فنصرف كلا من المضروب والمضروب فيه ثم نضرب الكسرين [illegible]
[illegible] فالحاصل هكذا [illegible] ١٧ في [illegible]
[illegible] ضرب خمسة ونصف في ثلاثة [illegible] اربعة اسداس نصرف المضروب
[illegible] في ثلاثة ارباع هكذا [illegible] في [illegible] احرف المضروب
[illegible] الكسر الناتج [illegible] رفعه يحصل [illegible] وفتش على هذا
[illegible] فقسمة كسر على كسر
واعلم ان [illegible] على كسر [illegible] قسمة
وقسمة كسر على عدد صحيح وقسمة عدد صحيح على كسر [illegible] بسط
كسر على كسر [illegible] بسط المقسوم في مقام المقسوم عليه ونجعل الناتج بسطا
ثم نضرب مقام المقسوم في بسط المقسوم عليه ونجعل الناتج مقاما له فلو
قيل لك اقسم [illegible] على [illegible] فاضرب بسط المقسوم وهو هنا خمسة في مقام
المقسوم عليه وهو اربعة يحصل معك عشرون فاجعله بسطا ثم اضرب
مقام المقسوم وهو ستة في بسط المقسوم عليه وهو ثلاثة
يحصل معك ثمانية عشر اجعله مقاما للمضروب وهو الجواب هكذا [illegible]
وهو عبارة عن واحد [illegible] من ثمانية عشر بعض واحد وتسع وقسمة كسر
على عدد صحيح نضرب العدد الصحيح في مقام الكسر ونجعل الحاصل مقاما للكسر
[illegible] فلو قيل لك اقسم [illegible] على [illegible] فاضرب العدد الصحيح وهو الاثنان
في مقام الكسر ثمانية فيبلغ معك ستة عشر فاجعلها مقاما للسبعة
وهو الخارج المطلوب [illegible] وهو عبارة عن ربع وثلاثة ارباع ربع [illegible]
عدد صحيح على كسر نضرب العدد الصحيح في مقام الكسر ونجعل الناتج
بسطا [illegible] الكسر مقاما له فلو قيل لك اقسم ثمانية على خمسة اسباع
[illegible] واحدها

٨ على ٧ فاضرب الثمانية عشر في السبعة يحصل معك مائة وستة وعشرون فاجعله بسطا واجعل الخمسة البسط مقاما له هكذا [illegible] فارفعه بقاعدة الرفع السابقة يخرج ٢٥ وهو المطلوب وإذا كان المقسوم أو المقسوم عليه أو كلاهما مركبا من عدد صحيح وكسر بصرف [illegible] الصحاح [illegible] و
الكسر [illegible] قبول الأمر [illegible] كما في السابقة فإذا أريد قسمة ٣ ٨ على ٥
تصرف المقسوم فيخرج [illegible] ثم [illegible] على الخمسة [illegible] جعل الخمسة [illegible]
فقه وتصرف الخمسة في الدرجة فيخرج [illegible] ٣ وهو [illegible]
[illegible] بين ثلاثة وثلاثة أرباع وإذا [illegible] قسمة خمسة وعشرين
على ثلاثة وثمن ٢٥ على $\frac{1}{8}$ ٣ تصرف المقسوم عليه فيخرج $\frac{25}{8}$ ثم تقسم المقسوم
على هذا الكسر فتضرب الخمسة والعشرون في الثمانية فيحصل معك مائتان
فاجعله بسطا واجعل الخمسة والعشرين مقاما له هكذا [illegible] فيخرج عليها
يخرج معك ثمانية وهو المطلوب وإذا أريد قسمة ثمانية ونصف ٨ على
اثنين وربع [illegible] تصرف المقسوم فيخرج $\frac{17}{2}$ وتصرف المقسوم عليه فيخرج [illegible]
ثم تقسم هذين الكسرين أحدهما على الآخر فتضرب بسط الأول في مقام الثاني و
تجعله بسطا وتضرب بسط الثاني في مقام الأول وتجعله مقاما يكون
هكذا [illegible] فارفعه يخرج $\frac{[illegible]}{8}$ وهو المطلوب وهو عبارة عن ثلاثة
واثنين وثلثي [illegible] تنبيهات إذا اتحد مقاما الكسرين يكفي أن نقسم
بسط المقسوم على بسط المقسوم عليه فيكون خارج قسمة ٢ على [illegible]
اثنين وثلث هكذا ٣ ٢ وإذا [illegible] بسط الكسرين نقسم مقام المقسوم
عليه على مقام المقسوم فيكون خارج قسمة $\frac{5}{8}$ على $\frac{5}{?}$ هو واحد وثمن
هكذا ١ $\frac{1}{8}$ ومما ينبغي ملاحظته [illegible] أنه متى كان المقسوم أكبر من
المقسوم عليه يكون الخارج أكبر من واحد صحيح ومتى كان المقسوم
أصغر من المقسوم عليه يكون الخارج كسرا أصغر من الواحد وأيضا
قد بينا هذا في قسمة الأعداد الصحاح أن الخارج دائما أقل
من المقسوم ولكن لا يكون كذلك في قسمة الكسور فإنه متى كان
المقسوم عليه كسرا حقيقيا فالخارج يكون أكبر من المقسوم [illegible]
والله أعلم وقد بسطنا الكلام في قسمة [illegible] على [illegible]
[illegible] من [illegible] أعمال الكسور والجبر [illegible]
[illegible] أعمال [illegible] وكذلك [illegible]
[illegible]

فاذا اردت تحويل كسر من مقام الى مقام اخر فاضرب بسط الكسر المحول في مقام
الكسر المحول اليه او مقاماته واقسم الحاصل على مقام المحول او مقاماته يحصل
المطلوب فلو قيل ستة اسباع كم ثمنا فاضرب ستة بسط المحول في ثمانية
مقام المحول اليه واقسم الحاصل وهو ثمانية واربعون على سبعة مقام
المحول يخرج ستة اثمان وستة اسباع ثمن هكذا $\frac{٦}{٧}$ كم ثمنا $\frac{١}{٨}$ هو
بعد الضرب والعمل $\frac{٤٨}{٧}$ اقسم الثمانية والاربعين على السبعة يخرج الاثمان
وهو هنا ستة اثمان وستة اسباع ثمن هكذا $\frac{٦}{٨}$ | $\frac{٦}{٨}$ والله اعلم باب
الجذر التربيعي الجذر التربيعي لعدد هو عدد اذا ضرب في نفسه
ينتج العدد المفروض فالجذر التربيعي لعدد ٣٦ هو ٦ لانك اذا ضربته في
نفسه ينتج ٣٦ والجذر لعدد ١٠٠ هو عشرة فاذا ضربت العشرة في
مثلها انتج مائة فالجذر التربيعي واقل من مائة يعرف من مربعات
الاعداد التسعة البسيطة المسماة بالتجربة فاذا كان العدد المفروض احد
مربعات الاعداد التسعة المذكورة كان جذره ما هو العدد المقابل له
وقاعدة ايجاد الجذر التربيعي لاي
عدد صحيح غير ما تقدم بتقسيم من
اليمين الى اليسار الى فصول زوجية

| ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٨١ | ٦٤ | ٤٩ | ٣٦ | ٢٥ | ١٦ | ٩ | ٤ | ١ |

العدد وقد يكون الفصل الاخير رقما واحدا ثم ياخذ جذر الفصل الاخير
من جهة اليسار ويوضع على يسار العدد المفروض ثم يربع هذا الناتج
يطرح المربع من الفصل المذكور ثم تنزل على يمين الباقي الفصل الثاني للا
ول ويفصل رقم امانفاصل ثم يقسم ما على يسار الفاصل على ضعف ناتج الجذر
ما الخارج يحتمل ان يكون ثاني رقم الجذر ويحتمل ان يكون اكبر من الرقم المطلوب
ولاختباره يوضع على يمين ضعف الجذر ويضرب العدد المكون هكذا في
نفس هذا الخارج فان امكن طرح الحاصل من العدد المكون من المقسوم
والرقم المفصول كان الخارج هو ثاني رقم من الجذر فيوضع على يمين الر
قم الاول والا فننقصه واحدا لعد واحد حتى يمكن الطرح ثم تنزل
على يمين الباقي الفصل الثاني للسابق وتجري فيه العمل كما اجريت في
سابقه وهكذا حتى ينتهي جميع الفصول واذا تعذرت القسمة
على ضعف ناتج

على ضعف ناتج الجذر بوضع صفر في الناتج ولنمثل له بثلاثة امثلة المثال الاول اذا اردنا ايجاد جذر العدد ٧٢٢٥ تجري العمل هكذا

| ٧٢٢٥ | ٨٥ |
|---|---|
| ٦٤ | ١٦٥ |
| ٨٢٥ | ٥ |
| ٨٢٥ | |

كيفية العمل ان نقسم العدد من اليمين الى فصول زوجية ثم ناخذ جذر الفصل الاخير من جهة اليسار اي ٧٢ نجده ٨ نضعه على يسار العدد المفروض ثم نربع الثمانية بان نضربها في نفسها ونطرح مربعها وهو ٦٤ من ٧٢ يبقى ثمانية ننزل على يمينها الفصل التالي وهو ٢٥ هذا فيحدث ٨٢٥ نفصل رقم احاده وهو الخمسة ونقسم ما على يسار الفاصل وهو ٨٢ على ضعف الجذر اي على ١٦ فينتج خمسة يحتمل ان يكون ثاني رقم من الجذر وللتحقيق نضعه على يمين ضعف الجذر وهو ١٦ فيحدث ١٦٥ نضربه في الخمسة يحدث ٨٢٥ وحيث انه يمكن طرحه من العدد المكون في المقسوم ٨ والرقم المفصول وهو ٥ اي من ٨٢٥ فيكون رقم خمسة موافقا فيوضع على يمين رقم ٨ ويكون ناتج الجذر وهو ٨٥ المثال الثاني اذا اردنا ايجاد جذر ٧١٢٨٩ تجري العمل هكذا

| ٧١٢٨٩ | ٢٦٧ |
|---|---|
| ٤ | |
| ٣١٢ | |
| ٢٧٦ | |
| ٣٦٨٩ | |
| ٣٦٨٩ | |

كيفية العمل ان نقسم العدد من اليمين الى فصول زوجية ثم ناخذ جذر الفصل الاخير من جهة اليسار وهو سبعة فينتج ٢ ~~ونطرح مربعه~~ نضعه على يسار العدد المفروض ثم نربع ٢ ونطرح مربعه ٤ من ٧ يبقى ثلاثة ننزل على يمينه الفصل التالي للاول ١٢ فيحدث ٣١٢ نفصل رقم احاده اثنين ونقسم ٣١ على ضعف الجذر اي على اربعة فينتج ٧ يحتمل ان يكون ثاني رقم من الجذر وللتحقيق نضعه على يمين ضعف الجذر ٤ فيحدث ٤٧ ثم نضرب هذا العدد في ٧ فينتج ٣٢٩ وحيث انه يتعذر طرحه من ٣١٢ فننقص رقم ٧ واحدا ونجعله ٦ ثم نضعه على يمين ضعف الجذر فيحدث ٤٦ ونضرب هذا العدد في ٦ ينتج ٢٧٦ وهو عدد يمكن طرحه من ٣١٢ فنضعه في ناتج الجذر على يمين رقم ٢ ونطرح ٢٧٦ من ٣١٢ يبقى ٣٦ ثم:

تنزل على يمينه الفصل التالي للسابق فينتج ٣٦٨٩ نقصد رقم
٩ ونقسم على ضعف ناتج الجذر اي على ٥٢ فينتج
٧ يحتمل ان يكون ثالث رقم من الجذر وللتحقيقه يوضع على يمين
ضعف الجذر ٥٢ فيحدث ٥٢٧ نضربه في ٧ فينتج ٣٦٨٩
وهو عدد يمكن طرحه من العدد المكون من المقسوم والرقم المفصول
فيكون رقم ٧ موافقا فيوضع على يمين [illegible] وبطرح ٣٦٨٩ من
٣٦٨٩ فلا يبقى شئ ويكون ناتج الجذر وهو المطلوب [illegible] المثال الثالث
اذا اريد ايجاد الجذر التربيعي للعدد نجري العمل هكذا
العمل ان نقسم الى فصول زوجية من
اليمين ونجري العمل كما في المثالين السابقين
الا انه بعد الحصول على ٣٤ في ناتج الجذر وتنزل الفصل
الثالث ٩٨ على يمين الباقي ٣ يتحصل ٣٩٨ ونفصل رقم
الاحاد منه يبقى [illegible] يلزم قسمته على ضعف ناتج الجذر
اي على ٧٢ وحيث انه يتعذر قسمة ٣٩ على ٧٢
نضع صفرا في ناتج الجذر ثم نتمم العمل كما في الامثلة
السابقة والعدد [illegible] يسمى باقي الجذر ويلزم ان يكون كل باق
اقل من ضعف ناتج الجذر واحدا ففي المثال السابق يلزم ان يكون
الباقي اقل من [illegible] الذي هو [illegible] وهو [illegible] وهو ان
يرفع ناتج الجذر ويضم اليه الباقي فان انتج العدد المفروض كانت
العملية صحيحة والا فلا [illegible] للمربعات فهو ان تقرب كسور
من المقام ان لم يكن المقام مربعا كاملا ثم يأخذ جذر البسط ويقسم على جذر المقام
فاذا اريد ايجاد الجذر التربيعي لكسر $\frac{25}{81}$ يؤخذ جذر البسط وهو خمسة نجعله
بسطا ثم نأخذ جذر ٨١ وهو تسعة نجعله مقاما للجذر يكون هكذا
واذا اريد ايجاد الجذر التربيعي لكسر [illegible] نأخذ جذر الثمانية عشر
وهو [illegible] تقريبا نجعله بسطا ثم نأخذ جذر ٤٩ وهو سبعة نجعله
مقاما للجذر [illegible] يحصل معنا هكذا [illegible] تقريبا واذا لم يكن المقام مربعا
كاملا

[illegible]

كالاول مثل ... فتضرب ... في المقام وهو هنا احد عشر فيخرج معك $\frac{5}{22}$ ثم
فتجعله مقاما لذلك البسط ... الخمسة والخمسين بالتقريب وهو سبعة فتجعل
فتجعلهما بسطا وجذر المقام هو ... فتجعله مقاما لذلك البسط فيكون هكذا ...
وكسر تجري عليهما عملية الضرب ثم يؤخذ جذر الكسر الناتج واذا اريد ايجاد
التربيعي للعدد ... نجري قاعدة الضرب وهو ان تضرب الخمسة في الثمانية وتضيف
البسط ... الحاصل ... تضرب عدد الكسر في الثمانية فيحصل معك هكذا
... خذ جذر الحاصل وهو ... ارفعه بقاعدة الرفع ... معك
تقريبا ... واذا كان الجذر اصم فاسقط منه اقرب المجذورات اليه
وانسب الباقي الى مضعف الجذر مع زيادة واحد اليه فما حصل انسبه مع
الجذر الصحيح هو جذر العدد الاصم بالتقريب فاذا اريد ايجاد الجذر
للعدد ... فاسقط منه اقرب المجذورات اليه وهو التسعة يبقى ثلاثة
فانسب الثلاثة الى مضعف الجذر الذي هو الثلاثة في مثلها مع زيادة
احد على المضعف المذكور يكون الحاصل ثلاثة وثلاثة اسباع تقريبا لانك
اذا ضربت ما ذكر في نفسه ينتج احد عشر وسبعة وثلاثين من تسعة و
اربعين وهو كناية عن خمسة اسباع وسبعي سبع الواحد والله اعلم

## باب الاعداد الاربعة المتناسبة وهي التي نسبة اولها الى ثانيها كنسبة

ثالثها الى رابعها ومسطح طرفيها كمسطح وسطيها كاثنين واربعة وثلاثة
وستة فان الاثنين نصف الاربعة كما ان الثلاثة نصف الستة وضرب الاثنين
في الستة كضرب الاربعة في الثلاثة ثم متى جهل احد طرفيها فاقسم على نظيره
مسطح الوسطين ومتى جهل احد الوسطين فاقسم على نظيره مسطح
الطرفين ففي المثال الاول لو جهل الاثنان فاضرب الاربعة في الثلاثة
والحاصل اقسمه على الستة او جهلت الستة فاقسم على الاثنين او
جهلت الاربعة فاضرب الطرفين وهما الاثنان والستة
[illegible] الحاصل على الثلاثة او جهلت الثلاثة فاقسم الحاصل على الاربعة
واقسم الحاصل على الثلاثة ... وجميع المسائل تستخرج بهذه الطريقة وهذه صورة
يخرج المطلوب ... كيفية التصرف بها في المعاملات هو ان تميز بين
وضع الاعداد اذ ... ...
السعر والمسعر والثمن والمثمن فاذا قيل القنطار باربعة وعشرين بكم خمسة
ارطال فالقنطار المسعر والاربعة والعشرين السعر والخمسة الارطال المثمن
والمسئول عنه هو الثمن ونسبة المسعر الى السعر كنسبة المثمن الى الثمن

فالمجهول الرابع فاقسم مسطح الوسطين وهو مائة وعشرون
على الاول وهو القنطار الذي هو عبارة عن مائة رطل يحصل معك
واحد وخمس وهو الثمن المطلوب ولو قيل لك بكم لبن [illegible]
وخمس فالمجهول الثمن وهو الثالث فاقسم مسطح
الطرفين على الثاني يحصل المطلوب وقد نظم
النسب مسعرهم الى السعر له وكذا الثمن الى الثمن نسب و بعضهم قال
البسط اول والثاني يليه والثالث العدد الذي تشتريه والرابع المجهول
في الثمن هكذا ترتيب ما ماثل اثنا سبب لديه ولو قيل بستة
أرطال بدرهمين كم ثمن اربعة وعشرون رطل فقد جهل الرابع فاضرب الثاني
وهو درهمان في الثالث وهو اربعة وعشرون يكون الحاصل ثمانية واربعين فاقسمه
على الاول وهو ستة يخرج ثمانية دراهم وان قال الستة
الارطال بدرهمين كم لي بثمانية دراهم فقد جهل الثالث فاضرب الاول في
الرابع واقسم الحاصل على الاثنين يخرج اربعة وعشرون رطل وهي الارطال
التي ثمنها ثمانية ولو قيل اجرة شهر ستة دراهم كم اجرة خمسة
ايام فضع ذلك هكذا فالمجهول الرابع فاضرب الثاني وهو ستة
في الثالث وهو الخمسة يكن ثلاثين فاقسمها على الاول وهو الثلاثون
يخرج درهم ولو قال دينار ونصف ثمنه ثلاث دراهم كم ثمن الدينار فضع
هكذا فالمجهول الرابع فاضرب الثاني وهو الثلاثة في الثالث وهو واحد
يكن بثلاثة اقسمها على واحد ونصف بما تقدم في قسمة العدد الصحاح على
العدد الصحاح والكسر في باب قسمة الكسور فاذا قسمت ما ذكر يخرج
لك ما يخص الدينار الواحد وهو درهمان هكذا ولو قال ثلاثة
ارباع دينار بدرهمين كم لي بثمن دينار وضعه هكذا
فالمجهول الرابع فاضرب الثاني في الثالث يكن الحاصل اثنين
اقسمها

اقسمها على ثلاثة اربابع كما تقدم يخرج اثنان وثلاثون وهو الجواب و
هذه صورته نسال الله حسنها في قسمة المحاصات
وهي قسمة ٢ ام مال المفلس بين غرمائه وقسمة ربح التجارة
وقسمة التركات بين الورثة فلو افلس احد وكان عليه دين لجماعة
احدهم له عشرون وللاخر ثلاثون وللاخر سبعون وجد ماله مائة فاجمع ديونهم
واجعله اماما واضرب ما لكل واحد من المال واقسمه على الامام يخرج ما
لكل واحد فاذا جمعت الدين في هذه الصورة تجده مائة وعشرين فاجعله
اماما فاضرب لصاحب العشرين في مائة يكن الفين اقسم ذلك على الامام وهو
المائة والعشرون من المائة ستة عشر وثلثين ثم اضرب لصاحب الثلاثين
في مائة يخرج ثلاثة الاف اقسمها على الامام يخرج نصيبه من المائة خمسة و
عشرون ثم اضرب لصاحب السبعين سبعين في مائة يكن سبعة
الاف فاقسمها على الامام يخرج ثمانية وخمسون وثلث وهو نصيبه
من المائة واختبار ذلك بان تجمع ما خرج لكل واحد فان ساوى الحاصل
المال كان العمل صحيحا والا فلا فاذ جمعت ما خص كل واحد
في المثال السابق تجده مائة وهو علامة الصحة ولو
اشترك جماعة في راس مال التجارة وكان لاحدهم ثلثه وللاخر
ربعه وللاخر ثلثاه وحصل لهم الربح مائة وعشرون فانك
تنظر مخرجا يجمع الانصبا فتجده اثنى عشر فتاخذ ثلثه وربعه و
ثلثيه وثلث الاثنى عشر اربعة وربعها ثلاثة وثلثاها ثمانية
الجميع خمسة عشر فاجعلها اماما واضرب لصاحب الثلث
اربعة في مائة وعشرون يكن الحاصل ٤٨٠ اقسمها على الامام
وهو الخمسة عشر يخرج اثنان وثلاثون وهو نصيبه من
الربح ثم اضرب لصاحب الثلثين ثمانية في مائة وعشرين يكن
الحاصل ٩٦٠ اقسمه على الامام يخرج اربعة وستون وهو نصيبه

من الربح ثم اضرب لصاحب الربع ثلاثة في مائة وعشرين يكن ٣٦٠ اقسمها
على الامام يخرج له اربعة وعشرون وهو نصيبه من الربح [illegible] فان مات
ميت وخلف ورثة لاحدهم اربعة اسهم وللاخر خمسة وللاثنين
وخلف تركة وهي مائتا ريال مثلا فانك تجمع سهامهم فتجدها اثنا
عشر فاجعلها اماما ثم اضرب ما لكل احد في التركة واقسمه على الامام يخر
ج نصيبه من التركة فاضرب الاربعة الاسهم في المائتين يكن ثمانمائة ٨٠٠
اقسمها على الاثني عشر يخرج له ستة وستون وثلثان
[illegible] من التركة ثم اضرب الستة في التركة يكن ١٢٠٠ اقسمها على الاثني
عشر يخرج له مائة وهو نصيبه من التركة ثم اضرب الاثنين في التركة
يكن ٤٠٠ اقسمها على الاثني عشر يخرج له ثلاثة وثلاثون وثلث
وهو نصيبه من التركة فاذا جمعت ما لكل احد تجده مائتين وهو
الصواب والله اعلم بالصواب والى هنا انتهى ما اردنا جمعه في
هذه الرسالة من علم الحساب من غير اختصار مخل ولا تطويل ممل
الطلاب اسال الله ان يجعل جمعي لها [illegible] لوجهه الكريم وان
ينفعني بها وكل من تلقاها بقلب سليم واعلم ايها الطالب
رسالتي جامعة لما يحتاج اليه طالب علم الفرائض والمعاملات
من قسمة التركات والارباح والمبايعات وليس لي فيها شيء سوى
ما اخذته من كتب [illegible] من القواعد المطلوبة [illegible] من كتاب محمد ادريس
المصري [illegible] الطويل في الرياضيات [illegible] المفيد والزهرة
خلاصة المختصرات [illegible] مستحضرا القواعد المتقدمات
كانت كافية له [illegible] على استخراج اشياء
كثيرة من المجهولات وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]
وعلى آله و [illegible] سنة ١٣٥٦
من [illegible]
والحمد لله رب العالمين ونقلت في جامع جبلة [illegible] مع الاستاذ
[illegible] المصنف [illegible]